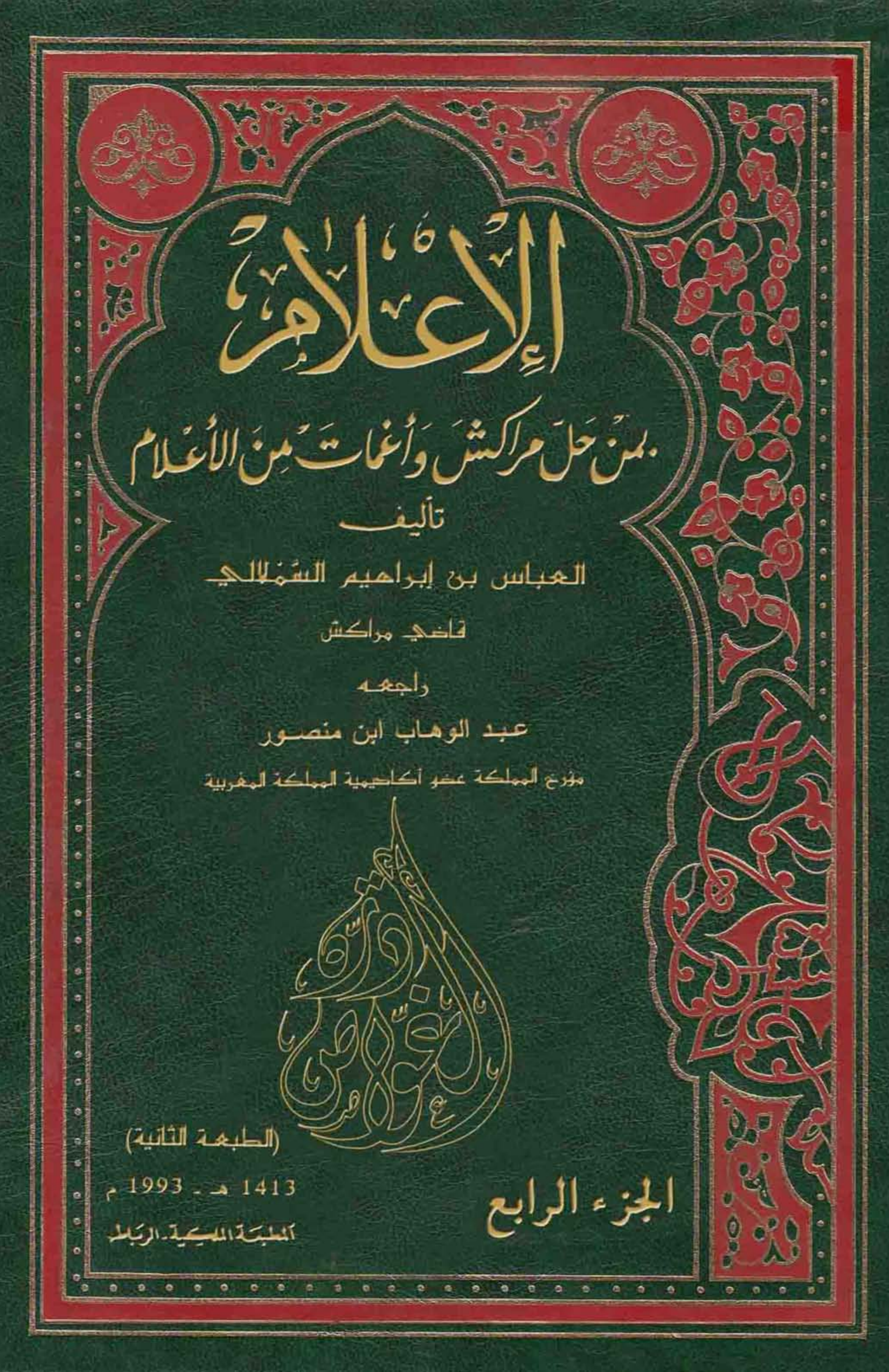

الإعلام
بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
تأليف
العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش
راجعه
عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية
(الطبعة الثانية)
1413 هـ - 1993 م
المطبعة الملكية - الرباط
الجزء الرابع





تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الرابع

الطبعة الثانية
1419 هـ - 1998 م



المطبعة الملكية. الرباط


درة الغواص

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

من اسمه محمد

475) محمد ابن حوقل البغدادي

محمد بن حوقل الحوقلي البغدادي ، نبغ نحو سنة 367 ووسع ما أخذه الاصطخرى عن كتاب البلخي ، وابن حوقل هو أحد السواح المشهورين في الاسلام ، وأصله تاجر من الموصل قام في سفره من بغداد وطاف في البلاد الاسلامية وبلاد البربر ، وجال في بلاد الأندلس ، ودخل العراق وأرض فارس وغيرها ، وبقي في رحلته نحو 67 سنة ، وذلك في القرن الرابع الهجري أي من سنة 331 إلى 359 ، والف في رحلته كتاباً سماه (المسالك والممالك ، والمفاوز والمهالك) ، طبعت منه عدة أجزاء في ليدن ويون سنة 1871 م ، وترجم إلى اللغة الفارسية ومنها إلى الانكليزية ، وسماه المترجم بالجغرافية الشرقية لابن حوقل ، ومع شهرته لم يخلُ كتابه من الغلط ، فان الحاج خليفة صاحب (كشف الظنون) قد خطّأ ابنَ حوقل في ضبط الأسماء ، وراجع كتاب (ءاثار الأدهار) .

وقد طالعت كتابه (المسالك والممالك) فرأيته ذكر فيه الأقاليم والبلدان ، على مر الدهور والأزمان ، وطبائع أهلها ، وخواص البلاد في نفسها ، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها ، وذكر الأنهار الكبار ، واتصالها بشطوط البحار ، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار ،

ومسافة ما بين البلدان للسفار والتجار ، مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار ، والنوادر والآثار ، وهو مختصر في صورة بلاد الاسلام ، وأخبارها بالكمال والتمام ، وكان اطلع على ما جمعه كتاب الامام العالم محمد ابن خرداذبه وقدامة بن جعفر وطبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة 1872 م وقفت على هذه النسخة في صحائف 406 مهمَّشة بتقارير عدة في غاية الاتقان أستوفيت مطالعتها وهي ممتعة مع شدة اختصارها ، لأنه يذكر الاقليم ويحده ويذكر تعداد البلاد التى فيه مع خصائصها ومنافعها وحدودها ومقاديرها وما بينها وبين غيرها مما يجاورها إلى غير ذلك من الفوائد .

وكان ابتداء سفره من بغداد يوم الخميس لسبع خلون من رمضان سنة 331 ، قال وقسمة الأرض على الجنوب والشمال ، فاذا أخذت من المشرق من الخليج الذى يأخذ من البحر المحيط بأرض الصين إلى الخليج الذى يأخذ من هذا البحر المحيط من أرض المغرب بأرض الأندلس وطنجة فقد قسمت الأرض قسمين ، ثم قال وأما مملكة الصين فان شمالها وشرقيها البحر المحيط وجنوبيها مملكة الاسلام والهند ، وأما غربيها فهو البحر المحيط لأن ياجوج وماجوج وما وراءهم إلى البحر المحيط من هذه المملكة ، ثم قال فمن مصر إلى آقصى المغرب نحو مئة وثمانين مرحلة ، فكان ما بين أقصى الأرض من المغرب إلى أقصاها من المشرق نحو أربعمئة مرحلة ، ثم قال وإن من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال مئتي مرحلة وعشر مراحل ، ثم قال وأرض الصقالبة عريضة طويلة نحو شهرين في مثلها ، وأما مملكة الاسلام فان طولها من حد فرغانة حتى تقطع خراسان والجبال والعراق وديار العرب إلى سواحل اليمن ، فهو نحو خمسة أشهر وعرضها من بلد الروم حتى تقطع الشام والجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة على شط بحر فارس نحو أربعة أشهر ، وإنما تركت في ذكر طول الاسلام حد المغرب إلى الأندلس لأنه مثل الكم في الثوب وليس في شرقي المغرب ولا في غربيه اسلام ، لأنك إذا جاوزت مصر في أرض المغرب كان جنوبي المغرب بلاد السودان وشماله بحر الروم ثم أرض الروم ، ثم قال ولو صلح أن يجعل طول الاسلام من فرغانة إلى أرض المغرب والأندلس لكان مسيرة مئتي مرحلة إلا مراحل ، لأن من أقصى فرغانة

إلى وادي بلخ نيفاً وعشرين مرحلة ، ومن وادي بلخ إلى العراق نحو ستين مرحلة ، وقد بيّنت في مسافات المغرب أن من مصر إلى أقصاها في جهة الغرب مئة وثمانين مرحلة ، ومن مصر إلى أن يحاذي آخر أرض الأندلس آخر أرض طنجة نصف هذه المسافة ودون ذلك ، ثم قال وعن يسار طريق فاس إلى سجلماسة إقليم أغمات ، وهو رستاق عظيم فيه مدينة أغمات ، وهي كثيرة الخير والتجارة إلى سجلماسة وغيرها ، ومن سجلماسة إلى أغمات نحو 8 مراحل ، ومثلها إلى فاس ، ومن ورائها إلى ناحية البحر المحيط السوس الأقصى وليس بالمغرب أجمع بلد أكبر ولا ناحية أوفر خيراً منها ولا أجمع لفنون المئاكل والمشارب منها ، وبها الأترج والجوز والنخل وقصب السكر والسمسم والقنب وسائر البقول التى لا تكاد تجتمع في غيرها ، وذلك أنها تجمع فواكه الصرود والجروم ، وأهل السوس فرقتان إحداهما فرقة موسويون يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب أورصند والغالب عليهم الجفاء وغلظ الطبع : والفرقة الثانية سنية مالكية حشوية ، وبينهم القتال المتصل ليلا ونهاراً ، والدماء الدائمة ، ولهم مسجد يصلي فيه الفريقان فرادي عشر صلوات إذا صلى هؤلاء أتى هؤلاء بعشر أذانات وعشر إقامات ، والمالكيون منهم فوق الشيعة في الفظاظة وغلظ الطبع وجباسة الأخلاق ، وبقدر ما لهم من مواد لذة العيش يتغالون في الجهل والطيش ، ثم ذكر أن داخل جميع المغرب رواية عن صاحب بيت المال سنة 350 فوق سبعمئة ألف ألف دينار ، وأن داخل الأندلس نحو أربعين ألف ألف دينار ، ثم قال وقد ألحّ الروم في وقتنا هذا على المسلمين الذين على سواحل بحر الروم يعني البحر المتوسط المعروف بالبحر الأبيض بالغارات واختطاف مراكبهم من كل جهة ولا غياث لهم ولا ناصر ، والملك فيهم حقير ذليل ، وهو جامع مانع والعالم يسرق ولا يشبع ويفتي بالتأويل على ما يختار ولا يخاف معاداً ولا مرجعاً ، والتاجر فاجر لا يعاف حراماً ولا مطعماً ، والزاهد ذيب أذرع ، في كل بلية يشرع ، وبكل ريح بلقع ، فالثغور والجزائر إلى الأعداء مسلمة ، والأرض إلى الله من أربابها متظلمة ، ثم قال والأرض مصورة على تصوير طائر ، فالبصرة ومصر الجناحان ، والشام الرأس ، والجزيرة الجؤجؤ ، واليمن الذنب ، ثم قال وقد انتهينا

في حد الشرق إلى آخر حدود الاسلام ، ولم نقصر إن شاء الله فيما قصدناه ، ولا أعلمنى توخيت فيه زيادة لتجمل ، ولا نقصاً لناحية بازراء وتقول ، وكان أكثر ما حداني على هذا الكتاب وتاليفه على هذه الصورة أنني كنت في حال الحداثة شغفاً بأخبار البلدان والوقوف على حال الأمصار كثير الاستعلام والاستخبار لسامرة النواحي ووكلاء التجار وقراءة الكتب المؤلفة فيها ، وكنت إذا لقيت الرجل الذى أظنه صادقاً وأخاله بما أسأل عنه خبيراً فأجده عالماً عند إعادة الخبر الذي أعتقد فيه صدقة ، وقد حفظت نسقه وتأملت طرقه ، ووصفه أكثر ذلك باطلا ، وأرى الحاكي بأكثر مما حكاه جاهلا ، ثم أعاود الخبر الذى ألتمسه منه والذكر ليسمع الذى استوصفته وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد روية وأجمع بينهما وبين حكايات ثالث بالعدل والسوية ، فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات ، وكان ذلك داعية إلى ما كنت أحسه في نفسي بالقوة على الأسفار وركوب الأخطار ، ومحبة تصوير المدن وكيفية مواقع الأمصار ، وتجاور الأقاليم والأصقاع ، وكان لا يفارقني كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهاني وتذكرة أبي الفرج قدامه ابن جعفر ، وإذا الكتابان الأول قد لزمني إن أستغفر الله من حملهما ، واشتغالي بهما عما يلزمني من توخّي العلوم النافعة والسنن الواجبة ، وليت أبا إسحق الفارسي وقد صور هذه الصورة لأرض الهند فخلطها وصورة فارس فجودها ، وكنت قد صورت أذربيجان التى في هذه الصفحة فاستحسنها والجزيرة فاستجادها وأخرج التى لمصر فاسدة وللمغرب أكثرها خطئاً ، وقال قد نظرت في مولدك وأثرك وأنا أسألك إصلاح كتابي هذا حيث ضللت فأصلحت معه غير شكل وعزوته إليه ، ثم رأيت أن أنفرد بهذا الكتاب واصلاحه ، وتصويره أجمعه وإيضاحه ، من غير أن ألم بتذكرة أبي الفرج وإن كانت حقاً بأجمعها وصدقاً من سائر جهاتها وكان يجب أن أذكر منها طرفاً في هذا الكتاب ، لكن استقبحت الاستكثار بما تعب فيه سواي ونصب فيه غيري هـ (I) .

I) ينظر عن ابن حوقل الاعلام للزركلي 6 : 344 والرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص 39 ودائرة المعارف الاسلامية I : 265 .

476) **محمد بن سعدون بن علي بن بلال** ، مولده بالقيروان وهي بلد أسلافه ، قال في (تهذيب معالم الايمان) سمع من أبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عبد الله بن محمد بن الناظور وأبي القاسم عبد الرحمان بن اللبيدي وغيرهم ، قلت منهم الحسين بن عبد الله الأجدابي وأبو القاسم السيوري ، ومحمد المالكي قال ثم رحل إلى المشرق فسمع بمصر من أبي الحسين ابن المنير ، وبمكة من أبي الحسين ابن صخر ، وأبي بكر بن علي المطوعي ، وأبي ذر بن أحمد الهروي ، وكان من أهل العلم بالفروع والأصول ، وكتب الحديث بمكة ومصر والقيروان ، حدث عنه أبو بحر ابن العاصي وأبو علي الصدفي وأبو الحسن بن مغيث وغيرهم ، وله تآليف منها كتاب (تأسي أهل الايمان ، بما طرأ على مدينة القيروان) ، وجزء فيه مناقب شيخه أبي بكر بن عبد الرحمان وأصحابه ، قلت وكتاب في الفقه على مذهب مالك بن أنس ، وكان خروجه من القيروان للتجارة ، فطاف بلاد المغرب والأندلس وأخذ الناس عنه هناك كأهل قرطبة وبلنسية والمرية وغير ذلك من البلاد وفتح الله لهم على يده ، قال : وتوفي بأغمات من المغرب الأقصى سنة خمسة وثمانين وأربعمئة وتبعه العواني ، وقال عياض توفي سنة ست ، ومولده عام ثلاثة عشر رحمه الله تعالى .

انتهى كلام التهذيب .

قلت وقد غلط صاحب (الديباج) فجعل ابن سعدون المترجم رجليْن ترجم كلا منهما بترجمة مع أن الثاني عنده هو الأول المترجم ، ونص ما أورد في الترجمة الأولى : محمد أبو بكر عبد الله بن سعدون بن علي ، قروي تفقه بها ، وسمع من شيوخها كابن الأجذابي وأبي بكر بن عبد الرحمان ، وأبي علي الزيات ، والبوني ، واللبيدي ، وغيرهم ، ثم حجّ فسمع بمكة من المطوعي ، وسمع بمصر من ابن ربيعة وأبي الطفيل ، وكان فقيهاً حافظاً للمسائل نظاراً على مذهب القرويين، كمل (التعليق) للتونسي على (المدونة) ، واشتغل بالتجارة ، فطاف بلاد المغرب والأندلس ، ولم تكن له أصول ، سمع منه الناس كثيراً ، فمنهم أبو علي الجياني والصدفي وأبو بحر

وابنا مفوز ، وسمع منه أهل سبتة القاضي محمد ابن عيسى التميمي ، وأبو علي النحوي وغيرهما ، وله تواليف في ذم بني عبيد وأفعالهم القبيحة بالقيروان وغيرها .

انتهى (1) .

ونص ما قاله في الترجمة الثانية : محمد بن سعدون بن علي بن بلال البدوي ، كان من أهل العلم بالأصول والفروع ، سمع من أبي إسحاق التونسي ، وابن باشاذ ، وله كتاب الاكمال لأبي إسحاق التونسي روى عنه أبو علي الصدفي وأبو علي الغساني .

توفي بأغمات سنة خمس وثمانين وأربعمئة هـ (2) .

وقد علمت أن بلالا والد علي ، وأما البدوي في هذه الأخيرة فقد تصحف عن القروي ، وقد ترجم له في الجزء الرابع من (النجم الثاقب) ، وحلاه بكونه من أكابر أولياء الله الزاهدين ، قال فيه محمد بن سعدون بن علي القروي ، كان رحمه الله من أكابر أولياء الله الزاهدين ، وعباده المخبتين ، مشهوراً بالكشف وإجابة الدعوة وظهور الكرامة ، ممّن جمع الله له العلم والعمل، وضُرب بفقهه وعبادته المثل، ذكره ابن الزيات أول كتابه (التشوف) (3) وقال إنه أخذ بمكة عن العالم الزاهد أبي بكر المطوعي ، ثم انتقل للمغرب فنزل أغمات وريكة ، وحدث عن ثقات أشياخه أن فقيهاً من فقهاء أغمات وقف عند قبر الولي أبي عبد الله بن سعدون فسمعه بعض الصالحين يتكلم معه ، فقال له ذلك الصالح سمعتك تتكلم عند قبر الولي ابن سعدون ، فقال له ذلك الفقيه أنت رجل صالح ، ولولا ذلك ما حدثتك ، فاكتم علي ، إعلم أنه قد أشكلت عليّ مسألة فبحثت عنها فلم أجدها ، فأتيت قبر هذا الولي ابن سعدون فذكرت له المسألة فقال لي من قبره أطلبها في الكتاب الفلاني ، وحدث عنه

1) الديباج المذهب ص 273 طبع القاهرة عام 1351 .

2) الديباج المذهب ص 311 طبع القاهرة عام 1351 .

3) التشوف ع 1 ص 61 طبع الرباط .

القاضي عياض في كتابه (المعجم) بحديث فيه سبعة من المحمدين قال حدثنا شيخنا القاضي محمد ابن عيسى ، قال أخبرنا محمد ابن سعدون القيرواني ببلدنا سبتة حين اجتيازه علينا لبلاد المغرب، قال حدثنا محمد المطوعي، قال حدثنا محمد ابن عبد الله بن البيع الحافظ ، قال حدثنا محمد بن يوسف الفقيه ، قال حدثنا محمد بن عبيد الله بن سليمان الحضرمي ، قال أخبرنا محمد بن سهل ابن عسكر ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال ذكر الثوري عن أبي إسحاق عن زيد عن حذيفة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن وليتموها أبابكر فقوي لين لا تاخذه في الله لومة لائم ، وإن وليتموها علياً فهادٍ مهتد يقيمكم على صراط مستقيم ، ومن حديثه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن نظر إلى أخيه المسلم نظرة مخيفة من غير حق أخافه الله عز وجل ، ومن حديثه ما خرجه له القاضي عياض قال أخبرنا الفقيه محمد ابن عيسى التميمي قال أخبرنا الشيخ محمد بن سعدون القروي قال حدثنا محمد المطوعي عن شيوخه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجد العبد حلاوة الايمان حتى يومن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، قال أنس وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على لحيته فقال آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، قال علماؤنا : فينبغي لمن وصل إليه هذا الحديث أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقبض على لحيته ويقول آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وله أخبار ماثورة ، وكرامات مشهورة .

انتهى .

وترجم له أيضاً ابن بشكوال في (الصلة) (1) وذكر فيها ترجمة أبي عمران الفاسي أنه قرأ على المترجم ، وترجم له صاحب (التشوف) وروى أبو بكر بن خير فهرسة المترجم في فهرسته عن الشيخ عبد العزيز بن خلف بن مدير الأزدي إجازة فيما كتبه له بخطه عن المترجم ، وروى القاضي عياض في غنيته فهرسة المترجم وتآليفه عن أبي علي وأبي بحر وأبي عامر بن حبيب وابن عيسى وغيرهم عنه ، وذكر ابن الأبار في (معجم أصحاب الصدفي) لدى

1) **الصلة** 2 : 602 ع 1322 .

ترجمة أبي علي التاهرتي النحوي أنه روى عن المترجم ، **وهناك ابن سعدون** آخر ، وهو أبو عامر العبدري محمد بن سعدون ابن مرجا **الميورقي الحافظ** الفقيه الظاهري نزيل بغداد الذي قال فيه القاضي أبو بكر **ابن العربي هو** أنبل من لقيته ، وترجمه في (الشذرات) فيمن توفي سنة 524 **وذكره الحافظ** الذهبي في (تذكرة الحفاظ) ، راجع صحيفة 66 من ج 4 منها .

477) **محمد بن الحسن المرادي** الحضرمي القروي ، يكنى أبا بكر قدم الأندلس وأخذ عنه أهلها ، كان رجلا نبيهاً عالماً وإماماً في أصول الدين ، له نهوض في علم الاعتقادات والأصول ومشاركة في الأدب وقرض الشعر ، كان ذا حظ وافر من البلاغة والفصاحة ، دخل قرطبة في سنة 487 اختلف إلى أبي مروان ابن سراج في سماع التبصرة لمكي بن أبي طالب، وحدث بكتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي عن عبد الرحمان بن عمر بن محمد التميمي القصديري عن محمد بن علي بن الحسن بن البر التميميعن إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري عن الثعالبي ، روى عنه أبو العباس المقري ، وله في أصول الدين توالف حسان مفيدة ، ومن أصحابه أيضاً يوسف الكلبي الضرير دفين مراكش أخذ عنه علم الكلام ، وكان المرادي أول مَن أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى ، فنزل أغمات وريكة ، فلما توجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء حمله وولاه القضاء فمات بأزكي (1) من صحراء المغرب سنة تسع وثمانين وأربعمئة فخلفه يوسف في علوم الاعتقادات .

ترجمه في الصلة (2) نقلا عن القاضي عياض وأبي العباس الكناني ، وذكره في (التشوف) في ترجمة تلميذه يوسف ، وترجم ابن الابار في معجم أصحاب أبي علي الصدفي لولده أبي الحسن علي المعروف بابن المرادي ، وذكر أنه سكن غرناطة ، وروى عن أبي علي ، وله رواية عن أبيه أبي بكر ، وأبي محمد بن أبي جعفر وغيرهما ، سمع منه أبو خالد ابن رفاعة وأبو القاسم

---

1) في الأصل باركن ، وفي طبعة **الصلة** الاوربية اركز وبهامشها ازكد ، والغالب انها تحريف ازكي القرية الشهيرة بصحراء المغرب .

2) **الصلة** 2 : 604 ع 1326 .

ابن سمجون وسواهما ، وترجم في (الديباج) لحفيده أبي العباس أحمد المتوفى بغرناطة سنة إحدى وخمسين وستمئة .

478) محمد المعتمد ابن عباد اللخمي .

محمد المعتمد على الله بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن (1) قريش بن عباد بن عمرو ، بن أسلم ، بن عمرو ، بن عِطاف ، بن نعيم ، اللخمي من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة أبو القاسم .

قال فى الاحاطة (2) :

اوليتــه .

دخل الأندلس جده عطاف مع بلج بن بشر القشيري مـن أشراف الطائفة البلخية ، وهم من عرب حمص من أرض الشام ، وموضعه بها يعرف بالعريش فى آخر الجفار بين مصر والشام ، ونزل عِطاف بقرية تعرف بيومين من إقليم طشانة على ضفة النهر الأعظم من أرض إشبيلية ، ولما هلك قريش ورث السيادة إسماعيل ابنه وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء ، يكنى أبا الوليد ولي الشرطة الوسطى لهشام بن الحكم ، وخطة الامامة لصلاة الجمعة ، ثم خلفه أبـو القاسم محمد المنفرد برياسة إشبيلية المتحف فيهـا بخطط الوزارتين والقضاء والمظالم ، وعز جاهه ، وكثرت حاشيته ، وتعددت غلمانه ، وأذعنت له عداته ، ثم خلفه الأمير المعتضد عباد ولده ، وكان خيراً حازماً سديد الرأي مصنوعاً له في الأعداء ، فلما توفي صار الأمر إلى ولده المترجم به المكنى بأبي القاسم إلى حين خلعه .

حـالـه .

قالوا كلهم كان المعتمد رحمه الله فارساً شجاعاً بطلا مقداماً شاعراً ماضياً مشكور السيرة فى رعيته ، وقال الفتح فى قلائده : كان المعتمـد

---

1) زاد ابن الأبار فى **الحلة السيرا** محمد بن اسماعيل بعد محمد بن اسماعيل .

2) **الاحاطة** 2 : 108 طبع القاهرة 1974 م .

على الله ملكاً قمع العدا ، وجمع بين الباس والندا ، وطلع على الدنيا بدر هدى ، لم يتعطل يوماً كفه ولا بنانه ، آونة يراعه وآونة سنانه ، وكانت أيامه مواسم ، وثغور بره بواسم هـ .

لقب أولا الظافر ، ثم تلقب بالمعتمد ، كان كلفاً بجاريته اعتماد لما ملكها لتتفق حروف لقبه وحروف اسمها لشدة ولوعه بها .

وزراؤه

ابن زيدون ، وابن عمار ، وغيرهما .

أولاده الملكون .

عبيد الله يُكنَى أبا الحسن وهو الرشيد وهو الذي لم يوافق أباه على استصراخ المرابطين وعرض له بزوال الملك عنهم بذلك ، فقال رعْيُ الابل خيرٌ من رعْيِ الخنازير (1) ، وكان قد ولاه عهده وبويع له باشبيلية وهو المحمول معه الى العدوة ، ثم عباد (2) وهو الملقب بالمامون ، وكان قد بويع له بقرطبة وهو المقتول بها المحمول رأسه إلى محلة العدو المرابطين المحاصرة لأبيه باشبيلية ، ثم يزيد وهو الراضي ، وكان قد ولاه رندة فقتل لما ملكها اللمتونيون ، ثم عبد الله ويكنى أبا بكر . هؤلاء الأملاك الأربعة من جاريته اعتماد السيدة الكبرى المدعوة بالرميكية منسوبة إلى مولاها رميك بن الحجاج الذي أبتاعها منه المعتمد .

مِلمتُه

لما تكالب ألفونسو السادس على الناس بعد أخذه مدينة طليطلة ضيق بالمعتمد وأجحف به في الجزية التى كان يتقي بها على المسلمين عاديته وعلى ذلك أخذها وتجنى عليه وطمع في البلاد ، فحكى بعضُ الأخباريين أنه

---

1) فى نص الاحاطة المطبوع : فقال أحب الى أن أكون راعى ابل بالعدوة من القى الله وقد حولت الأندلس دار كفر .

2) فى نص الاحاطة المطبوع : ثم الفتح .

وجه إليه رسوله في آخر أمره لقبض تلك الضريبة مع قوم من رؤساء النصارى ونزلوا خارج باب إشبيلية فوجه إليهم المال فقال لهم لا أخذت منه هذا العيار ولا آخذ منه إلا ذهباً مشحراً ولا يوخذ منه بعد هذا العام إلا أجفان البلاد ، ونُقل كلامه إلى المعتمد فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى ونكل بهم ، وقتل اليهودي بعد أن بذل في نفسه زنةَ جسمه ذهباً فلم يقبل منه ، واحتبس النصارى ، وراسله الطاغية في اطلاقهم فأبى واستصرخ اللمتونيين ، وأجاز البحر بنفسه ، وأقسم الطاغية بأيمانه المغلظة لا يرفع عنه يده ، وهاجت حفيظة المعتمد واجتهد في جواز المرابطين وكان ما هو معلوم من الايقاع بالطاغية في وقعة الزلاقة، فانه هو الذى أصلى نارها بنفسه ، فعظم بلاؤه وشهر صبره ، وأصابتْه الجراحُ في رأسه وبدنه رحمه الله ، وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة :

وقالوا كفه جُرحت فقلنا ... أعاديه تواقعها الجراح
وما أثر الجراحة ما رأيتم ... فتوهنها المناصل والرماح
ولكن فاض سيل البأس فيها ... ففيها من مجاريها انسياح
وقد صحتْ وسحتْ بالأماني ... وفاض الجود منها والسماح
رأي منه أبو يعقوب فيها ... عقاباً لا يهاض له جناح
فقال له لك القدح المعلّى ... إذا ضربت بمشهدك القداح

ولما اتصلت به الصيحة بين يديْ دخول المدينة ركب في أفراد من عبيده وعليه قميص يشفُّ عن بدنه ، والسيف منتضى بيده ، ويمم باب الفرج ولقي الداخلين فردهم على أعقابهم ، وقتل فارساً منهم ، فانزعجوا أمامه وخلفوا الباب ، فأمر باغلاقه وسكنت الحال وعاد إلى قصره وفي ذلك يقول :

إن يسلب القومُ العدا ... ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه ... لم تسلم القلبَ الضلوع
قد رمت يوم قتالهم ... أن لا تحصّنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميـ ... ـص عن الحشا شيء دفوع
وبذلت نفسي كي تسيـ ... ـل إذا يسيل بها النجيع

أجَلـي تأخـر لـم يكـن يهواه ذلّي والخضـوع
مـا سرت قـط إلى القتـا ل وكـان مـن أملي الرجـوع
شيـم الألـى أنـا منهـم والأصلُ تتبعـه الفـروع

جـوده

وأخبار جوده شهيرة ، وما يؤثر من ذلك على استصحاب حال العز ووفور ذات اليد وأدوات الملك غريب ، والشاهد المقبول بقاء السجية ومصاحبة الخلق الملكية مع الاقتار والايسار وتقلب الأطوار ، وتعرض له الحصري لغير حق (1) بخارج طنجة وهو يجتاز عليها فى أسوإ حال من قهر واعتقال بأشعار ظاهرة المقت ، غير لائقة بالوقت ، ولم يكن بيده زعموا غير ثلاثين ديناراً عبادية كانت بحقة معدة لضرورة ضرر وأزمة فطبع عليها وأدرج قطعة شعر طيها اعتذاراً عن نزرها ، راغباً فى قبول أمرها ، فلم يراجعه الحصرى بشيء عن ذلك ، فكتب اليه :

قـل لمـن قـد جمـع العلـ ـم ومـا أحصى صوابـه
كـان في الصـرة شعـر فتنتظـرنـا جـوابـه
قـد أثبنـاك فهـلا جلـب الشعـر ثـوابـه

حـلـمـه

رفع اليه صدرَ دولته شعر أغري فيه بأبي الوليد ابن زيدان وهـو شهير ، وتخير له موقع وترصد حين ، وانتظر به مؤجره ، وهو :

يـا أيهـا الملـك الأعـز الأعظـم اقطـع وريدي كـل بـاغ ينئـم
واحسمْ بسيفك داءَ كـل منافق يبدي الجميلَ وضد ذلك يكتـم
لا تحقرنَّ من الكـلام قليلَـه إن الكـلام له سيوفٌ تكلـم
والملك يمحـا ملكـه عن لفظـة تسري فتجلى عن دواه وتعظـم
فضـلا عن الكلم التى قـد أصبحت غوغاؤنا جهـراً بـه تتكلـم

---

1) راجع 385 من ج 3 من الشذرات (مؤلف) .

فالله يعلم أنَّ كلَّ مؤمل ... مثلي على حذر وخوف منهم

فالدمعُ من أجفاننا متهلل ... والنار في أحشائنا تتضمر

ولقد علمت ولن نبصرك الهدى ... فلأنت أهدى في الأمور وأعلم

إن الملوك تخاف من أبنائها ... فتحل من مهجاتهم ما يحرم

ولذاك قيل الملك أعقمُ لم يزل ... فيه الوليدُ يثير حرباً تضرم

فاحسمْ دواعي كل شر دونه ... فالداء يسري إن غدا لا يحسم

كم سقط زند قد نما حتى غدا ... بركان نار كل شيء يحطم

وكذلك السيل الجحاف فانما ... أولاه طلٌ ثم وبلٌ يجسم

والمال يخرج أهله عن حدهم ... فافهمْ فانك بالبواطن أفهم

واذكرْ صنيع أبيك أول مرة ... في كل متهم فانك تعلم

لم يبق منهم مَن توقع شره ... فصفتْ له الدنيا ولذَّ المطعم

فعلامَ تنكل عن صنيع مثله ؟ ... ولأنت أمضى في الخطوب وأشهم

وجنانك الثبت الذى لا ينثني ... وحسامك العضب الذى لا يكهم

والحال أوسع والعوالي جمة ... والمجد أشمخ والصريمة ضيغم

لا تتركنْ للناس موضعَ شُبهة ... واحزم فمثلك في العظائم يحزم

قد قال شاعر كندة فيما مضى ... قولا على مرِّ الليالي يعلم

(لا يسلمُ الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم)

فوقع على الرقعة

كذبتْ مناكم صرحوا أو جمجموا ... فالدين أمتن والسجية أكرم

خنتم ورمتم أن أخون وإنما ... حاولتمُ أن يستخفَّ يلملم

وأردتمُ تضييقَ صدر لم يضق ... والسمر في ثغر النحور تحطم

ورجفتمُ بمحالكم لمجرب ... ما زال يثبت للمحال فيهزم

أني رجوتم غدر مَن جربتم ... منه الوفاء وظلمَ مَن لا يظلم

أنا ذلكم لا البغيُ يثمر غرسه ... عندي ولا مبنى الصنيعة يهدم

كفوا والا فارقبوا لي بطشة ... يبقى السفيه بمثلها يتحلم

توقيعه ونثره فى البديهة :

كتب مع الحمائم إلى ولده الرشيد عقب الفراغ من وقعة الزلاقة :

يا ابني، ومَن أبقاه الله وسلمه ، ووقاه الأسواءَ وعصمه، وأسبغ عليه ءالاءه وأنعمه ، كتبتُه وقد أعزّ الله الدين ، وأظهر المسلمين وفتح لهم على يديّ الفتح المبين ، بما يسره الله تعالى وسناه ، وقدره سبحانه وقضاه ، مـن هزيمة أدفنش بن فردلند لعنه الله وأصلاه نكال الجحيم ، ولا أعدمه العيش الذميم ، كما قنعه الخزي العظيم ، وأتى القتل على أكثر رجاله وحُماته ، واتصل النهب سائر اليوم والليلة المتصلة به جميع محلاته ، وجمع من رؤوسهم بين يدي من مشهوري رجالهم ، ومذكوري أبطالهم ، ولم يختر منهم إلا مَن شهر وجرب ، وامتلأت الأيدي مما سلب ونهب ، والذي لا مرية فيـه أن الناجي منهم قليل ، والمفلت بسيوف الجزع والبعد قتيل ، ولم يصبني بفضل الله إلا جرح أشوى ، وحسن الحال عندنا والله وزكا ، ولا يشغل بذلك بـال ، ولا يتوهم غير الحال التى أشرت إليها حال ، والأذفونش بن فردلند إن لم يصبح تحت السيوف فسيموت لامحالة كمداً ، وإن كان لم تعلقه أشراك الحمام اليوم فغداً ، فاذا ورد كتابي هذا فمر بجمع الخاص والعام من أهل إشبيلية وجيرانها الأقربين وأصفيائنا المحبين فى المسجد الجامع أعزهم الله ، وليقرأ عليهم فيه ليأخذوا مـن السرة نصيبهم ، ويضيفوا شكر الله إلى صالـح دعائهم ، والسلام .

تلطفه وظرفه

قال أبو بكر الداني (1): سألني في بعض الأيام عند قدومى عليه بأغمات قاضياً حق نعمته ، مستكثراً من زيارته ، مستمتعاً برائق أدبه على حال محنته ، عن كتبي ، فأعلمته بذهابها فى نهب حضرته ، وكنت قد جلبتُ فى سفرتي تلك (الأشعار الستة) بشرح الأستاذ أبى الحجاج الشنتمري الأعلم ، وكانت مستعارة فكتمتها عنه ووشى إليه الأصحاب فخجل بكرمه وحسن شيمتـه

1) محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة ، وسياتى .

من الأخذ معي في ذكر ما كتمته ، فاستطرد الى ذلك بغرض نبيل ، ونحا فيه نحواً يعرب عن الشرف الأصيل ، وأمْلَى عليَّ في جملة ما كان يمليه :

وكواكب لم أدر قبل وجوههـا أن البدور تـدور في الأزرار
نادمتها في جنح ليل دامـس فأعرنه مثلا من الأنـوار
في وسط روضة نرجس كعيونهـا ما أشبه النـوار بالنـوار
فاذا تواصفنا الحديث حسبتَنـي ألهو كملتقط لـدر نثـار
وإذا اكتحلت ببرق ثغر باسـم سكبت جفوني أغزر الأمطـار
حذر الملام وخيفة من جفـوة تذر الصدور على شفير هـار
ترك الجواري الآنسات مذاهبـي وسولها ظفر بريشة الأشعـار

فلم أتمالكْ عند ذلك ضحكاً ، وعلمت أن الأمر قد دس اليه ، فأعلمته قصتها فبسط العذر بفضله وتأول الأمر وقسم الأشعار على ثلاثة من بنيه ذوي خط رائع ، ونقل حسن وأدب بارع ، أخذوا في نسخها وردّ إليّ الأصل لأجل قريب .

محنته

ولم يلبث أمير اللمتونيين بعد جوازه إلى الأندلس وظهوره على طاغية الروم بها أن فسد ما بينه وبين رؤساء الطوائف بالأندلس وعزم على خلعهم، فأجاز من سبتة العساكر وسرب الأمداد وأخذ المعتمد بالحزم ، فحصن حصونه ، وأودع المعاقل عدته وقسم على مظان الامتناع ولده،وصمدت الجموع صمدة بنيه،ونازل الأمير سير إشبيلية دار المعتمد وحضرة ملكه ، ونازل الأمير محمد بن الحاج قرطبة وبها المامون ، ونزل جرور قواده رندة وبها الراضي ابن المعتمد ، واستمرَّ الأمر واتصلت المحاصرة ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها ، فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربعة وثمانين وأربعمئة ، وقتل الراضي وجلب رأسه فطيف به بمرأى من أبيه ، وكان دخول إشبيلية على المعتمد دخول القهر والغلبة يوم الأحد لعشر بقين من رجب ، وشملت الغارة واقتحمت الدور، وخرج ابن عباد في شكته (1) وابنه مالك للدفاع، فقتل مالك الملقب بفخر

1) أي في سلاحه وعدته .

الدولة،وزهقت ابن عباد الحيل فدخل القصر ملقياً بيده،ولما جنّ الليل وجه ابنه الأكبر الرشيد الى الأمير فاحتجب عنه ووكل بعض خدمه به ، وعاد إلى المعتمد فاخبره بالاعراض عنه ، فأيقن بالهلكة وودع أهله وعلا البكاء ، وكثر الصراخ ، وخرج هو وابنه فأنزلا في خباء حصين مراقبين بالحرس ، وأخرج الحرم من قصره وأخذ ما اشتمل عليه ، وأمر بالكتب الى ولده برندة ففعل ، ولما أنزل واستوصلت ذخيرته سلباً وأجيز المعتمد البحر ومَن معه الى طنجة فاستقرّ بها في شعبان من العام ، وفي هول البحر عليه في هذا الحال يقول رحمه الله :

لم أنس والموج يُدنيني ويقصيني ... والموت كاد من الربان يأتيني

أبصرت هولا لو أنّ الدهر أبصره ... لأبصر الدهر أمراً ليس بالدون

قد كنت ضناً بنفس لا أجود بها ... فبعتها باضطرار بيعَ مغبون

كم ليلة بت مطوياً على حرق ... في عسرة من عيون الدير في العين

فتلك أحسن أم أمر ظللت به ... في ظل عزة سلطان وتمكين

ولم يكن والذى تعنو الوجوه له ... عرضي مهاناً ولا مالي بمخزون

وكم خلوت من الهيجا بمعترك ... والحرب ترفل في أثوابها الجون

يا رب إن لم تهب حالا أسرُّ به ... فهب لعبدك أجراً غير ممنون

وجرى على بناته شيء يوم خروجهن واضطرتْهن الضيعة إلى معيشتهن من غزل أيديهن ، وجرت عليه محنٌ طال لها شجَنُه وأقعده قيده إلى أن نُقل إلى اغمات ، وحل عنه الاعتقال ، وأجرى عليه رزق تبلّغ به مدة من أعوام اربعة واستنقذه حمامه رحمة الله عليه .

وصوله الى غرناطة

قال ابن الصيرفي وقد أجرى ذكر تملك يوسف بن تاشفين غرناطة وخلع أميرها عبد الله بن بلكين حفيد باديس يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وثمانين وأربعمئة، ولحق ابن عباد وحليفه ابن مسلمة (1) بخيل

1) هو المتوكل ابن الأفطس صاحب بطليوس ، ويعرف بنو الأفطس أيضاً ببني مسلمة .

ورجال ورماة وعدد، وكان ذلك من ابن عباد متضمناً لمسرة أمير المسلمين وتحققاً بموالاته ، فدخلوا عليه وقد تحكمت فى نفس ابن عباد الطماعية فـى اسلام غرناطة الى ابنه بعد استصفاء نعمة صاحبها عوضاً عن الجزيرة الخضراء ، وكان قد أشخصه معه ، فعرض له بغرضه ، فأعرض أمير المسلمين عـن الجميع إعراضاً كانت مُنية كل واحد منهما التخلص من يده والرجوع الى بلده ، فأعمل ابن عباد الحيلة فاستظهر عند أمير المسلمين بكتب زعم أنها وردت عليه من اشبيلية فيها أخبار تحثه على اللحاق بها لأنباء مهمة طرقت بتحرك العدو ، واستأذن في الصدور ، فأخذ له ولحليفه ابن مسلمة ، فانتهزا الفرصة وابتدرا الرخصة ولحق كلٌّ بموضعه يظنُّ أن قد ملك رياسة أمره .

مـولـده

ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة احدى وثلاثين وأربعمئــة ، وولي سنة احدى وستين ، وخلع سنة أربع وثمانين .

وفـاتــه

كانت وفاة المعتمد بأغمات فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمئة بعد أن تقدمت وفاتَه وفاةُ الحرة اعتماد ، وجزع عليها جزعاً أفضى بسرعة لحاقه بها ، ولما أحس بالمدينة رثى نفسه بهذه الأبيات وأمر أن تكتب على قبره :

قبرَ الغريب سقاك الرائحُ الغادى ... حقاً ظفرت بأشلاء ابن عبـــــاد
بالحلم بالعلم بالنعمى اذا اتصلت ... بالخصب ان أجدبوا بالري للصادى
بالطاعن الضارب الرامي اذا اقتتلوا ... بالموت أحمرَ بالضرغامة العادي
بالدهر فى نقم بالبحر فى نعــم ... بالبدر فى ظلم بالصدر فى النادى
نعم هو الحق فاجانى على قــدر ... من السماء ووافاني بميعــــاد
ولم أكنْ قبل ذاك النعش أعلمـه ... أن الجبالَ تهادى فوق أعـــواد
كفاك فارفق بما استودعت من كرم ... رواك كل قطوب البرق رعــــاد
يبكي أخاه الذي غيبت وابلـــه ... تحت الصفيح بدمع رائح غـــادي
حتى يجودك دمع الطل منهمـــراً ... من أعين الزهر لم تبخل باسعـاد
ولا تزال صلاة الله نازلـــــة ... على دفينك لا تحصَى بتعـــداد

بعض ما رثى به

قال ابن الصيرفي واختلف في وفاة المعتمد فقيل كانت في دى الحجة، ولما انفصل الناس من صلاة العيد حضر بقبره ملأ يتوجعون ويترحمون عليه ، وأقبل ابن عبد الصمد (I) فوقف على قبره وأنشد :

ملكَ الملوك أسامعٌ فأنـــادي ... أم قد عدتك عن السماع عـوادي
لما خلتْ منك القصور فلم تكـن ... فيها كما قد كنت في الأعيـــاد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعـاً ... وتخذت قبرك موضعَ الانشاد (2)

ثم خرَّ يبكي ويقبل القبر ويعفر وجهه في التراب ، فبكى ذلك الملأ حتى اخضلوا ملابسهم وارتفع نشيجهم ، فلله درُّ ابن عبد الصمد وملأ ذلك البلد هـ .

وقال في (نفح الطيب)، وقال ابن اللبانة : كنت مع المعتمد بأغمات، فلما قاربت الصدَر ، وأزمعت السفَر ، صرف حيلَه ، واستنفد ما قبلَه ، وبعث إليَّ مع شرف الدولة ولده وهذا من بنيه أحسن الناس سمتاً ، وأكثرهم صمتاً تخجله اللفظة ، وتجرحه اللحظة ، حريص على طلب الأدب مسارع في اقتناء الكتب ، مثابر على نسخ الدواوين ، مفتح فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية ، وثوبين غير مخيطين ، وكتب معها أبياتاً منها :

اليك النزرُ من كفٍّ الاسيــــر ... وان تقنعْ تكنْ عينَ الشكـــور
تقبلْ ما يذوب له حيـــــاء ... وان عذرتْه حالاتُ الفقيـــــر

فامتنعت من ذلك عليه وأجبته بأبيات منها :

تركتُ هواك وهو شقيقُ ديني ... لئن شقت برودي عن غـــدور
ولا كنت الطليقَ من الرزايـــا ... اذا أصبحت أجحف بالأسيـــر

I) في الشذرات أبو بحر عبد الصمد راجع 39I من ج 3 منها (مؤلف) .

2) أورد الفتح ابن خاقان القصيدة كاملة في **قلائد العقيان** .

جذيمة أنت والزباء خانـــــت | وما أنا مَن يُقصر عن قصيـــر
تصرف في الندا حبل المعالـــى | فتسمح من قليل بالكثيـــر
وأعجب منك أنك فى ظـــلام | وترفع للعفاة منارَ نـــور
رويدك سوف توسعنى ســروراً | اذا عاد ارتقاؤك للسريـــر
وكيف تحلنى رتب المعالـــي | غداة تحلُّ فى تلك القصـــور
تزيدُ على ابن مروان عطـــاء | بها ، وأزيد ثَمَّ على جريـــر
تأهبْ أن تعودَ الى طلـــوع | فليس الخسف ملتزم البـــدور

وأتبعتها أبياتاً منها :

حاش لله أن أجيح كريمـــاً | يتشكى فقراً وقد سدَّ فقـــرا
وكفانى كلامك الرطب نيـــلا | كيف ألقَى دراً وأطلب تبـــرا
لم تمت انما المكارم ماتـــت | لا سقى الله بعدك الأرض قطـــرا

ورأى ابن اللبانة أحد أبناء المعتمد وهو غـلام وسيم وقد اتـخذ الصياغة صناعة ، وكان يلقب أيام سلطانهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة ، فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس فى السوق يتعلم الصياغة ، فقال :

شكاتُنا لك يا فخر العلا عظمـت | والرزء يعظم ممن قدره عظمـــا
طوقت من نائبات الدهر مخنقـــة | ضاقت عليك وكم طوَّقتنا نعمـــا
وعاد طرقُك فى دكان قارعـــة | من بعد ما كنت فى قصر حكى إرما
صرفتَ فى ءالة الصواغ أنملـــة | لم تدر الا الندا والسيفَ والقلما
يدٌ عهدتك للتقبيل تبسطهـــا | فتستقل الثريا أن تكون فمـــا
يا صائغاً كانت العليا تصاغ لـــه | حلياً وكان عليه الحليُ منتظمـــا
للنفخ فيالصور هول ما حكاه سوى | هولِ رأيتك فيه تنفخ الفحمـــا
وددت اذ نظرت عينى اليك بـــه | لو أن عينيَّ تشكو قبل ذاك عمـى
ما حطك الدهر لما حط عن شرف | ولا تحيف من أخلاقك الكرمـــا
لحْ في العلا كوكباً ان لم تلحْ قمراً | وقمْ بها ربوة ان لم تقمْ علمـــا
واصبر فربتما أحمدت عاقبـــة | من يلزم الصبر يحمدْ غبَّ ما لزما

والله لو أنصفتك الشهب لانكسفت — ولو وفي لك دمع العين لا نسجما
أبكى حديثك حتى الدر حين غـدا — يحكيك رهطاً وألفاظا ومبتسما(1)

وقال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى : وقفت على قبـر المعتمد ابن عباد بمدينة أغمات فى حركة راحة أعملتهاالى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحيـن ومشاهدة الآثار سنة 761 وهو بمقبرة أغمات فـى نشز من الأرض ، وقد حفت به سدرة ، والى جانبه قبر أعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هياة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك (2) ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت فى الحال :

قد زرت قبرك عن طوع باغمـات — رأيت ذلك من أولى المهمـات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يـدا — وياسراج الليالي المدلهمـات
وأنت مَن لو تخطّى الدهر مصرعه — الى حياتى لجادت فيه أبياتـى
أناف قبرك فى هضب يميـزه — فتنتحيه حفيات التحيـات
كرمتَ حياً وميتاً واشتهرتَ عـلا — فأنت سلطان أحياء وأمـوات
ما ريء مثلك في ماض ومعتقـدي — أن لا يرى الدهر في حال ولا ءات(3)

وقد زرت أنا (4) قبر المعتمد ابن عباد بمدينة أغمات سنة عشر وألف، ورأيت فيه مثل ما ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه ، لا الاه إلا هو ، وأخبار المعتمد كثيرة هـ .

ثم قال ، وقال المعتمد ابن عباد :

اقنع بحظك فى دنياك ما كانـا — وعزّ نفسك ان فارقت أوطانـا
فى الله من كل مفقود مضى عوضٌ — فأشعر القلب سلوانا وايمانـا

---

1) نفح الطيب 4 : 96 طبع بيروت .

2) استمر القبران على هذه الحالة حتى تولى الملك صاحب الجلالة الحسن الثانى فأمر ببناء ضريح مناسب على قبر المعتمد وحظيته فبنى .

3) ازهار الرياض 1 : 297 .

4) الضمير يعود على احمد المقرى التلمسانى مؤلف نفح الطيب الذى ينقل عنه المؤلف هذه الفقرة من غير ان ينسبها اليه نفح الطيب 4 : 99 .

أكلما سخطت ذكرى طربت لهـــا ... مجت دموعك فى خديك طوفانـــا
أما سمعت بسلطان شبيهك قـــد ... بزته سود خطوب الدهر سلطـانا
وكنْ على الكره وارقبْ اثره فرجاً ... واستغنم الله تغنمْ منه غفرانــــا

ولما بلغ خبر قيام عبد الجبار ابـن المعتمد بحصن منت ميورقـة سنة 482 إلى ابن تاشفين ، أمر بثقاف المعتمد في الحديد ، وفى ذلك يقول :

قيدي أما تعلمني مسلمــــــاً ؟ ... أبيت أن تشفق أو ترحمـــــا
يبصرنى فيك أبو هاشـــــــم ... فينثنى القلب وقد هشمـــا (1)

وبقي الى أن توفي رحمه الله سنة 488 .

وقال أيضاً فى ذلك :

غنتك أغماتية الألحـــــــــان ... ثقلت على الأرواح والأبـــدان
قد كان كالثعبان قيدك فى الورى ... فغدا عليك القيد كالثعبـــــان

الى أن قال :

هاتيك قينته وذلك قصـــــره ... من بعد أي مقاصر وقيـــــان

وقال من قصيدة :

أنباء أسرك قد طبقن ءافاقـــا ... بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم ... حتى أتت شرقها تنعاك اشراقـا

قال ابن الأبار فى الحلة السيراء :

قد جعل الله تعالى له رقة فى القلوب ، وخصوصاً بالمغرب هـ .

وقد زرت أنا قبر المعتمد فى حدود الثلاثين وثلاثمئة وألف .

وذكر فى (الشذرات) أنه خلع من ملكه عن ثمانمئة سرية ومئـة وسبعين ولداً ، وكان راتبه فى اليوم ثمانمئة رطل ، قال جميعه فى العبر هـ .

---

1) راجع تمام هذه الأبيات فى 381 من ج 3 من الشذرات (المؤلف) .

وقال ابن اللبانة رحمه الله تعالى : ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ، ولذلك الف فيها كتاباً مستقلا سماه (الاعتماد ، فى أخبار بنى عباد) ، ولا يلتفت لكلب عقور نبح بقوله :

مما يزهدنى فى أرض أندلــــس تلقيب معتضد فيها ومعتمـــــــد
ألقاب مملكة فى غير موضعهــــــا كالهرّ يحكى انتفاخا صولة الاسد

وقال ابن اللبانة من قصيدة عملها سنة 486 أيضا يشير الى انفكاك القيود عنه :

قيودك لانت فانطلقتَ لقد غـدت قيودك منهم بالمكارم أرحمـــــــا
عجبت لأنْ لان الحديدُ وأن قسوا لقد كان منهم بالسريرة أعلمــــــا
سيُنجيك من نجّى منالسجن يوسفاً ويؤويك من ءاوى المسيح بن مريما

ولابن اللبانة المذكور الشهير بالداني عدة مقطعات وقصائد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى هيأة تصنيف ، سماه (السلوك ، فى وعظ الملــوك) .

وحكى ابن خلدون أن علماء الاندلس والمغرب والشرق ، أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وبقتالهم ان امتنعــوا ، ثم قال : واقتحم المرابطون اشبيلية عليه عنــوة سنة 484 ، وتقبض عــلى المعتمد وقاده أسيرا الى مراكش ، فلم يزل فى اعتقال يوسف ابن تاشفين الى أن هلك فى محبسه بأغمات سنة تسعين وأربعمئة 490 هـ ، وتصحف فى المطبعة بسبعين بالموحدة ، وتقدم عن الاحاطة أنه توفي سنة 488 ، وقال فى (المنتقى المقصور) سنة 481 ، وهو غلط كما ترى .

وفي نوازل البرزلي أن أكثر الفقهاء أفتوا بارتداد المترجم حيــن استغاث بالنصارى فى حرب المرابطين وأفتاه قاضيه مع بعضهم بعدم ارتداده ولم يبحْ دمه ، فأمضى الأمير ذلك وأخذه أسيرا ونقله الى أغمات الى أن مات فيها ، ونقله الزياتى فى نوازله بواسطة السكتانى .

وذكر فى (المنتقى المقصور) أن المترجم لما قال :

مَن لى بساحرة الجفون غريـــرة　　　تختال بين أسنة وبواتـــــــر

أجازه الشاعر النحلى له بقوله :

راقت محاسنها ورق أديمهـــــا　　　فتكاد تبصر باطناً من ظاهـــــر
يندى بماء الورد مسبل شعرهــا　　　كالطل يسقط من جناح الطائــر

فقال له أكنت حاضرا معنا ؟ فقال له ألم تسمع : « وأوحى ربك الى النحل » ، قال الثعالبى وهذه هفوة هـ .

وراجع وصف داره فى رحلة الغزال .

ولما أشرف المترجم على درن قال :

هــذى جبـــــــال درن　　　مشــوبــة بالـــــــدرن
ياليتنى لم أرهـــــــــا　　　وليتها لم ترنــــــــى
كأنها تخبرنـــــــــى　　　بـــأنهـــا تقبرنـــــــى

وقال أيضا :

قالت لنا هنا هنـــــــــا　　　مولاي أين جاهنــــــــا
قلت لها إلاهُنـــــــــا　　　صيَّرنا الى هنـــــــا

وترجم لعباد والد المترجم في (بغية الملتمس) وغيرها ، وترجم في (الصلة) لجده إسماعيل قاضي إشبيلية ، وترجم في (قلائد العقيان) في ثلاث عشرة ورقة ، وبه بدأ ، وفي (وفيات الأعيان) وغيرهما ، وفي (الحلة السيرا) ، وترجمه في (الشذرات) ، وستاتي ترجمة شاعره ابن اللبانة وجاريته اعتماد الرميكية (1) ، وأولاده عبد الوهاب ، وحكم ، ويحيى .

---

1) كان المؤلف رتب كتابه ترتيباً قدم فيه الأحمدين والمحمدين على من عداهم ، فلهذا كانت ترجمة اعتماد الرميكية متاخرة فى الأصل ، أما فى ترتيبنا الجديد للكتاب فان ترجمة اعتماد تقامت فى 3 : 56 ع 343 .

تـنـبـيـه

ترجم في (الضوء اللامع) لمحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن أبى القاسم بن عبد الرحمان بن علي بن الحسين بن محمد بن أبي النصر فتوح بن المعتمد على الله أبـى القاسم محمد بن المعتضد بالله الخ النسب وكذبه حتى فى نسبه ، فانه مرة ساقه كما قدمناه ، ومرة خالف فيه ، وقال مرة أنه سفياني ، ومرة وصل به الى علي بن أبي طالب بعد انتسابه لخمياً ، وذكر أن أكثر مَن سمي من شيوخ السند لا وجود له فى الخارج ، وافتعل أسانيد لعدة من الكتب المشهورة .

479) محمد بن علي ابن الصيقل الأنصاري

محمد بـن علي بـن أحمد بـن محمد الأنصاري ، من أهـل شاطبة ، يعرف بابن الصيقل ، صحب طاهر ابن مفوز وبه انتفع ، وأبا عبـد الله ابن سعدون ، وأبـا علي الجياني ، ودخل سجلماسة فسمـع بها من أبى محمد بكار ابن الغرديس صاحب أبى ذر الهروي ، وكان من أهل صناعة الحديث ، وتوفي بمدينـة فاس بعد سنة خمسمئة ، نقل ذلك فـي (التكملة) عن عياض وابن حبيش ، وذكر ابن فرتون أن له رواية عن أبى شاكر ابن موهب وأبى القاسم خلف بن عمر الباجي سمع منه صحيح مسلم بأغمات ، وحكى أن جده أبى اسحاق ابن فرتون روى عنه ، قلت ولما كتب صاحب (الجذوة) (1) ترجمته فيها زاد على ما في (التكملة) لفظ رُوي قبل عن عياض وابن حبيش ، مع أن صاحب (التكملة) يقصد بذلك ومثله عند الختم ذكر من نقل ترجمة المترجم عنه ، ففهم صاحب الجذوة منه أنه أراد روى عن عياض وابن حبيش مع أن المترجم فى طبقة كبار أشياخ عياض المتولد سنة 476 قبل وفاة المترجم بنحو خمسة وعشرين عاما ، فتنبه لذلك وراجع ما يفيده أوائل (التكملة) ، بل القاضي عياض نفسه المنقول عنه ، ترجم له في غنيته من أشياخه ونصه : محمد بن علي يعرف بابن الصيقل الشاطبي من أهل صناعة الحديث ، وممن يفهم هذا العلم ، صحب أبا الحسن ابن مفوز وبه انتفع ، وسمع ابن سعدون والجياني ، ورحل لسجلماسة فسمع من بكار ابن

---

1) أصلح الغلط فى الطبيعة الجديدة للجذوة .

الغرديس صاحب أبى ذر الهروى ، وقد شاركنا فى بعض شيوخنا ، وسمع منه الناس ، وأخبرنى بحكايات ، واستوطن بفاس ، وبها توفي بعد سنة خمسمئة ، حدثنا محمد بن علي من لفظه قال : حدثني أبو الحسن طاهر ابن مفوز رحمه الله قال : كان عبد الله بن أحمد بن الحاج الهروى من أهل جزيرة شقر ممن لزم القاضي أبا الوليد الباجي وتفقه عنه ، فكان حسن الفهم ، وكان يميل انى مذهب أبى الوليد الباجى فى جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده فى حديث كتاب المقاضاة فى الحديبية على ما جاء فى ظاهر بعض رواياتها ويعجب به ، وكنت أنكر ذلك عليه ، فلما كان بعد برهة أتانى زائراً على عادته ، وأعلمنى أن رجلا من اخوانه كان يرى فى النوم أنه بالمدينة ، وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه ، فيجد نه قشعريرة وهيبة عظيمة يراه ينشق و ..... ولا يستقر فيعتريه منه فزع عظيم ، وسألنى عن عبارة رؤياه ، فقلت : أختشي على صاحب هذا المقام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينحله ما ليس بأهل أو لعله يفترى عليه ، فسألنى من أين قلت هذا ، فقلت : من قول الله تعالى : « يكاد السموات يتفطرن منه » الى قوله تعالى : « ولداً » ، فقال : لله درك ياسيدى ، وأقبل يقبل رأسى وبين عيني ويبكى مرة ويضحك أخرى ، ثم قال : أنا صاحب الرؤيا واسمع تمامها يشهد لك بصحة تأويلك ، قال : انه لما رابنى فى ذلك الفزع العظيم ، كنت أقول : والله ما هذا الا أنى أقول وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب ، فكنت أبكى وأقول : انى تائب يارسول الله وأكرر ذلك مراراً ، فأرى القبر قد عاد الى هيأته أولا ويسكن فاستيقظت ، ثم قال لي وأنا أشهد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب حرفاً قط ، وعليه ألقى الله تعالى فقلت له الحمد لله الذى أراك البرهان فاشكره كثيراً انتهى (1) .

---

1) أنظر عن ابن الصيقل التكملة لكتاب الصلة 1 : 408 ع 1154 وسلوة الأنفاس 3:263. وجذوة الاقتباس ص 251 ع 253 .

480) محمد (أبو حامد) بن محمد الغزالي

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، أبو حامد الغزالـي الشافعي ، حجة الاسلام ، ومحجة الدين التى يتوصل بها الى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز فى المنطوق فيها والمفهوم ، نصر الاسـلام بحملاته على المعطلين من الفلاسفة الطبيعيين ، يعد ظهوره خطوة كبيرة فى فى تاريخ الفلسفة القديمـة وانقلاباً مهما فيها من طـور الى طور على مـا يتبيـن بعد .

ولد بطوس سنة خمسين وأربعمئة ، وكـان والده يغزل الصـوف ويبيعه فى دكانه بطوس ، فلما حضرتْه الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الخير ، فعلمهما الخط وأدبهما الى أن فني ذلك النزر اليسير الذى كان خلفه لهما أبوهما وندبهما الى أن يلتجئا الى مدرسة يحصل لهما قوت يعينهما على وقتهما ففعلا ذلك حتى قال أبو حامد : طلبنـا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله ، انتهى . فقد وطن الغزالي دعائم الاسلام بقوة برهانه فى مناهضته الفلاسفة الذين تكاثروا فى عصره وحملوا على عقائد الدين حتى اضطهدهم ولاة الأمور وأنشأوا المدارس الكبرى لمقاومة تعاليمهم لما تعلمه من ارتباط الدين بالسياسة فى الاسلام .

نشأ أبو حامد فى عصر المدارس الاسلامية والمجالس الجدلية التى أنشأها السلاجقة فـى الشرق والعبيديون فى الغرب ، الأولون يلتمسـون تأييد السنة والآخرون يرومون إثبات تعاليم الشيعة ، وكلاهما في خوف من أهل الفلسفة والتعطيل ، قرأ فى صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد بـن محمد الراذكاني ، ثم سافر الى جرجان الى الامام أبى نصر الاسماعيلي ، وعلق عنه التعليقة ، ثم رجع الى طوس ، وكان منذ حداثته فطناً صحيح النظر قوي الحجة لم يكن يقرأ مقالة الا دقق النظر فى معانيها وقابل بين أجزائها واستخرج فاسدها من صحيحها ، وكان الناس فى عصره قد استغرقوا فـى الأبحاث الفلسفية وقامت القيامة بينهم وبين علماء الدين، فهمَّه الامر وعمد إلى التوسع فى العلم ، فانتقل الى نيسابور وكانت حافلة بالعلماء والفقهـاء ،

وأشهرهم يومئذ أبو المعالى الجويني المعروف بامام الحرمين ، فتفقه عليه بالعلوم الاسلامية فى مدرسة نظام الملك وزير الدولة السلجوقية ، وظهرت نجابته حتى أعجب به أستاذه وفاخر به أصحابه ، وقال فيه الغزالي بحر مغرق ، ومازال أبو حامد ملازما له حتى توفي سنة 478 ، وبرع فى المذهب الشافعي والخلاف والجدل والأصلين والمنطق ، فخرج من نيسابور وهو يومئذ في الثامنة والعشرين من عمره الى العسكر ، وهو محلة بالقرب من نيسابور يقيم فيها نظام الملك ، وكان قد سمع الثناء على عقله وعلمه ، فقربه ورحب به وعظمه وبالغ فى الاقبال عليه ، وكان نظام الملك يعقد المجالس يجتمع فيها العلماء والفقهاء للمناظرة ، فحضر أبو حامد بعض مجالسهم وجادلهم وظهر عليهم ، فاعجب نظام الملك بعلمه وقوة حجته ، ففوض اليه التدريس فى المدرسة النظامية ببغداد سنة أربع وثمانين وأربعمئة ، فقضى أبو حامد فى المدرسة النظامية بضع سنوات يعلم ويخطب ويجادل ، واطلع فى أثناء ذلك على كتب الفلسفة وكل مطلع عليها لأول وهلة يقع فى الشك وضعف العقيدة ، فاذا بقي على القليل منها تمكن الشك منه حتى يتعطل ويمرق من الدين ، أما اذا استوعبها وتفطن لقواعدها وأعمل فكرته فى كلياتها وجزءياتها فربما رجع الى الدين عن بصيرة وروية فيعتقد ما يعتقده عن تعقل ونظر لا عن تقليد وقدوة كما هو شأن الأكثرين ، فالغزالى كان بصيرا عاقلا مع ميل الى التدين ، ورأي فيما أطلع عليه من أقوال الفلاسفة ما يخالف ظاهره قواعد الدين ، وعمد إلى تحقيق ذلك بنفسه بالاطلاع على سائر أقوال الفلاسفة ، وأعمل فكرته في مقدماتها ونتائجها ، وكان فى مقدمة ما أطلع عليه منها كتب الكندى ، والفارابي ، وابن سينا ، واتبع طريقة هذا الأخير فى البحث والنظر ، قضى فى ذلك أقل من سنتين ببغداد مع اشتغاله بالافادة والتدريس فى النظامية ، ثم انقطع عن التدريس سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ، وسلك طريق الزهد ، وحج واقتدى بصحبة الفارمدى أبى علي الفضل بن محمد بن علي من أعيان تلامذة أبى القاسم القشيرى والشيخ يوسف النساج ، ومن أشياخه فى الحديث أبو سهل محمد بن أحمد المروزي ، والحاكم أبو الفتح نصر الطوسي ، وعبد الله الحواري ، ومحمد بن يحيى الزوزنى ، والحافظ

أبو الفتيان عمر الرؤاسي ، ونصر المقدسي ، وأما علوم الفلسفة فلا شيخَ له فيها كما صرح بذلك في (المنقذ من الضلال) ، وقضى عشرة أعوام في الأسفار بين الحجاز والشام وبيت المقدس على طريق الصوفية ، وهــو يطالع ويبحث ويناظر ، وبلغه في أثناء ذلك ما كان عليه يوسف ابن تاشفين سلطان المغرب وصاحب مراكش من الرغبة في الدين وأهله وحب العلــم والعلماء ، وأنه كان يكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم ، فأحب أبو حامد أن يسير الى مراكش للاجتماع به ، فجاء الاسكندرية على أن يسافر منها اليه فوصلها سنة 500 فبلغه موت ابن تاشفين ، واستمر يجول فــي البلدان ويتردد الى المشاهد ، ويطوف على الترب والمشاهد ، ويأوي القفار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، الى أن صار قطب الوجود ، والبركة العامة لكل موجود ، وبعد اعمال الفكرة والدرس تبين له أن الفلاسفة على ضلال ، وثبــت عنده الدفاع عن الدين ، فحمل عليهم حملة صادقة ، فألف الكتب وعلم وناظر وباحث ، فظهــرت قوته في الدفاع عن الديــن بالادلة الفلسفية ، وحــارب الفلاسفة المعطلين بسلاحهم وجادلهم ببراهينهم حتى أصبح الدين وثيــق العرى ، وانكشفت غياهبُ الشكوك وما كانت إلا حديثاً يُفتَرى ، فسمــي لذلك حجة الاسلام ، وبعد أن أقام في طوس مدة ألزمه فخر المُلك جمــال الشهداء العودَ الى نيسابور للتدريس في مدرستها ، فسار مكرها ولم يطل تدريسه فيها فعاد الى طوس وعاش فيهــا عيشة الصوفية ، فاتخذ خانقــاه ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرءان ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس الى أن توفاه الله في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمئة بالطابران قصبة طوس ، ودفن فيها ، ولم يعقب الا البنات .

مؤلفاته كثيرة في الفقه والتوحيد والجدل والمناظرة ، وقد ضــاع بعضها وبقي منها نحو سبعين مؤلفاً، إليك أسماء أشهرها باعتبار مواضيعها : كتاب (البسيط) في الفروع على (نهاية المطلب) لامام الحرمين ، لم يطبع ولكن منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بالقاهرة ، (الوسيط ، المحيط

بأقطار البسيط) لم يطبع ومنه نسخة خطية فيها أيضاً ، (الوجيز) طبع ، وكتاب (المستصفى) في علم الأصول ، طبع ، و (المنخول ، في الأصول) لم يطبع ومنه نسخة خطية في الخديوية أيضاً ، (غاية الغور في مسائل الدور) لم يطبع ، ومنه نسخة في مكتبة المتحف البريطاني ، (المعارف العقلية ، والحكمة الالاهية) لم يطبع ومنه نسخ في مكتبتي پاريس وأوكسفورد ، (تهافت الفلاسفة) طبع ، (مقاصد الفلاسفة) طبع في لايدن سنة 1888 مع شروح ، وكتاب (المنقذ من الضلال) و (المضنون به على غير أهله) ، و (فاتحة العلوم) طبعت ، و (حقائق العلوم ، لأهل الفهوم) لم يطبع ومنه نسخة في مكتبة پاريس، و (مكاشفات القلوب ، المطربة إلى علام الغيوب) طبع في بولاق ، و (رسائل) في مواضيع مختلفة في الفلسفة والجدل متفرقة في مكاتب أوربا ولاسيما برلين وپاريس،وكتاب (جامع الحقائق، بتجريد العلائق) لم يطبع ومنه نسخة خطية في مكتبة أبسال ، و (إحياء علوم الدين) طبع ، وكذا شرحه (إتحاف السادة المتقين) بفاس (1) وبمصر ، وكتاب (بداية الهداية) طبع ، وله شرح ومختصر ، وكتاب (ميزان الأمل) طبع في ليبسيك سنة 1839 م ، و (القسطاس المستقيم) طبع ، و (كيمياء السعادة) منه نسخة فارسية في مكتبة برلين ، و (التبر المسبوك) طبع بهامش (سراج الملوك) للطرطوشي ، و (سر العالمين ، وكشف ما في الدارين) يبحث في نظام الحكومات لم يطبع ، ومنه نسخة خطية في الخديوية ، وكتاب (أيها الولد) طبع مع ترجمة المانية في ڤيينا سنة 1842 ، و (مشكاة الأنوار) طبع ، و (نور الشمعة) منه نسخة خطية في لندن ، و (مدخل السلوك ، إلى منازل الملوك) بحث في حياة الصوفي لم يطبع ، ومنه نسخة خطية في الأسكوريال ، و (الزهر الفاتح) منه نسخة خطية في المتحف البريطاني ، و (منهاج العابدين) طبع ، و (جواهر القرءان) لم يطبع ، ومنه نسخة في الخديوية، و (فضائل القرءان) لم يطبع ومنه نسخة فيها ، وكتاب (العقيدة) لم يطبع ، ومنه نسخ خطية في برلين وأكسفورد ولندن ، و (الدرة الفاخرة ، في كشف علوم الآخرة) طبع

---

1) تاليف محمد مرتضى الزبيدى ، طبع سنة 1301 بالمطبة الملكية بفاس بامر السلطان مولاى الحسن الأول وعلى نفقته .

في القاهرة وغيرها ، و (إلجام العوام ، عن الحوشي في علم الكلام) ، وكتاب (التفرقة ، بين الايمان والزندقة) ، و (الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية) طبعت ، وله غير ذلك في الأبحاث الصوفية أو الأخلاقية ، وفي الدين والالاهيات لم تطبع يطول بنا شرحها ، وقد استوفاها في شرح الاحياء مرتبة على حروف المعجم، وله في الشعر كتاب (الغاية والنهاية) في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعدة قصائد لم تطبع .

كان الغزالي فقيها ديناً ويندر في رجال الفقه والدين والتصوف من يعاني الفلسفة أو يطالعها لأنهم كانوا يعدونها من أكبر أعداء الدين وأهله ، أما الغزالي فقد طالع الفلسفة وتعمق في درسها ليجادل بها أهلها ويحاربهم بسلاحهم ، وأهم ما كان من تأثير الفلسفة في الاسلام أنهم بنوا عليها علـم الكلام وأيدوه بها لتقوى حجتهم فيما قام بينهم من المجادلات المذهبيـة ، واشتهر علم الكلام في المسلمين وعكفوا على درسه وخصوصا المعتزلة ، واشتهر به جماعة من عِلْيَة القوم ، أما الفلسفة بحد ذاتها فقد كان أصحابها متهمين بالكفر، وكان الانتساب اليها مرادفا للانتساب الى التعطيل، ومن أقوالهم كان فلان سامحه الله يتهم بدينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه ، وقد شاع ذلك في بغداد والاندلس بين العامة حتى في أيام المامون ، ولكنهم لم يكونوا يتظاهرون بذلك حتى ذهب عصر المامون والمعتصم والواثق وتنصب المتوكل فأصبح مريدو الفلسفة يتجنبون الظهور بها أو ينكرونها وهم كلفون بها ، فكانوا يشتغلون بها سرا ، وقد أصاب شبان البلاد لأول هذه النهضة في القرن الماضي اذ تلقوا مبادىء الطبيعيات والرياضيات ورأوا ارتباط الأسباب بالعلل فأصبحوا بعد أن كانوا ينسبون كل حادث الى الخالق اذا أمطرت السماء قالوا الله أمطرها ، وإذا صحت أو أبرقت أو أرعدت نسبوا ذلك إليه يتمثلون بما دلت عليه الطبيعيات من أسباب المطر والصحو والبرق والرعد ، واحتفّ بهم الغرور ، فأنكروا كل ما لا يقع تحت حواسّهم ، وأظهروا الكفر وبالغوا في التعطيل يزعمون أنهم يقتدون بكبار الفلاسفة ولو بلغوا مبلغهم من سعة العلم لرجعوا عن غرورهم فأصاب المسلمين على أثر النهضة العباسية في ترجمة الفلسفة مثل ذلك ، فتفشت الأفكار الكفرية بين العامة على سبيل

الاقتداء وولاة الأمور يطاردون الفلاسفة بالسيف والأيمة يقاومونهم بالطعن والتحقير ، وقل من جادلهم بالحسنى أو بسلاحهم حتى ظهر أبو حامد صاحب الترجمة ، فدرس كتب القوم في المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والالاهيات ، والعقليات وتفهمها ورد عليها من نوع أدلتها ، وله فى ذلك كتب عديدة أشهرها فى هذا الشأن كتاب (تهافت الفلاسفة) قال فى مقدمته : انه رأى طائفة من الفضلاء ضلوا عن الدين ومصدر كفرهم سماعهم أسامي هائلة كسقراط ، وبقراط وأفلاطون ، وأرسطو وأمثالهم ، واطناب متبعيهم فى وصف عقولهم وحسن أحوالهم ودقة علومهم ، فأحبوا التجمل باعتقاد الكفر تحيزا الى غمار الفضلاء بزعمهم وانخراطاً فى سلكهم وترفعاً عن مساعدة الجماهير واستنكافا من القناعة بأديان الآباء الى غير ذلك ، فأحب أن يبين لهم وجه الصواب بالبرهان العقلى والطبيعي ، فقسم ما يخالف الفلاسفة به سواهم من أهل الاديان الى ثلاثة أقسام ، ويتفرع عنها احدى عشرة مسألة ، قول الفلاسفة أولا ان العالم أزلي لا أول له ، وأنه أبدي لا فناء له ، ثانيا أن الله لا يحيط علماً بالجزئيات ، ثالثاً إنكار البعث وحشر الأجساد مع التلذذ والتألم فى الجنة والنار بالعذاب والآلام الجسمانية ، ويدخل فى ذلك تعليلهم الحوادث الطبيعية بأسباب طبيعية محسوسة كالخسوف والكسوف مما هو مبنى على العلوم الرياضية والطبيعية ، فالغزالي أنصفهم قبل كل شيء فيما يرجعون إليه من التعليل الطبيعى ، فقال : مَنْ ظن أن المناظرة فى ابطال هذا التعلل من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره ، فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وانما يستريب فى الشرع ، وضررُ الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه ، وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل ، ثم أخذ فى ايراد أدلة الفلاسفة على المسائل الاخرى ورد عليها بما يدل على انصافه وسعة علمه وغيرته على الدين وان كانت طرقهم يومئذ فى الجدال والبرهان تخالف طرق عصرنا ، ولكن الغزالى أجاد فى ايراد الادلة وأفحم أخصامه وكتاباته أثرت تأثيرا كبيرا

فى دفع الشبهات من أذهان المسلمين فى عصره وبعده ، وكان لها دوي فى عالم الفلسفة ، فردّ عليه الفيلسوف ابن رشد بكتاب ءاخر سماه (تهافت الفلاسفة) أيضا عارض فيه الامام الغزالى فى بعض المباحث ، ثم ظهر كتاب ثالث بهذا الاسم لخواجة زاده أحد علماء الروم المتوفى سنة 893 أراد به المحاكمة بين الامامين المشار اليهما فيما اختلفا فيه ، ألفه باشارة السلطان محمد الفاتح العثمانى ، وهذه الكتب الثلاثة كلها مطبوعة .

ومن كرامات الغزالى ما يحكى أن السلطان علي بن يوسف ابن تاشفين صاحب المغرب الملقب بأمير المسلمين وكان أميرا عادلا نزها فاضلا عارفا بمذهب مالك خُيل اليه لما دخلت مصنفات الغزالى الى المغرب أنها مشتملة على الفلسفة المحضة ، وكان المذكور يكره هذه العلوم ، فأمر باحراق (1) كتب الغزالى وتوعد بالقتل من وجد عنده شيء منها ، فاختلت حاله وظهرت فى بلاده مناكر كثيرة ، وقوي عليه الجند ، وعلم من نفسه العجز بحيث كان يدعو الله بأن يقيض للمسلمين سلطانا يقوى على أمرهم ، وقوي عليه عبد المومن بن علي ، ولم يزل من حين فعل بكتب الغزالى ما فعل فى عكس ونكد الى أن توفي ، وسياتى ذلك فى ترجمة علي المذكور ، والغزالى بتشديد الزاي وبتخفيفها نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس ، ومن شعره رحمه الله :

ارفد ببال امرىء يمسي على ثقة ... أن الذى خلق الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلقَ فى دهره شيئا يؤرقه

ومنه :

سقمي فى الحب عافيتي ... ووجودي فى الهوى عدمي
وعذاب ترتضون به ... في فمي أحلا من النعم
ما لضر فى محبتكم ... عندنا والله من ألم

1) احراق كتب الغزالى سياتى ذكره فى ترجمة سيدى عبد الله المليجى ، وسيدى على بن حرزهم (المؤلف) .

ومنه فى أيام سياحته :

قد كنت عبداً والهوى مالكـــي ... فصرت حراً والهوى خادمـــي
وصرت بالوحدة مستأنســـاً ... من شر أصناف بنــــي ءادم
ما فى اختلاط الناس خيـــر ولا ... ذو الجهل بالاشياء كالعالـــم
يا لائمي فى تركهم جاهـــلا ... عذري منقوش على الخاتـــم

ومـنـه :

فقهاؤنا كذبالة النبـــراس ... هي فى الحريق وضوءها للنـاس
حبر دميم تحت رائق منظـــر ... كالفضة البيضاء فوق نحـــاس

ومـنـه :

حلت عقارب صدغه فى خـــده ... قمراً يجل بها عن التشبيـــه
ولقد عهدناه يحل ببرجهـــا ... ومن العجائب كيف حلت فيـــه

ومـنـه :

حلت عقارب صدغه فى خـــده ... وحظيت منه بلثم خد أزهـــر
إنى اعتزلتُ فلا تلوموا انـــه ... أضحى يقابلنى بوجه أشعـــر

ومما أنشده الغزالى ببغداد فى أثناء درسه من الأحياء :

وحبب أوطان الرجال اليهـــم ... مآرب قضاها الشباب هنالكـــا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهـــم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا (I)

وأنـشـد :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ... وعدت الى تصحيح أول منـــزل
فنادت بيَّ الاشواقُ مهلا فهـــذه ... منازل مَن تهوى رويدك فانـــزل

ومما ينسب اليه هذه الابيات فى شرح أسرار الفاتحة :

I) البيتان لابن الرومى .

اذا ما كنت ملتمساً لـــــــرزق ... ونيل القصد من عبد وحـــــر
وتظفر بالذى ترجو سريعـــــاً ... وتأمن من مخالفة وغـــــدر
ففاتحةُ الكتاب فان فيهـــا ... لما أملتَ سراً أي ســـــر
فالزمْ ذكرها عقبى مســـاء ... وفي صبح وفي ظهر وعصـــر
وتمسي مقرياً فى كل ليـــل ... إلى التسعين تتبعها بعشـــر
تنل ما شئت من عز وجـــاه ... وعظم مهابة وعلو قـــدر
وستر لا تُغيره الليالـــي ... بحادثة من النقصان تجـــرى
وتوفير وأفراح دوامـــاً ... وتأمن من مخاوف كل شـــر
ومن عري وجوع وانقطـــاع ... ومن بطش لذي نهي وأمـــر

والامام الغزالى هو المجدد الخامس على رأس القرن الخامس :

والخامس الحبر الامام محمـــد ... هو حجة الاسلام دون تـــردد

وقال السيوطى :

والخامس الحبر هو الغزالـــى ... وعده ما فيه من جـــدال

وتلامذة المترجم كثيرون ، منهم محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدى صاحب دعوة سلطان المسلمين عبد المومن بن علي ، ومنهم أبـو محمد صالح بن محمد بن عبد الله بن حرازم ، والامام أبو بكر بن العربـي المعافرى وغيرهم ، قال فى (الشذرات) وذكر الشيخ علاء الدين علي بـن الصيرفي فى كتابه (زاد السالكين) أن القاضى أبا بكر بن العربى قال : رأيت الامام الغزالي فى البرية وبيدهِ عكازة وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة ، وقد كنت رأيته ببغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمئة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم ، قال : فدنوت منه وسلمت عليه ، وقلت له : ياإمام أليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ قال : فنظر إليَّ شزراً وقال : لما طلع بدر السعادة فى فلك الارادة أو قال : سماء الارادة وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل   وعدت الى تصحيح أول منـــزل
ونادت بيَّ الاشواق مهلا فهـــذه   منازل مَن تهوى رويدك فانـــزل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجـــد   لغزليَّ نساجاً فكسرت مغزلـــي

وقال فى (الشذرات) أيضا : وينسب اليه تصنيفان ليسا له بل وضعا عليه ، وهما (السر المكتوم) ، و (المضنون به عله على غير أهله) هـ .

وثناء الأيمة عليه كثير ، وقد استوفى ترجمته الحافظ في (إتحاف السادة المتقين)، ونقلها عن (طبقات ابن السبكي)، و (طبقات المنادى)، و (ذيل تاريخ بغداد) لأبي إبراهيم الفتح بن علي البغدادى ، وعن ابن المقري فى (تحفة الارشاد ، إلى سبيل الرشاد) ، وعن أبى القاسم ابن عساكر في تاريخه، والحافظ ابن السمعاني ، وابن النجار فى (ذيل تاريخ بغداد) ، والامام أسعد الميهنى ، وعبد الغافر بن اسماعيل الفارسى ، وقطب الدين محمد الاردبيلي ، والشعراني ، والشيخ الأكبر ، وكتاب (القصد والسداد ، في مناقب القطب السيد عبد الله باحداد) ، ومحمد بن يحيى النيسابورى ، والحافظ السلفي ، (وبهجة الناظرين) للزمورى ، و (طبقات ابن كثير) ، وغيرهم ، وفصلها في واحد وعشرين فصلا ، وقال في (إفادة النبيه ، مَن ادعى الأجتهادَ أو ادعِي فيه) ما نصه : ومنهم الامام أبو حامد الغزالي ، ادعى ذلك في كتابه (المنقذ من الضلال) وأشار أنه المبعوث على رأس المئة الخامسة لتجديد الدين هـ ، ومنهم صاحب التحفة القادرية ، ولكنه تكلم فى حقه بما هو منه بريء ، ومن مجازفاته فيها أن الذهبي ترجمه في (الميزان) مع أنه لم يترجمه فيه، وكذلك لم يترجمه في (لسان الميزان) (1) .

481) محمد بن عيسى ابن اللبانة

محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الدانى من أهل مالقة ، يكنى أبـا بكر ويعرف بابن اللبانة ، كان من جلة الأدباء ، وفحول الشعراء ، معين الطبع ،

---

1) هذه الترجمة ليست على شرط المؤلف ، لان الغزالى لم يدخل مراكش واغمات ولا اى بلد من بلدان المغرب ، وقد كدنا نحذفها لولا أمانة النقل وارتباط الغزالى واحيائه بتاريخ المغـرب .

واسع الذرع ، غزير الأدب ، قوي العارضة ، متصرفاً فى البلاغة ، وله تواليف، منها كتاب (مناقل الفتنة) ، وكتاب (نظم السلوك ، فى وعظ الملوك) ، وكتاب (سقيط الدرر ، ولقيط الزهر) ، وقد سمع منه بعضها بحاضرة المرية فى المحرم سنة 486 وشعره مدون ، وقد أخذ عنه أبو عبد الله ابن الصفار والد زياد المحدث ، ذكر ذلك ابن الدباغ ، وتوفي بميورقة سنة 507 ودفن بازاء أبى العرب الصقلي ، وكان طوالا ، وابن اللبانة دحداحاً ، وكان المعتمد على الله يميـزه بالتقريب ، ويستغرب ما يأتى بـه من النادر والغريب ، فمـن شعره فيه :

رأت بك أوجه العليا مناهـا ... وعاد على لواحظها كراهـا

وجاءت فيك ألسنة المعالـي ... بآيات تشرف مَن تلاهـا

سواك يسير فى أرض فأما ... خطاك فبالمجرة لا سواهـا

كأن الشهب اذ تجري لسعْـد ... تخطُّ لك الطريق على ذراهـا

وله عند ما فارق المتوكل ببطليوس :

رضى المتوكل فارقتـه ... فلم يُرضِنى بعده' العالَـم

وكانت بطليوس' لي جنـَّة ... فجئت' بما جـاءه ءادم

ترجمه فى (بغيـة الملتمس) ، و (التكملة) ، وقال ياقوت فـى معجمه : وقال محمد بـن عيسى المعروف بابن اللبانة يذكر المعتمد ابـن عباد صاحب اشبيلية وكان لما أزيل أمره وانتزع منه ملكه حمل الي أغمات فحبس بها :

انفضْ يديك من الدنيا وساكنهـا ... فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا

وقلْ لعالمها الأرضيِّ قد كتمـتْ ... سريرة العالم العلويِّ أغمـات

وهما من الأبيات السائرة من قصيدة له أوردها فى القلائد ، وقال فى (نفح الطيب) وذكر الوزير أبو بكر ابن اللبانة فى كتابه (سقيط الدرر ، ولقيط الزهر) أن المعتمد ابن عباد صنع قسيما فى القبة المعروفة بسعـد

السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهو (سعد السعود يتيه فوق الزاهى) ، ثم استجاز الحاضرين فعجزوا ، فصنع ولده عبد الله الرشيد :

وكلاهما فى حسنه متناهـــي

ومَن اغتدى سكناً لمثل محمـــد ... قد جلّ في العليا عن الأشبـــاه

لازال يبلغ فيهما ما شـــاءه ... ودهت عداه من الخطوب دواهـــي

وقوله رضا المتوكل البيتين الخ فى النفح ما نصه : ومـن حكايات أهل الاندلس فـي العفو أن المعتصم ابـن صمادح كان قـد أحسن للنحلي البطليوسى ، ثم ان النحلى سار الى اشبيلية فمدح المعتضد ابن عباد بشعر قال فيه :

أباد ابنُ عبادٍ البربـــرا ... وأفنى ابنُ معن دجاج القـــرى

ونسي ما قاله حتى حـل بالمرية ، فأحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير الدجاج ، فقال النحلي : يامولاي ما عندكم في المرية غير الدجاج ؟ فقال : انما أردنا أن نكذبك فى قولك وأفنى ابنُ معن دجاج القرى ، فطار سكرُ النحلى وجعل يعتذر ،فقال له خفضْ عليك ، انما ينفق مثلك بمثل هذا وإنما العتب على مَن سمعه ، فاحتمل منك في حق مَن هو في نصابه ، ثم أحسن اليه ، وخاف النحلى ففرّ من المرية ثم ندم فكتب الـى المعتصـم :

رضا ابن صمادح فارقتـــه ... فلم يرضنى بعده العالـــم

وكانت مريتُه جنـــة ... فجئت بما جـــاءه ءادم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد داره ، وخروجه عن اختياره ، هـ .

وقال في (كشف الظنون) : (سقيط الدر ، ولقيط الزهر) فـي شعر بنى عباد لأبي بكر ، ثم ذكر اسم المؤلف المترجم ووفاته .

وقال الزياني في (البستان) : (نظم السلوك ، في وعظ الملوك) لأبي بكر ابن اللبانة ، ألفه في قضية امتحان المعتمد وأشعاره وأولاده وما كان منة في سجنه هـ .

وقال فى (القلائد) ما نصه :

الاديب أبو بكر الدانى المعروف بابن اللبانة رحمه الله تعالى المديد الباع ، الفريد الانطباع ، الذى ملك للمحاسن مقاداً ، وغدا له البديع منقادا ، أي مقال ينبىء عن معناه وفصله ، وأي إرقال ينتهى الى مداه وخصله ، وقد يشذ فما يشرك ، ويبدو فما يدرك ، رقي الى ما أحبه ، وقطع سنام كل معارض وجبه ، وتقلد النظام حساماً لا تنبو مضاربه ، وولد غرضا لا يدانيه أحد ولا يقاربه ، فبدا سابقا ، وغدا لفظه لمعناه مطابقا ، وقد أثبت له ما تبصر له لمعا وشروقا ، وتهصر غصنه ناعما وريقا ، كان المعتمد على الله يميزه بالتقريب ، ويستغرب ما يأتى به من النادر والغريب ، ويوليه انعاما واحسانا ، ويريه الزمان كله آذاراً ونيساناً ، فلما نبت صعاده ، وأعوزه من دهره إسعاده، ورحل به إلى المغرب ، وحلّ فيه محلّ النازح المغترب ، وغدرته الأيام غدر أهل خراسان لقتيبة ، وفى له أبو بكر بالرحلة إليه وفاءَ الظعينة لعتيبة ، وتراسلا هناك بأشعار شفى بها المعتمد نفسه ، واستوفى سلوه وأنسه ، وشكر له ما ناله من مسلاته ، وحمد عقد موالاته ، وصار له بذلك حق مشهور ، وفخر لا تبليه الدهور ، وقد أوردنا من ذلك فى أخبار المعتمد أعدل شاهد ، ووصفنا تلك المحاضر والمشاهد ، ومن بديع قوله يتغزل :

تولى السرب خيفة مَن يليـه … وأفلت من حبائل قانصيـه

على شرف الخميلة كان حتـى … توجس نبأة من خاتليـه

فمرَّ على مهب الريح يعـدو … بأسرع من مدامع عاشقيـه

تعلق ءاخر البطحاء هضبـاً … تأمل منه خيبة ءامليـه

وصادف عنده مرعى مريعـاً … فأصبح يشرئب ويرتعيـه

توجه حيث لم تقفى خطـاه … بمنسوب الى ءال الوجيـه

بمياع الأديم يكاد يعشـى … بنقبته لواحظَ مبصريـه

ودخل ميورقة فى عهد ناصرها ، وسلامة مقاصرها ، وهي باهرة الجمال ، عاطرة الصبا والشمال ، تقيد الناظر ببهجتها ، وتتيه بندى ملكها على لجتها ، فتلقاه ناصر الدولة بمعهود اجماله ، وصدق له ظنونَ ءاماله ، فقال يمدحه :

حنيت جوانحه على جمر الغضـــا
لما رأى برقاً أضاء بذي الأضـــا

واشتم في ريح الصبا أرج الصبا
فقضى حقوق الشوق فيه بأن قضى

والتف في عبراته فحسبتهـــا
من فوق عطفيه رداء فضفضـــا

قالوا الخيال حياته لـــو زاره
قلت الحقيقة قلتم لو غمضـــا

يهوى العقيق وساكنيه وان يكـن
خبر العقيق وساكنيه قد انقضـى

ويودُّ عودته الى ما اعتـــاده
ولقلَّما عاد الشباب وقد مضـى

ألف السرى فكأنّ نجما ثاقبـــاً
صدع الدجا منه وبرقا مومضـا

طلب الغنا من ليله ونهـــاره
فله على القمريْن مال" يقتضَـى

مهما بدت شمس يكون مذهبـاً
واذا بدا بدر يكون مفضضـــا

هذا أفاد وفاد غير مقصـــر
جهد المقل بأن يموت مفوضـــا

ولرب ربة حانة نبهتهـــا
والجوُّ لؤلؤٌ طلّه قد رضرضـا

وقد انطفت نار القرى وبقى علـى
مسك الدجا مذرور كافور الغضـا

والليل قد أسدى وألحم ثوبـــه
والفجر يرسل فيه خيطاً أبيضـاً

ومتى ركبت لها أعاليَ أيكـــة
نشرت جناحاً للرياح معرضـــا

والبحر يسكن خيفة من ناصـــر
أرضى الرياسة بعد موت المرتضى

ملك سمت علياه حتى دوحـــت
وزكا ثرى نعماه حتى روضـــا

ماء الغمائم جرعة مما سقـــى
وسنا الأهلة خلعة مما نضـــا

خففتْ عليه راية" وذؤابــــة"
فكأن صلا نحو صلٍ" نضنضـــا

وكان المرتضى رحمه الله هو الذى أورث ناصر الدولة الملك ، ونظم بلُبته ذلك السلك ، فلم يكفـر يده ، ولم ينثن عن مجازاة ما قلده ، ولـم يزل يتعهد سابقته ويعتقدها ، ويبر مَن كان يوالى دولته ويعتقدها ، الى أن ماتت أخته فاحتفل فى جنازتها احتفالا شكر فيه فعله ، ومشى الى لحدها وما ركـب الا نعله ، وندب الشعـراء الى رثائها وتأبينهـا ، وايضاح فضائلهـا وتبيينها ، فقام أبو بكر على قبرها وقال :

أبنتَ الهدى جددت منعى على منعى
مضى المرتضى أصلا وأتبعه فرعا

جرى الموت جري الريح في منبتيكما
فأدواك ريحاناً وكسره نبعـــا

على نسق جاء المصاب وانمـــا
تقدمته وتراً وأتبعته شفعـــا

وقال يمدحه بقصيدة أولها :

هلا ثناك عليَّ قلب مشفـــــق فترى فراشاً في فراش يحـــرق
أنت المنية والمنى فيك استــوى ظل الغمامة والهجير المحـــرق
لك قدُّ ذابلة الوشيج ولونهـــا لكن سنانك أكحـــل لا أزرق
ويقال انك أيكة حتـــــى اذا غنيت قيل هو الحمـــام الأورق
يا مَن رشقت الى السلو فردنـي سبقت جفونك كل سهم يرشـــق
لو في يدي سحر وعندي أخـــذة لجعلت قلبك بعض حين يعشـــق
جسدى من الأعداء فيك لأنــــه لا يستبين لطرف طيف يرمـــق
لم يدر طيفك موضعى من مضجعى فعذرته فى أنه لا يطـــــرق
جفت لديك منابعى ومنابتـــــى فالدمعُ ينشع والصبابة تـــورق
وكأن أعلام الأمير مبشـــــر نشرت على قلبى فأصبح يخفـق
الخيزرانة تلتظي فى كفــــه والتاج فوق جبينه يتألـــــق
وكأن صوب حيا وصعقة بـــارق ما ضمَّ منه نديه والمــــأزق
متباعد الطرفين جود غافـــــل عما يحل به وعزم مطـــــرق
بأس كما جمد الحديـــد رواءه كرم يسيل كما يسيل الزئبـــق
لا يعجب الأملاك كثرة مالهــــم النبع أصلب والأراكــــة أورق
ضدان فيه لُمعتد ولمعتــــف السيفُ يجمع والعطاء يفـــرق
وبنو الحروب على الحرابي التـــي تردى كما تردى الجياد السبـــق
خاضت غدير الماء سابحة بـــه فكأنما هي في سراب أنيـــق
ملأ الكماةُ ظهورها وبطونهـــا فأتت كما يأتي السحاب المغـدق

ولــــه :

رأت بك أوجه العليا مناهـــــا وعاد على لواحظها كراهـــــا
وجاءت فيك السنةُ المعالــــى بآيات تشرف من تلاهـــــا
سواك يسير فى أرض فأمـــا خطاك فبالمجرة لا سواهـــا
كأن الشهبَ اذ تجرى لسعـــد تخطُّ لك الطريقَ على ذراهـــا

وله أيضاً :

بكت عند توديعي فما علم الركـب ... أذاك سقيط الدر أم لؤلؤ رطب ؟
وتابعها سرب واني لمخطـــىء ... نجوم الدياجى لا يقال لها سـرب
لئن وقفت شمس النهار ليوشـع ... فقد وقفت شمس الهدى لي والشهب
عقيلة بيت المجد لم ترها الدجـا ... ولا لمحتها الشمس وهي لها ترب
ظبى الهند مما ذب عنها وانمـا ... تلطف لي فيها بخدعته الحـب
سرت وبروج النيرات قبابهـا ... وقدامها من كل خاطفة قـب
وما دخلت الا المجرة واديـاً ... فليس لها الا بأعطانها شـرب
وبحر سوى بحر الهوى قد ركبته ... لأمر كلا البحرين مركبه صعـب
غريب على جنبي غراب نهوضـه ... بقادمتي ورقاء مطلبها شعـب
كأني قذى فى مقلة وهو ناظـر ... بها والمجاذيف التى حولها هدب
ولما رأت عينى جناب ميـورق ... أمنت وحسب المرء بغيته حسب
نزلت بكافور وتبر وجوهـر ... يقال لها الحصباء والرمل والترب
وقلت المكان الرحب فيه فقيل لي ... ذرى ناصر العلياء أجمعه رحـب

وسعي به الى ناصر الدولة وبغي ، ونبذ حق نباهته وألغى ، فلم يرع انقطاعه ، ولا جوزي احسانه ولا ابداعه ، وهجر هجر الجرب ، وأقام مقام الحائر المضطرب ، وكانت عادة ناصر الدولة فى غير طار ولا ضيف النفي أو السيف ، فلم يفتح مع أبى بكر فى أحدهما باب ، ولا أغبه جزع ولا ارتياب، فكتب اليه يستسرحه :

عسى رأفة فى سراح كريـم ... أبل ببرد نداه الغليـلا
وعلي أراح من الطالبيـن ... فأسكن للأمن ظلا ظليـلا
ومن بله الغيث فى بطـن واد ... وبات فلا يأمنن السيـولا
لقد أوقدوا لي نيرانهـم ... فصيرنى الله فيها الخليـلا
أقر بنفسي وان أصبحـت ... ميورق مصر وجدواك نيـلا

وقال يمدحه :

عرجْ بمنفرجات واديهم عسى | تلقاهم نزلوا الكثيب الأوعسا
أطلبهم حيث الرياض تفتحت | والريح فاحت والصباح تنفسا
مثلْ وجوههم بدوراً طُلّعاً | وتخيل الخيلان شهباً كنسا
واذا أردت تنعماً بقدودهم | فاهصرْ بنعمان الغصون الميسا
بأبى غزال منهم لم يتخذ | الا القنا من بعد قلبى مكنسا
لبس الحديد على لجين أديمه | فعجبتُ من صبح توشح حندسا
وأتى يجرُّ ذوائباً وذوابلا | فرأيتُ روضا بالصلال تحرسا
لا ترهب السيف الصقيلَ بكفه | وارهب بعارضه العذار الأملسا
زام العدا قتلي عليه ففتهم | والنجم ليس بممكن أن يلمسا
وفككت بغيهم وفزت وهكذا | فكٌ الصحيفة قبلي المتلمسا
كابد الى العز الهجير ولا تكن | فى الذل ما بين الظلال معرسا
واذا وصلتَ الى الامير مبشراً | فاجعل بساطك فى ثراه السندسا
نوعْ وجنِّسْ في مناك فانه | ملك تنوع في العُلا وتجنسا

وكان بينه وبين وزيره أبى القاسم ذمام ائتلاف ، ومعاطاة سلاف ، وروحات والتها بكر ، وراحات راح السرور عليها وابتكر ، ووداد أشبه عصر الشباب ، وعهد أقفر من التعاهد حتى عاد كالقفر اليباب ، فلما وصل ميورقة تجدد دارسه ، وعادت اجاماً مكانسه ، فكان أبو بكر يظن أن تلك الموالاة تنفقه وان كسد ، وتخلصه وان حصل فى لهوات الأسد ، ولم يعلم أن لا جديد لمن لم تخلقه الايام ولم تبله ، ولم يسمع وجدت الناس أخبر تقله ، فلما تغير له ناصر الدولة وتنكر ، ورأى من قعود أبى القاسم عنه ما أنكر ، هبَّ من غفلته ، واحتال في نقلته ، فلاذ بالفرار ، وعاذ ببني حماد بحكم الاضطرار ، وجعل يستنزله ويستعطفه ، ويداريه من هناك ويستلطفه ، ليمنَّ باعادته ، وصرفه الى عادته ، بكل مقال يحل سخائم الاحقاد ، ولا تلين قناته لغمز الانتقاد ، فمن بديع ذلك قوله :

نسيمك حتى مَ لا ينبــــري ؟ وطيفك حتى مَ لا يعتــــري ؟
أعيذك من عرض ان يكـــون وأنت الذى كنت من جوهـــر
أتذكر أيامنا بالحمــــى وأيامنا بذوي الأعصـــر
ألا رأفة من وفي صفــــي ألا عطفة من سني ســـري
رمى زحلٌ فيَّ أظفـــاره وحلَّ يداً عنيَّ المشتـــري
عطارد هل لك من عـــودة فأرجع منك إلى عنصـــري
سيطلبني الملك مهمـــا أراد لباس نسيج من المفخـــر
ولو أن كل حصاة تزيـــن لما جعل الفضل للجوهـــر

فلم يراجعه بحرف ، ولم يطالعه بنفس منه ولا عرف ، فكتب اليه :

أذكر مَن لم ينس عهداً ولا ينسى وأبسطف في أكناف ساحته النفسا
وأنشئها خلقاً جديداً وأغتـــدي بظل علاه أعتدى معه الأنســـا
وألبس ريعان الشباب وطالمـــا لبست الخطوب الحمرما دونه ورسا
وإني واياه لمزن وروضـــة يباكرني سقياً وأزكو له غرســـا
صفا بيننا من خالص الود جوهـر غلبنا به في نور جوهرها الشمسا
وما أنا إلا من علاه مكـــون غدوت له نوعاً وأصبح لي جنســا
مكارمه مرعى إلى جنب معقـــل أرود اذا أضحى وءاوي اذا أمســى
وأورد خمساً كل يوم بمائـــه وكم لي دهر قد مضى لم أرد خمسا
أبا القاسم اشرب قهوة العز وانتقل ثنائيومن فضلالكؤوس اسقني كأسا
وخذ بيدي من عثرة قصرت يـدي وكنت أخا بأس فلم تبق لي بأسـا
رميت لها فضفاضتي ومهنـــدي وخطيتي والنبل والقوس والترسا
ثغور المعالي قابلتك ضواحكـــاً فصللثمها وامصصْ مراشفها اللعسا
وأجيادها مالت عليك نواعمـــاً كما مالت الأغصان فانعمْ بها لمسا
ولا ذكر في الأفواه حاشاك إنمـــا صفاتك ءايات ولعنا بها درســـا
إليك بها دراً تلقب أحرفـــاً وقطعة ديباج يسمونها طرســـا
وفضلك في الاغضاء عما بعثتـــه فليس يُجيد الشعرمَن عدم الحسا

ولما نوى الانفصال ، خاف الانتهاب والاستيصال ، فأراد أن يكتم ذلك الفرار ، ويطوي اعلانه في إسرار ، وخشي أن يفطن بخروجه ، ويطلع عليه من خلال فروجه ، فعزم على موادعة بعض الاخوان ، ومطالعة ما في ذلك الخوان ، فكتب اليهم :

أقول تحية وهي الــــــــوداع ... خداعاً لي وما يغني الخـــــداع
أعلل بالمنى قلباً شعاعـــــاً ... ولن يتعللَ القلب الشعـــــاع
وأترك جيرة جاروا وأشـــدو : ... (أضاعوني وأي فتى أضاعـــوا)
اذا لم يرع لي أدب وبــــأس ... فلا طال الحسام ولا اليـــراع
لقد باعتنيً الأيام بخســـاً ... وعهدي بالذخائر لا تبـــاع
أجفَّتْني فلم ينبتْ ربيـــع ... وحطَّتْني فلم يثبت يفـــاع
ومكنت العدى مني فعاثـــت ... بلحمي ضعف ما عاث السبـــاع

ولما لم يره اعلانه وتصريحه ، ولم تلق اعصاراً ريحه ، أعلن بوداعه، وفتن باحسانه وأبداعه ، فقال يخاطب ناصر الدولة مودعاً ومعاتباً :

سلام على المجد يندى بليـــلا ... كنشر الربى بكرة وأصيـــلا
سلام وكنت أقول الـــــوداع ... ولكن أدرج قلبي قليـــــلا
أخاف عليه انصداع الصفـــاة ... وألا يكون زجاجاً عليـــــلا
جرحت يديك وكنت البـــرى ... كما يجرح اللحظ خداً أسيـــلا
ولو لم أكن ماضيَ الشفرتَيْـــن ... لما فلَّني الدهرُ عضباً صقيـــلا
أتت ذلة منك محبوبـــــة ... فلم أرض بالعز منها بديـــلا
تلقيت فيها سواد الخطـــوب ... فأشبه عندي طرفاً كحيـــلا

وله متغزلا في صاحب خيلان :

لحظ النجوم بمقلتيه فراعهـــا ... ما أبصرت من حسنه فتـــردت
فتساقطت في خده فنظرتهـــا ... عمداً بمقلة حاسد فاســـودت

وله عند ما فارق المتوكل ببطليوس :

رضى المتوكل فارقتُـــــــــه فلم يرضنى بعده العالـــــم
وكانتْ بطليوس لي جنـــــــة فجئتُ بما جـــــــــاءه ءادم

وله يتغزل في صبي نساخ :

أبصرت أحمد ناسخاً فرأيت مـــا أغمى وأعيا أن يحد ويوصفـــــا
فكأنما منح السماء صحيفـــــة والليل حبراً والكواكب أحرفـــا

ولـــــه :

أبصرته قصَّر في المشيـــــه لما بدت في خده اللحيـــــه
قد كتب الشعر على خـــــده (أو كالذى مر على قريـــــه)

ولـــــه :

غناء يلذُّ ولا أكـــــــؤس تسكن من أنفس طائشـــــه
وأعجب كيف شدا طائـــــر بروض منابته عاطشـــــه

وابن خلكان في وفيات الأعيان لم يعرف وفاة المترجم قائلا انه لم يقف عليها في شيء من الكتب لدى ترجمة ابن عباد ، والكمال لله تعالى وذكره في (الشذرات) نقلا عن العبر (1) .

482) **محمد بن سليمان ابن القصيرة** الكلاعي ، يكنَى أبا بكر ، وهو من أهل اشبيلية ورأس أهل البلاغة في وقته ، أخذ عن أبي مروان ابن سراج وغيره ، وكان من أهل الأدب البارع والتفنن في أنواع العلم ، وتوفي سنة 508 عن سن عالية ، وخرف أصابه قبل موته عطله بحضرة مراكش .

ذكره ابن بشكوال .

1) ينظر عن ابن اللبانة **بغية الملتمس** ص 109 ع 313 و **قلائد العقيان** ص 282 طبع تونس ، و **التكملة** 1 : 410 ع 1162 و **الوافي بالوفيات** 2 : 514 ع 446 .

483) **محمد بن مسعود المكتب** قال في التكملة : أحسبه من أهـل المرية ، سمع من أبي العباس العذري وغيره ، وحدث بيسير قال عياض : سمعت بعض حديثه يقرأ عليه ، وتوفي بعد سنة عشرة وخمسمئـة هـ (1) .

وفي طرة هذه الترجمة بخط السيد عبد الحي الكتاني دخل المترجم فاسا ، وبها استقر الا أنه بمراكش توفي هـ .

484) **محمد بن أغلب ابن أبي الدوس** ، من أهل مرسية يكنى أبا بكر ، روى عن أبي الحجاج الأعلم وأبي الحسن المبارك بن سعيد الخشاب ، وعبد الدائم ابن مرزوق القيرواني ، وأبي الحسن العبسي ، وأبي بكر ابن نعمـة العابد ، وأبي علي الغساني ، وأبي عبد الله بن معيون الفارض ، وغيرهم ، وكان عالما بالعربية والآداب مشاركاً في غير ذلك من أحسن الناس خطـاً وأصلحهم نقلا وضبطاً وشهر بالاقراء .

وكان من المعلمين المتجولين ، أدب ولديْ المعتمد ابن عباد الراضي يزيد ، والمامون الفتح ، وسكن المرية وأجاز البحر الى المغرب فنزل مدينة فاس واستقرَّ أخيرا بأغمات ، وله شعر صالح ، وألف في شرح الأمثال لأبي عبيد ما أفاد به .

روى عنه محمد ابن أبي الخصال ، وأبو بكر ابن الخلوف وأبو عبد الله بن أبي زيد ، وغيرهم ، وتوفي بمراكش سنة احدى عشرة وخمسمئة ، ذكره ابن عزيز وابن الملجوم وغيرهما (2) .

ترجمه في (التكملة) ، ومنها كتبها في (الجذوة) ، وسقط فيها الواو من وابن الملجوم مع سقوط يزيد بعـد الراضي في نسخة المطبعـة وتصحف استقر باستقر فيها .

485) **محمد بن أحمد بن نصر النفزي المعروف بالرندي**

قال ابن الأبار في المعجم : سمع من أبي علي مسند البزار بالمرية في آخر سنة 505 وله فيه فوات ، وقد ناوب أبا عبد الله بن أبي أحـد عشر

---

1) **التكملـة** 1 : 412 ع 1167 .

2) **التكملـة** 1 : 412 ع 1168 .

في قراءة بعضه من آخره ، قرأت ذلك في أصل أبي علي بخط أبي عمرو الخضر بن عبد الرحمان وهو أحد السامعين جميعه بقراءة المذكورين إلا مجلساً واحداً من حديث أنس فاته من الديوان كله ، غير أنه وابن أبي أحد عشر يقولان فيه محمد بن نصر النفزى فينسبانه الى جده ، وتارة يصفه الخضر منهما بالمقرىء ، وله أيضاً رواية عن أبي عبد الله ابن جرج ، وأبي علي الغساني، وأبي محمد ابن عتاب، قرأ عليهم ثلاثتهم (الموطأ) من رواية يحيى بن يحيى ، وحدث به عنهم وعن أبى المطرف الشعبى وأبى عبد الله الخولانى ، وكناه أبا القاسم سهوا ، أجازاه له وعن أبى الاصبغ عيسى ابن خيرة مولى ابن برد ، ويروي أيضاً عن أبي بحر الأسدي وغيرهم ، وكان من أهل العناية بالرواية مع الاتصاف باقراء القرءان ، وربما خانه الضبط ، حدث عنه محمد بن عبد الله بن الراهب المذحجى وغيره ، وسماه أبو جعفر ابن الباذش فى مشيخته ، وقال كتبت عنه حديثاً واحدا وسمعت بقراءته الموطأ على ابن عتاب ، وكان هو يحدث به عن ابن الطلاع توفى بأغمات سنة 514 هـ (1) .

وعبارته في (التكملة) في ترجمته :

محمد بن أحمد بن نصر النفزي يعرف بالرندي ، لأن أصله منها ، روى عن أبيعبد الله ابن جرج ، وأبي علي الغساني ، وأبي الأصبغ ابن خيرة مولى ابن برد ، وأبي عبد الله الخولاني ، وأبي علي الصدفي ، وأبي محمد ابن عتاب ، وأبى بحر الاسدى وغيرهم ، حدث عنه علي ابن خلفون القروى ، وأبو عبد الله ابن الراهب المذحجي ، وغيرهما ، وسماه أبو جعفر ابن الباذش فى شيوخه وهو فى عداد أصحابه ، وقال : كتبت عنه حديثاً واحدا وسمعت بقراءته (الموطأ) على ابن عتاب ، وكان هو يحدث عن ابن الطلاع .

تُوفي بأغمات سنة أربع عشرة وخمسمئة هـ (2) .

وقال بعض الهجاءين في رندة :

قبحاً لرندة مثلما	قبحت مطالعة الذنوب
بلدٌ عليه وحشة	ما ان يفارقه القطوب

1) معجم اصحاب ابى على الصدفى ص 104 ع 86 .
2) التكملة 1 : 415 ع 1178 .

ما حلَّها أحد فينـــــــــــــــ	ـــوي بعد بين أن يـــــــؤوب
لم ءاتها عند الضحـــــــــى	إلا وخيل لي الغـــــــــروب
أفق أغمُّ وساحــــــــــة	تملا القلوبَ من الكـــــــروب

أنشدها فى نفح الطيب :

486) محمد بن عمر ابن عبَّاد اللخمي

محمد بـــن عمر بن المعتضد عباد بـــن محمد بن إسماعيـــل اللخمي من أهل اشبيلية ، يكنى أبا القاسم ، كان له حظ من علم الوثائق ومشاركة فى الأدب ، وسكن مراكش بعد خلع عمه المعتمد محمد ابن عباد ، وتوفى فى حدود العشرين وخمسمئة .

نقله فى (التكملة) عن بعض أصحابه .

487) محمد بن أحمد ابن رشد

محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد المالكي قاضي الجماعة بقرطبـــة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها ، يكنَى أبا الوليد ، كان واحدَ وقته جلالة وفضلا ، وذكاء ونبلا ، ونزاهة وحلماً ، ومعرفة وعلما ، روى عن أحمد ابن رزق ، وتفقه معه وعليه اعتماده ، وعن أبى مروان ابن سراج ، ومحمد ابن خيرة ، ومحمد ابن جرج المعروف بابن الطلاع ، والحسين بن محمد الغساني، وسمع الجياني وابن أبى العافية الجوهرى ، وأجاز له أبو العباس العذرى ما رواه ، وكان فقيها عالماً حافظاً للفقه مقدماً فيه على جميع أهل عصره ، عارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيرا بأقوالهم وأنقالهم واختلافهم ، نافذاً فى علم الفرائض والاصول ، من أهل الرياسة فى العلم ، والبراعــة والفهم ، مع الدين والفضل والوقار والحلم ، والسمت الحسن ولهدى الصالح.

قال ابن بشكوال سمعت الفقيه عبد الملك ابن مسرة صاحبنا أكرمه الله ومكانه من العلم والفضل والثقة مكانه يقول : شاهدت شيخنا القاضـــى أبا الوليد رحمه الله يصوم يوم الجمعة دائما فى الحضر والسفر ، ومن تواليفه كتاب (المقدمات) لأوائل كتب المدونة ، وكتاب (البيان والتحصيل ، لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل) ، و (اختصار المبسوطة) ، و (اختصار مشكل الآثار) للطحاوى الى غير ذلك من تواليه ، قال ابن بشكوال : سمعنا

عليه بعضها وأجاز لنا سائرها ، وتقلد القضاء بقرطبة ، وسار فيه بأحسن سيرة وأقوم طريقة ، ثم استعفى عنه فأعفي ، ونشر كتبه وتواليفه ، ومسائله وتصانيفه ، وكان الناس يلجأون اليه ويعولون فى مهماتهم عليه ، وكان حسن الخلق سهل اللقاء كثير النفع لخاصته وأصحابه ، جميل العشرة لهم ، حافظاً لعهدهم ، كثير البرّ بهم .

وتوفى عفا الله عنه ليلة الأحد ، ودفن عشيّ يوم الأحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة 520 ، ودفن بمقبرة العباس وصلى عليه ابنه أبو القاسم ، وشهده جمع عظيم من الناس ، وكان الثناء عليه حسناً جميلا ، ومولده في شوال سنة 450 هـ (1) .

فـائـدة :

قال أبو بكر ابن خير فى فهرسته لدى أواخرها تفسير الاجازة العامة ذكرت فيما تقدم عند ذكرى تواليف القاضى أبى الوليد محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد رحمه الله أنى أرويها عنه بالاجازة العامة وتفسير ذلك أنى نقلت من خط صاحبنا الفقيه المشاور محمد بن عبد الله بن أحمد القنطري الشلبي رحمه الله وحدثني به نقلي إياه قراة عليه قال : نقلت من خط الشيخ الامام الفقيه أبى الحسن محمد بن أبى الحسين المعروف بابن الوزان قال رحمه الله لما استخار الله تعالى شيخنا الفقيه القاضى أبو الوليد ابن رشد رحمه الله في النهوض إلى المغرب ملبياً دعوة علي بن يوسف ابن تاشفين إليه وأزمع على التوجه أول ربيع الآخر من سنة 520 ، سألته غداة يوم الاثنين لليلتين خلتا منه أن يجيزني جميع ما يحمله من الكتب المؤلفة في ضروب العلم بأي وجه حمل ذلك من قراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة ، وجميع ما ألفه أو وضعه أو أجاب فيه في القديم والحديث ولجميع أصحابنا أهل المجلس وغيرهم من طلاب العلم ولكل من أحب الحمل عنه من المسلمين ممَّن ضمه وإياه حياة في هذا العام ليحمل كل ذلك عنه ويسنده إليه ، فتبسم واستغرب هذا السؤال ، ثم قال لي منشرح الصدر ، طلق الوجه ، ظاهر التبسم : نعم قد أجزتك ذلك كله ولجميع مَن سألت ممن أحب الحمل عني من جميع المسلمين حيث كانوا ، نفعنا الله بذلك وجعله لوجهه ، فشكرت الله تعالى وشكرته على إجابته وانصرفت عنه مسروراً والحمد لله ، وكان الذي أدل بي على ذلك

---

1) الصلة ص 576 ع 1270 .

وحداني إليه أني ألفيت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة رحمه الله قد أجزت ليحيى بن أبي سلمة أن يروي عني ما أحب من كتاب (التاريخ) الذي سمعه مني قاسم بن أصبغ ، ومحمد بن عبد الأعلى ، كما سمعاه مني وأذنت له في ذلك له ولمن أحب من أصحابه ، فان أحب أن تكون الاجازة لأحد بعد هذا فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا ، وكتب أحمد بن أبي خيثمة بيده في شوال من سنة 276 ، وما حدثنا به القاضي العدل الحافظ أبو علي الحسين بـن محمد الصدفي شيخنا رضى الله عنه إجازة ، وحدثنا به عنه جماعة من ثقات أصحابه ، قال لي أبو الحسن ابن الطلاء الشلبي منهم وجدت في آخر فهرسة أبي الفضل ابن خيرون البغدادي أصل شيخنا أبي الفضل ابن خيرون سمع مني هذا الكتاب الشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري بقراءة الشيخ أبى علي الحسين بن محمد الصدفي ، وقد أجزت لهم جميع ذلك مع سائر ما سمعته من جميع الشيوخ ، وما أجيز لي من جميع العلوم على اختلافها ، وقد أجزت لجميع بني هود ، ولمن أحبَّ الرواية عني من غيرهم من جميع المسلمين أهل السنة ممـن هو موجود فى هذه السنة ، وللمقري أبي جعفر عبد الوهاب بن محمد الأنصاري كذلك أن يقولوا كيف شاءوا من أخبارنا إجازة ، وأجاز لنا وكتب أحمد بن الحسين بن خيرون بن إبراهيم في شهر رمضان من سنة 486 هـ ، قلت : قد ذكر هذا أيضاً بلفظه ابن الأبار في (معجم أصحاب الصدفي) في ترجمة أبي الحسن محمد بن الوزان المذكور منهم قائلا وهو الذي سأل أبا الوليد ابن رشد عند إزماعه الحركة إلى مراكش ليبين بها عند ابن تاشفين أمر الأندلس، وعيث الروم في بلادها وما جرَّ عليها معاهدوهم ، فكان السبب في تغريبهم وإجلائهم، قال وهو أخف ما يوخذون به الخ .

وقال في (كشف الظنون) الاجازة العامة أجازها جماعة من الحفاظ فجمعهم طائفة من العلماء كالشيخ تقي الدين محمد بن رافع المتوفى سنة اثنين وسبعين وستمئة ، فانه صنف فيهم جزءاً ، والحافظ محمد بن حسين بن بدر الكاتب البغدادي رتبهم على الحروف لكثرتهم ، (إجازة المجهول) لأبي بكـر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي الحافظ المتوفى بها سنة ثـلاث وستين وأربعمئة هـ .

وقال القاضي عياض في (الغنية) في ترجمته ما نصه : زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ، ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه ، وكان إليه المفزع في المشكلات ، بصيراً بالأصـول

والفروع والفرائض ، والتفنن في العلوم ، وكانت الرواية أغلب عليه من الدراية ، كثير التصانيف مطبوعها ، ألف كتابه المسمى بكتاب (البيان والتحصيل) في شرح كتاب العتبي المستخرج من الأسمعة وهو كتاب عظيم ينيف على عشرين مجلداً، وكتابه على الكتب المدونة المسمى بـ (المقدمات)، وكتابه في اختصار الكتب المبسوطة من تأليف يحيى بن إسحاق بن يحيى بن يحيى ، وتهذيبه لكتاب الطحاوي و (مشكل الآثار) وأجزاء كثيرة في فنون من العلم مختلفة ، وكان مطبوعاً في هذا الباب ، حسن القلم والرواية ، حسن الدين ، كثير الحياء ، قليل الكلام، متسمتاً ، نزهاً، مقدماً عند أمير المسلمين، عظيم المنزلة معتمداً في العظائم أيام حياته ، ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة إحدى عشرة وخمسمئة ، ثم استعفى منها سنة خمس عشرة إثر الهيْم الكائن بها من العامة وأعفي وزاد جلالة ومنزلة ، وإليه كانت الرحلة للتفقه من أقطار الأندلس مدة حياته ، ثم قال : جالسته كثيراً ، وسألته ، واستفدت منه ، وسمعت بعض كتابه (اختصار المبسوطة) من تآليفه ، فقرأ عليه وناولني بعضها ، ثم حدث عنه عن أبي العباس العذري إجازة بسنده : مَن حفظ على أمتي أربعين حديثاً يبتغي بذلك وجه الله فيه الحلال والحرام ينذر بالحرام ويبشر بالحلال حشره الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ، وبمسألة البيع والشرط التي نظمها ابن غازي بقوله :

بيع الشروط الحنفيُّ حرمه	وجابر سوغ لابن شبرمه
وسوغت لابن أبي ليلى الأمه	ومالكٌ إلى الثلاث قسمه

وقال غيره : كان القاضي أبو الوليد رحمه الله تعالى يصوم يوم الجمعة دائماً في الحضر والسفر ، توفي رحمه الله ليلة الأحد ودفن عشية الحادي عشر لذي القعدة سنة عشرين وخمسمئة ودفن بمقبرة العباس ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم ، وشهد جنازته جمع عظيم من الناس ، وكان الثناء عليه حسناً جميلا ، ومولده في شوال سنة خمسين وأربعمئة ، وكتابه (البيان والتحصيل) و (المقدمات) ليس في مذهب مالك مثلهما ، قال ابن سعادة : سمعنا عليه بعض تآليفه وأجاز لنا سائرها هـ .

وقد نقلنا في مقدمة هذا الكتاب عن تأليف (مناقب شرفاء أمغار) عن صاحب (أنس العارفين) أن أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين بعث إلى المترجم أن يأتي من قرطبة فأتاه إلى حضرة مراكش ، وأشار عليه ببناء

سورها ، فراجعْه ثمه ، ونحوه في (الحلل الموشية) ، وقد عد المترجم أبو السعادات ابن الأثير في كتاب (جامع الأصول) من المجددين بمراكش على رأس المئة الخامسة مع أمير المومنين المستظهر بالله العباسي ، ومن الحنفية أبا بكر محمد بن الحسين فخر القضاة ، ومع أبي حامد الغزالي بطوس من الشافعية ، ومع أبي الحسن الزاغوني من الحنابلة ببغداد ، ومع النيسابوري من الزيدية الخ ، ونقله عنه في مقدمة (وفية الأسلاف) ، وذكر في الروضة الثالثة من (أزهار الرياض) أن المترجم جاز إلى المغرب ، ولقي أمير المسلمين المذكـور .

وقال في (الحلل الموشية) : وفي سنة تسع عشرة وخمسمئة جاز القاضي أبو الوليد ابن رشد إلى مراكش فتلقاه أمير المسلمين علي بن يوسف بالمبرة والكرامة ، وبين له القاضي أمر الأندلس وما أصيب به المسلمون من النصارى المعاهدين بها ، وما جروه إليها وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير وتقويته على المسلمين وإمداده ! وما في ذلك من نقض العهد والخروج عن الذمة ، فلقى نظره بالقبول وأفتاه بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم وهو أخف ما يؤخذ به في عقابهم ، ونفذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس بازعاج المعاهدين إلى ناحية مكناسة وسلا وغيرهما من بلاد العدوة فأنكرتهم الاهواء وأكلتهـم الطرق ، انتهى (1) .

ثـم كرر بعد ذلـك بقريب هذا المعنى قائلا بـعده : وكـان توجـه القاضي أبي الوليد ابن رشد إليـه لمراكش في غرضيـن : أحدهما إخراج النصارى المعاهدين عن الأندلس بسبب ما صدر عنهم من الاعانة لابن ردمير واستدعائه حسبما تقدم قبل هذا ، والآخر في عزل أخيه الأمير أبى الطاهر تميم على الأندلس وتقديم غيره (2) .

ورأيت من كتب خزانة الشريف الجليل العالم المعمر الأثيل مولاي إدريس بن قاضي فاس مولاي عبد الهادي العلوي جزءاً من (البيان والتحصيل) للمترجم من عشرين جزءاً ، كان أمر بنسخه السلطان سيدي محمد بن عبد

---

1) الحلل الموشية ص 75 طبع الرباط .

2) الحلل الموشية ص 80 طبع الرباط .

الله قدس الله روحه عام أربعة وسبعين ومئة وألف ، وكلف أربعة علماء بتصحيحه : الشيخ التاودي ، وسيدي عمر الفاسي ، وسيدي محمد بن عبد القادر ، وسيدي عبد القادر بو خريص ، ومن النساخ الكاتب سيدي أحمد الغزال ، واستخرج هذا الكاتب كما رأيت بخطه لهذا التاريخ عجائب من اسم الأمير ، ومن اسم العلماء ، ومن اسمه نص الأول ، كتب للأمير 1174 محمد بن عبد الله ، ونص الثاني 1174 محمد التاودي أبو حفص محمد عبد القادر ، ونص الثالث 1174 أحمد بن المهدي الغزال ، كما رأيت المجلد الأخير من الكتاب المذكور وهو الجزء التاسع من تجزئة تسعة أجزاء كبار في خزانة السيد عبد الحي الكتاني ، وعلى هذا الجزء خط الحافظ أحمد الونشريسي ، ثم وقفت عليه تاماً بالخزانة الملوكية بمراكش ، ومن أحسن ما في خزانة القرويين نسخة من كتاب (البيان والتحصيل) للقاضي أبي الوليد ابن رشد في مجلد واحد بقلم واحد في رق غزال ، وقد طبع من كتب المترجم (المقدمات) مع (المدونة الكبرى) بمصر ، غير أنهم لم يطبعوا معها (الجامع) الذي ألفه مؤلفها من جملتها .

وولد المترجم أبو القاسم أحمد قاضي قرطبة أحد الرواة عن أبيه المتوفى سنة 563 ترجمه في (الجذوة) وتصحف في نسخة المطبعة منها في ترجمة ابن فرج بابن قدح ، وابن رزق بابن رزوق (1) .

فائدة :

نظم أبو زيد بن عبد الله بن عمر السجلماسي المضغري تلميذ اليسيتني الأيمة الأربعة الذين في أول مختصر خليل فقال :

فللخمي تاج حاز فضلا	أبو بكر تفضل نال أولا
وإن أبا الوليد ثوى كريماً	ومازري تراه واق ليلا

أشار إلى وفاة كل إمام منهم في أوائل الكلم ، فللخمي حساب التاء ، والحاء ، والفاء 388 ، ولأبي بكر بن يونس التاء، والنون، والألف 541 وللمترجم الثاء والكاف 520 ، وللمازري التاء والواو واللام 536 .

1) جذوة الاقتباس 1 : 139 ع 86 طبع الرباط .

تــنــبــيــه :

قال المترجم في أول كتاب (البيان والتحصيل) : مَن جمعه إلى كتابه المسمى بـ (المقدمات) حصل على معرفة ما لا يسع جهله من أصول الديانات وعرف العلم من طريقه ، وأخذه من بابه وسبيله ، وأحكم رد الفرع إلى أصله ، وحصل في درجة مَن يجب تقليده في النوازل المعضلات ، ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى الله عليهم في غير ما آية من كتابه ووعدهم بترفيع الدرجات هـ . ونقله الحطاب في (ديباجة المختصر) من (مواهب الجليل) .

فــائــدة :

قال في (النفح) ولما دخل أبو محمد الكلابي الجياني على القاضي ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة :

قام لي السيد الهمـــام	قاضي قضاة الورى الامـــام
فقلت قم بي ولا تقم لـــي	فقلما يؤكل القيـــام

488) محمد (المهدي) بن تومرت الهرغي

محمد المعروف بالمهدي ابن عبد الله الملقب تومرت الهرغي ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . هكذا وجده ابن خلكان بخط أهل الأدب من عصره ، وهذا النسب فيه بتر كما نبه عليه الشيخ القصار في نسب المهدي هذا ، وفي نسب الشريف الغرناطي شارح (المقصورة) ، وانظر ترجمة الشريف المذكور في (نفح الطيب) ، وكذا (النبذة المفيدة) لسبط الشاذلي ، وقال ابن خلدون : بعض المؤرخين نسبه إلى سليمان بن عبد الله الكامل ، وبعضهم ينسبه إلى العباس المذكور هـ . وقيل هو دعيٌّ في هذا النسب ، ولد يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمئة ، وفي تاريخ الزركشي عن (البيان المعرب) لابن سعيد أن مولده سنة 491 ، وقال ابن الخطيب سنة 486 ، وقال الغرناطي سنة 471 ، والهَرْغي بفتح الهاء ، وسكون الراء ، وبعدها غين

معجمة ، هده النسبة إلى هرغة وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب ، وتُوْمَرت بضم التاء المثناة من فوقها ، وسكون الواو ، وفتح الميم بعدها تاء مثناة من فوق وهو لقب والده ، وكان يلقب في صغره أمغار كما في (البيان المعرب) لابن سعيد ، وفي (تاريخ ابن خلدون) قال ابن خلكان : اجتمع محمد بن تومرت بأبي حامد الغزالي ، والكيا الهراسي، والطرطوشي وغيرهم ، وحج وأقام بمكة مدة مديدة ، وحصل قدرا صالحا من علم الشريعة ، والحديث النبوي ، وأصول الفقه والدين ، وكان ورعا ، ناسكاً ، متقشفاً ، مخشوشناً ، مخلولقاً ، كثير الاطراق ، بسَّاماً في وجوه الناس ، مقبلا على العبادة ، لا يصحبه من متاع الدنيا الا عصا وركوة ، وكان شجاعاً ، فصيحاً في لساني العرب والبربر ، شديد الانكار على الناس فيمن يخالف الشرع ، لا يقنع في أمر الله بغير اظهاره ، وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك ، متحملا للأذى من الناس بسببه ، وناله بمكة — شرفها الله — شيء من المكروه من أجل ذلك ، فخرج منها إلى مصر وبالغ في الانكار فزادوا في أذاه ، وطردته الدولة وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب إلى الجنون ، فخرج من مصر إلى الاسكندرية وركب البحر متوجهاً إلى بلاده ، وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين ، فلما ركب السفينة ، شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم إقامة الصلوات وقراءة أحزاب القرءان العظيم ، ولم يزل على ذلك حتى انتهى إلى المهدية من أرض افريقية ، وكان ملكها يومئذ يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي ، وذلك في سنة عشر وخمسمئة ، واجتيازه بمصر كان سنة إحدى عشرة بعدها والله أعلم بالصواب (؟) .

ولما انتهى إلى المهدية نزل بمسجد مغلق وهو على الطريق ، وجلس في طاق شارع إلى المحجة ينظر إلى المارة فلا يرى منكراً من آلة المناهى أو أواني الخمر إلا نزل إليها وكسَّرها ، فتسامع الناس به في البلد ، فجاؤوا إليه وقرؤوا عليه كتاباً من أصول الدين ، فبلغ خبره الأمير يحيى ، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء ، فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء

فقال له : أصلحك الله لرعيتك ، ولم يقم بعد ذلك بالمهدية إلا أياماً يسيرة ، ثم انتقل إلى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله في الانكار ، فأُخرج منها إلى بعض قراها واسمها ملالة ، فوجد بها عبد المومن بن علي القيسي الكومي .

وقال ابن خلدون : انطوى المهدي راجعاً إلى المغرب بحراً متفجراً من العلم وشهاباً وارياً من الدين ، وكان قد لقي بالمشرق أيمة الاشعرية من أهل السنة ، وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة ، وذهب إلى رأيهم في تاويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل واقرار المتشابهات كما جاءت ، فناظر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتاويل والأخذ بمذهب الأشعرية في كافة العقائد ، وأعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم ، وألف العقائد على رأيهم مثل (المرشدة) في التوحيد ، وكان من رأيه القول بعصمة الامام على رأي الامامية من الشيعة ، ولم تُحفظ عنه فلتة في البدعة سواها ، واحتل بطرابلس الغرب معنياً بمذهبه ذلك مظهراً للنكير على علماء المغرب في عدولهم عنه ءاخذاً نفسه بتدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع حتى لقي بسبب ذلك إذايات في نفسه احتسبها من صالح عمله .

ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز (1) بن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد من أمراء صنهاجة ، وكان من المقترفين ، فاغلظ له ولأتباعه بالنكير وتعرض يوماً لتغيير بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة وائتمروا به ، فخرج منها خائفاً يترقب ، ولحق بملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو ورياكل من قبائل صنهاجة ، وكان لهم اعتزاز ومنعة فآووه وأجاروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية باسلامه إليه ، فأبوا وأسخطوه وأقام بينهم يدرّس العلم أياماً ، وكان يجلس إذا فرغ

1) ستاتي ترجمته فيمن اسمه يحيى (مؤلف) .

على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة ، وهناك لقيه كبير أصحابه عبد المومن بن علي حاجاً مع عمه ، فأعجب بعلمه وصرف عزمه إليه ، فاختص به وشمر للأخذ عنه .

وفي كتاب (المُعرب عن سيرة ملوك المغرب) أن المهدي كان قد أطلع على كتاب يسمى (الجفر من علوم أهل البيت) يقال أنه عثر عليه عند الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه ، وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله أن يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت. ي. ن. م. ل. ل. ، ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع. ب. د. م. و. م. ن. ويجاوز وقته المئة الخامسة للهجرة، فأوقع الله سبحانه في نفسه أنه القائم بهذا الأمر وأن أوانه قد أزف ، فما كان محمد يمر بموضع إلا ويسأل عنه ، ولا يرى أحداً إلا وأخذ اسمه وتفقد حليته ، وكانت حلية عبد المومن معه ، فبينما هو في الطريق رأى شاباً قد بلغ أشده على الصفة التى معه فقال محمد بن تومرت وقد تجاوزه : ما اسمك ياشاب ؟ فقال عبد المومن ، فرجع إليه وقال له : الله أكبر أنت بغيتي ونظر في حليته فوافقت ما عنده فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من كومية ، قال : أين مقصدك ؟ فقال : المشرق ، قال : ما تبغي ؟ قال : علماً وشرفاً ، قال : قد وجدتَ علماً وشرفاً وذكراً اصحبني تنله ، فوافقه على ذلك فألقى محمد إليه بأمره ، وأودعه سره .

قال ابن خلدون وارتحل المهدي إلى المغرب ، وعبد المومن في جملته ، ولحق بوانشريس فصحبه منها عبد الله الوانشريسي المعروف بالبشير ، قال ابن خلكان : وكان جميلا فصيحاً في لغتي العرب والبربر ، ففاوضه المهدي فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة ، وكان البشير ممن تهذب وقرأ فقهاً ، فتذاكر يوماً في كيفية الوصول إلى المطلوب ، فقال المهدي للبشير : أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس ، وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل

ما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة سبيلا إلى المطلوب ، ويقوم لنا ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه فنصدق فيما نقول ، ففعل البشير ذلك ، ثم لحق المهدي بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره ، فأحضره القاضي بها وهو ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذلك ، وعلى خلافه لأهل قطره ، وظن القاضي أن من العدل نزعه عن ذلك ، فصمم عن قوله واستمر على طريقه إلى فاس ، فنزل بمسجد طريانة وأقام بها يدرس العلم إلى سنة أربع عشرة وخمسمئة ، ثم انتقل إلى مكناسة فنهى بها عن بعض المنكرات ، فثار إليه الغوغاء وأوجعوه ضرباً ، ثـم لحق بمراكش وأقام بها ءاخذاً في شأنه ولقي بها أمير المسلمين علي بن يوسف بالمسجد الجامع عند صلاة الجمعة ، فوعظه واغلظ له فى القول ، ولقي ذات يوم أخت أمير المؤمنيــن حاسرة قناعها على عـادة قومها الملثمين في زي نسائهم ، فوبخها ودخلت على أخيها باكية لما نالها من تقريعه ، ففاوض أمير المسلمين الفقهاء في شأنه بما وصل إليه من سيرته وكانوا قد مُلِئوا منـه حسداً وحفيظه لما كان ينتحل من مذهب الأشعرية في تاويل المتشابـه ، وينكر عليهم جمودهم عـلى مذهب السلف في اقراره كـما جاء ، ويرى أن الجمهور لقنوه تجسيماً ويذهب إلى تكفيرهم بذلك على أحد قولي الأشعرية في التكفير ، فأغروا الأمير به فأحضره للمناظرة معهم ، فكان له الفلج والظهور عليهـم .

وقال ابن خلكان كان محمد المهدي قد استدنى أشخاصاً من أهـل المغرب جلاداً في القوى الجسمانية اغماراً ، وكان أميل إلى الاغمار من أولى الفطن والاستبصار ، فاجتمع له منهم ستة نفر سوى عبد الله البشير ، ثـم انه رحل إلى أقصى المغرب ، وتوجه في أصحابه إلى مراكش وملكها يومئذ علي بن يوسف ابن تاشفين ، وكـان ملكاً عظيماً ، حليماً ، ورعاً ، عـادلا ، متـواضعاً ، وكان بحضرته رجـل يقال له مالك بن وهيـب الأندلسـي (1) وكان عالماً صالحاً ، زاد ابن خلدون عارفاً بالنجوم ، فشرع محمد المهـدي في الانكار على جري عادته حتى أنكر على ابنة الملك فبلغ خبره الملك وانه يتحدث في تغيير الدولة ، فتحدث مع مالك بن وهيب في أمره فقال مالك بن

1) أنظر ترجمته فى 3 : 276 ع 465 من هذا الكتاب .

وهيب : نخاف من فتح باب يعسر علينا سده ، والرأي أن تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلاد ، فأجاب الملك إلى ذلك ، وكان المهدي وأصحابه مقيمين في مسجد خراب خارج البلد فطلبوهم ، فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده : « سلوا هذا الرجل ما يبغى منا » فانتدب له قاضي المرية واسمه محمد بن أسود فقال : ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه ، فقال له المهدي : أمّا ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه أقوال ، وأما قولك وانه يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد إلى الحق ، فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريه عن هذه الصفة أنه مغرور بما تقولون لـه وتضرونه به مع علمكم أن الحجة متوجهة عليه ، فهل بلغك ياقاضي أن الخمر تباع جهاراً ،وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى ، وعدّدَ من ذلك شيئاً كثيراً ، فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه واطرق حيـاءاً ، ففهم الحاضرون مـن فحوى كلامه أنه طامع في المملـكة لنفسه ، ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لقوله لم يتكلم أحد منهم ، فقال مالك ابن وهيب ، وكان كثير الاجتراء على الملك ، أيها الملك إن عندي لنصيحة إن قبِلتهـا حمدتَ عاقبتها ، وان تركتها لم تأمن غائلتها ، فقال الملك : ما هي ، فقال : إني أخاف عليك من هذا الرجل وأرى أن تعتقله وأصحابه وتنفق عليهم كل يوم ديناراً لتكفى شره ، وإن لم تفعل فلتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك ، فوافقه الملك على رأيه ، فقال له وزيره : يقبح بك أن تبكي من موعظة رجل ، ثم تسيء إليه في مجلس واحد ، وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعته ، فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره فصرفه وسأله الدعاء .

وقال ابن خلدون : كان مالك بن وهيب حزاء ينظر في النجوم ، وكان الكهان يتحدثون بأن ملكاً كائن بالمغرب في أمة من البربر ، ويتغير فيه شكل السمكة لقران بين الكوكبين العلويين من السيارة يقتضي ذلك ، فقال مالك بن وهيب احتفظوا بالدولة من الرجـل فانه صاحب القران والدرهم المربـع ، فطلبه علي بن يوسف ففقده وسرح الخيالة في طلبه ففاتهم .

وحكى صاحب (المعرب) أن المهدي لما خرج من عند أمير المسلمين لم يزل وجهه تلقاءَ وجهه إلى أن فارقه ، فقيل له نراك قد تأدبت مع الملك إذ لم توله ظهرك ، فقال : أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت ، انتهى كلامه .

فلما خرج المهدي وأصحابه من عند الملك قال لهم : لا مقام لكم هنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب ، فما نأمن أن يعاودوا الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه ، وإن لنا بمدينة أغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأياً ودعاء صالحاً ، واسم هذا الشخص عبد الحق بن إبراهيم وهو من فقهاء المصامدة ، فخرجوا إليه ونزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم مع الملك ، فقال عبد الحق : هذا الموضع لا يحميكم وان أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد « تينملل » ، وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل ، فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم ، فلما سمع المهدي بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رءاه في كتاب (الجفر) ، فقصده مع أصحابه ، وقال ابن خلدون : لما لحق المهدي بأغمات غيَّر المنكرات على عادته ، فأغري به أهل أغمات عليٌّ بن يوسف ، وطيَّروا إليه بخبره ، فخرج منها هو وتلامذته الذين كانوا معه في صحبته ، فلحق أولا بمسفيوة ، ثم بهنتاتة ولقيه بها الشيخ عمر بن يحيى الهنتاتي جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وأفريقية ، ثم ارتحل المهدي عنهم إلى هرغة فنزل على قومه ، وذلك سنة خمس عشرة وخمسمئة ، وبنى رابطة للعبادة ، فاجتمع عليه الطلبة من القبائل وأخذ يعلمهم (المرشدة) له في التوحيد باللسان البربري ، وشاع أمره ثم داخل عامل لمتونة على السوس أناساً من هرغة في قتله ونذر بهم اخوانهم ، فنقلوا المهدي إلى معقل من أشياعهم وقتلوا من داخل في أمره ودعوا المصامدة إلى مبايعته على التوحيد وقتال المجسمة دونه سنة خمس عشرة وخمسمئة ، فتقدم إليها رجالاتهم من العشرة وغيرهم ، وكان فيهم من هنتاتة عمر بن يحيى ، وأبو يحيى بن يكيت ، ويوسف بن وانودين ، وابن يغمور ، ومن تينملل عمر بن علي الصناكي ، ومحمد بن سليمان ، وعمر بن تافركين وغيرهم ، وأوعبت

قبيلة هرغة فدخلوا في أمره كلهم ،ثم دخل معهم كدميوة وكنفيسة ، ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي ، وكان قبلها يلقب بالامام ، وكان يسمِّي أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين تعريضاً بلمتونة في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم ، ولما تم له من أصحابه خمسون سماهم ءاية الخمسين ، ثم زحف إليهم عامل لمتونة على السوس وهم بمكانهم من هرغة ، فاستجاشوا إخوانهم من هنتاتة وتينملل ، فاجتمعوا إليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة ، فكانت تلك باكورة الفتح ، وكان المهدي يَعدهم بذلك فاستبصروا في أمره وتسابقت كافتهم إلى الدخول في دعوته ، وترددت إليهم عساكر لمتونة مرة بعد أخرى ففضوهم ، وانتقل لثلاث سنين من بيعته إلى جبل تينملل فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم ، وحوالي منبع وادي نفيس قاتل مـن تخلف عن بيعته مـن المصامدة فاستقاموا له ، هذا كلام ابن خلدون في سياقه هذا الخبر جئنا به مختصـراً .

واقتضى كلام ابن خلكان أن ظهور المهدي ومبايعته لم تكن إلا بتينملل فانه قال عقب ما سبق له من أن الفقيه عبد الحق بن إبراهيم المصمودي أشار على المهدي بالمسير إلى تينملل ، وأن المهدي لما سمع هذا الاسم تجدد له ذكر فيه فقصده مع أصحابه ، فلما أتوه رءاهم أهله على تلك الصورة ، فعلموا أنهم طلاب علم فقاموا إليهم وأكرموهم وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم ، وسأل أمير المسلمين عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له إنهم سافروا فسرَّه ذلك وقال : تخلصنا من الاثم بحبسهم ، ثم إن أهل الجبـل تسامعوا بوصول المهدي إليهم وكان قد سار فيهم ذكره ، فجاءوه من كـل فج عميق وتبركوا بزيارته ، وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على السلطان فان أجابه أضافه إلى خواصه وإن خالفـه أعرض عنه ، وكان يستميل الأحداث وذوي الغِرة ، وكان ذوو الحنكة والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم سطوة السلطان ، فكان لا يتم له مع ذلك أمر ، وطالت المدة وضاق المهدي من مفاجأة الأجل قبل بلوغ الأمل ، وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم إلى إسلامه إليه والتخلي عنه ، فشرع في إعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصموا

على الملك بسببه ، فرأى بعض أولاد القوم شقراً زرقاً وألوان آبائهم السمرة والكحل ، فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فألزمهم الاجابة فقالوا : نحن من رعية هذا الملك ، وله علينا خراج ، وفي كل سنة تصعد مماليكه إلينا وينزلون في بيوتنا ويخرجونا عنها ويختلون بمن فيها من النساء ، فتأتي أولادنا على الصفة وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا ، فقال المهدي : والله إن الموت خير من هذه الحياة ، وكيف رضيتم بهذا وأنتم أضربُ خلق الله بالسيف ، واطعنُهم بالرمح ، فقالوا بالرغم لا بالرضى ، فقال : أرأيتم لو أن ناصراً نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون ، قالوا : كنا نقدّم أنفسنا بين يديه للموت ، ثم قالوا : ومن هو ؟ قال : ضيفكم ، يعني نفسَه ، فقالوا : السمع والطاعة ، وكانوا يغالون في تعظيمه فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ، ثم قال لهم : استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح ، فاذا جاءوكم على عادتهم خلّوا بينهم وبين النساء ومِيلوا عليهم بالخمور ، فاذا سكروا فآذنوني بهم ، فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به المهدي ، وكان ذلك ليلا ، أعلموه بذلك ، فأمر بقتلهم كلهم ، فلم يمض من الليل ساعة حتى أتوا على ءاخرهم ، ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والايقاع بهم ، فهرب على غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق بمراكش ، فأخبر الملك بما جرى ، فندم على فوات محمد بن تومرت من يده وعلم أن الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به ، فجهز من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادي تينملل ، فانه ضيّق المسلك ، وعلم المهدي أنه لا بد من عسكر يصل إليهم ، فأمر أهل الجبل بالقعود على انقاب الوادي ومراصده ، واستنجد لهم بعض المجاورين ، فلما وصلت الخيل إليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر ، وكان ذلك من أول النهار إلى ءاخره ، وحال بينهم الليل ، فرجع العسكر إلى الملك وأخبروه بما تم لهم ، فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم ، فأعرض عنهم ، وتحقق المهدي ذلك منه وصَفَتْ له مودة أهل الجبل ، فعند ذلك استدعى عبد الله البشير وقال له : هذا أوان إظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لنستميل بذلك قلوب من لم يدخل في الطاعة ، ثم اتفقا على أنه يصلي الصبح

ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العُجمة واللكنة فى تلك المدة : إني رأيت البارحة في منامي أنه نزل إليَّ ملَكان من السماء وشقّا فؤادي وغسلاه وحشواه علماً وحكمة وقرءاناً ، فلما أصبح فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه ، فانقاد له كل صعب القياد ، وعجبوا من حاله وحفظه القرءان في النوم ، فقال له محمد بن تومرت : فعجل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أَسعداء نحن أم أشقياء ؟ فقال له : أما أنت فانك المهدي القائم بأمر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ، ثم قال : اعرض أصحابك عليَّ حتى أميز أهل الجنة من أهل النار ، وعمل في ذلك حيلة قتل بها كل من خالف أمر محمد بن تومرت ، وأبقى من أطاعه ، وشرح ذلك يطول ، وكان غرضه أن لا يبقي في الجبل مخالفاً لهم ، فلما قتل مَن قتل علم محمد بن تومرت أن في الباقين من له أهل وعشيرة قتلوا ، وأنهم لا تطيب نفوسهم بذلك ، فجمعهم وبشرهم بانتقال مُلك مراكش اليهم ، واغتنام أموالهم ، فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم ، وبالجملة فان تفصيل هذه الواقعة طويل ، ولسنا بصدد ذلك ، وخلاصة الأمر أن محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشاً عدد رجاله عشرة ءالاف بين فارس وراجل ، وفيهم عبد المومن بن علي ، وعبد الله البشير وأصحابه كلهم ، وأقام هو بالجبل فنزل لحصار مراكش وأقاموا عليها شهراً ، ثم كسروا كسرة شنيعة ، وهرب من سلم منهم من القتل ، وكان فيمن سلم عبد المومن ، وقُتل البشير ، وبلغ الخبر المهدي وهو بالجبل ، وقد حضرته الوفاة قبل عود أصحابه إليه ، فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم ، وأن العاقبة حميدة ، فلا يضجروا وليعاودوا القتال فان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم ، وأن الحرب سجال ، وأنكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون ، وأنتم في مبدأ أمرٍ وهم في آخره ، وأشباه هذه الوصايا وهي وصية طويلة .

انتهى كلام ابن خلكان (1) .

وقال ابن خلدون : لما كان شأن عبد الله البشير وميز الموحد من المنافق، اعتزم المهدي على غزو لمتونة ، فجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف إليهم فلقوه بكبكب وهزمهم الموحدون واتبعوهم إلى أغمات فلقيتهم هنالك زحوف لمتونة مع أبي بكر بن علي بن يوسف ، وإبراهيم بن تاعماشت ،

1) وفيات الأعيان 5 : 45 تحقيق الدكتور احسان عباس .

فهزمهم الموحدون ، وفرَّ إبراهيم وجنده واتبعوهم إلى مراكش فنزلوا البحيرة فى زهاء أربعين ألفاً كلهم راجل إلا أربعمئة فارس ، واحتفل علي بن يوسف في الاحتشاد وبرز إليهم لأربعين من نزولهم ، خرج عليهم من باب أيــلان ، فهزمهم واثخن فيهم قتلا وسبياً وفقد البشير واستمر القتل في هيلانة وأبلى عبد المومن في ذلك اليوم أحسن البلاء ، وقيل للمهدي إن الموحدين قد هلكوا، فقال لهم : ما فعل عبد المومن؟ قالوا : هو على جواده الأدهم قد أحسن البلاء فقال ما بقي عبد المومن فلم يهلك أحد .

وقال ابن الخطيب في (رقم الحلل) كانت وقعة البحيرة بأحواز مراكش قــد استأصلت معظم أصحاب المهدي وكــادت تأتي عليهم ، ومع ذلــك لم تضع منه ولا وهنت صبره ، وكان يقول مثل هذا الأمر كالفجر يتقدمه الفجر الكاذب وبعده ينبلج الصبح ويستعلي الضوء ، ويأمرهم باتخاذ مرابط الخيل التي ينالون من فيء عدوهم بغدها ، وأنه يعطى الرجل على قدر ما أعد مــن المرابط إلى غيرذلك ، فهذا خبر المهدي مختصراً من ابن خلدون ممزوجاً بما نقله ابن خلكان من ذلك .

وقد ساق ابن أبي زرع في (القرطاس) خبر المهدي هذا وفيه بعض مخالفة لما تقدم فلنأت به وإن أدى إلى بعض التكرار زيادة في الامتاع وتحلية للأسماع ، فنقول قال ابن أبي زرع ما ملخصه : إن المهدي رحل إلى المشرق في طلب العلم ولقي مشايخ ، وسمع منهم وأخذ عنهم علماً كثيراً وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونبغ في علم الأصول والاعتقادات، وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه ، ولازمه ثلاث سنين ، وكان الشيخ أبو حامد كثيراً ما يشير إلى المهدي ويقول: إنه لا بد أن يكون له شأن ، ونمى الخبر بذلك إلى المهدي فلم يزل يتقرب إلى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلعه على ما عنده من العلم في ذلك ، فلما تحققت عنده الحال استخار الله وعزم على الترحال ، فخرج قاصداً بلاد المغرب غرة ربيع الأول سنة عشر وخمسمئة ، ولازم في طريقه درس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن اجتمع به عبد المومن بن علي فبايعه على مؤازرته في

الشدة والرخاء والعسر واليسر ، ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش ، وكانت له فصاحة وعليه مهابة ، فأخذ يطعن المرابطين وينسبهم إلى الكفر والتجسيم ، ويشيع ، عند من يثق به ويسكن إليه ، أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا كما مُلئت جوراً ، وجرى منه بمراكش من تغيير المنكر ونحوه ما تقدم ذكره ، فاتصل خبره بعلي بن يوسف اللمتوني فأحضره وقال له : ما هذا الذي بلغنا عنك ، فقال إنما أنا رجل فقير أطلب الآخرة وءامر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأنت أيها الملك أولى من يفعل ذلك فانك المسؤول عنه ، وقد ظهرت بمملكتك المنكرات ، وفشت البدع وقد وجب عليك احياء السنة وإماتة البدعة ، وقد عاب الله تعالى أمة تركوا النهي عن المنكر فقال : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبيس ما كانوا يفعلون » فلما سمع أمير المسلمين كلامه تاثر له وأخذه واطرق مفكراً ، ثم أمر باحضار الفقهاء، فحضر منهم ما اغص المجلس ، ثم قال أمير المسلمين : اختبروا الرجل فان كان عالماً اتبعناه وإلا أدبناه ، وكان المهدي فصيحاً لَسِناً ذا معرفة بالأصول والجدل ، وكان الفقهاء الذين حضروا أصحاب حديث وفروع ، فدارت بينهم محاورة ومذاكرة أسكتهم فيها وبان عجزهم عنه ، فعدلوا عن المذاكرة إلى الممالأة واغروا به أمير المسلمين وقالوا : هذا رجل خارجي وإن بقي بالمدينة أفسد عقائد أهلها ، فأمره أمير المسلمين بالخروج من البلد ، فخرج إلى الجبانة ، وضرب بها خيمة جلس فيها وصار الطلبة يترددون إليه لأخذ العلم عنه ، فكثر جمعه وأحبته العامة وعظموه ، وانتهى خبره إلى أمير المسلمين ثانياً ، ونقل إليه أنه يطعن في الدولة ، فأحضره مرة أخرى وقال له : أيها الرجل اتق الله في نفسك ، ألم أنهك عن عقد الجموع والمحازب وأمرتك بالخروج من البلد ؟ فقال : أيها الملك قد امتثلت أمرك وخرجتُ من المدينة إلى الجبانة ، واشتغلت بما يعنيني فلا تسمع لأقوال المبطلين ، فتوعده أمير المسلمين وهمَّ بالقبض عليه ، ثم عصمه الله منه ليقضي الله أمراً كان مفعولا ، ولما انفصل المهدي عن المجلس أغرى الحاضرون أمير المسلمين به وشرحوا له جلية أمره وما يدعو إليه ، فاستدرك أمير المسلمين فيه رأيه ، وبعث إليه من يأتيه برأسه ، فسمع بذلك بعض بطانته فمر مسرعاً حتى إذا قرب من

الخيمة قرأ قوله تعالى : « ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » الآيـة ، فسمعها المهدي وفطـن لها ، فانسل من حينه وخرج حتى أتى تينملل ، فأقام بها وذلك في شوال سنة أربع عشرة وخمسمئة (يناير ١١٢١ م) ، ثم لحق به أصحابه العشرة السابقون إلى دعوته والمصدقون بامامته ، وهم عبـد المومن بن علي الـكومي ، وعبد الله البشير الونشريسي ، وعمر بن يحيى الهنتاتـي ، وأبو يحيى بـن يكّيت الهنتاتي ، وعمر بـن علي اصناك وإبراهيم بن إسماعيل الخزرجي ، وأبو محمد عبد الواحد الحضري ، وأبـو عمران موسى بن تماري ، وسليمان بن خلوف ، وعاشر ، فأقاموا بتينملل إلى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمئة ، فعظم صيته بجبل درن ، وكثرت أتباعه ، فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس إلى بيعته ، فبايعه العشرة البيعة الخاصة عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة ، ولما كان الغد وهو يوم السبت ، خرج المهدي في أصحابه العشرة متقلدين السيوف وتقدم إلى الجامع ، فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه المهدي المنتظر ، ودعاهم إلى بيعته فبايعوه البيعة العامة ، ثم بثّ دعاته في بـلاد المصامدة يدعون الناس إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ، ووصفـه بالزهد وتحري الحق وإظهار الكرامات ، فانثال الناس عليه من كل جهة ، وسمّى أتباعه الموحدين ، ولقنهم عقائد التوحيد باللسان البربري ، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسُّوَر ، وقال مَن لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد لا تجوز إمامته ، ولا تؤكل ذبيحته ، فاستولت محبته على قلوبهم ، وعظموه ظاهراً وباطناً حتى كانوا يستغيثون به في شدائدهم ، وينوهـون باسمه على منابرهم ، ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جمّ غفير ، فلما علم أن ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيباً وندبهم إلى جهاد المرابطين ، وأباح لهم دماءهم وأموالهم ، فانتدب الناس وبايعوه على الموت ، فانتخب منهم عشرة آلاف من أنجاد الموحدين وقدّم عليهم عبد الله البشير ، وعقد له راية بيضاء ودعا لهم ، وانصرفوا فقصدوا إلى مدينة أغمات ، وانتهى الخبرُ إلى أمير المسلمين فجهز لقتالهم جيشاً من الحشم والأجناد ، فلما التقـوا انتصر عليهم الموحدون ، وهزموهم واتبعوهـم بالسيف حتى

أدخلوهم مراكش وحاصروها أياماً ، ثم أفرجوا عنها حين تكاثرت عليهم جيوش لمتونة، وكان ذلك ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمئة، وقسم المهدي الغنائم التي غنموها من عسكر المرابطين وتلا عليهم قوله تعالى:« وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجَّل لكم هذه » الآية ، وانتشر ذكر المهدي بجميع أقطار المغرب والأندلس ، وأركب جل جيشه من خيل المرابطين التي غنموها ، ثم غزا مراكش بنفسه فعبَّأ جيشه وسار حتى نزل بجبل كَليز بقرب المدينة ، فأقام محاصراً لها ثلاث سنين يباكرها بالقتال ويراوحها ، من سنة ست عشرة إلى سنة تسع عشرة ، ولما ضجر من مقامه هناك نهض إلى وادي نفيس وانحدر مع مسيله يدعو الناس لطاعته ويقاتل من أبى منهم ، فانقاد له أهل السهل والجبل وبايعته جدميوة ، ثم غزا بلاد رجراجة ، فأخذهم بالدعاء إلى توحيد الله وشرائع دينه ، وسار في بلاد المصامدة يقاتل مَن أبى ويسالم مَن أجاب ، ففتح بلاداً كثيرة ودخل في دعوته عالم كثير من المصامدة، ورجع إلى تينملل فأقام بها شهرين ريثما استراح الناس ، ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هِزرجة (1) في ثلاثين ألفاً من الموحدين ، فاجتمع على حربه أهل أغمات وهزرجة وخلق كثير من الحشم ولمتونة وغيرهم ، فانتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وقسم المهدي أنفالهم بين الموحدين ، ثم غزا أهل درن ففتح قلاعه وحصونه وطاع له جميع من فيه من قبائل هرغة وهنتاتة وجنفيسة وغيرهم ، ثم عاد إلى تينملل فأقام بها ريثما استراح الناس، ثم ندبهم إلى غزو مراكش وجهاد المرابطين ، وقدم عليهم عبد المومن بن علي وعبد الله البشير ، وخص عبد المومن بامامة الصلاة ، فساروا حتى انتهوا إلى أغمات ، فلقيهم بها أبو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثيف من لمتونة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية أيام ، ثم انتصر عليهم الموحدون ، فهزموا أبا بكر وجيشه إلى مراكش وقتلوهم في كل طريق وحاصروا مراكش أياماً ، ثم رجعوا إلى تينملل ، فخرج المهدي للقائهم ،

---

1) تعريب كلمة ايزركا اسم قبيلة بربرية شهيرة ، والنسبة العربية اليها هزرجى بكسر بكسر الهاء ، والنسبة البربرية ايزركي والجمع ايزركيين، ولا تزال بقية القبيلة بناحية وادى درعة والساقية الحمراء ويعرفون بالايزركيين والزركيين .

فرحب بهم وعرّفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ، ثم كانت وفاته عقب ذلك على ما نذكره إن شاء الله ، فهذا سياق ابن أبي زرع لهذه الأخبار والله أعلم بالصواب (1) .

بقية اخبار المهدي وبعض سيرته إلى وفاته

كان المهدي رجلا ربعة ، أسمر ، عظيم الهامة ، غائر العينين ، حديد النظر ، خفيف العارضين ، له شامة سوداء على كتفه الأيمن ، ذا سياسة ودهاء وناموس عظيم ، وكان مع ذلك عالماً ، فقيهاً ، راوياً للحديث ، عارفاً بالأصول والجدل ، فصيح اللسان ، مقدماً على الأمور العظام غير متوقف في سفك الدماء ، ويهون عليه إتلاف عالم في بلوغ غرضه ، وكان حصوراً لا يأتي النساء ، وكان متيقظاً في أحواله ضابطاً لما ولي من سلطانه ، أنشد صاحب كتاب (المعرب) في حقه :

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

ثم قال:له قَدَمٌ في الثرى،وهمةٌ في الثريا،ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا،أغفل المرابطون حلّه وربطه حتى دب إليهم دبيب الفلق في الغسق وترك في الدنيا دوياً ، أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم ، لكان لعزمه فيها غير مسلم ، وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم رغيفاً بقليل سمن أو زيت ، ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ، ورأى أصحابه يوماً وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه ، فأمر بضم ذلك جميعه وإحراقه ، وقال : من كان يتبعني للدنيا فليس له عندي إلا ما رأى ، ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله ، وكان على خمول زيه وبسط وجهه مهيباً منيع الحجاب إلا عند مظلمة ، وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه ، وكان له شعر فمن ذلك قوله :

أخذت بأعضادهم إذ نأوا وخلفك القوم إذ ودعوا
فكم أنت تنهى ولا تنتهي وتسمع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر السنّ حتى متى تسنُّ الحديدَ ولا تقطع

1) الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 172 — 179 طبع الرباط مع تصرف .

وكان كثيراً ما ينشد :

تجرد من الدنيا فانك إنمـــــا   خرجت إلى الدنيا وأنت مجـــرد

وكان يتمثل أيضاً بقول أبي الطيب المتنبي :

إذا غامرت في شرف مـــروم   فلا تقنع بما دون النجـــوم
فطعم الموت في أمر حقيـــر   كطعم الموت في أمر عظيـــم

وبقوله أيضاً :

ومن عرف الأيام معرفتي بهـــا   وبالناس روى رمحه غير راحـــم
فليس بمرحوم إذا ظفروا بـــه   ولا في الردى الجاري عليهم بآثـم

وبقوله أيضاً :

وما أنا منهم بالعيش فيهـــم   ولكن معدن الذهب الرغـــام

وقال ابن الخطيب في (رقم الحلل) : قالوا كان محمد بن تومرت يزعم أنه مأمور بنوع من الوحي والالهام ، وينكر كتب الرأي والتقليد ، وله باع في علم الكلام وغلبت عليه نزغة خارجية ، وكان ينتحل القضايا الاستقبالية ويشير إلى الكوائن الآتية ، ورتّب قومه ترتيباً غريباً ، فمنهم أهل الدار وأهل الجماعة ، وأهل الساقة ، وأهل خمسين ، وأهل سبعين ، والطلبة والحفاظ وأهل القبائل .

فأهل الدار للامتهان والخدمة ، وأهل الجماعة للتفاوض والمشورة ، وأهل الساقة للمباهاة ، وأهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقي ، وسائـر القبائل لمدافعة العدو ، كـان يعلمهم أوجه العبادات فـي العادات ، قلت من ذلك : إن طائفة من المصامدة عسر عليهم حفظ الفاتحـة لشدة عجمتهم فعدّد كلمات أم القرءان ولقّب بكل كلمة منها رجلا فصفهـم صفاً وقال لأولهم : اسمك الحمد لله ، والثاني رب العالمين . وهكذا حتى تمت كلمات الفاتحة ، ثم قال لهم : لا يقبل الله منكم صلاة حتى تجمعوا هذه الأسماء على نسقها في كل ركعة ، فسهل عليهم الأمر وحفظوا أم القرءان، ذكره صاحب

(المعرب) ، قالوا وهو أول من أحدث (أصبح و لله الحمد) في أذان الصبح، ومن جراءته وإقدامه وتهالكه على تحصيل مراميه ما حكاه صاحب (القرطـاس) قال : كانت بين الموحدين والمرابطين حرب فقتل من الموحدين خلق كثير ، فعظم ذلك على عشائرهم ، فاحتال المهدي بأن انتخب قوماً من أتباعه ودفنهم أحياء بموضع المعركة ، وجعل لكل واحد منهم متنفساً في قبره وقال لهم : إذا سئلتم عن حالكم فقولوا : « قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » ، وأن ما دعا إليه الامام المهدي هو الحق ، فجدوا في جهاد عدوكم ، وقال لهم : إذا فعلتم ذلك أخرجتكم وكانت لكم عندي المنزلة العالية ، وقصد بذلك أن يثبتهم على التمسك بدعوته ويهون عليهم ما لقوا من القتل والجراحات بسببه ، ثم جمع أصحابه عند السحر وقال لهم : أنتم يا معشر الموحدين حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق ، فجدوا في قتال عدوكم فانكم على بصيرة من أمركم ، وإن كنتم ترتابون فيما أقوله لكم فأتوا موضع المعركة وسلوا من استشهد اليوم من إخوانكم يخبروكم بما لقوا من الثواب عند الله ، ثم أتى بهم إلـى موضع المعركة ونادى : يا معشر الشهداء ما ذا لقيتم من الله عز وجل ؟ فقالوا : قد أعطانا من الثواب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فافتتن الناس وظنـوا أن الموتى قد كلموهم ، وحكوا ذلك لبقية إخوانهـم فازدادوا بصيرة في أمره وثباتاً على رأيه والله أعلم بحقيقة الحال .

وفاة المهدي رحمه الله

كانت وفاة المهدي عقب وقعة البحيرة ، قال ابن خلدون لأربعة أشهر بعدها ، وقال ابن الخطيب وغيره : كانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، وقيل غير ذلك ، وقال في (القرطاس) : لما رجع الموحدون من غزو مراكش إلى تينملل خرج إليهم المهدي ، فسلم عليهم ورحب بهم وأعلمهم بما يكون لهم من النصر والفتح ، وما يملكونه من البلاد وبمدة ملكهم ، وأعلمهم أنه يموت في تلك السنة فبكوا وأسفوا ، ثم مرض مرضه الذي مات منه ، وقدم عبد المومن للصلاة أيام مرضه، ثم توفي في التاريخ المتقدم .

وذكر بعض المؤرخين أن المهدي رأى في منامه قبل وفاته كأن ءاتيا أتاه فأنشده أبياتاً نعى له فيها نفسه وأعلمه باليوم الذي يموت فيه ، فكان كذلك ، أنظر (القرطاس) (1) .

وقد مر في هذه الأخبار ذكر كتاب (الجفر) وربما تتشوف النفس لمعرفة حقيقته ، فقد قال ابن خلدون في كتاب (طبيعة العمران) : واعلم أن كتاب (الجفر) كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي ، وهو رأس الزيدية ، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق رضي الله عنه وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص ، وقع ذلك لجعفر ونظرائه من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء ، وكان مكتوباً عند جعفر الصادق في جلد ثور صغير ، فرواه عنه هارون العجلي ، وكتبه وسماه (الجفر) باسم الجلد الذي كتب فيه ، لأن الجفر في اللغة هو الصغير ، فصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم ، وكان فيه تفسير القرءان الكريم وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق رضي الله عنه ، وذكره ابن قتينة في أوائل كتاب (اختلاف الحديث) فقال بعد كلام طويل : وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرءان الكريم وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من (الجفر) الذي ذكره العجلي ، ثم قال ابن قتيبة :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا	فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إمام ومنهم	طوائف سمته النبي المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم	برئت إلى الرحمان ممن تجفرا

في أبيات غير هذه ثم قال ابن قتيبة : وهو جلد جفر أدعوا أنه كَتب لهم فيه الامام جعفر الصادق كل ما يحتاجون إليه وكل ما يكون إلى يوم القيامة هـ، وهذا تزييف من ابن قتيبة لكتاب (الجفر) وخالف هذا المذهب أبو العلاء المعري فقال :

---

(1) الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 179 طبع الرباط .

لقد عجبوا لأهل البيت لمـــــا أتاهم علمهم في مَسك جفـــــر
ومرءاة المنجّم وهي صغـــــرى أرته كل عامرة وقفـــــر

والمَسك بفتح الميم الجلد ، والجَفر بفتح الجيم ما بلغ أربعة أشهر من أولاد المعز ، وكانت عادتهم في ذلك الزمان أنهم يكتبون في الجلود ومـا شاكلها لقلة الأوراق يومئذ ، وقال ابن خلدون : كتاب (الجفر) لم تتصـل روايته عن جعفر الصادق رضي الله عنه ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل، ولو صح السند إلىٰ جعفر الصادق لكان فيـه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه ، فهم أهل الكرامات رضي الله عنهم .

وقال في (الشذرات) نقلا عن العبر بعد تحليته بأوصاف الزهد والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ما نصه : ولكن جرّه إقدامـه وجرأته على حب الرياسة والظهور وارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور من أنه حَسَني وهو هرغي بربري ، وإنه معصوم وهو بالاجماع مخصوم ، ثم قال : وابن تومرت في ذلك كله لون واحد من الزهد والتقلل والعبادة وإقامة السنن والشعائر لولا ما أفسد القضية بالقول بنفي الصفات كالمعتزلة ، وبأنه المهدي وبتسرعه في الدماء هـ .

وقال الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) صحيفة 68 من ج 4 ما نصـه : وفيها يعني سنـة 524 مات محمد بـن عبد الله ابن تومـرت الذي ادعى أنه المهدي المعصوم هـ . وما تقدم من أنه لقي الغزالي قد ذكره أيضاً في (رقم الحلل) و (الحلل الموشية) و صاحب (المؤنس) واليوسي في (المحاضرات) ، ومؤلف (نشر المثاني) عنه، وصاحب (تاريخ الدولتين)، والشيخ مرتضى عده من تلاميذه ولم يجزم ابن خلدون بذلك في تاريخـه ، وكذلك صاحب (المعجب) وقطع بنفيه ابن الأثير في (الكامل) .

489) محمد بن إسماعيل الزنجاني

محمد بن إسماعيل بن عبد الملك الصدفي من أهل إشبيلية ، يكنى أبـا القاسم ويعرف بالزنجـاني ، روى عـن محمد بن فـرج ، وأبي علي

الغساني وغيرهما ، وكان فقيهاً حافظاً للرأي ذاكراً للمسائل مفتياً ببلده معظَّماً فيه ، وتوفي في محرم سنة 529 بمراكش ، ثم سيق إلى إشبيلية فدفن بها رحمه الله .

ذكره ابن بشكوال في (الصلة) (1) .

وقال ابن الأبار في (المعجم) في ترجمته :

وكان بها يعني إشبيلية رأس الشورى مع السمت والسكينة ، وحملته المنافرة التي كانت بينه وبين أبي بكر ابن العربي على التوجه إلى مراكش للسعي عليه والمطالبة له عند ولايته القضاء ، فتوفي هنالك عند غروب الشمس لتسع بقين من المحرم سنة 529 ، ثم سيق إلى إشبيلية فدفن بها ، روى عن أبي علي قاله لي أبو الربيع الحافظ ، وأراه كتب إليه ، ووقفت على أسماء شيوخه في إجازته لأبي بكر بن خير وليس فيهم مذكوراً ، وهم كما رتبهم : أبو علي الجياني ، وأبو عبد الله ابن فرج ، وأبو محمد جابر بن محمد بن جابر ، والشعبي وكناه أبا زيد غلطاً ، وأبو محمد بن عتاب ، وأبو بكر بن خازم ، والعبسي ، وغيرهم ، ومن شيوخه ، ولم يذكره ، أصبغ بن محمد الأزدي ، فلعله أغفل كذلك أبا علي ابن سكرة فيهم ، وكان يثني على الغساني منهم ويرفع بذكره ، حُدثت عن الحافظ أبي طاهر السِّلفي قال : سمعت محمد بن أحمد ابن خلف الكتامي الحمصي بالأسكندرية يقول : سمعت محمد بن إسماعيل الزنجاني الصدفي الفقيه بحمص الأندلس يقول : لم أر أحفظ من أبي علي الجياني للحديث ولا أتقن منه (2) .

490) محمد بن يحيى ابن باجّه

محمد بن يحيى بن الصائغ أبو بكر ، ويعرف بابن باجّه بجيم مشددة ثم هاء ، وهي الفضة بلغة الفرنج بالمغرب ، التجيبي النسب بضم التاء وفتحها الأندلسي السَّرَقُسْطي بفتح السين والراء وضم القاف وسكون

---

1) الصلة ص 580 ع 1277 .

2) معجم اصحاب ابى على الصدفى ص 118 ع 101 .

السين ، الشاعر المشهور الأديب النحوي الفاضل الحكيم ، قال في (عيون الأنباء) وكان في العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه ، وبُلي بمحن كثيرة وشناعات من العوام ، وقصدوا هلاكه مرات وسلمه الله منهم ، وكان متميزاً في العربية والأدب ، حافظاً للقرآن ويعد من الأفاضل في صناعة الطب ، وكان متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود ، وقال علي بن عبد العزيز ابن الامام في صدر (المجموع) الذي نقله من أقاويل أبي بكر محمد بن الصائغ ابن باجه ما هذا مثاله : هذا مجموع ما قيد من أقوال أبي بكر ابن الصائغ رحمه الله في العلوم الفلسفية ، وكان في ثقابة الذهن ولطف الغوص على تلك المعاني الجليلة الشريفة الدقيقة أعجوبة دهره ونادرة الفلك في زمانه ، فان هذه الكتب الفلسفية كانت متداولة بالأندلس من زمان الحكم مستجلبها ومستجلب غرائب ما صُنف بالمشرق ونقل من كتب الأوائل وغيرها نضَّر الله وجهه ، وتردد النظر فيها فما انتهج فيها الناظر قبله سبيل ، وما تقيد عنهم فيها إلا ضلالات وتبديل ، كما تبدد عن ابن حزم الاشبيلي ، وكان من أجل نظار زمانه وأكثرهم لمن تقدم على إثبات شيء من خواطره ، وكان أحسن منه نظراً وأثقب لنفسه تمييزاً وإنما انتهجت سبل النظر في هذه العلوم بهذا الحبر وبمالك ابن وهيب الاشبيلي فانهما كانا متعاصرين ، غير أن مالكاً لم يقيد عنه إلا قليل نزر في أول الصناعة الذهنية ، وأضرب الرجل عن النظر ظاهراً في هذه العلوم وعن التكلم فيها لما لحقه من المطالبات في دمه لسببها، ولقصده الغلبة في جميع محاوراته في فوز المعارف ، وأقبل على العلوم الشرعية فرأس فيها أو زاحم ذلك ، لكنه لم يكن يلوح على أقواله ضياء هذه المعارف ، ولا قيد فيها باطناً شيئاً ألفي بعد موته ، وأما أبو بكر فنهضت به فطرته الفائقة ولم يدع النظر والتنتيج والتقييد لكل ما ارتسمت حقيقته في نفسه على أطوار أحواله ، وكيفما تصرف به زمنه وأثبت في الصناعة الذهنية وفي أجزاء العلم الطبيعي ما يدل على حصول هاتين الصناعتين في نفسه صورة ينطق عنها ويفصل ويركب فيها فعلَ المستولي على أمرها ، وله تعاليق في الهندسة وعلم الهيأة تدل على بروعه في هذا الفن ، وأما العلم الالاهي فلم يوجد في تعاليقه شيء مخصوص به اختصاصاً تاماً إلا نزعات تستقرأ من

قوله في (رسالة الوداع)،و (اتصال الانسان بالعقل الفعال)،وإشارات مبددة في أثناء أقاويله لكنها في غاية القوة والدلالة على نزوعه في ذلك العلم الشريف الذي هو غاية العلوم ومنتهاها ، وكل ما قبله من المعارف فهو من أجله وتوطئة له ، ومن المستحيل أن ينزع في التوطئات وتنفصل له أنواع الوجود على كمالها ويكون مقصراً في العلم الذي هو الغاية وإليه كان التشوق بالطبع لكل ذي فطرة بارعة وذي موهبة إلاهية ترقيه عن أهل عصره ، وتخرجه من الظلمات إلى النور ، كما كان رحمه الله ، وقد صدرنا هذا المجموع بقوله له في الغاية الانسانية على نهاية من الوجازة تعرب عما أشرنا إليه من إدراكه في العلم الالاهي وفيما قبله من العلوم الموطئة له ، وعسى أنه قد علق فيه ما لم يعثر عليه ، ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فانه إذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم ، ودونا فيها بان لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو ، والثلاثة أيمة دون ريب ، وآتون ما جاء به مَنْ قبلهم من بارع الحكمة عن يقين تمتاز به أقاويلهم ، ويتواردون فيها مع السلف الكريم (1) .

أقول وكان هذا أبو الحسن علي ابن الامام من غرناطة ، وكان كاتباً فاضلا متميزاً في العلوم، وصحب أبا بكر ابن باجّه مدة واشتغل عليه، وسافر أبو الحسن علي ابن الامام من الغرب وتوفي بقوص ، وكان من جملة تلاميذ ابن باجه أيضاً القاضي أبو الوليد محمد بن رشد ، وتوفي ابن باجه شابا بمدينة فاس ودفن بها ، وأخبرني القاضي أبو مروان الاشبيلي أنه رأى قبر ابن باجه وقريباً من قبره قبر أبي بكر ابن العربي الفقيه صاحب التصانيف ، ومن كلام ابن باجة قال : الأشياء التي ينفع تعلمها بعد زمان طويل لا يضيع تذكرها ، وقال حسن عملك تفز بخير من الله سبحانه ، ولابن باجه من الكتب شرح كتاب (السماع الطبيعي) لأرسطوطاليس ، و (قول على بعض كتاب الآثار العلوية) لأرسطوطاليس ، و (قول على بعض كتاب الكون والفساد) لأرسطوطاليس ،

---

1) **عيون الأنباء** ص 81 طبع الجزائر سنة 1958 .

(قول على بعض المقالات الأخيرة من كتاب الحيوان) لأرسطوطاليس ، (كلام على بعض كتاب النبات) لأرسطوطاليس ، (قول ذكر فيه التشوق الطبيعي وماهيته) ، وابتدأ أن يعطي أسباب البرهان وحقيقته ، (رسالة الوداع) ، (قول يتلو رسالة كتاب اتصال العقل باللسان)، (قول على القوة النزوعية)، (فصول تتضمن القول على اتصال العقل بالانسان)، كتاب (تدبير المتوحد)، كتاب (النفس) ، (تعاليق على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنيـــة) ، (فصول قليلة في السياسة المدنية وكيفية المدن وحـــال المتوحد فها) ، (نُبذ يسيرة على الهندسة والهيأة) ، (رسالة) كتب بها إلى صديقه أبي جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي بعد قدومه إلى مصر ، (تعاليق حكَمية) وجدت متفرقة ، (جوابـ) ـه لما سئل عن هندسة ابن سيد المهندس وطرقه (كلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة) لجالينوس ، كتاب (التجربتين) على أدوية ابن وافد ، واشترك في تأليف هذا الكتاب أبو بكر ابن باجه ، وأبو الحسن بن سفيان ، (كتاب اختصار الحاوي) للرازي ، (كلام في الغايـــة الانسانية) ، و (كلام في الأمور التي بها يمكن الوقوف على العقل الفعال) ، (كلام في الاسم والمسمى)، (كلام في البرهان)، (كلام في الاستطقسات)، (كلام في الفحص عن النفس النزوعية وكيف هي ، ولم تنزع وبماذا تنزع) ، (كلام في المزاح بما هو طبي) ، انتهى .

وقال في (بغية الوعاة) بعد ذكره ما نصه : ذكره أبو حيان في (النضار) فقال : كان عالماً بالأدب والنحو ونظر في كلام الحكماء فكان يشبه بابن سيناء ، ذكره الفتح ابن خاقان في (القلائد) ونسبه إلى الزندقة،وقال الرضي الشاطبي: دخل ابن الصائغ يوماً جامع غرناطة وبها نحوى حوله شباب يقرأون فقالوا : مستهزئين ما يُحسن الفقيه من العلوم ؟ وما يحمل وما يقول ؟ فقال لهم أحمل اثنيْ عشر ألف دينار وهاهي تحت إبطي، وأخرج اثنتيْ عشرة ياقوتة تساوي كلٌ واحدة ألف دينار ، وأمـــا الذي أُحسنه فاثنا عشر علماً أحسَنُها علـــم العربية الذي تبحثون فيه ، وأما الذي أقول : فأنتم كذا وكذا وجعل يسبهم .

وقال لما حضر أجله :

حان الرحيل فدع مساكنك التـي ما كان ساكنها بها بمخلَّـــــد
واضرع إلى الملك الجواد وقل له عبد ثياب الجود أصبح يجتـــدي
لم يرض إلا الله معبــــــوداً ولا ديناً سوى دين النبي محمـــــد

وقال ابـن خلكان ذكره أبـو نصر الفتح بـن محمد بن عبيد ابـن خاقان القيسي صاحب (قلائد العقيان) فـي كتابه ، ونسبه إلى التعطيـل ومذهب الحكماء والفلاسفة وانحلال العقيدة ، وبالغ في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة والله أعلم بكنه حاله هـ (1) .

قلت كلام الفتح فيه لا يعول عليه ولا يلتفت ذوو علم إليه لما علـم بينه وبينه مـن المنافرة والمعاداة والمهاجـرة بسبب حكاية وقعت بينهمـا وخصومة سلفت لهما عفا الله عن الجميع بجاه النبي الشفيع ، وقد ذكر الشيخ العلامـة سيدي محمد بن قاسم ابـن زاكور الفاسي فـي شرحه للقلائـد ، أن صاحب الترجمة بريء مما رماه به الفتح ، يشهد بذلك ما حلاه به في كتابه (مطمح الأنفس في ذكـر رجال الأندلس) ، وشهرة الرجل بالخير والديـن والاستقامـة .

وقـال المقْري في (نفح الطيب) : قال في حقه ابن الخطيب فـي (الاحاطة) : إنه آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الأندلس ، قال : وكان بينه وبين الفتح ابن خاقان صاحب (القلائـد) معاداة ، فلذلك هجاه في (القلائـد) وجعله آخر ترجمة فيها ، ثم قال المقْري : وقال الأمير ركن الدين بيبرس في تأليفه (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) : أن ابن الصائغ كان عالماً فاضلا له تصانيف في الرياضة والمنطق ، وأنه وزّر لأبي بكر الصحراوي صاحـب سرقسطة ، ووزّر أيضاً ليحيى بن يوسف ابن تاشفين عشرين سنة بالمغرب ، وأن سيرته كانت حسنة فصلحت به الأحوال ونجحت على يده الآمال ، فحسده الأطباء والكتاب وغيرهم ، وكادوه فقتلوه مسموماً ، انتهى (2) .

---

1) قلائد العقيان ص 346 طبع تونس .

2) نفح الطيب 7 : 17 و 28 تحقيق الدكتور احسان عباس .

توفي رحمه الله بفاس مسموماً في باذنجان في شهر رمضان المعظم قيل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة ، وقيل سنة خمس وعشرين ، وقيل سنة ثلاث وعشرين والأول أشهر والله أعلم ، وقد علمت أن قبره قريب من قبر الامام ابن العربي المعافري كما تقدم ، وترجمه في (وفيات الأعيان) ، وفي (عيون الأنباء) و في (بغية الوعاة) ، وفي (نفح الطيب) ، وفي (الجذوة) ، وفي (السلوة) ، وجعله في (السلوة) ممن لم يُعلم تعيين محل دفنهم .

491) محمد بن حسون ابن البزاز

قاضي مراكش آخر دولة المرابطين كما تقدم في ترجمة أبي العباس ابن الصقر آخر حدود 520 (1) .

492) محمد ابن القَبْطُرْنه

محمد بن سعيد بن عبد العزيز ابن القَبْطُرنه ، أحد كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين كما في المعجب (2) .

493) محمد بن إبراهيم ابن أسود الغساني .

محمد بن إبراهيم بن أحمد ابن أسود الغساني ، من أهل المرية يكنى أبا بكر ، روى عن أبي علي الغساني وغيره وله رحلة إلى المشرق لقي فيها أبا بكر الطرطوشي ، وأبا الحسن ابن مشرف وغيرهما ، وشوور

---

1) أنظر 2 : 75 من هذا الكتاب ، وابن البزاز ليست واردة فى الأصل ، وانما أضفناها نقلا عن **الذيل والتكملة** .

2) وردت هذه الترجمة فى الأصل هكذا : محمد بن محمد المعروف بالقنطرية ، أبو بكر ، أحد كتاب الخ وبمراجعة **المعجب** (ص 104 طبع سلا) يتبين أن ابن القبطرنه الواردة فيه تصحفت فى طبعة **الاعلام** الفاسية بالقنطرية . أما كنيته ونسبه فقد أخطأ فيهما عبد الواحد المراكشى الذى لا يعتمد كثيراً على روايته لأنه أملى كتابه المعجب من ذاكرته ببغداد بعيداً عن كتبه . واسم كاتب على بن يوسف هو الذى اثبتناه فى الترجمة ، وكنيته أبو الحسن ، أما أبو بكر فكنية أخيه عبد العزيز ، ولهما أخ ثالث اسمه طلحة وكنيته أبو محمد .

وقد كتب أبو الحسن محمد منهم للمتوكل ابن الأفطس قبل أن يكتب لأمير المسلمين على ابن يوسف ، وكانت وفاته كما ذكر ذلك ابن الأبار قبل سنة 520 هـ .

ببلده لمعرفته ومنصبه ، واستقضي بمرسية مدة طويلة لم تحمد سيرته فيها ، ثم صرف عن ذلك وسكن مراكش ، وتوفي بها في رجب من سنة 536 .

ذكره في (الصلة) (1) .

قلت وهو صاحب القضية المشروحة في ترجمة أحمد ابن العريف رضي الله عنه ، وهو الذي كان سبب ترحيله إلى مراكش (2) .

وقال ابن الأبار في ترجمته من (معجم أصحاب الصدفي) ما نصه : محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عمر ابن أسود الغساني القاضي أبو بكر من أهل المرية وفي أنبه بيوتاتها ، سمع أباه وأبا علي الغساني ، وأبا بكر عمر بن أحمد ابن الفصيح ، وأبا عبد الله ابن الفراء ، وأبا بكر عبد الباقي ابن برال ، وتفقه بمحمد بن يوسف ابن عطاف ، وأجاز له أبو علي الصدفي ، وقد حدث في برنامجه عنه من روايته بجامع الترمذي ، ومعجم ابن قانع ، وتاريخ أبي بكر الخطيب وحلية الأولياء لأبي نعيم ، ورياضة المتعلمين له ، وأدب الصحبة للسلمي ، ثم سمع في رحلته التي حج فيها من أبي بكر الطرطوشي ، ومحمد بن منصور ابن الحضرمي ، وأبي الحسن ابن مشرف الأنماطي ، وأبي عبد الله الرازي وغيرهم ، وله رواية عن أبي الحسن ابن شفيع ، وعبد القادر ابن الحناط وسواهما ، وإكثاره بالأندلس إنما هو عن أبيه إبراهيم وأبي علي الغساني ، وبالأسكندرية عن الطرطوشي وابن الحضرمي ، وولي قضاء شرق الأندلس للملثمين دهراً طويلا ، ثم صرف عنه منكوباً واحتمل إلى مراكش مغرباً (وكان وروده مرسية قاضيا من المرية يوم الخميس ثامن شعبان (2) سنة 521 ، وصرف في المحرم سنة تسع وعشرين ، وتوفي بمراكش في نكبته سنة ست وثلاثين وخمسمئة في رجب منها ، وكان من جلة الفقهاء المشاورين ، وله تأليف في (تفسير القرآن) واعتناء بالحديث،

---

1) الصلـة ص 584 ع 1286 .

2) أنظر 2 : 10 من هذا الكتاب .

3) الزيادة من معجم اصحاب ابى على الصدفى .

وأول سماعه من أبيه في سنة 493 ، سمع منه شيخنا أبو بكر بن أبي جمرة ، وأجاز له ولابن بشكوال وصالح الأوسي وغيرهم ، ثم روى من طريق المترجم بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يابني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً : أن يثبت قائلكم ، وأن يهدي ضالكم ، ويعلم جاهلكم ، وسألت الله أن يجعلكم جوداء مجداء رحماء ، ولو أن رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ، ثم لقي الله مبغضاً لآل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار هـ (1) .

وقد اختصر في ترجمته من (نفح الطيب) جداً ، ونقل عن أبي جعفر ابن الزبير أن له كتاب (تفسير القرآن) وبيته بيت علم ودين هـ .

وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة المهدي بن تومرت أن الذي انتدب لمحاورته بمجلس أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش هو قاضي المرية واسمه محمد بن أسود هـ .

وأما محمد بن علي عمر بن يحيى بن عمر بن أسود الغساني من أهل حمة وشق من عمل المرية الغربي المتوفى في أوائل سنة ثمان وثمانين وسبعمئة المترجم في (الجذوة) وغيرها فهو غير المترجم كما ترى (2) .

494) محمد بن الحسين الميورقي الأنصاري .

محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن بشر الأنصاري أبو عبد الله وأبو بكر المعروف بالميورقي ، وسكن غرناطة ، وأبو عبد الله النميري يقول فيه الأزدي رفعاً في نسبته الأنصارية على جهة التدليس والتورية ، سمع من أبي علي وأجاز له ، ورحل حاجاً فسمع بالأسكندرية من أبي عبد الله الرازي وأبي بكر الطرطوشي ، وبمكة من أبي الفتح البيضاوي ، وأبي نصر النهاوندي، وعاد إلى الأندلس فحدث بغير بلد منها بتجوله ، وأخذ عنه الناس ، وامتحن بالقبض عليه مع أبي الحكم ابن برجان وأحمد ابن العريف ، وتخلص دونهما

---

1) معجم اصحاب ابى على الصدفى ص 130 ع 116 .

2) جذوة الاقتباس ص 297 ع 303 طبع الرباط .

فقصد المشرق ثانية وأقام بمدينة بجاية برهة في هربه من المغرب ، وحدث بها في سنة 537 ويحدث عبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي بتفسير عبد بن حميد عن طاهر بن أحمد ابن عطية المري القاضي عن ابن بشر هذا ، عن أبي علي الصدفي ، عن العذري ، عن أبي ذر ، عن أبي محمد ابن حموية ، عن إبراهيم بن حذيم ، عنه ، وفي هذا الاسناد طول ونزول ، وقد حدثنى به في الاجازة أبو بكر بن أبي جمرة عن أبيه عن العذري ، فكأن عبد الحق يرويه عني وأنا أرويه عن واحد عنه ، وأعلا من هذا ما حدثنا به علي بن أبي المحاسن ابن بندار قاضي الديار المصرية وغيره عن عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي عن أبي الحسن عبد الرحمان بن محمد بن المظفر الداودي عن عبد الله بن أحمد ابن حموية بمثله ، فكأني من طريق عبد الحق أخذته عن أبي علي ، واستشهد قبل مولدي بأزيد من ثمانين سنة رضوان الله عليه .

ذكره ابن الأبار في (معجم أصحاب الامام الصدفي) .

وقال فيه في ترجمة أحمد ابن العريف كما تقدم ، فأمر يعني علي بن يوسف بن تاشفين باشخاصه يعني ابن العريف إليه من المرية مع محمد بن الحسين الميورقي هو المترجم من غرناطة وأبي الحكم ابن برجان من أشبيلية، وكانوا نمطاً واحداً في الانتحال ، والاتصاف بصلاحية الحال ، ولأبي الحكم الشفوف عليهم حتى قيل فيه غزالي الأندلس، فسيروا جميعاً إلى مراكش هـ(1).

وفي (نفح الطيب) محمد بن الحسين الشهير بالميورقي لأن أصله منها وسكن غرناطة ، وروى عن أبي علي الصدفي ، ورحل حاجاً فسمع بمكة من أبي الفتح عبد الله بن محمد البياضي ، وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي في شوال وذي القعدة من سنة 517 ، وبالأسكندرية من أبي عبد الله الرازي وأبي الحسن ابن مشرف وأبي بكر الطرطوشي وغيرهم ، وعاد إلى الأندلس بعد مدة طويلة ، فحدث في غير ما بلد بتجوله ، وكان فقيهاً ظاهرياً عارفاً بالحديث وأسماء الرجال ، متقناً لما رواه ، يغلب عليه الزهد

---

1) معجم اصحاب ابي علي الصدفي ص 16 .

والصلاح ، روى عنه أبو عبد الله النميري الحافظ ، ويقول فيه الأزدي تدليسا لأن الأنصار من الأزد ، وأبو بكر ابن رزق ، وأبو عبد الله ابن عبد الرحيم، وابن عبد المنعم ، وسواهم ، وصار أخيراً إلى بجاية هارباً من صاحب المغـرب حينئذ بعد أن حمل إليه هو وأحمد ابن العريف وأبو الحكم ابن برجان ، وحدث هنالك وسمع منه في سنة 537 رحمه الله تعالى هـ (1) .

495) محمد ابن أبي الخصال الغافقي

محمد بن أبي الخصال ، واسمه مسعود ، بن طيب ، بن فرج ، بن خلصة ، الغافقي أبو عبد الله ذو الوزارتين ، وقيل إن خلصة هو المكنى أبا الخصال ، وجد ذلك ابن الأبار بخط أبي بكر بن خير وغيره ، والأول قول أبي القاسم ابن حبيش ، سكن قرطبة ، وأوليته من قرية بشقورة تسمى فرغليط ، وبها نشأ ومنها تردد في طلب العلم والأدب ، وعلى أبي الحسن بن مالـك اليعمري القاضي بأبذة كان ينزل في اجتيازه ، وقد أخذ عنه يسيرا ، وخرج معه يوماً وهو فتي السن إلى حديقة له معروشة ، فقطف لهم من أعلاها عنقود عنب بعصى أهبط فيها على ترفق ، فقال القاضي محركاً له ومختبراً بديهته :

أنظرْ إليه في العصـــــــــــا

أجز يا محمد ، فقال مجيباً لفوره :

كرأس زنجي عصـــــــــــا

فلحظ بعدها بعين أخرى ، وحكم له بما نال من مزية كبرى ، وشيوخه الذين سمع عنهم أبو الحسين ابن سراج ، وأبو محمد ابن عتاب ، وأبو بحر الأسدي ، وأبو بكر بن أبي الدوس ، وأبو تميم العز بن بقنة ، وأبو بكر غالب ابن عطية ، وأبو الحسن ابن الباذش النحوي ، وأخذ هو أيضاً عنه فتدبجا ، وأبو بكر ابن سابق الصقلي ، وقد ذكرت ابن مالك ، ولقي بالمرية أبا علي الصدفي فقرأ عليه (صحيح مسلم) ، و (جامع الترمذي) وسمع (مصنف أبي

---

1) نفح الطيب 2 : 155 تحقيق الدكتور احسان عباس .

داوود)، وأكثر (صحيح البخاري)، وكتاب عبد الغني وهو (مشتبه النسبة)، كان عند ابن الأبار منه أصل أبي علي،وسماعه في أوله ثابت بخط أبي الحسن ابن اللوان . وقراءاته في سنة 506 ، وأجاز له سائر ما يحمله ، وكتب إليه أبو عمران ابن أبي تليد ، وأبو علي الغساني ، وابن أخت غانم ، وأبو عبد الله المازري مع جماعة من المشرقين وغيرهم ، وعني بالحديث فأتقنه ، وأما البلاغة فاليه انتهت ، وعليه قصرت ، وبموته فقدت ، وصفه بهذا أبو القاسم ابن حبيش .

وقال فيه ابن بشكوال : مفخرة وقته ، وجمال جماعته ، وكان متفنناً في العلوم مستبحراً في الآداب واللغات ، عالماً بالأخبار ، ومعاني الحديث والآثار ، والسير والأشعار ، أحد رجال الكمال .

وقال ابن الأبار : وسمعت شيخنا أبا الربيع بن موسى يقول ، سمعت أبا الحسين عبد الرحمان بن أبي عامر الأشعري يقول ، سمعت الفقيه أبا مروان ابن مسرة يقول : لم ينطلق اسم كاتب بالأندلس على رجل مثل محمد ابن أبي الخصال ، وحكى لنا شيخنا أبو الحسين بن سراج أن خاله أبا بكر بن خير ، وأبا القاسم ابن بشكوال ، وأبا القاسم بن غالب المعروف بالشراط قصدوا ذات يوم قبر محمد ابن أبي الخصال وقد وعدوا أحد تلاميذهم أن يقرأ هنالك عليهم قصيدته البائية التي وسمها بـ (معراج المناقب ، ومنهاج الحسب الثاقب) ، قال : وكنت فيمن صحبهم لأخذها عنهم ، فسمعتهم يترحمون عليه ويقولون عند انتهائهم إليه : السلام عليك يازينَ الاسلام ، ومع كماله ، فلم يحظ من أمراء عصره بآماله، وهي عادة الأيام العادية في أمثاله، تواري مما بهر وخفي أضعاف ما ظهر ، وصار أخوه أبو مروان بالكتابة عنهم أشهر، والذي قعد بأبي عبد الله فهو قيام ابن الحاج أمير قرطبة على ابن تاشفين وثورته التي نكب عنها، ونجا، ولكن كيف، منها، وكان هو حينئذ أوثق حاشيته وأسبابه وألصق وزرائه به وكتابه ، مع أن اختصاصه لم يكن إلا بابنه أبي بكر بن أبي عبد الله حتى وسمه بذي الوزارتين ، فجرت عليه تخصيصاً بعنايته، ومكافأة لكفايته ، فكم جلى من تلك الخطوب الجلائل ، وأبلى باليراع

والرسائل ، مكان ذوات العمود والخمائل ، ولما استقل ابن الحاج وولي ما ولي من أعمال المغرب حسبما تقدم ذكر ذلك عاد ابن أبي الخصال لصحبته هنالك هو وأبو بكر بن عبد العزيز ، وطائفة انضوت من حرمته إلى الحصن والحرز الحريز، ذلك لشفوف هذا الأمير على أترابه ، وخفوف ذاته الراجحة في حقوق أصحابه ، ثم انهم انتقلوا بانتقاله إلى سرقسطة أم الثغر الشرقي حين حلها ذاباً عن أرجائها ، ومجاهداً لأعدائها ، حلول البر التقي ، وإذ حُمَّت شهادتُه قافلا مـن غزاته في التاريـخ المرسوم ، كسد مـا نفق في أيامـه من بضائـع العلوم ، وناصع المنثـور والمنظوم ، فلزم أبـو عبد الله داره خائفاً من تلك الأحقاد القديمـة ، وراضياً بالاياب إليها من الغنيمة ، وفـي أكثر عمره ارتدَّ على العقب مأموله ، وامتدَّ بطول مدة ابن تاشفين خموله ، وإن كان لا يسمى خاملا ، مَن شهد للحلم حاملا ، وعهد بالعلم عاملا ، وحسبك بما لـه من التواليف الدينية ، إلى أن حمت منيته بالفتنة الحمدينية، فاستشهد رحمه الله ودفن يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة 540 ، وكان دفنه ضحى بمقبرة ابن عباس ، وقال ابن حبيشٍ وقرأته بخطه : استشهد فـي الحادثة الكائنة بقرطبة يوم السبت الثاني عشر من ذي الحجة ، ومولده سنة خمس وقيل سنة 463 ، والظاهر في مقتله أنه اقتحمتْ عليه داره إذ دخلت المصامدةُ قرطبةَ عنوة في الحرب الواقعة بين ابن حمدين وابن غانية أول انقراض سلطان الملثمين بالأندلس ، ثم ذكر أن قاتله تيفوت قتل أيضاً بعد ذلك، ثم روى بسنده إليه حديث أبي داوود لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة(1).

وقال في (الجذوة) : محمد بن مسعود بن خلصة بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي الامام البليغ المحدث الحجة ، أصله من فرغليط من قصورة شقورة من كورة جيان ، سكن قرطبة وغرناطة ، وسكن مدينة فاس صحبة محمد ابن الحاج المسوفي ، كان من أهـل المعارف الجمة والاتقـان للحديـث والمعرفة برجالـه والتقييد لغريبه وإتقـان ضبطه ، والمعرفـة بالعربية واللغة والأدب والنسب والتاريخ ، مقدماً في ذلك كله ، وأما الكتابة

1) معجم أصحاب ابى على الصدفي ص 149 ع 125 .

والنظم فهو إمامهما ، روى عن الغساني والصدفي وأبي الحسن ابن الباذش وأبي عمران ابن تليد ، وأبي بحر الأسدي وأبي عبد الله النفزي المالقي ابن أخت غانم الأديب وجماعة ، وتواليفه مشهورة ، روى عنه ابن بشكوال وابن حبيش وابن مضا وغيرهم .

من نظمه :

وافى وقد عظُمت عليّ ذنوبـــه ... في غيبة قبحت بها آثـــاره
فمحا إساءته لنا إحسانـــه ... واستغفرتْ لذنوبه أوتـــاره

ومن شعره وقد أقام بمراكش يتشوق إلى قرطبة :

سمت لهم بالغور والليل جامـع ... بروق بأعلام العذيب لوامـع
فباحت بأسرار الضمير المدامـع ... ورب غرام لم تنله المسامـع

مولده سنة خمس وستين وأربعمئة ، وتُوفي يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة أربعين وخمسمئة في دخول المصامدة الأندلس مع رجالة أهل اللثام قتلوه وعبد الله بن عبد العزيز السقاط (1) .

وقال في (كشف الظنون) : (خطف البارق ، وقذف المارق) للفقيه الامام ذي الوزارتين محمد بن مسعود ابن أبي الخصال الغافقي المقتول شهيداً سنة 540 رد فيه على ابن غرسية في تفضيل العجم على العرب هـ .

وذكر ابن بسام أن الوزير ابن أبى الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه ، فكتب إليه بديهاً :

جئناك للحاجة الممطول صاحبهـا ... وأنت تنعم والاخوان في بـؤس
وقد وقفنا طويلا عند بابكـم ... ثم انصرفنا على رأي ابن عبدوس

أشار به إلى قول الوزير أبي عامر ابن عبدوس :

1) جذوة الاقتباس ص 257 ع 263 .

لما قاص له خلـــــــــــــق أقل ذميمه النـــــــــــزق
إذا جئناه يحجبنـــــــــــا فنلعنـــه ونفتـــــــرق

وهو تلميح سامح الله تعالى الجميع ، نقله في (النفح) .

وقال في محل آخر نقلا عن علي ابن ظافر وأخبرني مَن أثق به قال : ركب المعتمد على الله أبو القاسم ابن عباد للنزهة بظاهر أشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه ، فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقاً فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت ، فسدد إليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت على أعلاها ، فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها ، والتفت ليخبر به مَن خلفه فقال أجز :

كأنها فوق العصـــــــــــــا

فقـال :

هامة زنجيٍّ عصـــــــــــــا

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله ، وأمر له بجائزة سنية هـ (1) .

وجعله في (المعجب) من كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بـن تاشفين ، ووقفت على كتابه (ظل الغمامة ، وطوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكرامة) ، بخط سيدي عبد القادر الفاسي ، رواه ابن خير في فهرسته سماعاً منه وسمع عليه رسالة كتبها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقطعة شعر كتبها إلى المصطفى على لسان بعض الزمني ، فلما وضعت عند القبر النبوي برىء المقعد .

496) محمد بن أحمد ابن السقاط الكونكي

محمد بـن أحمد بن محمد بن إبراهيم بـن محمد بـن خلف بن سعيد بن شعيب الأنصاري الكونكي الأصل ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن السقاط ، انتقل سلفه إلى غرناطة ، كان من كتاب وقته وافر الحظ من المعارف

1) تقدم في صدر الترجمة أن هذا وقع له مع أبي الحسن بن مالك قاضي أبذة .

جيد النظم والنثر ، كتب عن أمراء لمتونة بمراكش مدة وتوفي مقتولا بمدينة فاس ، ذكره الملاحي ، وكانت وفاته في حدود الأربعين وخمسمئة ، وترجمه في (الجذوة) (1) .

497) محمد بن عبد الرحمان ابن عظيمة الاشبيلي

محمد بن عبد الرحمان بن الطفيل العبدي الاشبيلي ، و يعرف بابن عظيمة ، أخذ القراءات عن أبي عبد الله السرقسطي ، وروى عن أبي عبد الله الخولاني ، وأبي عبد الله ابن فرج ، وأبي علي الغساني ، وأبي داود المقري ، وأبي جعفر ابن عبد الحق ، وأبي الوليد ابن طريف ، ورحل حاجاً فروى بمكة عن رزين بن معاوية ، ثم بالأسكندرية عن محمد بن منصور ابن الحضرمي وأبي الحسن ابن مشرف الأنماطي ، وبالمهدية عن المازري ، وكانت رحلته مع أبي علي منصور ابن الخير الأحدب للقاء أبي معشر الطبري فبلغهما نعيه بمصر ، فلما قفلا من حجهما قعد منصور يقول : قرأت على أبي معشر واقتصر ابن عظيمة في تصدره للاقراء على التحديث عمن لقي ، فعرف مكانه من الصدق والعدالة وولي الصلاة ببلده ، وتقدم في صناعته واشتهر بها وتلاه أهل بيته فيها فأخذ عنهم الناس ، وله (أرجوزة في القراآت السبع) ، وأخرى في (مخارج الحروف) وشرح قصيدة الشقراطسي ، وله أيضاً كتاب (الفريدة الحمصية (2)، في شرح القصيدة الحصرية)،وإليه وإلى بنيه بعده كانت الرياسة في هذا الشأن ، ومن جلة الرواة عنه أبو بكر محمد ابن خير قرأ عليه (الشهاب) للقضاعي وأجاز له جميع رواياته وتواليفه في رجب سنة 536 ، وتوفي في حدود الأربعين وخمسمئة ، وروى عنه عنه أبو الضحاك الفزاري .

انتهى من (نفح الطيب) (3) .

---

1) جذوة الاقتباس ص 259 ع 265 .

2) سماها ابن خير في فهرسته ص 74 منح الفريدة الحمصية الخ .

3) نفح الطيب 2 : 155 .

وترجمه ابن عبد الملك في (**الذيل والتكملة**) قائلا (1) :

محمد بن أبي عمرو عبد الرحمان بن محمد بـن عبد الرحمان بـن أحمد بن الطفيل العبدي إشبيلي (2) أبو الحسن ابن عظيمة ، تلا بالسبع في بلده على أبي الحسن شريح ، وأبي عبد الله بن عبد الرحمان السرقسطي ، وروى به عن أبي عبد الله أحمد الخولاني ، وأبي عمر يوسف بن أحمد بن أبي يونس . ثم جال في بلده الأندلس طالباً للعلم ، فتلا بقرطبة على أبي الحسن القيسي ، وروى عن أبي بكر خازم بن محمد ، وأحمد بن عبد الحق الخزرجي ، وأبي عبد الله بن فرج ، وأبي علي الغساني ، وأبي القاسم ابن الحصار ، وأبي الوليـد ابن طريف ، وأخذ بدانية عن أبي داوود الهاشمي ، ورحل إلى المشرق وحج ، ولقي في وجهته أبا عبد الله المازري بالمهدية ، وأبا القاسم عبد الرحمان بن أبي بكر بن أبي سعيد ابن الفحام ، وبالأسكندرية علي ابن المشرف ، وأبا عبد الله بن منصور الحضرمي ، وتلا عليهما ، والحسن بن خلف ابن بليمة ، وبمصر أبا الحسين يحيى ابن الخشاب ، وتلا عليه ، وبمكة وصل الله تكريمها أبا الحسن رزين بن معاوية ، وأخذ عنهم ، وقفت على شيوخه المذكورين في خطه ، وكانت رحلته مع أبي علي منصور ابن الخير ، وعملا على لقاء أبي معشر الطبري والأخذ عنه والتلاوة عليه ، فبلغهما نعيُه بمصر . ثم قفل إلى الأندلس وتجول في المغرب ودخل مراكش ، وعاد إلى إشبيلية ، فحدث عن مَن لقي من أهل العلم ، فعُرف مكانه من الصدق والعدالة ، وادعى أبو علي منصور لقاءَ أبي معشر وحدث عنه ، فرمي بالتكذيب وتكلم فيه .

روى عنه ابنه عياش ، وأخوه أبو العرب أحمد ، ومحمد ابن خير ، ومحمد ابن عبدون الحجري، ومحمد ابن مخلد ، وأبو جعفر ابن عباد الأنصاري، وآباء الحسن : ابن الضحاك وابنا عبد الرحمان : ابـن بيطش ، والحصار ،

---

1) هذه الترجمة المنقولة من **الذيل والتكملة** غير واردة فى الأصل المطبوع بفاس ، ولكن المؤلف أحال عليها فى نسخة الكتاب المذكور الخطية المحفوظة بمكتبة باريس الوطنية تحت عدد 2156 قائلا انها فى الورقة 142 من الجزء السادس ، وبما ان الجزء السادس من **الذيل والتكملة** قد طبع أخيراً فى بيروت بعناية الدكتور احسان عباس آثرنا الحاق ترجمة **ابن عظيمة** منه احتراماً لاحالة المؤلف عليه .

2) أصله من اشبيلية ، أما ولادته فكانت بفاس ، فلهذا كتب بعضهم فى هامش الجزء المخطوط من **الذيل والتكملة** : حقه أن يذكر فى الغرباء .

وعبد السلام بن محمد بن أبي الليث ، وأبو عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، وأبو العباس ابن مقدام ، وأبو العيش نام بن محمد ابن نام اللخمي ، وخلف بن يحيى الخولاني ، وعبد الرحمان بن علي الجذامي السبتي ، ومحمد بن عبد الله الكلبي ، ومحمد ابن عثمان الجهني ، وآباء محمد : ابن إبراهيم بن نعمان ، وابن جمهور ، وابن عبد الرحمان اللخمي ، وابن محمد القيسي ، وإسماعيل بن يحيى ابن شجرة القيسي ، وأحمد بن محمد بن عبد الملك اللخمي ، وأحمد بن محمد بن فرج بن سلمة المرادي ، وإبراهيم بن محمد الطبراني ، وجابر ابن غالب ، وجابر ابن مصالة ، وحسين بن علي ابن غالب ، وسليمان بن عبد الرحمان البطليوسي ، وصالح ابن مزين ، وعبد الله بن حجاج ابن سمانة ، وابن محمد بن غالب ، وعبد السلام بن يحيى القرشي ، وعبد العزيز بن محمد ابن نوح الغافقي ، وعبد العزيز بن محمد الكلاعي ، وعامر ابن ميمون ، وعلي ابن فتحون القضاعي ، وعيسى بن محمد المغامي ، ومحمد بن أحمد ابن سهل ، ومحمد ابن خطاب ، ووليد ابن موفق .

وكان صدراً في أهل التجويد للقرآن العظيم ، مشاراً إليه في إتقان الأداء وجودة الأخذ عن القراء ، ذا حظ وافر من رواية الحديث ومعرفته ، حافظاً للتواريخ والآداب ، متقدماً في النحو ، شاعراً محسناً ، رجز في السبع أرجوزة مزدوجة ، وفي مخارج الحروف أخرى ، وصنف في القراءات وما يتعلق بها كتباً نافعة ، منها : (جالب الافادة) في مخارج الحروف ، و (منح الفريدة الحمصية ، في شرح القصيدة الحصرية) ، و (شرح قصيدة أبي محمد ... الشقراطسي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم) ، وأورث عقبه بُعْدَ الصيت في تجويد القرآن ، فصارت الرحلة إليهم فيه ، وولي الصلاة بجامع بلده .

وتوفي في صفر ثلاث وأربعين وخمسمئة أثناء شدة إشبيلية ومحنتها، ابن نحو سبعين سنة (1) .

---

1) تنظر ترجمة ابن عطيمة ايضاً في **التكملة** ع 445 ، **ونفح الطيب** 2 : 155 ، وغاية **النهاية** 2 : 166 .

498) محمد بن هود بن عبد الله الماسي المتسمى بالهادي ، كان قصاراً بمدينة سلا وكان أبوه دلالا يبيع الكنابيش ، خرج على عبد المومن الموحدي بعد أن حضر معه فتح مراكش وبايعه ، فغلب على بلاد تامسنا وأكثر بلاد المصامدة ، فبايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المومن الا مراكش ، فبعث إليه عبد المومن الشيخ أبا حفص في جيش عظيم من الموحدين ، فارتحل عن مراكش في أول يوم من ذي القعدة عام اثنين وأربعين وخمسمئة ، وخرج معه عبد المومن مشيعا حتى وصل تانسيفت ، ثم ودعهم ودعا لهم وانصرفوا فالتقوا بالماسي الخارج ببلاد تامسنا ، فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الماسي ، قتله الشيخ أبو حفص بيده ، وهزم عسكره، وذلك في شهر ذي الحجة عام اثنين وأربعين المذكورة .

ذكره في (الأنيس المطرب القرطاس) (1) .

وتقدم في ترجمة الوزير أحمد ابن عطية أن الوقعة مع الماسي المدعي للهداية وقعت بوادي ماسة من سوس ، وذكرنا الرسالة التي أنشأها في ذلك (2) ، وهذا غير محمد بن يوسف ابن هود الجذامي حفيد ملوك الطوائف بسرقسطة المتقدم ذكره في ترجمة إدريس بن يعقوب الموحدي (3) .

499) محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المَعافري أبو بكر وأبو يحيى ، الشيخ الامام ، عَلَم الأعلام ، حجة الاسلام ، الحافظ المتبحر الهمام، المقتدى به في الأقوال، المقتفَى أثره فما يبديه من الأفعال ، تاج المفرق ، وفخر المغرب على أهل المشرق ، القاضي الشهير الأعدل العالم العامل الأفضل المساق من حضرة إشبيلية ليدفن في الحضرة الادريسية ، ختام علماء الأندلس وآخر أيمتها وحفاظها ، خزانة العلم وقطب المغرب في

1) **الانيس المطرب بروض القرطاس** ص 190 طبع الرباط .

2) أنظر 2 : 61 من هذا الكتاب .

3) أنظر 3 : 6 من هذا الكتاب

العلوم العارف بالله تعالى ، والمَعافِري بفتح الميم وتخفيف العين المهملة وكسر الفاء نسبة إلى مَعافر بن يعفور أبي حيٍّ باليمن الاشبيلي بكسر الهمزة وسكون الشين نسبة إلى إشبيلية ، وهي مدينة عظيمة بجزيرة الأندلس وبها ولد رحمه الله ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين ، ، وقيل سنة تسع وستين وأربعمئة ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ، وزاد عليها ثلاثاً لضبط القرآن والعربية والحساب ، وبلغ ستَّ عشرة سنة وقد قرأ من الأحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من إظهار وإدغام ونحوه ، وتمرن في الغريب والشعر واللغة ، وسمع بالأندلس أباه وخاله أبا القاسم الهوزني ، وأبا عبد الله السرقسطي ، وببجاية أبا عبد الله الكلاعي ، وبالمهدية أبا الحسن ابن الحذا الخولاني ، ورحل مع أبيه إلى المشرق عند انقراض الدولة العبادية وسنه نحو سبعة عشر عاماً يوم الأحد مستهل ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمئة ، ودخل الشام ولقي بها محمد بن الوليد الطرطوشي ، إذ كان سكن الشام مدة ودرس بها كما في ترجمته من (أزهار الرياض) ، وتفقه عنده ورحل إلى الحجاز في موسم سنة تسع وثمانين ، وحج وسمع بمكة أبا عبد الله الحسين الطبري ، وابن طلحة ، وأبا المعالي ثابت بن بندار الحمامي ، وقرأ الأدب على أبي زكرياء التبريزي ، ودخل بغداد مرتين وصحب بها أبا بكر الشاشي ، وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء ، وأخذ عنهم واجتمع أيضاً بأبي حامد لما حج في المطاف وفرح به غاية ، ولقي بدمشق غير واحد كأبي الفتح نصر المقدسي ، وبمصر أبا الحسن الخلعي وغيره ، وبالأسكندرية جماعة كالأنماطي وأقام بها عند أبي بكر الطرطوشي فمات أبوه بها أول سنة ثلاث وتسعين ، فانصرف إذذاك إلى الأندلس ، وقدم بلده إشبيلية بعلمٍ كثير لم يأت به أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق ، ونقل عنه أنه قال : كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلا الباجي ، أو كلاماً هذا معناه .

ولما استقر ببلده شوور فيه ورحِل إليه للسماع منه ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ، وكان رضي الله عنه آية في الحفظ والاتقان والجلالة وعلو الشأن مستبحراً في العلوم كلها جامعاً لها

بأسرها متقدماً في المعارف متكلماً في أنواعها بما يبهر العارف نافذاً في جميعها حريصاً على أدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منهـا ، طبّق الآفاق بفوائده وملأ الشام والعراق بأوابده ، وكان موصوفاً بالفضـل والكمال مرتدياً برداء الديانة والعمل والحال ، حسن المعاشرة لين الجانب ، كثير الاحتمال ، كريم النفس ، حسن العهد ، ثابت الود ، جميل الأخلاق ، شديداً على أهل المناكر ، رفيقاً بالمساكين صلباً في الحق ، لا يخاف فـي الله لومة لائم ، فصيحاً ، أديباً ، شاعراً ، أريباً ، حجة ، حافظاً ، متقدماً ، لافظاً، كثير المُلَح ، مليح المجلس ، وجلالته أعرف من أن تُنكر وأشهر مـن أن يُستدل عليها أو تذكر ، وعلمه في المشرق والمغرب شهير ، وشأنه فـي الوجود كبير ، حتى أنه كان يلقب بخزانة العلم وبقطب المغرب أي في العلوم. وكان رضي الله عنه جواداً عظيماً سخياً كريماً ، ومن كرمه ما نقل عنه أنه بنى سورمدينة إشبيلية بالآجر والجير من ماله الخاص له ، وكانت له أشعار رائقة ومؤلفات فائقة ، منها (أحكام القرآن الكبرى) وقفت عليها ، و (الصغرى) و (القبس ، على موطأ الامام مالك بن أنس) ، و (ترتيب المسالك، في شرح موطأ الامام مالك) ، وقفت عليه ، و (عارضة الأحوذي، على كتاب الترمذي) ، وقفت على بعضها بخط اليد ثم طبعت، و (نواهي الدواهي) و (مراقي الزلف) و (العقد الأكبر للقلب الأصغر) ، و (القول الصحيح في تعيين الذبيح) ، و (تفصيل التفضيل بين الحمد والتهليل) ، و (رسالة الكافي على أنْ لا دليل على النافي) ، وكتاب (السياسات) ، وكتاب (المسلسلات) ، وكتاب (حديث الأفك) ، وكتاب (شرح حديث جابر في الشفاعة) ، وكتاب (ستر العورة) ، وكتاب (ترتيب الرحلة) فيه من الفوائد ما لا يوصف ، يوجد بعض قطع منها في المكتبة الكتانية بفاس ، وكتاب (النيريْن على الصحيحين) ، وكتاب (مشكل القرآن والسنة) ، وكتاب (الناسخ والمنسوخ من القرآن) ، وكتاب (القواصم، والعواصم)، و (المحصول، في علم الأصول) أي في أصول الفقه ، و (سراج المريدين) ، وقفت على نسخة منه عليها خطه ، و (سراج المهتدين) ، وكتاب (المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد) ، و (الرد على من خالف السنة من ذوي البدع والالحاد) ، وشرح (غريب الرسالـة) .

وشرح (حديث أم زرع) ، و (الانصاف ، في مسائل الخلاف) عشرون مجلداً ، وكتاب (أعيان الاعيان) ، و (تلخيص التلخيص) ، و (قانون التأويل في تفسير الكتاب العزيز) ، وقفت على بعضه وقد نقل منه ابن غازي في (تكميل التقييد) قضية ركوبه البحر في رحلته من إفريقية ، ونقلها الشيخ الرهوني في (حاشيته) عند قول خليل وادامة شطرنج فراجعها هناك ، و (أنوار الفجر) في تفسير القرآن، يطلع في ثمانين سفراً، كل سفر سفر منها يطلع في ألف ورقة ألفه في عشرين سنة ، وذكر في (الديباج) عن بعض الثقات الصلحاء أنه رآه بخزانة السلطان أبي عنان المريني بمدينة مراكش ثمانين مجلداً لم ينقص منها شيء ، و (المقصد الأسني ، في شرح أسماء الله الحسنى) ، ومنها (الداوهي والنواهي) في الرد على ابن حزم، وكتاب (شعراء الأندلس)، و (مفتاح المقاصد ، ومصباح المراصد) ، و (المقتبس) في القراءات ، إلى غير ذلك .

وولي القضاء باشبيلية مدة أولها في رجب من سنة ثمان وعشرين وخمسمئة ، فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه والتزامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلا أنه كانت له أحكام شديدة منها ما روي من أنه أمر مرة بثقب أشداق زامر فثقبت حتى أفسد زمره ، وكان له شرط يطلبون أهل الخمر فأتِيَ له يوماً برجل بيده كأس فيه خمر ، فسأله عنها فلقنه بعض الوزعة أن يقول إن عنده جارية نصرانية اشتراها لها ، فأطرق القاضي ملياً ثم رفع رأسه فقال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصَرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشتري ، والمشتراة له ، ثم لعنه وأمر من بحضرته بلعنه ، فاستمرت عليه اللعنة في نواحي إشبيلية حتى كان ذلك سبب نفيه منها ، قال بعضهم : واستمرار اللعنة على الرجل في نواحي إشبيلية إنما هو كرامة لابن العربي رضي الله عنه هـ .

وأُخذ من فعله هذا أن مذهبه جواز لعن العاصي المعين ، لكنه خلاف ما له في (الأحكام) عند قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار » الخ ونصه : فيها ثلاث مسائل ، ثم قال المسألة الثانية : فأما العاصي المعيَّن

فلا يجوز لعنه اتفاقاً لما رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم جيء إليه بشارب خمر مراراً فقال بعض من حضر : لعنه الله ما أكثر ما يؤتـى به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا للشيطان على أخيكم » ، فجعل له حرمـة الأخوة ، وهذا يوجب الشفقة ، وهذا حديث صحيح ، وأما لعن العاصي مطلقاً وهي المسألة الثالثة فيجوز إجماعاً لما روي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده » هـ. وحاصل ما ذكره في المسألة الأولى أن الصحيح عنده ، خلافاً لبعض أشياخه ، جواز لعن الكافر المعين بظاهر حاله كجواز قتله وقتاله ، قال : وكذلك إن كان ذمياً يجوز إصغاره فكذلك لعنه، ونقل الحطاب في (شرح مختصر خليل) عند قوله فيه : ولو قال يافلان فعل الله بك كذا لم تبطل ، عن ابن ناجي فى (شـرح الرسالة) ما محصله : أنه لا يجوز لعن المعين مطلقاً كافراً أو عاصياً ، ويجوز لعن غيره جمعاً بين الأحاديث فراجعه والله أعلم .

وكانت لصاحب الترجمة رحمه الله مسائل من هذا النمط، فأدّته شدته فيها إلى أن قامت عليه العامة ونهبوا داره وأخذوا كتبه وماله ، قال : ولولا أني تسترت بحريمي لكدت أن أكون كشهيد الدار يعني عثمان رضي الله عنه ، فأحسن الصبر على ذلك كله ، ثم صُرف عن القضاء وأقبل على نشر العلـم وبثه ، وقد أخذ عنه القاضي عياض باشبيلية ، قال في (الغنية) : واجتاز ببلدنا فكتبت عنه فوائد من حديثه وناولني كتاب (المؤتلف ، والمختلف) للدارقطني ، وحدثني به عن أبي الحسن الطيوري ثم قال : وحدثني بكـتاب (الاكمال في المؤتلف والمختلف) تأليف الأمين الحافظ أبي نصر ابن ماكولا عن أبي بكر محمد بن طرخان عنه ، وقرأت عليه مسألة الايمان اللازمة مـن تأليفه وأجازني جميع روايته ، ولقيته أيضاً باشبيلية وقرطبة ، ثم حدث عنه بالرباعيات التي يصير بها المحدث كاملا المروية عن البخاري ، وبقرطبة وفي اجتيازه بسبتة فناوله وكتب عنه واستفاد منه ، وأخذ عنه أيضاً أبو جعفر ابن باذش ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، وأبو عبد الله بن خليل ، وأبو الحسن ابن النعمة ، وأبو بكر ابن خير ، وأبو عبد الله ابن عبد الرحيم ، وأبو القاسم ابن حبيش ، وأبو القاسم السهيلي ، وعالَم من نمط هؤلاء الجِلة ، وآخر من حدث

عنه بسماع أبو بكر ابن حسنون ، وآخر من حدث عنه باجازة علي بن أحمد بن علي ابن عيسى الغافقي الشقوري نزيل قرطبة ، وذكر ابن الآبار أن الشيخ الزاهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الاشبيلي لازمه نحواً من ثلاثة أشهر ، ثم تخلف عنه فقيل له في ذلك فقال : كان يدرّس وبغْلتُه عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان ، قال القاضي عياض : ولكثرة حديثه وأخباره ، وغريب حكاياته ورواياته ، أكثر الناس الكلام فيه وطعنوا في حديثه هـ .

قال في (فتح الباري) ما نصه : ثم نقل شيخنا ، يعني أبا الفضل العراقي الحافظ ، عن ابن مسدي أن ابن العربي قال : حين قيل له لم يروه ، يعني حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى المغفر إلا مالك ، قد رويته من ثلاثة عشر طريقاً غير طريق مالك ، وأنه وعد باخراج ذلك ولم يخرج شيئاً ، وأطال ابن مسدي في هذه القصة ، وأنشد فيها شعراً ، وحاصلها أنهم اتهموا ابن العربي في ذلك ونسبوه إلى المجازفة، ثم شرع ابن مسدي يقدح في أصل القصة ، ولم يصب في ذلك ، فراوي القصة عدل متقن ، والذين اتهموا ابن العربي في ذلك هم الذين أخطأوا لقلة اطلاعهم وكأنه بخل عليهم باخراج ذلك لما ظهر له من إنكارهم وتعنتهم ، وقد تتبعت طرقه حتى وقفت على أكثر من العدد الذي ذكره ابن العربي ولله الحمد .

انتهى المقصود (1) .

ونص الشعر المذكور كما في نقل الزرقاني في (شرح الموطأ) عن نكت الحافظ ابن حجر :

يا أهل حمص ومن بها أوصيكمُ	بالبر والتقوى وصية مشفق
فخذوا عن العربيِّ أسمار الدجا	وخذوا الرواية عن إمام مُتقّي
إن الفتى ذَرِبَ اللسان مهذباً	إن لم يجد خبراً صحيحاً يخلق

وعنى بأهل حمص أهل إشبيلية هـ .

1) **فتح الباري** 4 : 51 .

وأما قول الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) بعد أن أنشد الأبيات المذكورة التي هي لخلف بن حبر الأديب ، وبعد أن سمّى من فقهاء إشبيلية أبا بكر ابن المجري نقلا عن (معجم ابن مسدي) : قلت هذه حكاية ساذجة لا تدل على جرح صحيح (1) ولعل القاضي وَهِمَ وسرى فكره إلى حديث فظنه هذا ، والشعراء يخلقون الأفك ، فهو قصور وتقصير كما علمت من كلام ابن حجر ، وانه لم يقع وهْمٌ من المترجم .

توفي المترجم رحمه الله منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة إشبيلية، فحبسوا بمراكش نحو عام، ثم سرحوا فأدركته منيته وهو في الطريق قاصداً لبلده قريباً من فاس بموضع غرب منها بينه وبينها مرحلة يقال له مَغيلة (2) بفتح الميم وكسر الغين المعجمة ومدها ، بسبب أنه أطعمه بعض رفقائه ممن أظهر أنه أراد القراءة عليه سمّاً في تمْرة أكلها فيقال إنه قال له : أطعمتنا في تمْرة قتلك الله ببقرة ، فنطحته بقرة فقتلته، وقيل انه مات برأس الماء (3) الهابط على مدينة فاس الذي يشقها بينها وبينه اثنا عشر ميلا، ثم انه احتمل على الأعناق ميتاً إلى فاس في اليوم الثاني من موته ، ودفن بها ، وكانت وفاته رحمه الله على الصحيح ليلة الخميس لثلاث خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة ، وقيل إن وفاته كانت في ربيع الآخر، قاله ابن بشكوال ، وقيل في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وقيل توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة ، ذكره بعض شراح الشفاء ، قال في (أزهار الرياض) وهو غير صحيح والله أعلم ، قال في (أنس الفقير) : وقبره بين المدينتين : فاس القديم ، وفاس الجديد ، وقد وقفت على قبره ولزيارته بركات هـ .

---

1) تذكرة الحفاظ 4 : 88 .

2) مدينة تاريخية بسهل سايس بين فاس ومكناس خربت أيام الموحدين ، كان الطريق بينهما يمر بها قبل أن يحول قليلا الى الجنوب فى بداية هذا القرن ، مازالت معروفة باسمها الى الآن ، ومازالت اطلالها ماثلة ترى عن يمين الذاهب من فاس الى مكناس عندما يسامت سوق المهاية .

3) ما زال معروفاً باسم راس الماء الى الآن ، بنى جلالة الملك الحسن الثانى على العيون التى تتفجر منه مربعاً ومصطافاً جميلا ، وبقربه محطة قطار بقرية تدعى أيضاً راس الماء .

وقال في في (نفح الطيب) ما نصه : وقع في عبارة ابن الزبير تبعاً لجماعة أنه دفن خارج باب الجيسة بفاس ، والصواب خارج باب المحروق كما أشبعت الكلام على ذلك في (أزهار الرياض) ، وقد زرته مراراً وقبره هناك مقصود للزيارة خارج القصبة ، وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته ، وقال إنه دفن بتربة القائد مظفر خارج باب القصبة ، وصلى عليه صاحبه أبو الحكم ابن حجاج رحمه الله تعالى هـ .

وقال في (أزهار الرياض) : قال القاضي أبو الحسن ابن الحسن النباهي في كتابه (المرقبة العليا ، في القضاء والفتيا) بعد أن ذكر ما قدمناه، أي عن ابن الزبير من مدفنه بباب الجيسة ما نصه : والصحيح في القاضي أبي بكر أنه إنما دفن خارج باب المحروق من فاس ، وما وقع من دفنه بباب الجيسة وهم من ابن الزبير وغلط ، وقد زرناه وشاهدنا قبره بحيث ذكرناه أرضاه الله وغفر لنا وله هـ .

وبه يعلم ما في إنكار غير واحد من طلبة العلم قبل هذا أن يكون هو المدفون بهذا الخارج ، وقالوا :إنما هو خارج باب الجيسة مغترين بهذا الذي ذكره ابن الزبير وغيره كالقاضي عياض في (الغنية) من أنه دفن خارج باب الجيسة ، وجوابه أن باب الشريعة لم يكن فتح في ذلك الوقت ، وإنما فتح على راس ستمئة، فكان ذلك الخارج كله ينسب لباب الجيسة، ولا يقال يرد هذا ما في بعض التواريخ من أنه دفن على مقربة من حارة الجذمي ، لأنا نقول الجذمي كانوا هناك قديماً حتى تضرر أهل فاس بسكناهم على رأس مائهم فنقلوا إلى الموضع المعروف خارج باب الجيسة ، فان قلت ابن العربي المعافري يكنى بأبي بكر وهذا المدفون خارج باب الشريعة ذكر بعضهم أنه اشتهر بأبي يحيى قلت : هما كنيتان مترادفتان على مسمًّى واحد ، كما ذكر ذلك العلامة ابن غازي في تأليفه المسمَّى بـ (الاشارات الحسان) فانظره .

وذكر بعضهم أن قبره كان عارياً بلا بناء ولا كبير احترام ، بل أدير عليه الحجارة المجموعة فقط ، ولما وقف السلطان أبو عنان المريني على المقالة الشنعاء التي نسبت له في كتابه (القواصم والعواصم) ، وهي أن الحسين بن

علي رضي الله عنهما قتل بسيف جده همّ في جانبه بأمر لا يسوغ وهـو أن يحرقه في قبره ، ثم إنه كُلـم في ذلك ونهي عنه لمكانته في العلم والديـن ، ولكون الفعل المذكور لا يسوغ فعله بأحد شرعاً ، ولأنه ربما تكون المقالة المذكورة مدسوسة عليه كما دسوا على غير واحد من الأكابر أشياء كثيرة ، وذلك هو اللائق بجلالته ، فرجع عما همّ به ، وفي (نصح ملـوك الاسلام) لابن السكاك أثناء ذكره لأبي عنان المذكور وما كان عليه من التشيع في حب آل البيت ، والتوسيع عليهم في المرتبات ما نصه : وكان قد همّ بتحريق قبر بعض الفقهاء لقولة أسندت إليه في آل البيت لـم تصح عنه ، وعلى تقديـر صحتها يتلطف في تأويلها وتخريجها على وجه يُذهِب سماجة ظاهرها وقبح صورتها ، فوجد بركة ذلك كله هـ .

وبقي قبره رحمه الله ورضي عنه على حاله إلى أن ولي الملك السلطان الأفخم والهمام الأعظم مولانا إسماعيل العلوي الحسني رحمه الله تعالى ووفد عليه إلى المغرب وفد المغافرة من بلاد الصحراء ، وتزوج منهم بالسيدة خناثة بنت بكار سيدهم يومئذ ، وبنَى بها فسألت عن قبر ابن العربي ، فأُخبرت به وبحاله فأمرت عامل فاس الروسي بموافقة بعلها مولاي إسماعيل على بنائه ، ففعل وبنى عليه الروضة القائمة البناء الآن ، وبالغ في إحكام صنعها وإتقانها وابدأعها وجعل على قبره بها دربوزاً وجعل في الحائط الموالي لرأسه خزانة مكتوبة بتاريخ ولادته ووفاته ، وجعلها السلطان المذكور روضة أمنٍ لمـن احترم بها من أهل الجنايات والفساد ، وصرف الصدقة التي تُهدى له على من يقوم بخدمتها ، واستمر العمل على ذلك مدة ، ثم صرفت للغير ، والأمر لله كيف ما شاء فعل (1) .

وفي (المقصد) مانصه : وذكر للشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي أحد مشاهير الصالحين الأموات وهو ابن العربي المعافري بالخصوصية فنفاها عنه ، وقال نحن أعطانا الله إدراك الشم نشم به روائحهم ، فذكر ذلك يوماً عند سيدنا أحمد ، يعني ابن عبد الله الأندلسي دفين خارج باب الفتوح رضي الله عنه ، فقال : إنما قال هذا تقريباً على المخاطب وعلى قدر فهمه ، وإلا فهو يعرفهم بشيء آخر .

---

1) جدد ضريحه سنة 1395 هـ (1975 م) صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى .

ولما عد بعضهم من أشياخ أبي يعزى ابـن العربي هذا كتب عليه العارف الفاسي بخطه هذا ليس بصحيح ، وان جوزه التاريخ ، فالمعروف من حال الجميع يمنه والباطن لا يمتد من مجرد الظاهر هـ .

قال في (المقصد) : يعني أن المعروف من حالهما أن الشيخ أبـا يعزى من أهل الباطن وابن العربي من أهل الظاهر فقط ، وأهـل الظاهر لا يستمد منهم أهل الباطن هـ .

والظاهر أن مراده بما ذكره أولا من نفي الخصوصية عنه ، وثانيـاً من أنه ليس له إلا مجرد الظاهر أنه ليس من أهل الخصوصية الخاصة المتعارفة عند خاصة الخاصة بحسب ما ظهر له هو كشفاً من حاله ، وما فهمه من مقاله ، وإلا ففضل ابن العربي لا يجهل ، ومكانته في الخير والصلاح والعلم والدين والصرامة في الحق لا تغفل ، وكفاه ذلك خصوصية وولاية ومكانة ومنزلـة وعنايـة ، وقد تقدم عـن صاحب (أنس الفقير) أن لزيارة قبـره بركات ، وعـده الشيخ العارف مـولاي العربي بن أحمـد الدرقاوي في رسائله مـن جملة أولياء هذه الحضرة ، بل عده فيها في محل آخر من شيوخ الطريقة ، وأمر بالبداءة به في (الزيارة) قائلا ما نصه : فاذا كنت بفاس أيها الفقير وأردت زيارة شيوخ الطريقة الذين هم هنالك ، فابدأ بسيدي المعافري الذي بين المدينتين البالية والجديدة حرسهما الله ، ثم سيدي علي ابن حرزهم ، ثم سيدي عبد الله التاودي ، ثم سيدي يوسف الفاسي ، ثم سيدي أحمد بن عبد الله ، ثم سيدي أحمد اليمني ، ثم سيدي علي الجمل أستاذنا وهو مـن بقيتهم هنالك هـ والله أعلم .

ترجمه ابـن بشكوال فـي كتاب (الصلـة) (1) وابن الزبير في (صلة الصلـة) ، والقاضي عياض فـي (الغنية) ، وابن خلكان فـي (وفيات الأعيان) (2) والذهبي في (طبقات الحفاظ) وصفه بالاجتهاد المطلق ،

---

1) **الصلـة** ص 590 ع 1297 .

2) **وفيات الأعيان** 4 : 296 ع 626 .

والحافظ في (بديعة البيان وشرحها) ، ومؤرخ الدولتين وابن فرحون في (الديباج) (1) والمقري في (نفح الطيب) (2) وفي (أزهار الرياض) (3) والشهاب وغيره من شراح الشفا، والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية) ، وابن القاضي في (الجذوة) (4) وصاحب (الروض) ، و (الشذرات) ، و (التحفة) القادرية) ، و (السلوة) (5) وغيرهم ممن لا يحصى ، وأشار إليه المدرع في منظومته فقال :

والشيخ ذو الاجلال قطب المغرب عمادنا محمد ابن العربي
يكْنَى أبا بكر لدى الجمهور وهو المعافري في المأثور
المفرد العادم للمثال في الحال والعمل والمقال .

وترجم في كتاب (الترجمة) لأبي الحسن عبد الرحمان بن أبي بكر ابن العربي ، وترجم في (بغية الملتمس) لوالد المترجم عبد الله ، وقد دفن معه بروضه جماعة من الأعيان .

مستملحة :

حكي أن القاضي أبا بكر ابن العربي رحمه الله بينما هو جالس في محل درسه ، إذ دخل شاب من الملثمين وبيده رمح فهزه فقال القاضي أبو بكر رحمه الله :

يهز عليّ الرمح ظبي مهفهف لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحاً واحداً لاتقيتُه ولكنه رمح وثان وثالث

---

1) الديباج المذهب ص 281 .

2) نفح الطيب 2 : 25 .

3) ازهار الرياض 3 : 62 و 86 و 95 .

4) جذوة الاقتباس ص 62 ع 268 طبع الرباط .

5) سلوة الأنفاس 3 : 198 .

وينظر عن ابن العربى ايضاً · شجرة النور الزكية 1 : 136 ع 408 و المرقبة العليا ص 105 و تذكرة الحفاظ 4 : 129 و شذرات الذهب 4 : 141 و بغية الملتمس ع 179 و المغرب 1 : 149 .

وقد اختلف الأدباء في معنى الرمح الثاني والثالث ، وأكثرهم يقول هما القد واللحظ ، والله أعلم ، قال في (زهر الأكم) : وهذا غاية في قوة العارضة مع انسجام وحسن سبك وصحة معنى مع الارتجال وصعوبة القافية ، وقد وقع إشكال للأدباء في الشعر وما أريد به ، وذلك من حيث استعمال الرماح في العيون ، وإلا فهو واضح هـ .

وقال بعضهم وللقاضي أبي بكر ابن العربي لما أحْرق المعتمد ابن عباد كتبه باشبيلية :

دعونيَ من إحراق رق وكاغد   وقولوا بعلم كي يرى الناس مَن يدرى
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي   تضمنه القرطاس بل هو في صدرى
يسير معي حيث استقلت ركائبي   وينزل إنْ أنزلْ ويدفن في قبري

انتهى .

ونسبها صاحب (النجم الثاقب) لغيره فانظره ، ونسبها بعضهم لابن حزم .

وله أيضاً

لئن أصبحت مرتحلا بجسمي   فقلبي عندكم أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى   لذا سأل المعاينةَ الكليم !

500) محمد بن عبد الله القنطري

محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن مفرج بن مسعود بن صنعون بن سفيان ، من أهل شلب يعرف بالقنطري ، ويكنى أبا القاسم ، وقنطرة السيف من الثغر الجوفي هي دار سلفه ، وبالنسبة إليها اشتهارهم .

سمع ببلده أبا بكر ابن غالب العامري ، وأبا الحسين ابن صاعد ، وعيسى ابن هيبه ، وأبا بكر الأمروشي ، وأبا الحسين ابن الطلاء ، وباشبيلية أبا الحكم ابن برجان ، وأبا بكر ابن العربي ، وبقرطبة ابن مغيث ، وأبا بكر ابن المرخي وابن أبي الخصال ، وأبا الحسن ابن الوزان ، وأبا جعفر البطروجي ، وأبا

بكر ابن ريدان ، وأبا الطاهر التميمي ، وأبا الحكم ابن غشليان ، وبالمرية ابن موهب ، وأبا الحجاج القضاعي ، وسمع ابن معمر المالقي وغيرهم ، وكان من أهل المعرفة الكاملة بصناعة الحديث بعيد الصيت في الحفظ والاتقان والضبط ، جمّاعة للدواوين والكتب من بيت فقه وحديث ، مشاركاً في فنون من العلم ، وقد شوور في الأحكام ، وله زيادة على ابن بشكوال في تاريخه قد كتبها بجملتها ابن الأبار ، حدّث عنه يعيش ابن القديم الشلبي وغيره ، وذكر ابن خير أنه أجاز له ما انفرد به دونه من الرواية ، قال : وتوفي بمراكش ليلة الأربعاء ، ودفن يوم الأربعاء الرابع من ذي الحجة سنة إحدى وستين وخمسمئة ، وصلى عليه الخطيب أبو محمد ابن عمران مع من كان هنالك من جيرانه أهل شلب يعني في وفادتهم على مراكش .

ترجمه ابن الأبار وصاحب (الذيل والتكملة) (1) .

501) محمد ابن شريح الرعيني

محمد بن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف بن عبد الله بن شريح الرعيني ، من أهل إشبيلية ، يكنى أبا بكر ، سمع أباه وصحب أبا بكر ابن العربي في وجهته إلى المغرب ، وكان من نبهاء بلده ووجوههم والمقدمين فيه بذاته وبسلفه ، قال ابن الأبار ولا أعلمه حدث ، وتوفي صدر يوم الخميس الرابع من جمادى الأولى سنة 563 ، ودفن إثر الصلاة بمقبرة مشكة لصق أبيه وجده ، وصلى عليه الخطيب أبو محمد ابن أبي الحكم ابن حجاج ، ومولده سنة 503 (2) .

وقد نص على صحبته لأبي بكر ابن العربي في وجهته إلى المغرب التي دخل فيها لمراكش في وفدة إشبيلية الذين وفدوا على عبد المومن بن علي الموحدي في (الحلل الموشية) أيضاً ، كما ترجم في (الغنية) وفي (الصلة) لأبيه القاضي شريح ، وهو أحد أشياخ مؤلفها وشيخ أبي بكر ابن

---

1) **التكملة** ص 498 ع 1377 و **الذيل والتكملة** 6 : 241 ع 700 .

2) **التكملة** ص 500 ع 1379 .

خير وقد أخرج عنه كثيراً في فهرسته ، كما ترجم في (بغية الملتمس) ، وفي (الصلة) ، و (نفح الطيب) لجده .

502) محمد بن عبد الله ابن ميمون العبدري

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري من أهل قرطبة يكنى أبا بكر ، روى عن أبي محمد ابن عتاب ، وابن رشد ، وابن طريف ، وأبي بحر ، وابن الحاج ، وأبي الحسن ابن بقي ، وابن مغيث ، وابن مكي ، وأبي عبد الله ابن أصبغ ، وعبد الجليل المقرىء ، وشريح ، وابن معمر ، وابن أخت غانم ، وأبي الحسن ابن الباذش وغيرهم ، وكان متقدماً في علم اللسان ، متصرفاً في غيره من الفنون ، حافظاً حافلا شاعراً مجوّداً ، خرج من بلده في الفتنة فنزل مراكش وأقرأ بها العربية والآداب ، وعُرف مكانه ، وله شرح في كتاب (الجمل) للزجاجي استعمله الناس ، و (معشرات) في الغزل كفرها بمثلها في الزهد وشرحها في سفر ضخم أفاد به ، حدث عنه يعيش ابن القديم وغيره ، وتوفي بمراكش عن إقلاع وإنابة سنة 567 بعضه عن ابن مومن .

ذكره في (التكملة) وقال فيها في ترجمة حسن بن محمد الأنصاري : إنه أخذ عن أبي بكر ابن ميمون القرطبي بمراكش ، وصحبه هنالك (1) .

وقال في (بغية الوعاة) ، في ترجمة المترجم ما نصه : قال في تاريخ غرناطة : استوطن مراكش وكان عالماً بالقراءات ذاكراً للتفسير ، حافظاً للفقه واللغة والأدب ، شاعراً محسناً كاتباً بليغاً مبرزاً في النحو ، جميل العشرة حسن الخلق متواضعاً فكه المحاضرة ظريف الدعابة ، روى عن أبي بكر ابن العربي ، وشريح وأبي الحسن بن الباذش ، وأبي الوليد ابن رشد ولازمه عشر سنين ، روى عنه يعيش ابن القديم ، وأبو زكريا المرجيقي وغيرهما ، ودخل غرناطة ، وألف شرحين على الجمل ، كبيراً وصغيراً ، وشرح أبيات

---

1) **التكملة** ص 511 ع 1396 .

الايضاح للفارسي ، وشرح المقامات ، و (مشاحذ الأفكار ، في مآخذ النظار) وغير ذلك ، كان يحضر مجلس عبد المومن مع جملة العلماء ويبدي ما عنده من المعارف إلى أن أنشد في المجلس أبياتاً كان نظمها في أبي القاسم عبد المنعم بن محمد ابن تيسيت وهي :

أبا قاسم والهوى جنـــــة	وها أنا من مسها لم أفِـــق
تقحمت جاحم نار الضلـــوع	كما خضت بحر دموع الحـــدق
أكنت الخليل أكنت الكليـــم	أمِنت الحريق أمنت الغـــرق

فهجره عبد المومن ومنعه من الحضور في مجلسه ، وصرف بنيه عن القراءة عليه ، وسرى ذلك في أكثر من يتردد عليه على أنه كان في المرتبـة العليا من الطاهرة والعفاف .

مات بمراكش يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة 567 وقد قارب التسعين (1) .

503) محمد بن عمر الشواشي الشلبي

قال ابن الزبير ، أستاذ مجيد في إقراء القرآن والعربيـة والأدب ، شاعر كاتب حج وعرف بالخير وله ثروة المريدين بالأندلس (2) .

مات بمراكش في شوال سنة تسع وستين وخمسمئة .

انتهى من (بغية الوعاة) .

504) محمد بن عبد الله ابن خليل القيسي

محمد بـن عبد الله بـن محمد ابن خليل القيسي من أهـل لبلة (3) سكن مراكش وصحب مالك ابـن وهيب وأخذ عنـه ولازمه ستة أعـوام ،

---

1) ينظر عن ابن ميمون أيضاً فى **الذيل والتكملة** 6 : 319 ع 836 .

2) الذى يظهر ان له كتاباً عن ثورة المريدين .

3) الروايـة هنا عـن ابن الأبار ، وقد عقب عليها ابن عبد الملك فى **الذيـل والتكملة** (6 : 305) بقوله : وقال أبو عبد الله ابن الأبار انه لبلى ، وأرى أن موهمه فى ذلك ظنه بعض بنى خليل اللبليين ، وليس منهم وهو قيسى ، وأولئك سكونيون .

وروى عن ابن الطلاع ، وخازم بـن محمد ، وأبي علي الغساني ، سمع منـه (صحيح مسلم) وغير ذلك ، وقد حدث عنه به وبغيره ، وعن أبي عبد الله ابن حمدين ، وأبي الحسين ابن سراج ، وأبي علي الصدفي وكتب إليه ، وأبي الحسن ابن الأخضر ، وأبي بكر ابن عطية ، وأبي محمد ابن عتاب ، وأبي بحر الأسدي ، وابن طريف ، وابن رشد ، وأبي عبد الله ابن أصبغ ، وأبي بكر ابن أسود ، وأبي محمد ابن السيد ، وأبي بكر ابن العربي ، وأبي الحسين ابـن الطراوة ، وأبي الحكم ابن بُرجان ، روى عنه تواليفه وسمع من أبي القاسم ابن جهور (مقامات الحريري) ، وكان من أهل الرواية والدراية ، نزل مدينة فاس ، ثم انتقل إلى مراكش واقـرأ وحدث ، وأخذ عنه جماعة منهم : أبـو عبد الله الأندرشي شيخ ابن الأبار ، وأبو عبد الله بن عبد الحق قاضي تلمسان ، ذكر أنه لقيه بمراكش وأجاز له في جمادى الآخرة سنة 569 ، وتوفي سنة سبعين بعدهـا (1) .

ذكره ابن الأبار في (التكملة) و (المعجم) ، وأسند من طريقه حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج حفصة أو بعض أزواجه فأوْلَم عليها تمْراً وسويقاً .

وقال فـي (الجذوة) : محمد بـن عبد الله بـن محمد ابن خليـل القيسي قال ابن الزبير : أحسبه من أهل قرطبة ، وقال ابن فرتون : من أهل إشبيلية ، ونسبه في موضع آخر إلى قرطبة وهو الأصح ، ذكره الشيخ الحافظ محمـد بن عبد الحق بـن سليمان في شيوخـه ، وكناه أبا عبـد الله ، أقام بمدينة فاس مدة وأخذ عنه بعض من كان بها ، ثم انتقل آخر عمره إلى مراكش وكُفَّ بصره ، وكان عالي الرواية ، متمكناً في الدراية ، شاذاً في المعارف ، وبرع في (مدارك العقول) بأبي عبد الله مالك بن وهيب عالم أهل زمانه، وقدوة أقرانه، لازمه ستة أعوام، وروى أيضاً عن أعلام جلة وشيوخ كبراء كابن الطلاع ، وأبي محمد ابن عتاب ، وأبي علي الغساني ، سمع منه (صحيح مسلم) وغير ذلك ، وأبي عبد الله ابن حمدين ، وأبي علي الصدفي ، وابن أبي

---

1) التكـملة ص 515 ع 1408 و الذيل والتكملة 6 : 305 ع 796 .

تليد ، وابن رشد ، وابن المناصف ، وابن العربي ، وأبي بكر ابن عطية ، وأبي الوليد ابن طريف ، وأبي الحسن ابن سراج بن أبي مروان ابن سراج ، وابن الأخضر ، وابن الطراوة ، وأبي محمد ابن السيد البطليوسي ، وأبي الحكم ابن برجان ، وأبي القاسم ابن جهور ، سمع عنه (مقامات الحريري) ، هؤلاء من سمى ابن عبد الحق من شيوخ ابن خليل وذكر ابن فرتون من شيوخه أبا القاسم خلف بن إبراهيم المعروف بابن النحاس ، وأبا بحر ، وابن خليل آخر من حدث عن حازم ، وابن الطلاع والغساني ، وابن سراج ، وابن حمدين، وابن برجان ، روى عن ابن خنيل هذا محمد بن عبد الحق قاضي تلمسان ، وأبو عبد الله الأندرشي ، ويعيش ابن القديم وهانيء ابن هانيء ، والخطيب يحيى بن عبد العزيز ابن عزون الفاسي ، قال ابن الزبير وآخر مَن حدث عنه شيخنا أبو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ابن عامر ، وأجاز له سنة سبعين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش آخر هذه السنة التي أجاز فيها ، انتهى (1) .

ذكره في (الشذرات) ونقل بعض كلام ابن الأبار .

505) محمد بن حسين ابن حبوس الفاسي

محمد بن حسين بن عبد الله ابن حبوس الفاسي ، وحبوس مولى بني أبي العافية الذين ملكوا المغرب الأقصى أيام بني أمية الأندلسيين فمَن بعدهم ، وأصلهم من بني مقرول بن تسول إحدى القبائل اللائي بحومة تازة ، وكان موضع بني أبي العافية حاضرة سلطانهم إلى أيام يوسف بن تاشفين ، فانتقض ملكهم ، وانتثر سلكهم ، وذهبت أيامهم ، وتلك عادة الله وسنته في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

روى ابن حبوس عن ابي بكر الأبيض ، روى عنه أبوا محمد بن محمد التادلي ، وعبد العزيز بن علي ابن ريدان ، وكان شاعراً مفلقاً من جلة فحول الشعراء ، متفنناً في معارف سوى ذلك من كلام ونحو ولغة ، ولد بفاس ونشأ

---

1) جلوة الاقتباس ص 265 ع 273 .

بها ، وتأدب بالعلماء من أهلها والطارئين عليها ، وقال : الشعر في صباه ، ثم رحل إلى تلمسان فأقام بها يسيراً ، ثم رحل إلى مراكش فأقام بها قليلا ، ثم قدم الأندلس فتردد في بعض بلادها معظم عصر شبيبته إلى أن ظهر أمر عبد المومن بالعدوة ، واستولى على مراكش ... بانتقال عبد المومن يصحب ركابه ويسير معه في حركاته ... عبد المومن من فتح المهدية سنة أربع وخمسين وخمسمئة ، فأقام ... عاد إلى فاس فاستوطنها ، وله في عبد المومن وبنيه أمداح ، ... عبد ... المومن ، وقد حل برباط الفتح من قصيدة :

الا أيهذا البحر جاورك البحـــر ... وخيم في أرجائك النفع والضـــر
وجاش على أمواجك الحلم والحجا ... وفاض على أعطافك الامر والأمـر
وسال عليك البر خيلا كُماتهـــا ... إذا حاولت غزواً فقد وجب النصر
وليس اشتراك اللفظ يوجب مدحة ... ولكنه ان وافق الخَبَرَ الخُبْـــر
فما لك من وصف تشاركه بـــه ... سوى خدع فيالنطقزخرفها الشعر
ومالك من معنى يشير الى التـــي ... تفوه به إلا السلاطة والعــــذر
فأنت خديم البدر والشمس عنوة ... وتخدمه في أمره الشمس والبـدر
ويحويك شطر الأرض تعمر بعضه ... وفي صدره الأفلاك والبحر والبـر

ومن هذه القصيدة :

هنيئاً لأهل الغرب ان حلها امـرؤ ... به تصلح الأيام إن فسد الدهـــر
وبشرى لهذا السيف ما لحـــده ؟ ... لقد بهرت فيه السماحة والبشـر

ومـنهـا :

بني فرقة أم البلاد فكلهـــــــا ... يسح عليه من مراضعهـــــا در
تكنفها الملئان من كل جانـــــب ... نقيضان ذا حلو المذاق وذا مـــر
فهذا عليه المد والجز دائبـــــاً ... وذلك لا مد عليه ولا جـــــــزر

ومـنـهـا :

غدت نقطة في ضمن دائرة الدنـــا ... فلا أفق ينآني عليها ولا قطـــــر
فمن حيث ما رمت الجوانب نلتهـا ... بيسر ولا كد عليك ولا عســـــر

فذلك أعماق الجسوم وطولهـــا وان بعدت يعني بامدادها السحـر

يفوح تراب الأرض من طيب نشره ففي معطش الأيام من طيها نشـر

... بموطيء رجلـــه وتحسده فيه الفرائد والنســر

... فيه ولا كمـــا تنافس شهر الصوم كرم والفطـر

... من جل همهـــا إذا احتل شهر انه ذلك الشهـر

... التوحيد ، والزهد ، والتمسك بالسنة :

... ظماءك في شريعة أحمــد تسقى اذا ما شئت غير مصــرد

... أعطان الديانة علهـــا تدنيك من حوض النبي محمــد

... بالنبوة واقتبس من نورهـا واسلك على نهج الهداية تهتــد

وإذا رأيت الصادرين عشيـــة عن منهل الدين الحنيف فـأورد

الدين دين الله لم يعبأ بمبـــ ـــتدع ولم يحفل بضلة ملحـد

قالوا بنور العقل يدرك مـاورا ء الغيب قلت قدى من الدعوى قـد

بالشرع يدرك كل شيء غائـب والعقل ينكر كل ما لم يشهـد

من لم يحط علماً بغاية نفســه وهي القريبة ، مَن له بالأبعـد ؟

ولقد نرى الفلك المحيط وعلم مـا في ضمنه أعيا على المترصـد

سعد المجرة بالكواكب دائـم في زعمهم وقسيمها لم يسعـد

مَن خص بالسفليّ جرمَ البدر أم مَن خص بالعلويّ جرمَ الفرقـد

ما شاهق الطود المنيف وإن عـلا الا بمنزلة الحضيض الأوهـد

وجواز عكس الأمر في ذا واضـح للعقل فازدد من يقينك ترشـد

ذاك اختصاص ليس يعلم كنهـه من ليس يوصف بالبقاء السرمـد

خفض عليك أبا فلان انهـــا نوب تطالعنا تروح وتغتــدي

سالت علينا للشكوك جـداول بعد اليقين بها ولما تنفـد

وتبعقت بالكفر فينا السـنٌ لا تفقد التضليل من لم تفقـد

أعداؤنا في ربنا أحبابنـــا جرحوا القلوب واقبلوا في العـود

كشف القناع فلا هواد ترينـنـا حتى نغادرهم وراء المسقـد

ستنالهم منا الغداة قـوارع ان لم تغلهم غولها فكان قـد

وتصوب فيهم سحبنا بصواعـق ... تلك التي جلبت منية أربـد
من كان يضربهم بسيف واحـد ... فـأنـا أضـرب ...
ولعمر غيرهم وتلك أليـة" ... إن الحِمامَ لجمعهم بالمرصِـد
قالوا الفلاسف قلت تلك عصابـة ... جـاءت مـن الدعـوى . . . . . .
خدعت بألفاظ تروق لطافـة ... فاذا طلبت حقيقة لم توجـد
ذو علمهم لو كان شاهد علمنـا ... ورأى جهابذة الكـلام ...
لعراه من حسن هنالك لؤلـؤ ... وأقام بين تحير وتبلـد
اسفى ولو أني نصرت عليهـم ... للثمت في المهجات كل مهنـد
يلغي كتاب الله بين ظهورهـم ... وجميع مسنون النبي محمـد
يا قاتل الله الجهالة انهـا ... ورق لأغصان الشباب الأملـد

ومنه في الوصايا ، والامثال وذم الزمان :

رد الطرف حتى توافي النميـرا ... فرب عسير أتاح اليسيـرا
وارسل قلوصك طوراً شمـالا ... وطوراً جنوباً وطوراً دبـورا
وشن على غازيات البـلاد ... من النص والرمل جيشاً مغيـرا
وفر ماء وجهك حتى تجـم ... وأطف السَّموم به والهجيـرا
وطر حين أنت قوي الجنـا ... ح لا عذر عندك أن لا تطيـرا
ولا تقعنَّ وأنت السليـ ... ـم حيث تضاهي المهيض الكسيرا
فأم الترحل تدعى وليـدا ... وأم الاقامة تدعى نـزورا
وذو العجز يرضع ثدياً حـدودا ... وذو العزم يرضع ثديـاً درورا
يعزُّ على النبل أني غـدوت ... أكنى أديباً وأسمى فقيـرا
واني ثبت لكف الزمـان ... يعرق عظمي عرقاً مبيـرا
وما ذاك أنيَّ هيابـة ... أخاف الرحيل واشنا المسيـرا
ولكن بحكم زمان عـدا ... يحطُّ الجيادَ ويُسمي الحميـرا

قال المصنف عفا الله عنه : أغفل من بيت: (وأرسلْ قلوصَك.) ناحيةَ الشرق وهي فضلاها ، فبان بذلك نقصه ، وأرى أنه لو قال في بيتين :

وارسل قلوصك طولا وعرضـــا دجى أو ضياء سُرى أو مسيـــرا
وطوراً جنوباً وطوراً دبـــورا

... لو في الجهات الأربع فكان أتم ، فتأمله والله الموفق .

وفي (الاعتبار) :

... حمامه عبــــــــرة وانما يعتبر العاقــــــــل
يذكر بالكونين من جنــــة ومن جحيم ذكرها هايــــل
وإنما يعرض أنموذجـــــا من ذا وذا لو نبه الغافــــل
نعيمه فيه الشقاءُ الـــــدي يشفق منه العالم العامــــل
تكاد نفس المرء من حـــره تزول لولا أنه زائــــــل
يا صاحبي والجد لي شيمـــة وليس من أصحابي الهـــازل
نحن طلبان فبادر بنـــا من قبل أن يقنصنا الحابـــل
بحر سلمنا منه في ساحــــل فما ترى إن عمر الساحــــل ؟
في حيث لا تنجي الفتى حيلـــة سواء الفارس والراجــــل

وشعره كثير وقد جمع له بعض أصحابه المختصين به ما علق بحفظه منه أو أحضره ذكره ، أو اسأرته عوادي التنقل والاضطراب إلى آخر ربيعي ستين وخمسمئة ، فناهز ذلك ستة آلاف بيت وخمسمئة بيت ، وقد وقفت منه على مجلد متوسط .

ولد سنة خمسمئة ، وتوفي سنة سبعين وخمسمئة .

ذكره في (الذيل والتكملة) ، واختصر في ترجمته في (التكملة) فذكر فيه أربعة أسطر (1) .

506) محمد بن عبد الرحمان ابن طاهر القيسي

محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الرحمان بن طاهر القيسـي ، من أهل مرسية ورئيسها في الفتنة ، يكنى أبا عبد الرحمان ، تفقه ببلده عند أبي جعفر ابن أبي جعفر ، ورحل إلى قرطبة فلقي أبا مروان ابن مسرة

1) **التكملة** 2 : 677 ع 1711 .

وطبقته ، وسمع من أبي الوليد ابن الدباغ ، وأبي القاسم ابن ورد ، وأبي محمد ابن عطية ، وأبي بكر ابن برنجال ، وأجاز له ابن العربي وغيره ، وكان يذهب في جميع ما يحمله إلى الدراية وإدراكها بقراءته ، ثم طالع العلوم القديمة فبرز فيها ، وصار إماماً من أيمتها ، ورأس بمرسية بعد انقراض الملثمين يسيراً ، ثم تخلى عن ذلك وتلون للناس رغبة في السلامة ، وتوفي بمراكش سنة أربع وسبعين وخمسمئة .

نقله ابن الأبار عن ابن سفيان (1) .

507) محمد بن محمد الشريف الادريسي السبتي

محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس السبتي ، الشريف الادريسي ، من نسل الادريسيين الحسنيين الذين استولوا على غربي إفريقيا الشمالية من 172 إلى 314 ، المولود سنة 494 في مدينة سبتة ، وكان التجأ إليها جده بعدما خُلع من الملك ، وأتى الأدريسي هذا في صباه إلى قرطبة وساح في الأندلس وشمال افريقيا وآسيا الصغرى ، وأتى إلى جزيرة صقلية تلبية لصاحب ملكها روجرس الثاني ، وألف وهو مقيم فيها كتابه الذي فرغ من تأليفه سنة 549 المسمى (نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق) وهو وصف إفريقيا والأندلس ، قد طبع في لايدن باعتناء دوزي ودى جويه مع ترجمة فرنساوية وشروح ، واستخرج آماري الايطالياني كل ما قاله الادريسي في وصف إيطاليا وعنى بطبعه على حدته سنة 1883 م في رومية مع ترجمة إيطاليانية وشروح ، وللادريسي أيضاً (وصف فلسطين وبر الشام) طبع طبعاً في بون على نهر الراين سنة 1885 م في 28 صحيفة ، وقد اعتمد كتابه (النزهة) الأيمة ، وهي مرتبة على الأقاليم السبعة ، أورد فيها أوصاف الأحوال .

قال في (كشف الظنون) والمعروف أنه اختصره بعضهم هـ .

---

1) **التكملة** 2 : 521 ع 1418 وانظر أيضاً **الذيل والتكملة** 6 : 338 ع 896 .

وتقدم بعض الاشارة إلى ترجمته في المقدمة نقلا عن (وفية الاسلاف) عند ذكر أغمات ايلان ، وتقدم النقل عن المترجم أن واديَ أغمات وريكة ربما جمد في الشتاء بها حتى يجتاز الأطفال عليه ، وأن ذلك عاينه بها غير مرة ، وتقدم أيضاً وصفُه لمراكش وصفَ مشاهدٍ لها (1) .

وقال في (رسائل البشرى) : ومنهم العلامة الشهير محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الادريسي ، ولد سنة 1099 ميلادية ، وتوفي في صقلية سنة1180 ، أخذ في قرطبة من علمائها ، واشتهر في فنون الهيأة ، والجغرافية ، والفلسفة ، والطب ، والنحو وقرض الشعر ، طاف ببلاد مصر والمغرب وآسيا الصغرى ، والقسطنطينة، والأندلس ، وفرانسا، وانكلترا، ثم دعاه إليه ملك صقلية وقتئذ المسمى روجرس الثاني فاصطنع له إجابة لطلبه كرة أرضية من فضة وكتب عليها بأحرف عربية كل ما عرفه من البلدان ، وشرح ما كتبه بها في كتاب سماه (نزهة المشتاق في أخبار الآفاق) ، ووصف فيه نباتات كل قطر، وقد ترجم إلى اللغة الفرانساوية وطبع باللغة العربية في روما سنة 1593 م هـ .

أما ذكره لسنة 1099 ميلادية لسنة ولادته فيوافقها سنة 494 من الهجرة النبوية ، وأما ذكره لسنة 1180 في وقت وفاته فيوافقها عام 576 من الهجرة ، وأما ذكره سنة 1593 م سنة طبعه فيوافقها عام 1003 من الهجرة .

وقال في (النخبة الأزهرية) : ثم الشريف الادريسي صاحب (نزهة المشتاق) المولود بسبتة في القرن الحادي عشر ، ضمنه شرح الكرة هـ ، يعني أواخر القرن الحادي عشر الميلادي الموافق لأوائل القرن الخامس الهجري كما تقدم (2) .

508) محمد بن عبد الله ابن الغاسل

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد المقري ، من أهل غرناطة يعرف بابن الغاسل ، ويكنى أبا عبد الله، ... ذكر أنه لقيه (3) بمراكش، وأجاز

---

1) أنظر 1 : 61 من هذا الكتاب .

2) ينظر عن الشريف الادريسى **ذكريات مشاهير المغرب** ع 24 .

3) كذا فى الأصل ولا ندرى على من يعود الضمير .

له النميري وصحبه طويلا ، وهو علمه ، وأفاده ، وندبه إلى لقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، ورحل به للسماع منهم ، وكان ابن خاله ، فلقي من المقرئين أبا الحسن ابن الباذش ، وابنه أبا جعفر ، وأبا الحسن ابن ثابت ، وأبا القاسم ابن الفرس ، وأبا الحسن ابن لب ، وأبا بكر ابن الخلوف ، وأبا الحسين شريح بن محمد ، وعليه اعتمد في القراءات ، ومنه سمع كثيراً من تواليفه ولقي من جلة المحدثين وغيرهم أبا الحسن ابن مغيث ، وأبا القاسم ابن بقي ، وأبا بكر ابن العربي ، وأبا عبد الله مكي ، وأبا الوليد ابن بَقْوَة ، وأبا إسحاق ابن حبيش ، وأبا بكر ابن طاهر ، وأبا محمد ابن عطية ، وأبا بكر ابن بشر ، وأبا محمد النفزي المرسي ، وأبا بكر ابن بَرْنْجال ، وأبا محمد ابن أيوب ، وأبا بكر ابن فورتش ، وأبا الحسن ابن الوزان وغيرهم ، فسمع منهم وأجازوا له ، وممن لم يلقه فكتب إليه أبو محمد ابن عتاب ، وأبو بحر الأسدي ، وابن طريف ، وابن السيد ، وابن موهب ، وابن زغيبة ، وابن ورد ، وابن معمر ، وابن عفيف ، وأبو مروان الباجي ، وأبو الوليد ابن الحجاج ، وأبو بكر ابن فتحون ، وأبو عبد الله ابن وضاح ، وابن الطاهر الاشتركوني ، وأبو عبد الله الحمزي ، وأبو الحسن ابن هذيل ، وأبو عبد الله البونتي ، وأبو إسحاق ابن ثبات ، وأبو عبد الله ابن عبد الرزاق ، وأبو طاهر السلفي من الأسكندرية .

وكان مقرئاً ، فاضلا ، محدثاً ، حافلا ، حسن الخط ، جيد الضبط ، أخذ عنه ، قال ابن الأبار بعد إيراد ما تقدم : ونقلت أسماء شيوخه من خطه في (إجازته) لأبي الحسن الفهمي الضرير سنة سبعين وخمسمئة .

وكانت وفاته بعد ذلك بمدة (1) .

509) محمد بن عبد الملك ابن طفيل القيسي

محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي أبو بكر الوزير الشهير طبيب يوسف بن عبد المومن الموحدي ، ولد بالأندلس سنة 494 واشتهر بالطب

---

1) قال ابن عبد الملك فى **الذيل والتكملة** 6 : 319 ع 801 : توفى ليلة الاثنين عشرة جمادى الاخرى سنة 577 وليس فيها ولا فى **التكملة** (2 : 517 ع 1413) ما يدل على أنه دخل مراكش .

والفلسفة والشعر ، له رسالة تدعى (حي بن يقظان) وهي تشتمل على أشهر آراء العرب الفلسفية ، ويقال انه أخذها عن ابن سينا وهي مطبوعة غير مرة ومتداولة ، وكـان حاذقاً بصناعة الطب والجراحات ، قال فـي (المعجب) عنـد ذكر يوسف بن عبـد المومن الموحدي : ولـم يزل يجمع الكتب مـن أقطار الأندلس والمغرب ويبحث عـن العلماء وخاصة أهـل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب ، وكان ممن صحبه من العلماء المتفننين أبو بكر محمد ابن طفيل أحد فلاسفة المسلمين ، كان متحققاً بجميع أجزاء الفلسفة ، قرأ على جماعة من المتحققين بعلم الفلسفة منهم محمد ابن الصائـغ المعروف عندنـا بابن باجه وغيـره ، ورأيت لأبي بكر هـذا تصانيف في أنواع الفلسفة ، مـن الطبيعيات والالاهيات وغير ذلك ،فمـن رسائله الطبيعيات رسالة سماها (رسالة حي بن يقظان) غرضه فيها بيان مبدإ النوع الانساني على مذهبهم ، وهي رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة في ذلك الفن ، ومن تصانيفه الالاهيات (رسالة في النفس) ، رأيتها بخطه رحمه الله ، وكان قد صرف عنايته في آخر عمره إلى العلم الالاهي ونبذ ما سواه ، وكان حريصاً على الجمع بين الحكمة والشريعة معظماً لأمر النبوات ظاهراً وباطناً، هذا مع اتساع في العلوم الاسلامية، وبلغني أنه كان يأخذ الجامكية (1) مع عدة أصناف من الخدمة من الأطباء ، والمهندسين ، والكتاب ، والشعراء ، والرماة ، والأجناد إلى غير هؤلاء من الطوائف ، وكان يقول : لو نفق عندهم علم الموسيقى لأنفقته عليهم ، وكـان أمير المومنين يوسف شديد الشغـف به والحب له ، بلغني أنه كان يقيم في القصر عنده أياماً ليلا ونهاراً لا يظهر ، وكان ابن طفيل هذا احدى حسنات الدهر في ذاتـه وأدواته ، انشدني ابنـه يحيى بمدينة مراكش سنة 603 من شعر أبيه رحمه الله :

ألمَّت وقد نام المشيح وهوَّمـا — وأسرت إلى وادي العقيق من الحما
وجرَّت على ترب المحصب ذيلهـا — فما زال ذاك الترب نهباً مقسمـا
تناوله أيدي التجار لطيمـة — ويحمله الداريُّ أيان يمَّمـا
ولما رأت أن لا ظلام يجنهـا — وأنَّ سراها فيه لن يتكتمـا

1) الـراتـب .

نضت عذبات الريط عن حر وجهها — فأبدت محيًّا يدهش المتوسما
فكان تجليها حجاب جمالها — كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلما
ولما التقينا بعد طول تهاجر — وقد كاد حبل الود أن يتصرما
جلت عن ثناياها وأومض بارق — فلم أدر مَن شق الدجنة منهما ؟
وساعدني جفن الغمام على البكا — فلم أدر دمعاً أيّنا كان أسجما
فقالت وقد رق الحديث وأبصرت — قرائن أحوال أذعن المكتما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهبا — يهوّن صعباً أو يرخّص مأتما
فامسكت لا مستغنياً عن نوالها — ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما

ومن شعره في الزهد رحمه الله ما قرأ عليَّ ابنه من خطه في التاريخ المذكور :

يا باكياً فرقة الأحباب عن شحط — هلاّ بكيتَ فراق الروح للبدن ؟
نور تردد في طين إلى أجل — فانحاز علواً وخلّى الطين للكفن
ياشد ما افترقا من بعد ما اعتلقا — أظنها هدنة كانت على دخن
ان لم يكن في رضى الله اجتماعهما — فيالها صفقة تمت على غبن

وأنشدني بعض أصحابنا من الكتاب له رحمه الله :

ما كل من شم نال رائحة — للناس في ذا تباين عجب
قوم لهم فكرة تجول بهم — بين المعاني أولئك النجب
وفرقة في القشور قد وقفوا — وليس يدرون لب ما طلبوا
لا غاية تنجلى لناظرهم — منه ، ولا ينقضي لهم أرب
لا يتعدى امرؤ جبلته — قد قُسمت في الطبيعة الرتب

ولم يزل ابن طفيل هذا يجلب إليه العلماء من جميع الأقطار وينبه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم ، وهو الذي نبهه علي محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد (1) .

---

1) **المعجب** ص 145 طبع سلا .

وقال في (تذكرة المحسنين) ما نصه : صاحب الأرجوزة محمد بن عبد الملك ابن طفيل القيسي الوادآشي توفي سنة 481 بمراكش وهو غلط واضح ، فانه توفي سنة 581 ، وقيل توفي سنة 578 ، وسياتي ذكره في ترجمة ابن رشد الحفيد (1) .

تنبيــه :

قد حرف الافرنج اسم المترجم بنقله إلى لغتهم وقالوا فيه : أبو باسي كما سموا ابن سينا أفيسنا ، وابن رشد أفيرويس ، وأبا حامد الغزالي الغازل، وأبا بكر ابن باجه المعروف بابن الصائغ أفمباس .

510) **محمد ابن إسماعيل الهواري** ، من أهل أغمات وريكة، قدم مراكش متوجهاً إلى مكة فمات بها قرب الزوال يوم السبت الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام أحد وثمانين وخمسمئة،وكان عبداً صالحاً على سنن أهل الفضل والدين، نسخ (الاحياء) للغزالي فعمل به واستعمل ما فيه من الاذكار والادعية والأوراد، فلم يخل بشيء من ذلك ، وكان إذا صلى الصبح قعد في مصلاه إلى أن يصلي الضحى، فيصلي الضحى إلى أن يتعالى النهار، ثم يصلي الظهر فلا يزال مصلياً إلى أن يصلي العصر ، ثم يقعد في المسجد إلى قرب غروب الشمس، وما سكن قط بأغمات إلا بالكراء ، ولا اتخذ فيها ضيعة ، فقيل له في ذلك فقال : أخاف أن اكتسب ملكاً فأحتاج إلى مصانعة العمال .

قال في (التشوف) : حدثني أبو بكر بن عبد الرحيم قال : سمعـت حسن بن عبد الله يقول : كان محمد بن إسماعيل يصلي الضحى بثمانية أحزاب من القرآن على الدوام لا يخالف ذلك، وحدثني علي بن عيسى قال: بعث القاضي أبو حفص ابن عمر إلى محمد بن إسماعيـل وكان صديقه ، فلما وصل إليـه قال له القاضي : بقيت ثلاثة أيام لم يطب لي فيها طعام ، فقال له : ولم ذلك ؟ قال : لأن العامل كتب أحباس المسجد ليرفعها وأنا أرغبه ثلاثة أيام ألا يفعل

---

1) ترجمه ابن عبد الملك فى **الذيل والتكملة** 6 : 407 ع 1089 فى اربعة اسطر ، وابن أبى أصيبعة فى **طبقات الأطباء** 2 : 78 وابن الأبار فى **تحفة القادم** رقم 43 .

فلجً في ذلك وكتبها في زمامه ، فقال له الهواري : أنت تدافع عن الله تعالى من يحاربه انما ينبغى لك أن تنصر مخلوقاً مثلك فان الناقد بصير وهو يدافع عن بيته ، ثم دعا على العامل فأصابته ذبحة من ليلته فأصبح ميتاً ، وحمل إلى مراكش في السَّحر ، فسمعت مولاته تقول : لقد كان دخول أغمات علينا مشؤوماً ، وهي تنوح على مولاها ، قال أبو الحسن : وكان بأغمات رجل يتجسس على الناس في أملاكهم ، فجاء الناس إلى الهواري وهو في المسجد فشكوه إليه ، فدعا عليه فمكث ثلاثة أيام فبات ذلك المتجسس مع قوم فذبحوه وأراحهم الله تعالى منه (1) .

511) محمد بن علي بن مروان

محمد بن علي بن مروان قاضي مراكش ، قال في (الشهب اللامعة) : من وضع العقاب على نسبة العاقب ما روي من أن الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص كان تزوج أخت الأمير يعقوب المنصور وأقامت عنده ثم حدثت بينهما منافرة ، فجاءت بيتَ أخيها ، وسير الشيخ عبد الواحد في طلبها وامتنعت عليه ، فشكا ذلك إلى قاضي الجماعة بمراكش ، وكان إذ ذاك محمد بن علي بن مروان ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له : إن فلاناً طلب أهله ، فسكت الأمير ومضى على ذلك أيام ، ثم إن عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور بقصر الأمير وأعاد طلب أهله ، فأنهى القاضي ذلك إلى الأمير فسكت ولم يجمعه بأهله إلا في الثالثة ، وهذا السكوت هنا نوع حسن من العقاب على عدم إرضائه لأهله ، وأمثال هذا كثير (2) .

512) محمد بن عبد الله ابن الجد الفهري

محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج ابن الجد الفهري ، الفقيه الحافظ المستبحر من أهل أشبيلية ، ودار سلفه لبلة من كورها وبها ولد ، يكنى أبا بكر .

---

1) التشوف ص 260 ع 118 و السعادة الأبدية 2 : 116 .

2) هذه الترجمة الحقها المؤلف بعد طبع المحمدين فى الأجزاء الخمسة الأولى المطبوعة بفاس .

وسمع ببلده من أبي الحسن ابن الأخضر، ودرس عليه (كتاب سيبويه)، وأخذ عنه كتب اللغة ، والأدب ، والغريب ، وسمع من أبي القاسم الهوزني (صحيح مسلم) ، ومن أبي الحسن شريح بن محمد ، وأبي القاسم ابن منظور ، ولقي بقرطبة أبا محمد ابن عتاب ، وأبا الوليد ابن رشد ، وأبا بحر الأسدي ، وأبا الوليد ابن طريف فحمل عنهم ، وناوله ابن رشد منهم كتاب (البيان) و (المقدمات) من تآليفه ، وسمع من أبي بكر ابن العربي (جامع الترمذي) وغير ذلك ، وكان لا يحدث عنه ولا عن شريح والهوزني ، وعني في أول أمره بالعربية فبرع فيها وعزم على الاقتصار عليها والتصدر لاقرائها ، ثم مال إلى دراسة الفقه ومطالعة الحديث والاشراف على الاتفاق والاختلاف بتحريض أبي الوليد ابن رشد إياه على ذلك وندبه إليه لما رأى من سداد فطرته واتقاد فطنته ، فبلغ الغاية ونفع الله به ، وانتهت إليه الرياسة في الحفظ والفتيا ، وقدم للشورى مع أبي بكر ابن العربي ونظرائه من الفقهاء حينئذ باشبيلية في سنة 521 وأبو القاسم ابن ورد يلي قضاءها ، وتمادى به ذلك نيفاً على ستين سنة في ازدياد سمو الرتبة واطراد تمكن الحظوة عند الملوك مع أنه امتُحن وسُجن وقيد .

وكان في وقته فقيه الأندلس ، وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مدافع ولا منازع ولا يدانيه أحد في ذلك ، واستفاد ثروة عظيمة ، وإليه كانت رياسة بلده والانفراد بها ، ثم ورثها عقِبُه بعده مع اشتغاله بالتدريس والاسماع وإن لم يكن الحديث شأنه ، وكان فصيحاً ، خطيباً ، مفوهاً ، يبلغ بالبديهة ما لا يبلغ بالروية ، أخذ عنه جلة أهل الأندلس والعدوة ، ورحلوا إليه وانتفعوا به ، ولم يشتغل بالتأليف على غزارة حفظه ومَعانة مادة علمه ، ووقف له ابن الأبار على (مجموع في الزكاة) أملاه قديماً حمل عنه وسمع منه ، وتوفي باشبيلية ليلة يوم الخميس الرابع عشر من شوال سنة 586 وهو ابن تسعين سنة ، واشهر مولده بلبلة في شهر ربيع الأول سنة 496 .

ترجمه ابن الأبار (1) .

---

1) **التكملة** 2 : 542 ع 1469 وانظر ايضاً عنه **الذيل والتكملة** 6 323 ع 840 **والمغرب** 1 : 343 **والديباج المذهب** ص 302 .

وذكر في (الحلل الموشية) أن الفقيه أبا بكر ابن الجد من وفد إشبيلية الذين قدموا على عبد المومن بن علي صحبة أبي بكر ابن العربي في وجهته إلى المغرب التي دخل فيها لمراكش ، وذكر في (الاستقصا) أن المترجم كان من الفقهاء الذين كانوا يجالسون المنصور الموحدي ويسامرونه ، وترجمه في (الشذرات) .

513) محمد بن محمد ابن باز اليحصبي

محمد بن محمد بن علي ابن باز اليحصبي ، من أهل بلس المعروفة بالسكة ، عمل بسطة ، أديب شاعر ماهر ، كان قاضياً ببلده ، وبه مات في سنة 587 ، سمع أبا القاسم ابن حبيش وغيره ، وحدث عنه بعض أصحاب ابن الأبار ، وذكر أنه قرأ عليه (مقامات الحريري) .

قال في (بغية الملتمس) :
أنشدني رحمه الله من قوله في لابس ثوب أخضر :

وكم قائل لم يدر وجدي ولوعتي — أرى لك في خضر الملابس مذهبا
فقلت له بل فاض دمعي صبابة — فعادت ثيابي من بكائي طحلبا

وصل الحضرة الامامية يعني مراكش في سنة 567 ، ومدحها بقصائد مطولة ، ونال من بركتها المباركة ، أنشدني منها قصيدة منها :

نهضوا ليوم الفتح في صولاتهم — بلغوا من الأبطال آلفَ مَلأم
لم يجتمع لقبيلة امثالهم — فهم الرجاء لمنجد أو متهم
ان الأصول إذا ... — ... طيبة الجنا والمطعم

ترجمه في (بغية الملتمس) ، وفي (التكملة) .

514) محمد بن عبد الملك ابن سعيد العنسي

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر

رضي الله عنه العنسي المدلجي من أهل قلعة يحصب الأندلسي ، صاحب أعمال غرناطة وأعمال إشبيلية ، ولد عام أربعة عشر وخمسمئة ، وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمئة بغرناطة ، كان المترجم وزيراً جليلا بعيد الصيت ، عـالي الذكر ، رفيع الهمة كثير الأموال ، وذكره ابن صاحب الصلاة في كتابه (تاريخ الموحدين) (1) ونبه عـلى مكانته منهم في الحظوة والأخذ في أمـور الناس ، وأثنى عليه وذكره السهيلي في (شرح السيرة الشريفة) (2) حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ، وأن محمداً ابن عبد الملك عاينه عند أدفونش مكرماً مفتخراً به ، والقصة مشهورة ، ومدحه الرصافي بقصيدة أولها :

ذهناً يفيض وخاطراً متوقـــــدا　　　ماذا عسى يثنى على علم النـــــدا

ولما أنشده قصيدته فيه التي أولها :

لمحلك الترفيع والتعظيـــــــم　　　ولوجهك التقديس والتكريـــــم

حلف لا يسمعها ، وقال عليّ إجازتك ، ولكن طباعي لا تحمل مثل هذا، فقال له الرصافي : ومن مثلك يستحق هذا في الوقت غيرك ، فقال له دعني من خداعك أنا وما أعلمه من قلبي .

وأنشد له حفيده أبو الحسن في (الطالع السعيد) :

فلا تظهرنْ ما كان في الصدر كامنا　　　ولا تركبنْ بالغيظ في مركب وعر
ولا تبحثنْ في عذر من جاء تائبـاً　　　فليس كريماً من يباحث في العذر

وولي للموحدين أعمالا كثيرة بمراكش ، وسلا، وإشبيلية ، وغرناطة، واتصلت ولايته على أعمال غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها ، وكتب عليه عقد أن في داره من الحلي وأصنافه ما لا يمكن إلا في دار الملك ، وأنه إذا ركب

1) المن بالامامة على المستضعفين ص 251 .

2) الروض الانف .

في صلاة الصبح شوش ... (1) نباح الكلاب، فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسين سنة 593 ، ثم رضي عنهما ، وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ منه فصرفه عليه ولم ينقص منه شيئاً ، وغرم له ما فات منه ، وهذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور ونباهة قدرة ، وحسبه من الفخر مدح أديب الأندلس وشاعرها أبي عبد الله الرصافي له وهو ممن يمدح الخلفاء في ذلك العصر ، رحمه الله تعالى .

ترجمه في (الاحاطة) ، وفي (نفح الطيب) (2) .

515) محمد بن إبراهيم ابن الفخّار الانصارى

محمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد ، أنصاري ، من أهل مالقة ، وأصله من بلنسية ، يعرف بابن الفخار ، سمع من أبي بكر ابن العربي وأكثر عنه واختص به ، ومن أبي عبد الله ابن الأحمر القرشي ، وأبي مروان ابن بونه ، وأبي جعفر البطروجي ، وأبي عبد الله ابن معمر ، وأبي مروان ابن مسرة ، وأبي بكر ابن عبد العزيز ، وأبي محمد ابن فائز العكي وغيرهم ، وأجاز له أبو المظفر الشيباني ، وأبو طاهر السلفي ، وكان صدراً في حفاظ الحديث ، مُقدماً في ذلك معروفاً به يسرد المتون والأسانيد مع معرفة بالرجال وذكر الغريب ومشاركة في اللغة ومعرفة بالشروط ، وكان يتولى عقدها بباب فنتناله ، وربما أقرأ بالعربية والآداب ، سمع منه جلة ، وحدث عنه أيمة ، منهم الامام أبو جعفر ابن عميرة صاحب (بغية الملتمس) ، واعترف له بالحفظ أهل زمانه ، سمع ابن الآبار أبا سليمان ابن حوط الله يقول : سمعته يقول : إنه حفظ في شبيبته كتاب (السنن) لأبي داوود ، وقلما كان يخفى عليه منه شيء ، قال أبو سليمان : وأما في مدة لقائي إياه ، فكان يذكر (صحيح مسلم) أو أكثره ، قال أبو سليمان وسأله أخي يعني أبا محمد ابن حوط الله يوماً وأنا حاضر : هل كنت تستعين على الحفظ بشيء مما يذكر الأطباء ؟ فقال قد كان بعض ذلك .

---

1) بياض بقدر سطر ، وجاء في هامش احدى النسخ : هذا سطر بخط المؤلف رحمه الله ما قدرنا على استخراجه جبره الله تعالى .

2) الترجمة منقولة حرفاً من **نفح الطيب** 2 : 335 وانظر أيضاً **المغرب** 2 : 162 .

وقال أبو جعفر ابن عميرة نزيل مراكش في ترجمته من كتابه (بغية الملتمس) ما نصه : ما رأيت أحفظ منه لكتاب مسلم،قال لي صاحبنا الفقيه أبو محمد ابن حوط الله بحضرة مراكش، وكان قد حضر قراءتي عليه لكتاب مسلم فلما خرجنا من عنده قال لي :لو أضيف هذا الكتاب إليه-فقيل كتاب ابن الفخار- لكان أحق بالاضافة إليه منه إلى مسلم،وكان موصوفاً بالورع والفضل،مسلَّماً له في جلالة القدر ومتانة العدالة، مكرّماً لطلاب العلم متناهياً في الحفاوة بهم والبر ، واستدعي إلى حضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه بها ، فتوفي هنالك بعد صلاة العصر من يوم الأحد السابع عشر وقيل الثامن عشر لشعبان سنة تسعين وخمسمئة ، ومولده بمالقة في التاسع لرجب سنة 511 ، قال في (بغية الملتمس) : حدثني الحافظ محمد ابن إبراهيم يعني المترجم وهو أول ما سمعته منه ، قال حدثنا الحافظ أبو بكر محمد ابن عبد الله قال : لما وصلت بغداد صحبة أبي ، أقمت بها مدة وكان لهم يوم لا تبقى فيه مخدّرة ولا صاحب دكان إلا خرجوا إلى منتزهاتهم فأقاموا بها عامة ذلك اليوم ، ثم انصرفوا ، ومن لا منتزه له قعد على شاطىء دجلة ينظر إلى الناس يمرون عليه ، وكان معنا من أهل الأندلس أديب شاعر يحضر معنا في المدرسة ، فخرجنا وخرج صحبتنا إلى ربوة تقرب من الطريق ، وقعدنا هناك والناس يمرون إلى أن مرت جماعة نساء وبينهم امرأة قد فرعتهم طولا ، وبهرتهم حسناً وجمالا ، فقام ذلك الفتى لما أبصرها وقال : لا بدّ لي من معارضة هذه المرأة ، فقلنا له : اتق الله تعالى ، وقمنا إليه لنمسكه ، فشد عنا ، ورأيناه قد خطر عليها وكلمها فأجابته ، ثم انصرف إلينا من فوره وسقط مغشياً عليه ، فقلنا له : ما الذي دهاك ؟ فأقام ساعة ثم سري عنه ، فقال لنا : خطرتُ على المرأة حيث رأيتموني وقلت :

من أين ياتي ذا الغزال الذي ... قد كحلت بالسحر عيناه

فوالله ما أتممت الكلام حتى قالت :

من دوحة المجد ودار التقي ... وسعيه يرضى به الله

فلم أملك نفسي من سرعة الجواب وجزالة اللفظ أن بُهتُّ وأصابني ما ترون ، فسار النسوة مع المرأة غير بعيد ، ثم انصرفت منهن جارية فقالت لنا : تقول لكم السيدة : الحقوا بها تنالوا من بركتها ، فمشينا حتى انتهينا إلى بستان حسن ، فكنا في طائفة منه من خارجه عامة ذلك اليوم يطاف علينا بكل فاكهة إلى أن مضى النهار ، فخرجت إلينا جارية ومعها جملة دنانير فقالت لنا : تعتذر إليكم السيدة إذ لم تجدوا عندها أكثر من هذا ، فاقبلوا عذرها واستعينوا بهذا البر اليسير على ما أنتم بسبيله من الطلب ، فانصرفنا فرحين وسألنا عنها فقيل لنا : هي من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، انتهى .

ترجمه في (بغية الملتمس) (1) وفي (التكملة) (2) والحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) ببعض ما في (التكملة) صحيفة 144 ج 4 .

وقال في (نفح الطيب) : ولما تألب بنو حسون علي القاضي الوحيدي المذكور ، يعني الفقيه العالم عبد الله الوحيدي قاضي مالقة ، صادر عنه العالم الأصولي محمد ابن الفخار ، طلع في حقه إلى حضرة الامامة مراكش وقام في مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه ، وقال : إنه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنوّ منه ، ونصلي على خيرة أنبيائه محمد الهادي إلى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم ، أما بعد ، فانا نحمد الله الذي اصطفاك للمومنين أميراً، وجعلك للدين الحنيف نصيراً وظهيراً، ونفزع إليك مما دهمنا في حماك ، ونبث إليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك ، ويأبى الله أن يُلِمّ بهم مَن احتمى بأمير المسلمين ، ويصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين ، شكوى قمت بها بين يديك في حق أمرك الذي عضدك مؤيده ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده ، وان قاضيك ابن الوحيدي الذي قدمته في مالقة للاحكام ، ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام ،

---

1) **بغية الملتمس** ص 57 ع 53 .

2) **التكملة** 2 : 547 ع 1480 .

وينظر عنه أيضاً **الذيل والتكملة** 6 : 87 ع 218 .

لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته ، ويرضى الله تعالى ويرضي الناس بظاهره وسريرته ، ما علمنا عليه من سوء ، ولا درينا له موقف خزي ، ولم يزل جارياً على ما يرضي الله تعالى ويرضيك ويرضينا ، إلى أن تعرضت بنو حسون إلى الطعن في إحكامه ، والهد من أعلامه ، ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم ، بـل جمحوا في لجاجهم فعموا وصموا ، وفعلـوا وأمضوا ما به هموا ، وإلى السحب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عيـن ونهر ، فملأ سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه .

ومن شعر ابن الفخار المذكور ويعرف بابن نصف الربض قوله :

امستنكر شيب المفارق في الصبـا	وهل يُنكر النور المفتح في الغصن
أظن طلاب المجد شيب مفرقـــي	وان كنت في إحدى وعشرين منسني

وقــولـه :

أقلّ عتابك ان الكريـــــم	يجازى على حبه بالقِـــــلا
وخلّ اجتنابك ان الزمـــان	يُمِرّ بتكديره ما حــــلا
وواصل أخاك بعلاتـــــه	فقد يُلبس الثوب بعد البـــلا
وقل كالذي قاله شاعـــــر	نبيل وحقك ان تنبـــلا :
(إذا ما خليل أسا مـــــرة	وقد كان فيما مضى مُجمــلا)
(ذكرتُ المقدمَ من فعلــه	فلم يُفسد الآخـــرُ الأولا)

وذكره في (الشذرات) .

516) محمد بن احمد ابن رشد

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها ، يكنى أبا الوليد ، روى عن أبيـه أبي القاسم ، استظهر عليـه (الموطأ) حفظاً ، وأخذ يسيراً عن أبي القاسم ابن بشكوال ، وأبي مروان ابن مسرة ، وأبي بكر ابن سمجون ، وأبي جعفر ابن عبد العزيز ، وأجاز له هو وأبو عبد الله المازري ، وأخذ علم الطب عن أبي مروان ابن جربول البلنسي ،

وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، درس الفقه والأصول ، وعلم الكلام وغير ذلك ، ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلماً وفضلا ، وكان على شرفه أشد الناس تواضعاً واخفضهم جناحاً ، وعني بالعلم من صغره إلى كبره حتى حُكي عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ، وأنه سوّد فيما صنف ، وقيد ، وألف ، وهذب ، واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة ، ومال إلى علوم الأوائل فكانت له فيها الامامة دون أهل عصره .

وكان يُفزع إلى فتواه في الطب كما يُفزع إلى فتواه في الفقه مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب ، حكى عنه أبو القاسم ابن الطيلسان أنه كان يحفظ شعري حبيب ، والمتنبي ، ويكثر التمثل بهما في مجلسه ، ويورد ذلك أحسن إيراد .

وله تصانيف جليلة الفائدة منها كتاب (بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد) في الفقه ، أعطى فيها أسباب الخلاف وعلّل ووجّه ، فأفاد وأمتع به ، ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقاً ، وكتاب (الكليات) في الطب، و (مختصر المستصفى) في الأصول ، وكتابه في العربية الذي وسمه بـ (الضروري) وغير ذلك .

وولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد ابن مغيث ، فحمدت سيرته وتأثّلت له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يصرفها في ترفيع حال ، ولا جمع مال ، إنما قصرها على أهل بلده خاصة ومنافع أهل الأندلس عامة .

وقد حدث وسمع منه أبو محمد ابن حوط الله ، وأبو الحسن سهل ابن مالك ، وأبو الربيع ابن سالم ، وأبو بكر ابن جهور ، وأبو القاسم ابن الطيلسان وغيرهم ، وامتحن بآخرة من عمره فاعتقله السلطان وأهانه ، ثم عاد فيه إلى أجمل رأيه واستدعاه إلى حضرة مراكش ، فتوفي بها يوم الخميس التاسع من صفر سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقبل وفاة المنصور الذي نكبه بشهر أو نحوه ، ودفن بخارجها ، ثم سيق إلى قرطبة فدفن بها مع سلفه رحمه الله .

وذكر ابن فرقد أنه توفي بحضرة مراكش بعد النكبة الجارية عليه المشتهرة الذكر في شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وغلط ابن عمر فجعل وفاته تاسع صفر سنة ست وتسعين ، ومولده سنة عشرين وخمسمئة قبل وفاة جده القاضي بأشهر (1) .

انتهى من (بغية الملتمس) ، و (التكملة) (2) وعدّه في (وفية الاسلاف) من أكابر الحكماء في الملة الاسلامية قائلا : صنّف أكثر من سبعين كتاباً منها كتاب (الخليجة) وهو مقبول عند أهالي أوربا ومحترم ، وعلى ألسنتهم المختلفة مترجم ، هـ .

وترجم له في (طبقات الأطباء) في الجزء الثاني منها ترجمة واسعة ، واقتصر في (الديباج) على ما في (التكملة) ، وقال في الجزء الأول من (الفتوحات) في الباب الخامس عشر في معرفة الأنفاس ، ومعرفة أقطابها المحققين بها وأسرارهم بعد ذكر سلمة ابن وضاح القرطبي ما نصه : ولقد دخلت يوماً على قاضيها أبي الوليد ابن رشد ، وكان يرغب في لقائي لما سمع وبلغه ما فتح الله به علي في خلوتي ، وكان يظهر التعجب مما سمع ، فبعثني والدي إليه في حاجة قصداً منه حتى يجتمع بي ، فانه كان من أصدقائه وأنا صبي ما بقل وجهي ولا طر شاربي ، فلما دخلت عليه قام من مكانه إليّ محبة واعظاماً ، فعانقني وقال لي : نعم ، فقلت له : نعم ، فزاد فرحه بي لفهمي عنه ، ثم استشعرت بما أفرحه من ذلك ، فقلت له : لا ، فانقبض وتغير لونه وشك فيما عنده، وقال: كيف وجدتم الأمر في (الكشف) و (الفيض الالاهي) ؟ هل هو ما أعطاه لنا النظر ؟ قلت له : نعم ، لا ، وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادها والأعناق من أجسادها ، فاصفر لونه وأخذه الافكل ، وقعد يحوقل ، وعرف ما أشرت به إليه ، وهو عين هذه المسألة التي ذكرها هذا القطب الامام، أعني مداوي الكلوم ، وطلب من أبي بعد ذلك الاجتماع ليعرض ما عنده

1) التكملة 2 : 553 ع 1497 .

2) بل من التكملة فقط .

علينا هل هو يوافق أو يخالف ؟ فانه كان من أرباب الفكر والنظر العقلي ، فشكر الله تعالى الذي كان في زمان رأى فيه من دخل خلوته جاهلا ، وخرج مثل هذا الخروج من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة ، وقال هذه حالة أثبتناها وما رأينا لها أرباباً ، فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحد من أربابها الفاتحين مغاليق أبوابها ، والحمد لله الذي خصني برؤيته ، ثم أردت الاجتماع به مرة ثانية فأقيم لي رحمة من الله في الواقعة في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق ، أنظر إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني ، وقد شغل بنفسه عني ، فقلت : إنه غير مراد لما نحن عليه ، فما اجتمعت به حتى درج وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمئة بمدينة مراكش ، ونقل إلى قرطبة وبها قبره ، ولما جُعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة جعلت تآليفه تعادله من الجانب الآخر ، وأنا واقف ومعي الفقيه الأديب محمد ابن جبير ، وصاحبي عمر ابن السراج الناسخ ، فالتفت أبو الحكم إلينا وقال : ألا تنظرون إلى من يعادل الامام ابن رشد في مركوبه ، هذا الامام وهذه أعماله، يعني تآليفه، فقال له ابن جبير : يا ولدي نِعْم ما نظرت لا فُضَّ فوك، فقيدتها عندي موعظة وتذكرة ، رحم الله جميعهم وما بقي من الجماعة غيري وقلنا في ذلك :

هذا الامام وهذه أعماله ... يا ليت شعري هل أتت آماله ؟

انتهى .

وسيأتي في ترجمة ابن جبير انه توفي سنة ستمئة وأربع عشرة ، وأن الشيخ الأكبر توفي سنة ستمئة و ثمانية وثلاثين ، وقال بعضهم : إن المترجم قرأ الطب على أبي جعفر ابن هارون ، فنبغ فيه وتفرد ، ثم رأى من نفسه ارتياحاً إلى الحكمة فطلبها على ابن باجه الفيلسوف الأندلسي المشهور، ولزم غيره من أرباب الحكمة حتى تمكن منها ، وكان ابن رشد في مراكش عام 548 ، ولعله استدعاه عبد المومن ليستعين به على ترتيب المدارس التي أنشأها في مراكش ، فتولى القضاء في المغرب مع البقاء على القضاء في الأندلس ، وهو ابن سبع وعشرين سنة ، وحظي أيضاً عند

يوسف بن عبد المومن ، وكان ابن الطفيل من المقربين عنده ، فعرف حق ابن رشد ومال إليه ، وعرف السلطان بمقامه من العلم والرياسة ،وكان يوسف محباً للعلماء وفيه ميل إلى الوقوف على حكمة القدماء ، وكان ما تُرجم من كتب أرسطو إلى ذلك العهد بين مشوه وناقص ، فتقدم إلى ابن رشد باشارة ابن الطفيل أن يشرح تآليف هذا الحكيم شرحاً يجمع بين الايجاز والصراحة، فأجابه وشرع في عقد الشروح التي وضعها على تصانيف أرسطو ، فتصفح تلك التآليف متروياً حتى حصلت له ملكة فيها ، فأدرك كنهها ، وحل رموزها ، وألف شرح كتبه في القياس التحليلي والطبيعيات والسماء والنفس والالاهيات ومجموع كتبه في المنطق دون القياس التحليلي ، وألف شرح كتاب الحيوان ومختصر المجسطي ، وكتاب (البيان) ، وختم رسالته في (جوهر الكون) في مراكش عام 574 ، وأكمل رسالته في الفقه في إشبيلية سنة 575 ، وله في الفلسفة نحو ثلاثين تأليفاً ، واستدعاه يوسف بن عبد المومن إلى حضرته في مراكش سنة 578 بعد وفاة طبيبه ابن الطفيل ، وولاه مكانه وأولاه جزيل الاحسان ، ثم بعد ذلك هاجت العامة في مراكش على القاضي بها لسوء سيرته ، وطلبوا خلعه وتولية ابن رشد مكانه ، فولاه يعقوب المنصور القضاء ، ولا يبعد أن يكون للسلطان في ذلك يد ، فلم يزل على القضاء إلى أن توفي سنة 595 .

ومن تآليفه (الكليات في الطب)، ترجم إلى اللاتينية وطبع، و (شرح أرجوزة ابن سينا في الطب) ، و (الضروري في المنطق) أُلحق به تلخيص كتاب أرسطو ، و (المزاج) ، و (القوى الطبيعية) ، وتلخيص كتاب (العلل والاعراض) ، و (التصرف والحميات) ، و (الأدوية المفردة) ، و (حيلة البرء) و (التهافت)،و (فصل المقال،فيما بين الشريعة والطبيعة من الانتقال)، وتلخيص كتاب (الحسن والقبح في الكلام) لمحمد بن محمد الحسني المشهور بالحكيمي ، وتلخيص كتاب (الكون والفساد) لأرسطو ، وله رحلة ، وغير ذلك من الرسائل والمقالات في القياس ، والعلم الالاهي ، والهندسة ، والحكمة وغيرها ، وقيل له في المثلثات الكروية رسالة ، واشتغل برصد الأنجم ، ورُوي أنه رأى كلفتين على وجه الشمس ، واثبت ذلك في (مختصر

المجسطي) ، ولم تستعمل النظارة الا بعد زمانه ، وقد حفظ علماء اليهود أكثر تآليف ابن رشد لأن مقاومة أمراء الموحدين للفلاسفة والحكماء المسلمين منعت من تداول كتبهم وتكثير نسخها ، وقد عني بها علما اليهود في إسپانيا وبروفنسة ، فاستنسخوها وترجموها إلى العبرانية واستكثروا من نسخها ، وأكثرها موجود باللغة المذكورة ، وقد ترجمت أيضاً إلى اللاتينية ، وقد كان المترجم رحمه الله ذهب إلى أن الحقائق الفلسفية هي الغاية السامية التي يمكن للانسان أن يصل إليها ، وعنده أن القليل من الناس يقدرون أن يصلوا إليه نظرياً ، وكان يعتقد أن الوحي النبوي واجب لنشر حقائق الفلسفة والدين الأدبية ، وقد قال إنه ينبغي للانسان في حداثته التمسك بالدين ، وأنه اذا توصل إلى معرفة حقائق الدين السامية نظرياً فلا ينبغي له أن يزدري بالمبادىء التي نشأ عليها ، وقد تعرض لهذا الموضع في كثير من كتبه ولا سيما في آخر رده على تهافت الغزالي ، وله رسالتان حاول فيهما جهده أن يوفق بين الدين والفلسفة، وقد أثبت في إحداهما ـ مستشهداً بآيات من القرآن الكريم ـ استطلاع الحقيقة بواسطة العلم ، وأن الدين يعلم حقائقه السامية بواسطة سهلة ممكنة لكل إنسان ، ولكن الفلسفة وحدها تطلع الانسان على كنه العقائد الدينية بواسطة التفسير ، فان العامة تكتفي بالمعنى الحرفي ، وفي الرسالة الثانية أثبت حقيقة معنى العقائد الدينية ، وناقض بعض المذاهب كالمعتزلة والباطنية .

ومن الذين كتبوا عن فلسفة ابن رشد رينان العالم الفرنساوي ، فانه ألف كتاباً قرر فيه سيرته ومؤلفاته ، وقال عنه إنه كان أعظم فلاسفة القرون الوسطى التابعين لأرسطو والناهجين سبيل حرية الأفكار ، وأقواله خالية من الميل ، وقد طبع هذا الكتاب في پاريس سنة 1892 م ، كان واسع العفو ، متلافاً للمال ، يتدفق كرماً ، كثير الأفضال على من لجأ إليه من الأصدقاء والأعداء ، وكان يقول : إني اذا أعطيت الصديق فقد فعلت ما أحب ، ولا فضل لي في ذلك ، ولكن اذا أعطيت العدو فقد تبعت أحكام الفضيلة .

وكان واسع الرحلة كثير الرفق بالناس ، ولم يتعمد مدة قضائه الحكم بالموت على أحد ، وكان إذا دعت الحاجة إلى ذلك يحوله عنه إلى نوابه،

ومن أخباره في سعة العفو والحلم أن رجلا أهانه على مسمع من الناس ، فشكره لأنه امتحن بذلك صبر نفسه ، وأنعم عليه ووهبه مالا وقال له : خذ المال ، ولكن حذار من فعل مثل ذلك بغيري فاني أخاف من أنه لا يعاملك بمثل ما عاملتك ، وكان في صباه ينتحل الشعر ، وكان له في الغزل والحكم قصائد أحرقها في شيخوخته، وكان يُقرىء العلم جهاراً شأن غيره من الفلاسفة، وكان أكثر تلامذته من اليهود والنصارى ، وقلّ من كان يقرأ عليه من المسلمين لأنه كان يُرمي بضعف المعتقد .

راجع (المعجب) (1) .

517) محمد بن عبد الملك ابن زهر الايادي

محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الايادي من أهل إشبيلية يكنى أبا بكر ، قال في (التكملة) : أخذ عن أبيه عبد الملك وعن جده أبي العلاء علم الطب ، وانفرد بالامامة فيه في وقته مع الحظ الوافر من الأدب ، واللغة والحفظ لأشعار الجاهلية والمتأخرين والمولدين والمشاركة في سواها ، وحدث بالمقامات عن أبيه عبد الملك عن الحريري إجازة كتب بها إليه والى أبيه أبي العلاء ، واليه كانت رياسة بلده ، وكان لا يعدله أحد من رجلات الأندلس في الحظوة عند الأمراء ورفع المنزلة ، سمحاً جواداً نفّاعاً بجاهه وبماله ، ممدوحاً من رجال الكمال ، وقد حدث عنه أبو علي الشلوبين وغيره ، وكان أبو بكر ابن الجد يزكيه ، ويُحكى أنه يحفظ (صحيح البخاري) أسانيد ومتوناً ، وتوفي بمراكش غدوة يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وصلى عليه الخليفة ، ودفن بروضة الأمراء ، ومولده سنة سبع وخمسمئة ، وقيل توفي وهو ابن إحدى وتسعين سنة هـ (2) .

---

1) **المعجب** ص 147 طبع سلا .

2) **التكملة** 2 : 555 ع 1499 .

وقال في (عيون الأنباء) ما نصه : الحفيد أبـو بكر ابن زهر هـو الوزير الحكيم الأديب الحسيب الأصيل ، أبو بكر محمد بن عبد الملك ابن أبي العلاء ابن زهر ، مولده بمدينة إشبيلية ونشأ بها ، وتميز في العلوم ، وأخذ صناعة الطب عن أبيه ، وباشر أعمالها ، وكان معتدل القامة ، صحيح البنية ، قوي الأعضاء ، وصار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير ، وإنما عرض له في أواخر عمره ثـقل في السمع ، وكان حافظـاً للقرآن ، وسمع الحديث واشتغل بعلم الأدب والعربية ، ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة ،ويوصف بأنه قد أكمل صناعة الطب والأدب وعانى عمل الشعر ، وأجاد فيه وله موشحات مشهورة ويُغنى بها ، وهي من أجود ما قيل في ذلك ، وكان ملازماً للأمور الشرعية ، متين الدين ، قـوي النفس ، محباً للخير ، وكان مهيباً وله جرأة في الكلام ، ولم يكن في زمانه أعلم منـه بصناعة الطب ، وذكره قد شاع واشتهر في أقطار الأندلس وغيرها من البلاد .

وحدثني القاضي محمـد بن أحمد بن عبد الملك الباجي مـن أهل إشبيلية قال : قال لي الشيخ الوزير الحكيم أبو بكر ابن زهر أنه لازم لجدي عبد الملك الباجي سبع سنين يشتغل عليه وقرأ عليه كتاب (المدونة) لسحنون في مذهب مالك ، وقرأ أيضاً عليه (مسند ابن أبي شيبة) ، وحدثني أيضاً القاضي محمـد الباجي عن أبي بكر ابـن زهر أنه كان شديـد البأس يجذب قوساً مئة وخمسين رطلا بالاشبيلي ، والرطل الذي باشبيلية ستـة عشر أوقية ، وكل أوقية عشرة دراهم ، وأنه كان جيد اللعب بالشطرنج جداً، ولم يكن في زمانه أحد مثله في صناعة الطب ، وخدم الدولتين ، وذلك أنه لحق دولة الملثمين ، واستمر في الخدمة مع أبيه في آخر دولتهم ، ثم خدم دولة الموحدين ، وهم بنو عبد المومن ، وذلك أنه كان في خدمة عبد المومن هو وأبوه ، وفي أيام عبد المومن مات أبـوه وبقي هو في خدمته ، ثـم خدم ليوسف بـن عبد المـومن ، ثم لابنـه يعقوب الـذي لُقّب بالمنصور ، ثـم خدم ابنه محمد الناصر ، وفي أول دولته توفي أبو بكـر ابن زهر ، وكانت وفاته رحمه الله في عام ستة وتسعين وخمسمئة بمراكش ، وقد أتاها ليزور بها ، ودفن هنالك في الموضع المعروف بمقابر الشيوخ ، وعمَّر نحو

الستين سنة ، قال : وكان أبو بكر ابن زهر صائب الرأي حسن المعالجة ، جيد التدبير ، وقد عرف هذا منه حتى أنه يوماً كان قد كتب والده عبد الملك ابن زهر نسخة دواء مسهّل لعبد المومن الخليفة فلما رآه أبو بكر بعد ذلك وكان في حال شبيبته قال : يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر ، فلم يتناول عبد المومن ذلك الدواء ، ولما رآه أبوه قال : يا أمير المومنين إن الصواب في قوله، وبدل الدواء المفرد بغيره ، فأثر نفعاً بيناً وألف أبو بكر ابن زهر (الترياق الخمسيني) ليعقوب المنصور ، قال وحدثني من أثق به أن رجلا من بني الييناقي كان صديقاً للحفيد أبي بكر ابن زهر ، وكان يجالسه كثيراً ويلعب معه بالشطرنج ، وأنه كان عند الحفيد أبي بكر يوماً وهما يلعبان بالشطرنج ، فرآه الحفيد على غير ما يعهده به من الانبساط ، فقال له : ما لخاطرك كأنه مشتغل بشيء عرّفني ما هو ؟ فقال : نعم إن لي بنتاً زوجتها لرجل ، وهو يطلبها ، وقد احتجت إلى ثلاثمئة دينار ، فقال له : العبْ وما عليك ، فان عندي في وقتنا هذا ثلاثمئة دينار إلا خمسة دنانير تأخذها ، فلعب معه ساعة ، واستدعى بالذهب وأعطاه له ، فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ثلاثمئة دينار الا خمسة ، فقال له ابن زهر : ما هذا ؟ فقال : إنني بعت زيتوناً لي بسبعمئة دينار ، وقد أتيت منها بثلاثمئة دينار إلا خمسة عوض الذي تفضلت به علي وأقرضتني اياه ، وقد بقي حاصلا أربعمئة دينار ، فقال له ابن زهر : ارفع هذا عندك وانتفع به فانني ما دفعت لك الذهب على أني أعود آخذه أبداً ، فأبى الرجل وقال : إني بحمد الله بحال سعة ولا لي حاجة أن آخذ هذا ولا غيره من أحد أصلا ، وتفاوضا في ذلك ، فقال له ابن زهر : ياهذا آنت صديقي أو عدوي ؟ فقال له : بل صديقك وأحبّ الناس فيك ، فقال : إن الصديقين مالهما شيء واحد ، فمتى احتاج أحدهما إلى شيء منه تناوله ، فلم يقبل الرجل ، فقال له ابن زهر ، والله لئن لم تأخذه لأعادينك بسببه ، ولا أعود أكلمك أبداً ، فأخذه منه وشكره على فعله .

قال القاضي محمد الباجي : وكان المنصور قصد أن لا يترك شيئاً من كتب المنطق والحكمة باقياً في بلاده ، وأباد كثيراً منها باحراقها بالنار ، وشدّد في أن لايبقى أحد يشتغل بشيء منها ، وأنه متى وُجد أحدٌ

ينظر في هذا العلم أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فانه يلحقه ضرر عظيم ، ولما شرع في ذلك جعل أمره مفوضاً إلى الحفيد أبي بكر ابن زهر، وأنه الذي ينظر فيه ، وأراد الخليفة أنه إن كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ولا يقال عنه انه يشتغل بها ولا يناله مكروه بسببها، ولما نظر ابن زهر في ذلك وامتثل أمر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم ، وان لا يبقى شيء منها ، وإهانة المشتغلين بها ، كان باشبيلية رجل من أعيانها يعادي الحفيد أبا بكر ابن زهر ويحسده ، وعنده شر ، فعمل محضراً في أن ابن زهر دائم الاشتغال بهذا الفن والنظر فيه ، وأن عنده في داره شيئاً كثيراً من كتبه ، وجمع فيه شهادات عدة ، وبعث به إلى المنصور ، وكان المنصور حينئذ في حصن الفرج ، وهو موضع بناه قريباً من إشبيلية على ميلين منها، صحيح الهواء، بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصحته ، وكان أبو بكر ابن زهر هو الذي أشار على المنصور أن يبنيه في ذلك الموضع ويقيم فيه في بعض الأوقات ، فلما كان المنصور به وقد أتاه المحضر نظره ثم أمر بأن يقبض على الذي عمله وأن يودع في السجن ، فَفُعل به ذلك ، وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه ، ثم قال المنصور : إنني لم أولّ ابن زهر في هذا إلا حتى لا ينسبه أحد إلى شيء منه ، ولا يقال عنه ، ووالله لو أن جميع أهل الأندلس وقفوا أمامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل قولهم ، لما أعرفه في ابن زهر من متانة دينه وعقله .

وحدثني أحمد بن محمد بن أحمد الاشبيلي قال : كان الحفيد أبو بكر ابن زهر قد أتى إليه من الطلبة اثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب ، فترددا إليه ولازماه مدة ، وقرءا عليه شيئاً من كتب الطب ، ثم إنهما أتياه يوماً وبيد أحدهما كتاب صغير في المنطق ، وكان يحضر معهما أبو الحسين المعروف بالمصدوم ، وكان غرضهم أن يشتغلوا فيه ، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال : ما هذا ؟ ثم أخذه ينظر فيه ، فلما وجده في علم المنطق رمى به ناحية ، ثم نهض إليهم حافياً ليضربهم ، وانهزموا قدامه وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالغ في شتمهم وهم يتعادون قدامه إلى أن رجع

عنهم عن مسافة بعيدة ، فبقوا منقطعين عنه أياماً لا يجسرون أن يأتوا إليه ، ثم إنهم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ولا لهم فيه غرض أصلا ، وأنهم إنما رأوه مع حَدَث في الطريق وهم قاصدون إليه فهزءوا بصاحبه وعبثوا به ، وأخذوا منه الكتاب قهراً ، وبقي معهم ودخلوا إليه وهم ساهون عنه ، فتخادع لهم وقبِل معذرتَهم ، واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب ، ولما كان بعد مدة مديدة أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن ، وأن يشتغلوا بقراءة التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والاقتداء بها ، ولا يُخلوا بشيء من ذلك ، فلما امتثلوا أمره واتقنوا معرفة ما أشار به عليهم وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها ، كانوا يوماً ما عنده وإذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق ، وقال لهم : الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله عليّ ، وأشغلهم فيه فتعجبوا من فعله رحمه الله ، وهذا يدل منه على كمال عقله ، وتوفر مروءته .

وحدثني القاضي محمد الباجي قال : كان عبد الرحمان ابن يوجان وزير المنصور يعادي الحفيد أبا بكر ابن زهر ، ويحسده لما يرى من عظم حاله وعلو منزلته وعلمه ، فاحتال عليه في سمٍّ صيَّره مع أحد من كان عند الحفيد ابن زهر ، فقدمه إلى الحفيد ابن زهر في بيض ، وكانت مع الحفيد أيضاً بنت أخته ، وكانت أخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور، ولا يقبل للمنصور وأهله ولداً إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها ، فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت أخته ماتا جميعاً ، ولم ينفع فيهما علاج ، قال : ولم يمت عبد الرحمان ابن يوجان إلا مقتولا ، قتله بعضُ أقاربه .

أقول وكان من أجَلّ تلامذة الحفيد أبي بكر ابن زهر في صناعة الطب والآخذين عنه ، أبو جعفر ابن الغزال .

ومن شعر الحفيد أبي بكر ابن زهر أنشدني مُحيي الدين محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي قال : أنشدني الحفيد أبو بكر ابن زهــر لنفسه يتشوق إلى ولده :

ولي واحد مثل فرخ القطـــــا   صغير تخلف قلبي لديـــــه
نأت عنه داري فياوحشتـــــي   لذاك الشخيص وذاك الوجيـــه
تشوقني وتشوقتـــــــه   فيبكي علي وأبكي عليـــــه
وقد تعب الشوق ما بيننـــــا   فمنه إليَّ ومني إليـــــه

وأنشدني القاضي محمد الباجي قال : أنشدني أبو عمران ابن عمران الزاهد المرتلي القاطن باشبيلية قال : أنشدني الحفيد أبو بكر ابن زهر لنفسه في آخر عمره :

إني نظرت إلى المرآة إذ جليـــت   فانكرتْ مقلتاي كلَّ ما رأتـــا
رأيت فيها شييخاً لست أعرفـــه   وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتـــى
فقلت أين الذي مثواه كان هنـــا   متى ترحلَ عن هذا المكان متـــى
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت   قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتـــى
هوّن عليك فهذا لا بقاء لـــــه   أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا
كان الغواني يقلن يا أخيَّ فقـــد   صار الغواني يقلن اليوم يا أبتـــا

وأنشدني أيضاً القاضي محمد الباجي عــن الحفيد ابن زهر له مــن أبيات (الكامل) :

أعد الحديث علي من جنباتــــه   إن الحديث عن الحبيب حبيب (1)

وأنشدني شيخنا علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني ابن مسافر الحنفي المهندس للحفيد أبي بكر ابن زهر ، وهي بديعة المعنى ، كثيرة التجنيــس :

---

1) لم يورد المقرى فى مقدمة (أزهار الرياض) الا بيتين أولهما هو :

يا من يذكرنى حديث أحبتـــــــى   طاب الحديث بذكرهم ويطيـــــــب

وثانيهما هو المذكور أعلاه .

(الكـامل) :

لله ما صنع الغرام بقلبـــــــه أودى به لما ألبَّ بلبـــــــه
لباه لما أن دعاه وهكـــــذا من يدعه داعي الغرام يلبـــه
بأبي الذي لا تستطيع لعجبـــه رد السلام وان شككت فعج بـــه
ظبيٌ من الاتراك ما ترك الضنـــا ألحاظه من سلوة لمحبـــــــه
ان كنت تنكر ما جَنَى بلحاظـــه في سَلبه يوم الغوير فسل بـــه
أو شئت أن تلقى غزالا أغْيـــدا في سربه أسد العرين فسرْ بـــه
يا ما أميلحه وأعذب ريقـــــه وأعزه ، وأذلني في حبـــــه
أو ما أليطف ورده في خـــــده وأرقها ، وأشد قسوة قلبـــــه
كم من خمار دون خمرة ريقـــه وعذاب قلب دون رائق عذبـــه
كم من خمار دون خمرة ريقـــه وعذاب قلب دون رائق عذبـــه
نادى بنفسج عارضيه تعمـــدا يا عاشقين تمتعوا من قربـــــه

ومن موشحاته مما أنشدني محمد سبط الحكيم عبد الله ابن الحفيد أبي بكر ابن زهر ، وكان والد هذا المذكـور محمد وهو أحمد ابن القاضـي محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي قد تزوج ببنت عبد الله ابن الحفيد أبي بكر ابن زهر، ورزق منها محمد، وكان ــ أعني أبا مروان أحمد ــ قد ملك إشبيلية وبقيت في يده تسعة أشهر ، ثم قتله ابن الأحمر غدراً في سنة ثلاثين وستمئة، وكان عمره إذذاك سبعاً وثلاثين سنة، فمن ذلك قال وهي من أول قوله (المديد):

زعمت أنفاسي الصعــــــدا أن أفراح الهوى نكَـــــــد

* * *

هام قلبي في معذّبـــــه وأنا أشكو لمطلبـــــــه
إن كتمت الحب مت بـــــه
وإذا ما صحت واكبـــــدا فرح الاعداء وانتقـــــدوا

* * *

أيها الباكي على الطلـــــل ومدير الراح بالأمـــــل
إن كتمت الحب مت بـــــه
فدع الدمع السفوح ســـدى وضرام الشوق تتقـــــد

* * *

مقلة جادت بما ملكـــــــــت عرفت ذل الهوى فبكـــــت
وشكت مما بها ورثـــــت
وفؤادي هائم أبـــــــدا ما عليه للسلو يـــــــــــد

* * *

إن عيني لا أذنبهـــــــــا أتعبت قلبي وأتعبهـــــــا
لنجوم بت أرقبهـــــــــا
رمت أن أحصي لها عــــددا وهي لا يحصى لها عـــــدد

* * *

وغزال يغلب الأســــــــدا جئت لاستنجاز ما وعــــــدا
فانزوى عني وقال غـــــدا
أترى يا قوم أش هو غـــدا ؟ في أي مكان يسكنْ أو يوجــــد

وقال أيضاً :

شمس قارنت بـــــــدرا راح ونديــــــــــم

* * *

در أكؤوس الخمـــــــــر عنبرية النشـــــــــر
ان الروض ذو بشـــــــر
وقد درع النهــــــــرا هبوب النسيــــــــم

* * *

وسلت على الأفـــــــــق يد الغرب والشـــــــــرق
سيوفاً من البـــــــرق
وقد أضحك الزهـــــــرا بـكـــاء الغيـــــوم

* * *

ألا إن لي مولــــــــــي تحكم فاستولـــــــــى
أما إنه لـــــــــولا
دمع يفضح الســـــــرا لكنت كتـــــــــوم

* * *

أنّى لي كتمـــــان ودمعي طوفـــــان
شبت فيه نيـــــران
فمن أبصر الجمـــــرا فـي لـج يعـــــوم

* * *

إذا لامني فيـــــه من رأى تجنيـــــه
شدوت أغنيـــــه
لعل له عـــــذرا وأنـت تلـــــوم

* * *

وقال أيضاً : (الرمل)

أيها الساقي إليك المشتكـــي قد دعوناك وان لم تسمـــع

* * *

ونديم همت في غرتـــه وشربت الراح من راحتـــه
كلما استيقظ من سكرتـــه
جذب الزق إليه واتكـــا وسقاني أربعا في أربـــع

* * *

غصن بان مال من حيث استـوى بات من يهواه من فرط الجـوى
خفق الاحشاء موهون القـــوى
كلما فكر في البين بكـــى ما له يبكي بما لم يقـــع

* * *

ليس لي صبر ولا لى جلـــد يالقومي عذلوا واجتهـــدوا
أنكروا شكواي مما أجـــد
مثل حالي حقه ان يشتكـــى كمد اليأس وذِل الطمـــع

* * *

ما لعيني عشيت بالنظـــــــر   انكرت بعدك ضوء القمـــــر
وإذا ما شئت فاسمع خبـــــري
شقيت عيناي من طول البكـــــا   وبكى بعضي على بعضي معـــي

* * *

كبد حرى ودمع يكـــــــف   يعرف الذنب ولا يعتـــــرف
أيها المعرض عما أصـــــف
قد نما حبك عندي وزكـــــا   لا يظن الحب أني مدعـــــي

وقال أيضاً : (الكامل ، والرمل)

يا صاحبي نداء مغتبط بصاحـــب   لله ما ألقاه من فقد الحبائـــــب
قلب أحاط به الجوى من كل جانب
أي قلب هائـــــــم   لا يستريح من اللواحـــــي
يا من أعانقه بأحناء الضلـــوع   وأقيمه بدلا من القلب الصديـــع
أنا للغرام وأنت للحسن البديـــع
وكلامُ اللائـــــــم   شيء يمر مع الريـــــــاح
انحى على رشدي وافقدني صلاحي   ثغر ثنى الأبصار عن نور الأقـــاح
يسقى بمختلطين من مســك وراح
كالحباب العائــــــم   في صفحة الماء القـــــراح
من لي به. بدراً تجلى في الظـــلام   علقت من وجناته بدر التمـــــام
وعلقت من اعطافه لدن القـــوام
كالقضيب الناعــــــم   لم يستطع حمل الوشــــاح
حمّلتني في الحب ما لا يستطـاع   شوقاً يراع لذكره من لا يـــراع
بل أنت أظلم من له حكم مطـاع
ومع أنك ظالـــــــم   أنت هو سؤلي واقتراحـــي

وقال أيضاً : (المجتث)

حي الوجوه الملاحـــــــــا وحي كحل العيـــــــــــون

* * *

هل في الهوى من جنـــــــاح وفي نديـــــــم وراح
رام النصوحُ صلاحـــــــــي
وكيف أرجو صلاحــــــــــاً بين الهوى والمجـــــــــون

* * *

يا غائباً لا يغيـــــــــب أنت البعيد القريـــــــــب
كم تشتقيك القلـــــــوب
اثخنتهن جراحـــــــــــاً واسأل سهام الجفـــــــــون

* * *

أبكي العيون البواكـــــــــي تذكار أخت السمـــــــــاك
حتى حمـــــــــام الأراك
بكى بشجو وناحــــــــــا على فروع الغصـــــــــون

* * *

ألقى إليها زمامـــــــــه صب يداوي غرامـــــــــه
ولا يطيق الملامـــــــــه
غدا بشوق وراحــــــــــا ما بين شتى الظنـــــــــون

* * *

يا راحلا لم يـــــــــودعْ رحلت بالأنس أجمـــــــعْ
والعجز يعطي ويمنـــــــعْ
مَروا وأخفوا الرواحـــــــا سحراً وما ودعونـــــــــي

وقال أيضاً : (البسيط)

هل ينفع الوجد أو يفيـــــــد أم هل على مَن بكى جنـــــاح ؟
يا منية القلب غبت عنـــــــي فالليل عندي بلا صبـــــاح

أفديه من معرض تولى ... لا عين منه ولا أثر
عذبني في هواه كلا ... لم يبق مني ولا يذر
يا عين عيني فليس إلا ... صبر على الدمع والسهر

ويفعل الشوق ما يريد ... في كبد كلها جراح
يا مخجل البدر لا تسلني ... عن جور ألحاظك الملاح

زاد على بهجة النهار ... من حسنه الدهر في ازدياد
لحظ له سطوة العقار ... يفعل في العقل ما أراد
خداه كالورد في البهار ... يقطف باللحظ أم يكاد

وذلك المبسم البرود ... حصاه در وصرف راح
أو مثل ما قلت ماء مزن ... يسقي به يانع الاقاح

يا من له أبدع الصفات ... يا غضن يا دعص يا قمر
غبت فلم يأت منك آت ... فاستوحش السمع والبصر
لو لا صبا تلكم الجهات ... لذاب قلبي من الفكر

يا أيها النازح البعيد ... جاءت بأنبائك الرياح
إن الصبا عنك اخبرتني ... ما اهتز روض الربا وفاح

يا ساحرا فوق كل ساحر ... ومن له حسنه أصف
وجه له كالصباح باهر ... أردية الحسن يلتحف
كالروض حفت به الأزاهر ... يقطف باللحظ أم قطف

كالبدر في ليلة السعود ... اشرق لألاؤه ولاح
كالغصن اللدن في التثني ... تهز أعطافه الرياح

من لي بمخضوبة البنان ... ممشوقة القد والدلال
من هجرها مشبه الزمان ... ماض ومستقبل وحال
فيها رثى عاذلي لشأني ... ثم انثنى ضاحكاً وقال

وارض لمن يعشق الملاح

فدعه يهجر أو يصلني ليس على ساحر اقتراح

انتهى (1) .

وقال في (وفيات الأعيان) بعد ذكر المترجم أبي بكر ابن زهر ما نصه : كان من أهل بيت كلهم علماء ، رؤساء ، حكماء ، وزراء ، نالوا المراتب العالية ، وتقدموا عند الملوك ، ونفذت أوامرهم ، قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه المسمى (المطرب ، من أشعار أهل المغرب) : وكان شيخنا أبو بكر يعنى ابن زهر المذكور بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطب عذب معين، كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب ، والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب ، مع سمو النسب ، وكثرة الأموال والنشب ، صحبته زماناً طويلا ، واستفدت منه أدباً جليلا .

وأنشدني من شعره :

وموسدين على الأكف خدودهم قد غالهم نوم الصباح وغالني

ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى سكرت ونالهم ما نالني

والخمر تعلم حين تأخذ ثارها أني أملت إناءها فأمالنى

ثم قال : سألته عن مولده فقال : ولدت سنة سبع وخمسمئة ، وبلغتني وفاته في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، رحمه الله تعالى .

انتهى كلام ابن دحية (2) .

قلت أنا : وقد ألم ابن زهر المذكور في هذه الأبيات بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله ابن صاعد وهو :

---

1) **عيون الأنبياء** ص 97 طبع الجزائر 1958 .

2) **وفيات الأعيان** 4 : 434 ع 672 طبع بيروت .

عقرتهم مشمولة لو سالمـــت ... شُرّابها ما سميت بعقـــار

ذكرت حقائدها القديمة إذ غـدت ... صرعى تداس بأرجل العُصّـار

لانت لهم حتى انتشوا وتمكنـت ... منهم وصاحت فيهم بالثـــار

ومن المنسوب إليه أيضاً في كتاب جالينوس الحكيم المسمى (حلية البرء) ـ وهو من أجل كتبهم وأكبرها ـ قوله :

حلية البرء صنفت لعليـــل ... يترجى الحياةَ أو لعليلـــة

فاذا جاءت المنية قالـــت ... حيلة البرء ليس في البرء حيلـة

ثم قال بعد أن انشد أبياته :

ولي واحد مثل فرخ القطـا الخ

وأنشدني : (إنـي نظرت إلى المـرآة إذ جليت) إلى آخـر الأبيات المتقدمة مع تغيير ما نصه : والبيت الأخير من هذا ينظر إلى قول الأخطـل الشاعر المشهور :

وإذا دعونك عمهن فانـــه ... نسب يزيدك عندهن خبـــالا

وإذا دعونك يا أُخيُّ فانـــه ... أدنى وأقرب خلة ووصـــالا

وأوصى أنه إذا مات يكتب على قبره هذه الأبيات ، وفيها إشارة الى طبه ومعالجته للناس وهي :

تأمل بحقك يا واقفـــاً ... ولا حظ مكاناً دُفعنا إليـــه

تراب الضريح على وجنتـي ... كأني لم أمش يوماً عليـــه

أداوى الانام حذار المنـون ... وها أنا قد صرت رهناً لديـــه

وهذه المقاطيع إنما أخذتها مـن أفواه العلماء منسوبة إلى ابن زهـر المذكور والله أعلم بصحتها والعهدة عليهم في نقلها .

وقال ابن دحية أيضاً في حقه : والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله طباعه ، وصارت النبهاء فيه خـوله وأتباعه الموشحات ، وهي زبـدة الشعر

ونخبته ، وخلاصة جوهره وصفوته ، وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق، وأورد له موشحاً حسناً .

وقال في حق جده أبي العلاء زهر : إنه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه ، وتوفي ممتحناً بعلة بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمئة بمدينة قرطبة .

ثم قال في حق جد أبيه عبد الملك : رحل إلى المشرق وبه طبَّب زماناً طويلا وتولى رياسة الطب ببغداد ، ثم بمصر ، ثم بالقيروان ، ثم استوطن مدينة دانية ، وطار ذكره فيها إلى أقطار الأندلس والمغرب ، واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى بذّ أهل زمانه ، ومات بمدينة دانية .

ثم قال في حق جد جده محمد بن مروان : إنه كان عالماً بالرأي ، حافظاً للأدب ، فقيهاً حاذقاً بالفتوى ، مقدماً في الشورى ، متفنناً في الفنون ، وسيماً فاضلا ، جمع الرواية والدراية ، وتوفي بطلبيرة سنة اثنتين وعشرين ووصفوه بالدين ، والفضل ، والجود ، والبذل رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على الأيادي وعلى طلبيرة فلا حاجة إلى الاعادة ، وزُهْر بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء .

وذكر الدين الكاتب في كتاب (الخريدة) لأبي الطيب ابن البزاز في بعض بني زهر قوله :

قل للوبا أنت وابن زهر ... جاوزتما الحد في النكايه
ترفقا بالورى قليلا ... في واحد منكما كفايه

ثم وجدت هذين البيتين لأبي بكر بن أحمد بن محمد الأبيض ، وأنه توفي سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، وكنيته أبو زيد ، ولم يذكر اسمه رحمه الله تعالى والله أعلم انتهى .

وسياتي ذكر ولده عبد الله بن محمد بن عبد الملك ، وراجع 439 من ج 1 من (نفح الطيب) ، وقد ذكر المترجم في (الشذرات) ووقع فيها تحريف وتصحيف (1) .

518) محمد بن أحمد ابن الصقر الأنصاري

محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن الصقر الأنصاري الخزرجي المراكشي

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكر ما تقدم ما نصه : وقد تقدم ذكر أصل سلفه في رسم أبيه وجده ، تلا على أبيه ولم يعين القراءات ، وأخذ عنه كثيراً من كتب الحديث والفقه وغير ذلك ، ولازمه طويلا ، وبالسبع على يحيى ابن الخلوف ، وبحرف نافع على أبي بكر ابن مسعود ، وأبي جعفر بن علي ابن الباذش ، وأخذ عنهما غير ذلك ، وأبي عبد الله بن عبد الرحمان النميري ، قال : وأفدت منه جملة هي معظم ما عندي وهو الذي شحذ فهمي وأنار خاطري ، وبقراءات الحرمين وأبي عمرو على أبي الحسن بن عبد الله ابن ثابت ، وسمع الحديث على أبي بكر بن الحسين ابن بشر ، والحديث وغيره على أبي الحسن بن محمد ابن الضحاك ، وأجازوا له ، وأجاز له أبو الحسن شريح ، واستجاز له أبوه أبوي بكر بن عبد الله التجيبي ، وابن العربي ، وأبا جعفر ابن رزق ، وعباد ابن سرحان ، وأبا عبد الله بن عبد الرحمان ابن معمر ، وابن عبد المومن الطلبي ، وابن يحيى ، وابن الحاج الجياني ، قال : وحملني إليه لما ولي القضاء بغرناطة وأنا ابن نحو من ثمانية أعوام ، وأبا الفضل عياض لما استقضى بغرناطة ، قال وحملني إليه وأنا ابن ستة أعوام ، فكان ....
.... (بياض بالأصل) وأبوي القاسم خلف ابن بشكوال ،

---

1) ينظر عن ابن زهر عدى ما تقدم : **المطرب** ص 203 **والمغرب** 1 : 266 **وزاد المسافر** ص 71 **والذيل والتكملة** 6 : 398 ع 1076 **ونفح الطيب** 2 : 247 **ومعجم الادباء** 18 : 256 **والوافى بالوفيات** 4 : 39 **والعبر** للذهبى 4 : 288 **والشذرات** 4 : 320 وله موشحات فى **دار الطراز** .

ومحمد بن هشام بن ....إليه إذ استقضي بغرناطة وأنا ابن أربعة أعوام ، وآباء .... وابن علي سبط أبي عمر ابن عبد البر ، وعبد الحق ابن عطية .... وأبو الوليد هشام ابن بقوة ، وأبو الحسن ابن الضحاك أبا إسحاق ابن مروان ... أبا بكر بن أحمد ابن طاهر صاحب الغساني وأبا الحكم عبد الرحمان ابن غشليان ... عبد الله بن عبد الرزاق ، وأبو عبد الله النميري أبا الحسن يونس بن محمد ابن مغيث ، وأبا عبد الله جعفر بن محمد ابن مكي ، وأبا القاسم أحمد بن محمد ابن بقي ، فأجازوا كلهم له ، روى عنه ابنه أبو الحسين يحيى ، وأبو الخطاب عمر ابن الجميل ، وكان مقرئاً مجوداً محدثاً راوية مكثراً متسع السماع صحيحه ، عنِي به أبوه فأسمعه في صغره وسمع بنفسه ، ونشأ طالباً فاستكثر من الأخذ عن الشيوخ وشغف بتقييد العلم وجمع الفوائد معاناً على ذلك بجودة الخط سراية من أبيه وسرعة الكتب ، وكان عاقداً للشروط مبرزاً في أولي البصر بها ، زاهداً ، ورعاً ، فاضلا ، موثراً للخلوة والانقطاع إلى الله تعالى والانقباض عن خلطة الناس ، تعيش دهراً طويلا بالوراقة ، وكتب بخطه الكثير وأتقنه ، واستنيب على القضاء بمراكش في أوقات ، فشكرت سيره ، وحمدت أحواله كلها ، وكان ذا حظ من قرض الشعر صالح ، وأكثره في الزهد والحكم وما نحا ذلك ، وسلك تلك المسالك، فمنه قوله :

إليك إلاه العرش يشكو ترحماً ... عليل بأمراض الذنوب تألما
شكى قلبه لما تعاظم ذنبه ... فحط بأرجاء الرجاء مخيما
وعاج بربع الجود يسأل ضارعا ... عوارف رب لم يزل متكرما
يداوي سقام المذنبين بعفوه ... فيصفح افضالا ويسمح منعما
فكيف يرى في باب جودك خائبا ... وما خاب عبد قط جودك يمما

وله من هذا النمط كثير .

ومولده سنة سبع وعشرين وخمسمئة بمراكش ، وتوفي بها في حدود التسعين وخمسمئة ، وله عقب خامل بها إلى الآن ، والذين شهروا ببني الصقر فيها بآخرة هم بنو أخته من بني وليد فهو خالهم ، كانوا أصهروا إلى

أبيه بغرناطة ، وقد انقرضوا الا القليل الخامل إلا شيخاً نزل ....
الارتزاق من بأيديه .... له يرجع إلى جودة ونفور عن الناس ....
اسمه علي بن أحمد بن .... ابن وليد الانصاري ....

519) محمد بن عبد الله الصنهاجي

محمد بن عبد الله بن عثمان الصنهاجي ، مـن أهل مراكش ، وبها توفي عام تسعة وتسعين وخمسمئة ، وكان مسرفاً على نفسه ، ثم تاب إلى الله تعالى ، فكـان نادماً على ما سلف ، كثير البكـاء والحزن ، قـال في (التشوف) : وما رأيته ضحك بعد ذلك إلى أن لحق بالله تعالى ، وكان يقول : إني إذا تفكرت ذنوبي ضاقت علي الأرض برحبها وليس للسرور في قلبـي موضـع :

صرح عن محضه الصريـــح ... وجد في وعظه النصيـــح
وقصرت أربعون عامـــا ... عمرك لو انه فسيـــح
طار غراب بها وجـــاءت ... حمامة بالردى تنـــوح
وأنت تلهو وكل يـــوم ... يفغر فاه لك الضريـــح
كم طلق للهوى بعيـــد ... جرى له طرفك الجمـــوح
وكم نصيب من التصابـــي ... هفا به غصنك المـــروح
ومذهب للتقى جميـــل ... غيره فعلك القبيـــح
فجاهد النفس في هواهـــا ... لعلها منه تستريـــح
وكيف تثني عنان نفـــس ... لها إلى غيِّها جنـــوح
بادر إلى توبة بصـــدق ... لعلها توبة نصـــوح
والعمل الصالح اغتنمـــه ... فانه متجر ربيـــح
واسع وبادر سحابَ عمـــر ... تجري به للمنون ريـــح
واغد ورح في سبيل خيـــر ... ما دام في الجسم منـــك روح

وكان محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى يوصي لتلميذه ويقول له : ربما أتيت إلى باب مغلق فيفتح لي ، فأخاف أن يكون ذلك من الشيطان ليغرني ،

ورآه بعض أصحابه في المنام بعد موته فقيل له: هذا ولي من أولياء الله تعالى(1)

520) **محمد بن أحمد ابن الرايس البكي**

محمد بن أحمد بن أبي الفتح بن منصور البكي بموحدة ابن الرايس ، روى بمراكش عن أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد العزيز القيسي ، وأبي عيسى يوسف بن عيسى الشريشي .

ترجمه في (الذيل والتكملة) .

521) **محمد بن أحمد ابن الصفار التجيبي**

محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله التجيبي أريولي أبو عبد الله ابن الصفار .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكره ما نصه : وهو والد أبي عمرو زياد ، روى عن أبوي بكر عبيد الله ابن أدهم ، وابن عيسى ابن اللبانة ، والكاتب أبي الحسن ابن اليسع ، وأبوي عبد الله ابن الفراء النحوي الأعمى ، وابن الحداد ، روى عنه أبو عامر محمد بن أحمد السالمي ، وأبو الوليد يوسف ابن الدباغ ، وكان أديباً تاريخياً حافظاً أيام الناس ، حسن السياسة لما يورده منها، ولي أحباس بلده ، وصنف في أخبار ابن عباد وشعره كتاباً سماه بـ (الدرر الافراد ، في شعر ابن عباد) ، وجال في الأندلس وبر العدوة ودخل مراكش .

522) **محمد بن جابر بن أحمد القيسي** ، روى باشبيلية عن أبي الحسن شريح .

قاله في (الذيل والتكملة) .

---

1) **التشوف** ص 382 ع 196 **والسعادة الأبدية** 2 : 113 .

523) محمد ابن صاحب الصلاة

أبو بكر، لما وفد أهل الأندلس على عبد المومن قام خطيباً ناثراً وناظماً، فأتى بالعجب ، وباهى به أهل الأندلس في ذلك الوقت .

وله في عبد المومن :

هم الأولى وهبوا للحرب أنفسهم	وانهبوا ما حوت أيديهم الصفدا
ما إن يغبون كحل الشمس من رهج	كانما عينها تشكو لهم رمدا

وقال يخاطب أخيل لما انتقل إلى العدوة :

لا تنكرن زماناً	رماك منه بسهم
وأنت غاية مجد	في كل علم وفهم
هذي دموعيَ حتى	يراك طرفيَّ تهمي
يا ليت ما كنت أخشى	عليك عدوان همّ
وانما الدهر يبدي	ما لا يجوز بوهم
ما زال شيهم مس	لكل يقظان شهم

ذكره في (نفح الطيب) (1) .

ولاشك أنه من وفد إشبيلية الذين وفدوا على عبد المومن صحبة أبي بكر ابن العربي ، ودخلوا مراكش ومكثوا بها مدة كما تقدم ذلك .

وأخيل هو أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندي،وقد ذكره في (النفح) في الجزء الثاني .

وهناك ابن صاحب الصلاة آخر، اسمه محمد بن أحمد بن مسعود الأزدي الشاطبي المقرىء المتصدر المتولد سنة 542 ، المتوفى سنة 625 ، المترجم في (طبقات القراء) .

---

1) **نفح الطيب** 3 : 469 و 4 : 202 طبع بيروت وأخيل هذا ممن فات المؤلف ترجمته ، لانه سكن مراكش وصحب بها احمد ابن عطية القضاعى الكاتب الوزير ، وله معه أخبار ومراجعات، وكانت وفاته باشبيلية سنة 560 هـ ، له ترجمة فى **المن بالامامة** ص 224 **والحلة السيرا** 2 : 241.

524) محمد بن ياسين الرجراجي

محمد بن ياسين بن سعيد الرجراجي المصمودي ، أبو عبد الله دفين المواسين ، (1) أخو الشيخ الشهير سيدي عبد الخالق دفين حوز مراكش قرب زاوية الشرادي ، المتوفي سنة إحدى وسبعين وخمسمئة بسبت بني دغوع ، وجده أبو عثمان سعيد الرجراجي المصمودي .

ذكره في مقدمة كتاب (الارتجال) .

قال صاحب (التشوف) : إن أبا عثمان المذكور كان من أكابر الأولياء ، وحدثوا عنه أن له جملة أصحاب من مومني الجن يخدمونه ، وانهم من نفر الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انتهى (1) .

525) محمد بن عبد العزيز الرجيني السلاقي

محمد بن عبد العزيز بن خلف الرجيني السلاقي الاشبيلي ، أبو بكر ، قال ابن الزبير : كان أستاذاً فاضلا جليلا نحوياً لغوياً مقرئاً أديباً ، روى عن ابن بشكوال وغيره ، أقرأ باشبيلية ، ثم نقل إلى مراكش فاقرأ بها إلى أن مات ، وكان مجلسه حافلا لتفننه في العلوم ، وكان ملحوظاً من الأكابر ، كريم الطبع ، حسيب الأصل ، نبيه البيت ، حسن النظم والنثر .

مات يوم الأربعاء ثالث صفر سنة إحدى وستمئة .

انتهى من (بغية الوعاة) .

526) محمد ابن مفرج الأنصاري من إشبيلية ، ونزل مراكش وبها مات عام أحد وستمئة ، من أصحاب موسى ابن عمران الزاهد ، وشيخهما

---

1) وصفه ابن الزيات التادلي في **التشوف** ص 93 بقوله : فقيه المصامدة ومفتيهم .

1) **التشوف** ص 93 ع 16 .

هو ابـن مجاهد الزاهد ، وكان ابن مفـرج زاهداً في الدنيا كلهـا ، أقبلت عليه فكـان يفرقها ولا يمسـك منها شيئاً ، وبنى خيمة بمسجد الصحراوي وكان يأوي فيها إلى أن لحق بالله عز وجل .

ترجمه في (التشوف) ، ومسجد الصحراوي بمراكش اثنان : أحدهما ببناهض ، والآخر بالقصور كما تقدم التنبيه على ذلك في المقدمة (1) .

527) **محمد بن خلف ابـن غيدان المعافري** من أهل ميورقة ، أخـذ القراءات عن أبي محمد ابن سهل المنقوري ، وأبي إسحاق الغرناطي ، وأبي إسحاق ابن فتحون وغيرهم ، وتصدر للاقراء والتعليم بالعربية ، وتقدم أهل بلده في ذلك ، أخذ عنه جماعة منهم : أبو عبد الله ابن الشكاز ، وتوفي بمراكش سنة إحدى وستمئة .

ترجمه في (التكملة) (2) .

527) محمد بن يحيى ابن خزعل الطلحي

محمـد بن يحيى بن خزعـل بن سيف الطلحـي الشريف من ولـد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، من أهل بلنسية، يكنى أبا عبد الله، سمع أبا عبد الله ابن حميد وأخذ عنه العربية، وقيّد عنه اللغات والآداب ، وأجاز له أبو محمد ابن عبيد الله ، وأبو القاسم السهيلي وغيرهما ، وكان أديباً نحوياً بارعاً فاضلا .

توفي بمراكش سنة أربع وستمئة عن ابن سالم .

---

1) **التشوف** ص 387 ع 201 **والسعادة الأبدية** 2 : 113 .

2) **التكـملة** 2 : 570 ع 1528 .

وترجم المؤلف بعد ابن غيدان لمحمد بن علي بن مروان ابن جبل الهمداني الوهراني ، وهو قاضي مراكش محمد بن علي بن مروان الذي تقدمت ترجمته في ص 121 ع 511 من هـذا الجزء ، فظهر ان المؤلف كرر ترجمته ، وفاتنا ان نثبت الترجمتين في مكان واحد ، وسنلحـق ترجمة ابن جبل هذا المنقولة عن **التكملة** 2 : 681 ع 1719 بآخر الكتاب لما فيها من الفوائد التي ليست في الترجمة الأولى .

ذكره في (التكملة) (1) .

528) محمد بن علي السلاقي النحوي الأديب

قال في (البدر السافر) : كانت له شهرة بمراكش ، وكان يقرأ كتاب سيبويه وغيره ، ومن أحفظ الناس للكامل وغيره من كتب الأدب ، مات سنة خمس وستمئة ، وله :

أترى يجمع شملي بكم	أبدا يا أهل نعمان الأراك
كل يوم أنا شاك منكم	وعليكم أنا طول الدهر باك

انتهى من (بغية الوعاة) .

وقال في (التكملة) : أبو بكر المعروف بالسلاقي من أهل اشبيلية وسكن مراكش ، كان عالماً بالعربية والآداب ، موصوفاً بالصلاح والفضل ، أقرأ وأُخذ عنه ، انتهى .

529) محمد بن تميم الزناتي أصله من داي ، ونزل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام 607 ودفن خارج باب الدباغين ، وكان عبداً صالحاً مجاب الدعوة ، صحب أبا إبراهيم السفاج وأبا لقمان وأضرابهما .

قال في (التشوف) : سمعت أحمد بن إبراهيم بن محمد الأزدي يقول : أخبرني المريسي عن ثقات من المريدين قالوا : كنا مع ابن تميم بجبل (إيجلين)، فأردنا أن نتوضأ من ساقية قريبة منا فلم نقدر أن نتوضأ من الساقية لغمقها(2) إلا بالنزول فيها ،فذهبنا إلى موضع فيها ليتمكن أن نتوضأ منه ، فلما رجعنا وجدنا أبا عبد الله قد توضأ من أعلى الساقية وآثار الماء حوالي الساقية ، فنظرنا فيها فرأينا آثار ماء الساقية قد ارتفع حيث يمكن القاعد أعلاها أن يتوضأ منه .

---

1) التكملة 2 : 574 ع 1534 .

2) الغمق والعمق كلمتان مترادفتان في العامية المغربية ، والكلمة قاموسية .

وأخبرني محمد بن عبد الله قال : أخبرني إبراهيم الزناتي ـ وكان من الأخيار ـ قال : لما نهض المسلمون من حضرة مراكش إلى جزيرة الأندلس لغزوة الارك رأيت في النوم النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم خلقاً كثيراً من أهل مراكش ، ثم رأيت جمعا آخر كثيراً تخلفوا عنه وأنا معهم ، فعظم علي تخلفي عنه ، فرأيت محمد ابن تميم مع المتخلفين ، فكنت أعزي نفسي بذلك وأقول : هذا أبو عبد الله وهو رجل صالح قد تخلف ولي فيه اسوة فقعدت معه إلى أن جاءه أسود حبشي ، وقال له : بعثني إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا تنس أمتي .

وحدثني أحمد بن إبراهيم بن محمد الأزدي قال : حدثني عبد الله بن محمد القناع قال : أبِقَتْ لجارتي مملوكة فبكت عليها إلى أن اغمنِّي بكاؤها ، فأتيت أبا عبد الله ، فذكرت له ذلك وسألته أن يدعو لها أن ترجع اليها فسكت ، فقلت : أخِّر الدعاء إلى وقت خلوتك وحضور النية ، فشد بيده على يدي وقال لي · سترجع إليها مملوكتها إن شاء الله ، فخرجت من عنده مسروراً بقوله ، وعلمت أن قوله حق لا شك فيه ، فأتيت إلى المرأة وقلت لها هل رجعت إليك مملوكتك ؟ قالت : لا ، فقلت لها : سترجع إليك الآن إن شاء الله تعالى ، فما مرت علينا ساعة حتى دخلت علينا مملوكتها (1).

وترجمه في (النجم الثاقب) أيضاً بمثل ما هنا ذاكرا أنه توفي سنة سبع وستمئة .

530) محمد بن محمد الجُمَلِّي المرادي

محمد بن محمد بن عبد السلام بن محمد بن يحيى المرادي ، من أهل مرسية، يكنى أبا بكر، ويعرف بالجُمَلِّي، وجُمَلَّة من أعمال مرسية.

روى عن محمد ابن عبد الرحيم ، وتفقه به ، وأبي القاسم ابن حبيش ،

1) التشوف ص 405 ع 218 .

وأبي عبد الله بن حميد وغيرهم ، وسكن مراكش وولي بها خطة المناكح دهراً، وكان فقيهاً أديباً فكهاً ناظماً ناثراً ، ولأبيه رواية ، وتوفي سنة ثمان وستمئة أو نحوها .

ترجمه في (التكملة) (1) .

531) محمد بن أيوب ابن نوح الغافقي

محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب بن محمد ابن نوح الغافقي ، قدم مراكش في جمع من أهل الأندلس ، منهم : أبو عبد الله ابن حميد ، ذكره في (الذيل والتكملة) .

وقال ابن الأبار في (التكملة) ما نصه :

محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب بن نوح الغافقي من أهل بلنسية ، ودار سلفه النبيه سرقسطة ، وقد تقدم الرفع في نسبه ، أخذ القراءات عن أبي الحسن ابن هذيل وغيره ، وسمع منه ومن أبيه أيوب ، وأبي عبد الله ابن سعادة ، وأبي الحسن ابن النعمة ، وأبي عبد الله بن عبد الرحيم ، وأبي القاسم ابن حبيش ، وتفقه بأبي بكر يحيى بن محمد ابن عقال ، واستظهر المدونة عليه ، وأخذ العربية والآداب عن ابن النعمة ، وأجاز له أبو مروان ابن قزمان ، وأبو بكر ابن محرز البطليوسي ، وأبو مروان ابن سلمة الوشقي ، وأبو بكر بن أبي ليلى ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، وأبو بكر ابن خير وسواهم ، وكتب إليه من الاسكندرية أبو طاهر السلفي ، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، مع وفور حظه منها وميله فيها إلى الأعلام المشاهير دون اعتبار لعلو الأسانيد ، وولي خطة الشورى في حياة شيوخه ، وزاحم كبارهم بالحفظ والتحصيل في صغره ، ولم يكن في وقته بشرق الأندلس نظير له تفنناً واستبحاراً ، كان رأساً في الراسخين من العلماء ، وصدراً في المشاورين من الفقهاء ، قد برع في علوم اللسان ، وتمرس

1) التكملة 2 : 585 ع 1557

حياته كلها بالمسائـل ، وتقدم في الفتيا ، واطلـع على الآداب ، واضطلـع بالغريب ، وشارك في التفسير ، وتحقق بالقراءات ، وأما عقد الشروط فاليه انتهت الرياسة فيه ، وبه إقتدى من بعده ، لم يسبقه أحد من أهل زمانه إلى ما تميز به في ذلك حتى دونت عنه ، مع حسن الخط ، وبراعة الضبط ، وتدقيق النظر ، والامامة في المعارف ، والبصر بالحديث ، والحفظ للأنساب والأخبار، والإيضاح لما استغلق من معاني الأشعار الجاهلية والاسلامية ، وله تنابيه في فنون شتى ، وتقييدات شاملة النفع والافادة ، ولو عني بالتأليف لأربى على من سلف ، وكان كريم الخلق ، عظيم القدر ، سمحاً ، جواداً ، وولي قضاء بعض الكور النبيهة ، وخطب بجامع بلنسية وقتاً ، ولم يحظ بعلومه حظوة غيره ، وامتحن بالولاة والقضاة ، وكانوا يستعينون عليه ويجدون السبيل إليه بفضل دعابة كـانت فيه معروفة منه مـع غلبة السلامة عليه في اعلانـه واسراره ، واستغراق آناء ليله في تلاوة القرآن وأطراف نهاره ، نفعه الله بذلك ، وكـان على سعة علمه مزجي البضاعة في نظمه ، ونثره أصلح منه ، وأنشدني ابنه أبو الحسن محمد غير مرة قال : أنشدني أبي لنفسه :

كأن يقيننا بالموت شـــــك ... وما عقل مع الشهوات يذكـــو

أرى الشهوات غالبة علينـــا ... وعند المتقين لهن فتـــك

هكذا كان ينشدنا غير مرتاب ، ويفصح لنا به دون توقف ، ولم أزل في ذلك معولا على ضبطه ، راكباً إلى حفظه حتى أفادني بعض أصحابنا بتونس في أول سنة 645 أو قبلها بيسير قطعة نسبها إلى ابن المعتز وأولها :

كأن يقيننا بالموت شـــــك ... ولا عقل مع الشهوات يذكـــو

لهونا والحوادث دائبـــات ... لهن بمن قصدن إليه فتـــك

وفي الأجداث من أهل الملاهـــي ... رهائن لا تعار ولا تفـــك

وللدنيا عدات بالتمنـــي ... وكل عداتها كذب وإفـــك

ويشبه أن يكون أبو الحسن سمع أباه رحمه الله يتمثل بهذين البيتين فحسبهما من قوله ، ونسبهما إليه ، على أن ثانيهما مغير عما في هذه الرواية،

وبالجملة فلم يكن لشيخنا في باب المنثور والمنظوم (1) ما يناسب براعته في أفانين العلوم ، أقْرأ القرآن وأسْمع الحديث ، ودرّس الفقه ، وعلّم بالعربية والآداب ، وأخذ الناس عنه ورحلوا إليــه وانتفعوا به ، وسمع منه جلة مــن شيوخنا وأصحابنا ، وطال عمره حتى أخذ عنــه الآباء والأبناء ، تلوت عليــه القرآن بالسبع ، وأجاز لي ، وسمعت منه بعد والدي رحمه الله ومعه ، وهــو أغزر من لقيت علماً وأبعدهم صيتاً .

ولد أول وقــت الظهر مــن يوم السبت الثــاني من جمادى الآخــرة سنة 530 ، قرأت ذلك بخط أبيه أيوب رحمه الله ، وتوفي في أول وقت الظهر أيضاً من يوم الاثنين لست مضين من شوال سنة 608 ، ودفن يوم الثلاثاء بعده لصلاة العصر بمقبرة باب الحنش ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام ، وصلى عليه أبو الحسن ابن خيرة وهو تولى غسله في جماعة من أصحابه الجلة ، وشهدت الخاصة والعامة جنازته ، واتبعوه ثناء حسناً ، ورثى بمراث كثيرة رحمه الله هـ (2) .

وترجم في (التكملة) لمحمد بن وهب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب ، وهو المعروف بنوح الغافقي من أهل سرقسطة ، ثم نزل بلنسية وولي قضاء جزيرة شقر ، وتوفي سنة 518 ، وستأتي ترجمة محمد بن محمد بــن أيــوب .

532) محمد بن عبد الله ابن طاهر الصقلي الحسيني

محمد الفقيه الامام الصالح قاضي الجماعة بمراكش ، ابن الفقيه الامام العالم الصالــح قاضي الخلافة الموحدية بمــراكش ، عبد الله بن طاهر بــن الحسين بــن موهوب بن أحمد بن محمد بــن طاهر بن الحسين بن علي بــن محمد بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زيد العابدين بن أمير المومنين الحسين بن علي ابن أبي طالب .

---

1) انظر قطعة دالية له في الترجمة التالية .

2) التكملة 2 : 582 ع 1556 و الذيل والتكملة 6 : 136 ع 346 .

قال الامام القصار في (الروض الزاهر ، في نسب سيدي محمد طاهر) الذي نظم به النسب المتقدم وما تفرع منه من (حديقة النسرين) لابن الأحمر ، ومن خطه نقل ما نصه :

ابن محمد بن عبد الله ... ابن لطاهر عظيم الجاه
ابن حسين الصقلي الامام ... أبن لموهوب بن أحمد الهمام
ابن محمد بن طاهر المراد ... ابن حسين بن علي الجواد
ابن محمد التقي ابن الرضا ... علي ابن كاظم موسى المضا
ابن الصادق يسمى جعفرا ... ابن محمد ويدعى الباقرا
ابن علي وهو زين العابدين ... ابن الحسين سبط خير المرسلين
فهذه سلسلة من ذهب ... ما مثلها في مشرق ومغرب
وكم بها من عالم وقطب ... قد ملأت أخبارهم للكتب
نظمها محمد القصار ... صوناً لها يحفظها الصغار

ثم قال : فقد أثنى على نسب الصقليين غير واحد من كبار العلماء مثل الامام ابن عرفة ، والحافظ ابن خلدون ، قال فيهم : ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب ، والحافظ ابن الخطيب السلماني قال فيهم : نسبهم نسب صحيح ، ومجدهم مجد صريح ، وناهيك بابن الخطيب وابن خلدون في علم التاريخ ، وابن بشر وابن جزي ، يعني الشاعر ، وابن الجياب وابن السكاك وغيرهم ممن لا يحصى .

ومن مناقب الصقليين أن ابن الأحمر لما ملك سبتة قال له خدامه : ما عندك خوف إلا من الصقليين ، فانِ أهل البلد مطبقون على تعظيمهم ، ولا رأي إلا في إخراجهم ، فاستعظم إخراجهم ، وبات في أستخارة ، فسمع حسَّ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوصل إلى فضل الماء ، فتمسح به فشكر له عليه السلام توقفه ، فاستدعى جميعهم بالغد ، ورتب كل ذكر منهم ، وقال لبطانته : من يقول لي في هؤلاء شيئاً ضربت عنقه ، ومن مناقبهم أنه أسر بعضهم فرأى ملوك ذلك العصر مرائيَ هالتْهم تدل على تنغص فاطمة وبعلها وولديها رضوان الله عليهم ، فانتدب للفداء ابن الأحمر وغيره ، وفاز

بذلك أبو سعيد المريني ، ففداهم بحمل مال وقال : لو تعين ما يملأ هذه القبة ما شق عليَّ بذله ، فتمهدت دولته أكثر من عشرين سنة ببركة ذلك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين

انتهى كلام (الروض الزاهر) ، وقد نقله أيضاً في (غاية الأمنية) ، ثم نقل بحث العلامة القادري في ذلك في (لمحة البهجة العلية ، في بعض أهل النسبة الصقلية) ، وهذا ما صدَّر به الشيخ المسناوي نظم (الروض الزاهر) مع ما بقي من كلام الروض الزاهر إلى نسب صاحب الترجمة :

جماع سادة الورى الأكابـــــر ... أعني الصقليين آل طاهـــــر
بعصرنا هذا وقبل بقليـــــل ... هو أبو العباس أحمد الجليـــــل
ابن علي بن محمد يليـــــه ... أحمد ذو المنصب والذكر النبيـه
ابن الذي قال به القصـــــار ... سقاه صوب الرحمة المـــدرار
محمد سيد هذا العصـــــر ... ابن محمد الجليل القـــدر
ابن علي بن محمد الكبيـــــر ... ابن لطاهر الحسيني الشهيـــر
يكفيك ما رأى له القبـــــاب ... ابن علي وهو اللبـــــاب
ابن ليحيى بن محمد النبيـــــه ... ابن علي بن حسين الفقيـــــه
ابن محمد بن عبـــد الله الخ . . .

وقد نقل أبيات المسناوي المتقدمة في (غاية الأمنية) أيضاً ، وقال فيها أيضاً : وقد وقفت على عمود نسب أبي العباس سيدي أحمد بن علي ابن طاهر المذكور إلى سيدنا الحسين السبط بالتصغير رضي الله عنهم ناقلا له من خط جده الامام سيدي محمد ابن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي موافقاً لما ذكره الامام القصار ، ثم قال عن والده ، وذلك موافق لما في (ابتهاج القلوب) ، ولما وقفت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المسناوي في بعض مقيداته من غير مخالفة في ترتيب أسمائهم .

انتهى المقصود .

ورأيت في تأليف في قبائل الأشراف منسوب لأبي بكر محمد السيوطي ما نصه : وأولاد الحسن في مراكش كان جدهم قاضياً بها ، وهو محمد بن عبد الله الشريف ، فهم بنو طاهر بن الحسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الخ .

وراجع الأشراف في ترجمة الفصيلة الخامسة الكاظميين ، ومن طاهر بن الحسن ابن موهوب إلى محمد الجواد مذكور في كتاب (الأنساب) لابن جزي عند ترجمة ملوك لمتون، وثبت فيه طاهر بين محمد والحسن العسكري كما سقط في نسختين من التقييد في قبائل الاشراف المشار له .

وراجع الذهبي في علي الهادي ، وفي (الصواعق المحرقة) علي العسكري بن محمد الجواد .

فائدة

في يحيى بن محمد بن علي بن الحسين ابن قاضي مراكش ، محمد بن قاضي مراكش عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن علي بن أحمد بن طاهر بن عيسى النقيب بن محمد بن علي وهو العريضي بن جعفر الصادق الخ، تلتقي الفروع الأربعة وهم أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن طاهر بن علي بن يحيى بن محمد ، والقاسم بن أحمد بن محمد بن علي ، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن قاسم بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ، وأحمد بن عبد الله بن أبي القاسم بن عبد الله بن أحمد بن القاسم بن أبي القاسم بن محمد، كما حصله في (غاية الأمنية) ، وهذا العمود للمترجم يخالف العمود الذي نظمه القصار كما تقدم .

وقال في (كنز الأسرار) : ذكر خروج الشرفاء من عدوة الأندلس حمل من صقلية الشرفاء الذين يلقبون بالبلاد الصقليين أربعة من الشعوب خرجت إلى مراكش ، الصقليون على أكدير من رأس الواد ، وفي مراكش

شعبة يقال لها : الحسينيون أولاد الامام الفقيه السيد مولاي محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسن بن عبد الله الملقب موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن الحسن العسكري بن علي الهادي ابن القطب محمد الجواد بن علي الرضا الخ .

وقال في (الذخيرة السنية) :

وفيها، يعني سنة تسع وستمئة، توفي الشيخ الشريف الفقيه القاضى العالم المتصوف المجاهد محمد بن طاهر الحسني من ولد الحسين بن علي رضي الله عنه ، ومن أهل مدينة فاس وبها عقبه إلى اليوم، ويعرف بابن الصقلي (1) روى عن ابن جبير وابن الرمامة ، وكان أوحد عصره فصاحة ومشاركة في جميع العلوم الدينية والدنيوية ، عالماً بالأصلين : أصول الدين ، وأصول الفقه ، ومسائل الخلاف ، ولي قضاء الجماعة للمنصور ، وكان عادلا ، فاضلا ، ورعاً لم يعرف له في أحكامه ميل ، ولا يقبل هدية من أحد من حين ولي القضاء إلى أن مات ، وكان قبل أن يلي القضاء ينتحل طريقة الوعظ والتصوف والتدريس ، واتصل بالمنصور سنة سبع وثمانين وخمسمئة ، فحظي عنده ، وكانت له عنده منزلة عظيمة ، نقل عنه أنه قال : وصل إلي من صلات أمير المومنين المنصور منذ عرفته إلى أن مات ، تسعة عشر ألفاً دون الخلع والمراكب والاقطاع ، ولي قضاء الجماعة ، ولم يزل قاضياً إلى أن مات باشبيلية بعد رجوعه من غزوة العقاب ، وكان أحد الأجواد الكرماء ، مدحه جماعة من الفقهاء والأدباء ، فممن مدحه من فقهاء الأندلس وأعلامها القاضي محمد ابن نوح الغافقي قاضي بلنسية، امتدحه بقصيدة أولها ، (طويل) :

تخيرت فانهض في رضى الله واصعد ... وحُلَّ على التوفيق ما شئت واعقد
حبانا فأحيانا بماضيٌ عزمه ... على الحق منصور اللواء مؤيد
بأروع من آل الحسين خلاله ... متى تُتْلَ كانت من سناء وسؤدد
فلو لم تكن تلك الأرومة أصله ... أتته سجاياه بأفضل محتد

1) الذى فى الذخيرة السنية ص 48 ويعرف بابن الصيقل .

هو الفرع في أعلا السماء مظللا ... قرارته بيت النبي محمد
فيالك من فخرين : ذاتي وسالف ... إذا لم يكونا لامرىء لم يمجد
مضى أمسه المحمود واليوم بعده ... كريمين لكن يقصران عن الغد
مآثر راقت في سماع ومنظر ... ترى أبدا منه تعود وتبتدى
رآه أمير المومنين ولم يكن ... لينظر إلا عن بصيرة مهتدي
فالقى إليه بالتي لا تؤوده ... وان وجدت عبئاً على كل أيد

انتهى (1) .

وقال في (التكملة) ما نصه : محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الشريف من أهل فاس ، يكنى أبا عبد الله ، روى عن إبراهيم ابن قرقول ، وكان معتنياً بسماع الحديث ذاكراً لأسانيده ومتونه ، وولي قضاء الجماعة بمراكش ، وتوفي باشبيلية سنة 608 عن أبي سالم وفيه عن غيره انتهى (2) .

وقال في (الذيل والتكملة) ما نصه : محمد بن عبد الله ابن طاهر الحسيني فاسي ، أبو عبد الله ابن الصقلي ، روى عن إبراهيم ابن قرقول (3) روى عنه أبو الحسن ابن القطان ، وأبو عبد الله ابن حماد العجلاني ، وكان راوية للحديث ، حافظاً لمتونه ، بصيراً بعلله ، عارفاً برجاله ، مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم ، عني بهذا الشأن أتم عناية ، ودرسه ببلده ، واستدرك على الاحكام الكبرى لعبد الحق أحاديث كثيرة في أكثر الكتب رأى أن أبا محمد أغفلها وأنها أولى بالذكر مما أورده أبو محمد في الأحكام ، دل ذلك على حسن نظره وجودة اختياره ، ومال وقتاً في فاس إلى التحليق بالوعظ والتذكرة ، فانجذبت نفوس الناس على طبقاتهم إليه ، وكان وقور المجلس ، نظيف الملبس ، جميل الاشارة . . . . بني عبد المومن قضاء الجماعة بعد وفاة أبي عبد الله فتقلده .... محمود السيرة ، مشكور الأحوال ، صادعاً بالحق،

1) الذخيرة السنية ص 48 طبع الرباط .

2) التكملة 2 : 683 ع 1722 ، ووفاته كانت سنة 609 لا سنة 908 .

3) في الأصل المطبوع ابن فرتون ، وهو غلط ، لأن ابراهيم ابن فرتون توفي عام 538 هـ فيبعد أن يكون المترجم أخذ عنه وبين وفاتيهما 71 سنة .

جزلا ، مهيباً ، .... أن توفي باشبيلية سنة ثمان وستمئة ، وقد قدم الأندلس غازياً .... ببني عبد المومن هـ .

534) **محمد ابن موفق** أبو عبد الله ، أصله من بجاية ، قـدم مراكش وبها مات ودفن خارج باب نيتان ، قال في (التشوف) : سمعت موسى بـن يوسف الخراز يقول : حدثني محمد ابن موفق بابتداء أمره ، فذكر أنه كانت لديه دنيا عريضة ، وكان من أهل الرفاهية والنعيم ، فنام ليلة فقيل له : اذهب إلى جبل أمسيون تر الشيوخ ، فأصبح وتجرد من أثوابه ولبس أثواباً دونها ، وذهب عشياً إلى الجبل ، وقعد بموضع منه فرأى جموعاً من الناس يمرون عليه ويصعدون إلى أعلا الجبل ، فذهب إليهم وحضر سماعهم ، واستحسن أحوالهم، فزهد في حالته من الدنيا وتجرد منها .

خرجت عن المنازل والقبـــاب ... فلم يعسرْ على أحد طلابـــي
فمنزليَّ الفضاءُ وسقفُ بيتـي ... سماءُ الله أو قطعُ السحـــاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتـــي ... عليَّ مسلماً من غير بـــاب
لأني لم أجد مصراع بـــاب ... يكون من السماء إلى التـــراب
ولا خفت الاباق على عبيـــدي ... ولا خفت الحِيرانَ على دوابـــي
ولا حاسبت يوماً قهرمانـــي ... محاسبةً فاغلط فيَ الحســـاب
ولا انشقَّ الثرى عن عود تخـت ... أؤمل أن أشدَّ به ثيابـــي
وفي ذا راحةٌ وفراغ بـــال ... فدأب الدهر ذا أبداً ودأبـــي

حدثني موسى بن يوسف قال : حدثني محمد ابن موفق قال : دخلت مالقة فحضرت مجلس عمر الواعظ ، فأخذ في وصف الجنة وما أعدَّ الله فيها لأهلها ، فصحت وأصابني حال ، فقال : صح أو لا تصح ، والله لا رأيتها ولا دخلتها ، فادركني انكسار عظيم ، وقعدت إلى الأرض أتفكر في معنى كلامه ، فاذا به قد كوشف بسري ، وأن النفس انما حنت لما كانت عليه من نعيم الدنيا ، وأنها لم تحنَّ الَى الجنة .

قال موسى بن يوسف : وكذلك مات ابن موفق ، ولم يكن عنده من الدنيا شيء بعد أن كان ممكناً فيها :

ما تراني أرى من الدهر يومـــــاً لي فيه مطية غير رجلـــــــي
فاذا كنت في فريق فنــــادوا أسرجوا للرحيل أسرجت نعلــي
حيثما كنت لا أخلف رحـــــلا من رآني فقد رآني ورحلــي (1)

535) محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) الموحدي

محمــد (الناصر) بــن يعقوب (المنصور) بــن يوسف بن عبـد المومن بن علي الموحدي الزناتي الكومي .

أمه حرة اسمها أمة الله بنت إبراهيم بن عبد المومن بن علي ، لقبـه الناصر لدين لدين الله تعالى ، نقش خاتمه « على الله توكلت ، وهو حسبـي ونعم الوكيل » ،علامته في الأوامر السلطانية « الحمد لله وحده » ، صفته أبيض، تام القد ، نحيل الجسم ، مليح العينين ، أدعج ، وافر اللحية ، كبير الهامة ، غليظ الحجاب ، لا تكاد تصله الأمور إلا بعد الجهد ، معجب برأيه ، مستبد في أموره وتدبير مملكته بنفسه .

بويع في حياة أبيه ، وجددت له البيعة بعد وفاته ، وذلك يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه ، وهو الثاني والعشرون من ربيع الأول عام خمس وتسعين وخمسمئة (22 يناير سنة 1199 م)، وأخذت له البيعة في جميع أقطار طاعة الموحدين ، وخرج من مراكش قاصداً مدينة فاس ، في أول جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وخمسمئة (الاثنين 1 مارس سنة 1199 م) فوصلها وأقام بها إلى آخر سنة خمس وتسعين ، وخرج إلى جبال غمارة ، فغزا بها علودان الغماري الثائر بها ، ورجع إلى مدينة فاس فأقام بها ، وبنى قصبتها وأسوارها التي كان خربها جده عبد المومن ، ولم يزل مقيماً بها إلى سنة ثمان وتسعين ، فوردت عليه الأخبار من إفريقية أن يحيى بـن إسحاق المعروف بابن غانيـة

1) التشوف ص 449 ع 257 و السعادة الأبدية 1 : 133 .

المسوفـي قد غلب على كثيـر من بـلادها فخرج محمـد الناصر مـن مدينة فاس قاصداً إلـى أفريقية ، فوصل إلى جـزائر بني مزغنة ، فأخـذ في تجهيز الأساطيل لميورقة ، فأخذها وانتزعها من أيدي المرابطين ، وقتل صاحبها عبد الله بن إسحاق المسوفي، وكان فتحها في ربيع الأول سنة ستمئة، وقدَّم على قضائها الامام عبد الله بن سليمان الأنصاري المعروف بابن حوط الله ، ثم ارتحل عن الجزائر وافتتح المهدية سنة إحدى وستمئة أو في التـي بعدها ، وفي سنة اثنتين وستمئة ولي عبد الواحد بن أبي حفص جميع بلاد إفريقية وارتحل إلى المغرب ، وفي سنة أربع وستمئة أمر ببناء وجدة ، وفيها بنيت قصبة بادس ، وفيها بنى مصلى عدوة القرويين ، وهو في موضع بستيون باب الجيسة اليوم الذي هو قريب من القلة مدفن بني مرين وغيرهم من الملوك، وأمر أن لا يُصلى بمصلى عدوة الأندلس ، وأقام كذلك ثلاث سنين ، ثم عادوا يصلون بها ، ولما قطع إلى جزيرة الأندلس بنية الجهاد وأقام فيها نحو عامين ، واستفتح معقل سلبطرة ، وخافه ملـوك الروم جاءه صاحب بنبلونـة فطلب منه العفو ، وقدم أمامه شفيعاً كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل في حلة خضراء في وسط صندوق من ذهب مملوء مسكاً تعظيماً له ، ومحمد هذا هو الذي حضر كائنة العقاب على المسلمين ، والحادث الأعظم ، وكانت هذه الرزية العظمى يوم الاثنين الرابع عشر من صفر الذي من سنة تسع وستمئة (16 يوليوز سنة 1212 م) فذهبت قوة المسلمين بالأندلس من تلك الهزيمة ولم تنصر لهم راية بها إلى أن تدارك الله رمق الأندلس بالسلطان يعقوب المنصور بن عبـد الحق المريني كما يأتى في ترجمته ، وكان ذلك بسبب سوء تدبير الوزير أبي سعيد ابن جامع كما سنشرحه في ترجمته ، ثم استطال العدو على الأندلس فملكها ومعاقلها ، واستحوذ عـلى كثير بلادها ، ولم يزل الفنش يملك بـلاد الأندلس بلداً بعد آخر حتى استولى على جميع قواعدها ، ولما رجع الناصر إلى مراكش من وقعة العقاب ، أخذ البيعة لولده يوسف سنة تسع وستمئة ، واغتمَّ من أجل وقعة العقاب التي فني فيها أهل المغرب والأندلس غماً كبيراً كان السبب في وفاته بمراكش في شعبان سنة عشر وستمئة ، وقيل توفـي

مسموماً في كأس خمر بأمر وزيره في يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان منها (1) بقصره من قصبة مراكش ، وقيل مات بسلا ليلة الثلاثاء عاشر شعبان المذكور وكانت خلافته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً .

ترجمه في (الحلل و (القرطاس) و (رقم الحلل) و (كتاب العبر) و (الجذوة) وغيرها ، وزعم في (الشذرات) أن أمه رومية أَمَة ، وذكر وفاته في سنة 610 في شعبان بالسكتة (2) .

536) **محمد إبراهيم الأصولي المهري** ، من أهل بجاية وهو من بني مرزقان من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد الله،رحل إلى المشرق ولقي جماعة وافرة من حملة الحديث ، ولم يسمع إلا يسيراً بمصر ، وانصرف ولم يحج ، وولي قضاء بجاية ثلاث مرات صرف عن أخراها سنة 608 بأبي محمد ابن حجاج ، ودخل الأندلس مراراً ، وولي قضاء مُرسية منها ، واستخلف بمراكش على القضاء ، وكان عَلَم وقته علماً وكمالا وتفنناً ، يتحقق بعلم الكلام وأصول الفقه ، حتى شهر بالأصولي ، واعتنى باصلاح (المستصفى) لأبي حامد الغزالي ، وإزالة ما كان فيه من تصحيف ، وله عليه تقييد مفيد ، وامتحن بقرطبة سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة هو وأبو الوليد ابن رشد محنتهما المشهورة من أجل نظرهما في علوم الأوائل ، فتحدث الناس بصبره (3)) .

يروي عن أبي إسحاق ابن طلحة، وأبي القاسم الشراط، وسمع من أبي القاسم ابن بشكوال، وأبي بكر ابن خير ، وأبي عبد الله ابن عراف وغيرهم ، وصحب العباد والزهاد ، وأقرأ القرآن ، وكان يكتب المصاحف ويضبطها فيجيد .

---

1) الذى يوافق 26 دجنبر سنة 1212 م .

2) انظر **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 231 طبع الرباط .

3) ورد فى **التكملة** المطبوعة بمصر (2 : 684 ع 1726) بعدما تقدم ما يلى :
. . . فى ذلك المقام وتجلده وثبوت جاشه وكف بصره بآخرة ، اخذ عنه أبو محمد ابن حوط الله توفى سنة 612 فى أحد العيدين ، ولم يذكر له سماع من أحد .

ذكره ابن الطيلسان وقال : توفي إثر صلاة يوم الجمعة عاشر رجب من سنة 611 ، ودفن بمقبرة أم سلمة ، نقله في (التكملة) .

وقال في (عنوان الدراية) ، و (توشيح الديباج) ، و (نيل الابتهاج) : أنه توفي سنة 612 ، ونص ما في الأول والثالث في ترجمته : محمد بن إبراهيم المشتهر بالأصولي من أهل بجاية تقضى في مدن من الأندلس وبمراكش وببجاية ثلاث مرات أخراها سنة ثمان وستمئة ، وكان جلداً صلباً قوي الجأش ، ومن طُرفه أنه حضر مجلس السلطان ، وأُحضرت فيه لآلىء نفيسة في طبق ، وعُرضت على حاضري المجلس فاستحسنوها ، وعدت ففقدت منها واحدة ، فَهَمَّ أمير المومنين بفتشهم ، فأشار عليه باحضار قلة ماء مملوءة ويُدخل فيها كل إنسان يده ستراً على الفاعل ، فسِيقتْ القلة ، فلما انتهت إليه ليدخل يده فيها امتنع ، وقال : صبوها فان وجدتم حاجتكم وإلا فهي عندي ، فصبوها فوجدوها فخلص من الشك ، وهذا من نبله وسياسته .

كان عالماً بالفقه والأصلين والخلاف والجدل ، شديداً على الولاة ، جرى بينه وبين والي بجاية كلام فيه غلظة فقال له الوالي : والله لقد أصاب فيكم أمير المومنين المنصور ، فقال : إن كان أصاب المنصور فأخطأ أمير المؤمنين الناصر ، فأفحمه فرجع الوالي واسترضاه .

توفي ذبيحاً ببجاية أواخر سنة اثنتي عشرة وستمئة .

انتهى (1) .

ونقل في (كنز الأسرار) بعض فوائده في الشرفاء العمرانيين .

ثم بعد هذا كله وقفت على ترجمته الواسعة في (الذيل والتكملة) للمراكشي ، فأحببت إيرادها لزيادة فوائد فيها لم تكن فيما تقدم ، قال :

---

1) نيل الابتهاج ص 228 طبع مصر 1351 هـ .

محمد بن إبراهيم المهري بجائي نزل سلفه مليكش إشبيلي الأصل من بني مرزبان من أهلها أبو عبد الله بن إبراهيم الأصولي، شرّق وأخذ بمصر عن الربعي والجباب، وحضر مجلس أبي الطاهر السلفي، ودرس قليلا على أبي الطاهر ابن عوف، ثم لم ترض هناك أحواله فأمر أبو الطاهر ابن عوف باخراجه عن الاسكندرية، فأُخرج منها مذموماً ، ولقيه أبو العباس بن عثمان الملياني على مقربة من الأسكندرية ، فلما لقي أبو العباس أبا الطاهر ابن عوف قال له : أين لقيت ذلك الزنديق ؟ ولما قدم من المشرق نزل جزائر بني مزغنا ، وأقام بها مدة ، وأخذ عنه . . . . القزولي ، ثم قدم مراكش فأخذ عنه بها جماعة منهم : . . . . ابن الجذع ، وأبو محمد ابن حوط الله ، وأبو يعقوب ابن الزيات . . . . بن نذير فقال له : قد أبحت لك ماسا . . . . . فاجتهد بالاجتهاد . . . . وأخذ عنه ببجاية أبو الحسن بن أبي نصر ، وأبو عبد الله بن عبد الله بن . . . . وكان متحققاً بعلم الكلام ، متقدماً في معرفة أصول الفقه حتى شهر . . . . وعني طويلا بمستصفى الغزالي فأصلح مختلّه ، وصحح معتلّه ، وعلق عليه . . . . أفاد بها ، وتنوقلت عنه ، وشهر بالعكوف على العلوم القديمة الفلسفية ، وله حظ صالح من الفقه، وكان أول قدومه على مراكش يحضر كثيراً مجلس . . . . المنصور من بني عبد المومن ، فيعامل المنصور بضروب من الجفا لا يحتمل أخفّها الاكفاء ، حتى أثر ذلك عنده وأسرّه له في نفسه ، وكان ذلك من أقوى الأسباب التي اقتضت عنده تعريضه للعن الناس إياه ، ونصبه لبصاقهم في وجهه مع وسيلته في الارتسام بتلك الطريقة المشنوءة أبي الوليد ابن رشد الصغير ، حسبما مر ذلك في رسمه ، وسأله المنصور حينئذ ، هل نظر في العلم الذي نُكب ابن رشد بسببه ؟ فأمر بقراءته والأخذ فيه مع تحققه ما عليه في ذلك ، فكان اعترافه من الأسباب التي ألحقته بابن رشد في تلك الوقيعة الشنيعة ، وتعجب المنصور والناس جميعاً من إجابته المنصور بالحق عن ما سأله كائناً فيه ما كان ، وظهر منه في هذه المحنة من الجلد وثبوت الجأش وقوة النفس ما قضى مشاهدوه منه العجب ، ثم غرب إلى أغمات فأسكن بها ، ولم يزل فيها حتى عفي عنه واستقضى عقب العفو عنه ببجاية ، وقد كان استقضى بها

مرتين ، وبمرسية ، واستنيب بمراكش ، وكان يقول حين استقضى ببجاية في المرة الأخيرة ، والله ما تقلدتها رغبة فيها ولا تغبيطاً بها ولكن تسجيلا على مقلدها إياي بقبيح التناقض الذي لا يصدر عمن له مسكة عقل في تولية القضاء والفصل في الأحكام الشرعية بين الناس من صحت عنده زندقته واشتغاله بعلوم الأوائل ، واستقر قاضياً بها مدة ، صادعاً بالحق ، جزلا في إحكامه ، عدلا في قضائه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم عزل سنة ثمان وستمئة بعد تنكيل كثير ناله من والي بجاية أبي عبد الله ابن يومور الهرغي ، وامتحان شديد كان منه ضرب ولده بأليم السياط ، وسعى في عزله فعزل ، وقدم أبو محمد عبد الله ابن سكاتو الجزائري فقال أبو عبد الله لما بلغه ذلك : عزلوني ولم يولوا أحداً ، وكف بصره بأخرة وبقي . . . . . إلى أن توفي بها في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وستمئة ، وقد . . . . . . الوليد ابن رشد وأبي القديم عبد المنعم ابن تيسيت ، وسيذكر في رسم . . . . . بن علي بن مروان إن شاء الله ، انتهى .

ووقفت على تقييد أبي عبد الله المراكشي المعروف بالأصولي في (الشرفاء العمرانيين) وبعض (وفيات الأعيان) وغير ذلك من الأمور المهمة [1].

537) محمد بن محمد ابن نوح الغافقي

محمد بن محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقي من أهل بلنسية ، يكنى أبا القاسم ، سمع من أبيه ومن أبي القاسم ابن حبيش وغيرهما ، وأجاز له أبو مروان ابن قزمان ، ، وأبو بكر ابن محرز البطليوسي ، وأبو بكر ابن خير ، وأبو بكر ابن أبي ليلى ، وأبو بكر ابن أبي جمرة وغيرهم ، وكان مشاركاً في الفقه عارفاً بالأحكام ، ماهراً في عقد الشروط ، متقدماً في الآداب شاعراً مكثراً ، ولي في أولية أمره قضاء جزيرة شقر ، وقد كان جده أيوب بن محمد ، وجد أبيه محمد بن وهب ، ولياها قبله ، ثم صرف عنها، وولي بعدها مدة قضاء المرية ، ومنها نقل إلى قضاء بلنسية ، فقدمها في شوال سنة إحدى عشرة

---

1) ينظر عن محمد بن ابراهيم الأصولي عنوان الدراية ص 208 ع 49 طبع بيروت .

وستمئة ، ولم تُحمد سيرته ، وصرف عنها مُستدعى إلى مراكش بعد انبعاث من أهل بلده لمطالبته، وشيَّعه حينئذ ابن الأبار في مَن شيَّعه ، وفاته السماع منه ، فأخذ بعض منظومه عن أخيه وعن غيره عنه ، وعاجلته منيته بعد صرفه ، فتوفي بمراكش إثر صلاة الظهر من يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع عشرة وستمئة وهو ابن ستين سنة أو نحوها .

ترجمه في (التكملة) (1) .

وفي (الذيل والتكملة) ترجم لمحمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب بن محمد بن نوح قائلا : قدم مراكش في جمع من أهل شرق الأندلس منهم أبو عبد الله ابن حميد ، وقد تقدم عنه وعن (التكملة) ص 158 من هذا الجزء .

538) محمد بن أحمد ابن الحجام اللخمي التلمساني

محمد بن أحمد بن محمد اللّخمي ، تلمساني ، مكناسي الأصل الشيئه قديماً ، أبو عبد الله ، ابن الحجام وهو أبوه ، قال في (الذيل والتكملة) :

تلا بالسبع على أبي العباس الأعرج، وأخذ بفاس عن أبي الحجاج بن عبد الصمد ابن نموي،وأبي القاسم بن يوسف بن الحسن ابن زانيف،واختص بصحبة عبد الرحمان الفازازي، روى عنه ابنه أبو محمد، ويحيى بن محمد ابن طفيل، وكان فاضلا صالحاً زاهداً ذا حظ من الأدب وقرض الشعر ، أكمه مال إلى طريقة الوعظ والتذكير ، فرأس فيها أهل عصره بحسن الصوت وغزارة الحفظ واتقان الايراد والصدق والاخلاص في وصاياه وتذكيره ، فنفع الله به خلقاً كثيراً في بلاد شتى ، وكان آية من آيات الله في سرعة الحفظ .

قال عبد الرحمان الفازازي: كنت بحضرة مراكش أصنع مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس الواعظ أبو عبد الله ، يعني هذا ، في يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وكان حسن الصوت ، فصيح اللسان ،

---

1) التكملة 2 : 596 ع 1578 .

البيان ، وكان يأتي منزلي فأكتبها له ، وكان يرغب إلي أن أرفع صوتي عند الكتابة لأسمعه ، فما رأيت أسرع حفظاً منه ، ما أكاد أكملها مع ما فيها من قصائد إلا وقد حفظها ، وكان سكناه مراكش باستدعاء المنصور من بني عبد المومن إياه لذلك ، وكانت الطافه تتوالى عليه إلى أن توفي ، فحظي كذلك عند ابنه محمد الناصر، وبالغ في الاحسان إليه إلى أن توفي، فجرى المستنصر ابنه في الاحتفاء به والاحتفال في صلاته مجرى أبيه وجده . . . . . . من عطاياهم قليلا لا كثيراً إنما كان يصرف ما يصل إليه . . . . وغيرهم في الفقراء والمساكين والمحتاجين وتجهيز الضعيفات إلى . . . . هذا كان دأبه إلى غاية عمره نفعه الله .

وقال أبو عمرو ابن سالم . . . . من طلبة مراكش قال : كان أبو عبد الله الواعظ الأعمى من أحفظ الناس . . . . أعجب من سرعة حفظه أم من سرعة خاطر عبد الرحمان الفازازي ، كان . . . . . والأشعار ارتجالا.

قال المصنف عفا الله عنه :

ولابن الحجام كتاب حفيل في الوعظ سماه (حجة الحافظين ومحجة الواعظين) معظم ما أودعه من عبد الرحمان الفازازي وأضاف إليه يسيراً من كلام غيره ، واختصر هذا الكتاب لزيمه يحيى بن محمد ابن طفيل وسماه (أنوار مجالس الأذكار ، وأبكار عرائس الأفكار) ، وقد وقفت على هذا المختصر في مجلدين ضخمين بخط منتخبه .

ومما يوثر من نظمه :

غريب الوصف ذو علم غريب ... عليل القلب من حب الحبيب

إذا ما الليل أظلم قام يبكي ... ويشكو ما يكن من النحيب

يقطّع ليله فكراً وذكرا ... وينطق فيه بالعجب العجيب

به من حب سيده غرام ... يجل عن التطبب والطبيب

ومن يك هكذا عبداً محبا ... يطيب ترابه من غير طيب

قال المصنف عفا الله عنه : رفع يطيب مع جزم يك غير مستقيم ، وإصلاحه تطب أثوابه أو ما هو على وزنه وفي معناه أو يناسبه ، وسمعت شيخنا أبا القاسم البلوي رحمه الله يقول : حضرت مجالس وعظه كثيراً بالجامع الأعظم من إشبيلية ، فكان في حسن صوته وبراعة إيراده ، واستحكام تأثيره، وانفعال القلوب لتذكيره بمقام تكل العبارة عن وصفه ، ولقد شاهدته في بعضها وقد ندب الناس إلى افتكاك أسارى ، فتسارع الناس إلى بذل ما حضرهم ، وخلع كثير منهم بعض ما كان عليه من الثياب ، فعهدي بها قد تراكمت أمام منبره حتى كادت تحجبه عن الأبصار ، سوى ما وعد به، فتجمل في أثمان تلك الثياب مال جسيم ، وهو الذي صلى على أبي إسحاق الكانمي حين توفي حسبما تقدم ذكره (1) .

ولد بتلمسان سنة ثمان وخمسين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش في يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة أربع عشرة وستمئة .

539) محمد بن أحمد ابن جبير الكناني

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام ابن جبير الكناني الداخل إلى الأندلس في طالعة بشر ابن عياض القيسي القشيري ، وفي محرم ثلاث وعشرين ومئة كان نزوله بكورة شذونة ، وهو من ولد ضمرة بن كنانة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة ابن مالك ، يكنى المترجم أبا الحسين من أهل شاطبة ، وسكن جيان ثم انتقل إلى مدينة فاس ، ثم رحل إلى المشرق .

روى بالأندلس عن القاضي أبي الوليد ابن الدباغ ، وعن أبيه أحمد ابن جبير ، وأبي الحسن بن أبي نفيس، وأبي عبد الله ابن الأصيلي الطرطوشي، وكتب بغرناطة عن عثمان بن عبد المومن ، ثم عن

---

1) تقدمت في الجزء الأول من هذا الكتاب ترجمة ابراهيم بن محمد الذكواني الكانمي ص 153 ع 9 وترجمة ابراهيم بن يعقوب الكانمي ص 168 ع 14 وليس فيهما ان ابن الحجام صلى على واحد منهما ، ولا شك ان ذلك مذكور في ترجمة احدهما من كتاب الذيل والتكملة الذي ينقل المؤلف هذه الترجمة منه .

غيره ، ثم رحل لأداء فريضة الحج ، فلقي جلة أشياخ ، وعاد إلى غرناطة أيضاً وقد استوسق علماً وفضلا ، فمن أشياخه في الرحلتين أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الغساني التونسي ، سمع عليه كثيراً بمكة شرفها الله تعالى ، وضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي المعروف بابن سكينة ، وكتب له بالاجازة عمر بن عبد الحميد الميانشي ، وصدر الدين عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الخجندي رئيس الشافعية بأصبهان ، وأبو محمد عبد الرحمان بن إسماعيل بن أبي سعد الصوفي، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن إبراهيم البغدادي ، قال : وممن لقيته بدمشق الحافظ أبو القاسم ابن عساكر ، وأبو الطاهر الخشوعي ، وأقام يحدث ويروي بغرناطة ، وعظم بها قدره ، واشتهر في أهل الخير ذكره ، ثم انتقل إلى مدينة فاس وباع أملاكه وانفصل بجملته ، فمات أهله وولده بفاس ، فرجع ثالثة إلى المشرق سنة سبع وستين وخمسمئة فسكن مكة شرفها الله تعالى ، ثم انتقل إلى القدس ، وبقي يتردد بين الحرمين وبيت المقدس والأسكندرية ، وفي ذلك كله يزداد فضلا وورعاً وعلماً يقربه إلى الله تعالى، فزاد تواضعه وخيره إلى أن مات بالأسكندرية رحمة الله عليه بمنه وكرمه آمين .

وكتب بسبتة عن أبي سعيد عثمان ابن عبد المومن ، وبغرناطة عن أميرها ، وله فيهم أمداح ، ونزع عن ذلك وجرت بينه وبين أهل عصره مخاطبات ، وصنف رحلته المشهورة ، وله ديوان شعر على قدر ديوان أبي تمام ، وله نظم سماه (نظم الجمان ، في التشكي من إخوان الزمان) يشتمل على أزيد من مئتي بيت في قطع ، وله مقالة (رسالة اعتبار الناسك ، في ذكر الآثار الكريمة والمناسك) كتب بها إلى وليه أبي الحسن ابن معنصر من فاس عند عودته إلى المشرق في ذي القعدة ثلاث وتسعين وخمسمئة .

من نظمه وقد شارف المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

أقول وآنست بالليل نارا	لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بال أفق الدجى	كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندس	فما باله قد تجلى نهارا
وهذا النسيم شذى المسك قد	أعير أم المسك منه استعارا

وكانت رواحلنا تشتكـــــــي وجاهاً فقد سبقتنا ابتـــــدارا
وكنا شكونا عناء الســــــرى فعدنا نباري سراع المهـــــارا
أظن النفوس قد استشعــــرت بلوغ هوى تخذته شعـــــارا
بشائر صبح السري آذنـــــت بأن الحبيب تدانى مـــــزارا
جرى ذكر طيبة ما بيننـــــا فلا قلب في الركب إلا وطـــارا
حنيناً إلى أحمد المصطفـــــى وشوقاً يهيج القلوب استعـــارا
ولاح لنا أحد مشرقـــــاً بنور من الشهداء استنـــــارا
فمن أجل ذلك ظل الدجـــــى يحل عقود النجوم انتثـــــارا
ومن ذلك الترب طاب النسيـــــم نشراً وعم الجهات انتشـارا
ومن طرب الركب حث الخطـــا إليها ونادى البدار البـــدارا
ولما حللنا فناء الرســـــول نزلنا بأكرم خلق جـــــوارا
وحين دنونا لفرض الســـــلام قصرنا الخطا ولزمنا الوقـــارا
فما نرسل اللحظ إلا اختلاســـا ولا نرجع الطرف إلا انكســـارا
ولا نظهر الوجد إلا اكتتامـــــا ولا نلفظ القول إلا ســـــرارا
سوى أننا لم نطق أعينـــــا بأدمعها غلبتنا انفجـــــارا
وقفنا بروضته للســـــــلام نعيد السلام عليها مـــــرارا
ولولا مهابته في النفـــــوس لَثَمنا الثرى والتزمنا الجـــدارا
قضينا بزورته حجنـــــــا وبالعمرتين ختمنا اعتمــــارا

* * *

إليك نبيّ الهدى إننـــــــي ركبت البحار وجبت القفـــارا
وفارقت أهلي ، ولا منـــــة ورب كلام يجر اعتـــذارا
وكيف نَمُنُّ على من بـــــه نؤمل للسيئات اغتفـــــارا
دعاني إليك هوى كامــــن أثار من الشوق ما قد أثـــارا
فناديتُ لبيك داعي الهـــــدى وما كنت عنك أطيق اصطبـــارا
ووطنت نفسي لحكم الهـــــوى عليّ وقلت رضيت اختيـــــارا
أخوض الدجا وأروض الســـــرى ولا أطعم النوم إلا غـــــرارا
ولو كنتُ لا أستطيع السبيـــــل لطرت ولو لم أصادف مطـــارا

وأجدر من نال منك الرضـــا محب غريب على البعـــد زارا
عسى لحظة منك لي في غـــد تمهد لي في الجنان القـــرارا
فما ضل من بهداك اهتـــدى ولا ضل من بذراك استجـــارا

وهذه القصيدة عارضها في المدح النبوي أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري المعروف بابن الحاج الواداياشي الغرناطي المترجم في (الاحاطة) وفي (الجذوة) المتولد سنة 713 مطلعها :

سقى الله بالأجزع الفـــرد دارا لأمر بها الشوق والبرق ثـــارا

وقال المترجم أيضاً :

هنيئاً لمن حجّ بيت الهـــدى وحط عن النفس أوزارهـــا
وإن السعادة مضمونـــة لمن حج طيبة أو زارهـــا

وله أيضاً :

إذا بلغ المرء أرض الحجـــاز فقد نال أفضل ما أمّ لـــه
وإن زار قبر نبي الهـــدى فقد أكمل الله ما أملـــه

وله أيضاً :

بيان المرء بالاكثار عيـــب وعيب الصمت أقرب للبيـــان
وما في الأرض إن فكرت شيئـــاً أحق بطول سجن من لســـان

وله أيضاً :

عليك بكتمان المصائب واصطبـر عليها فما أبقى الزمان شفيقـــا
كفى بك بالشكوى إلى الناس أنهـا تسر عدواً أو تسوء صديقـــا

وله أيضاً :

فصنائع المعروف فلتة عاقـــل إن لم تضعها في محل عاقـــل
كالشمس في سمواتها إن لم تكـن وقفاً لها عادت بضر عاجـــل

مولده ببلنسية سنة تسع وثلاثين .

وتوفي بالأسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان سنة أربع عشرة وستمئة .

ذكره ابن الزبير قال : وحدثني عن ابن جبير هذا شيخنا علي بن محمد الغافقي ، وينسب إليه تأليف رحلته المشهورة وهي بأيدي الناس ، وليست من تآليفه فيما ذكر لي شيخنا الغافقي ، إنما قيّد هو حاصلها من ذكر المراحل والانتقالات وأحوال البلاد لنفسه تقييداً لم يقصد به التأليف ، فرتبه بعض من أخذ عنه وأتقنه مؤسساً، انتهى .

نقله في (الجذوة) (1) .

وذكر الشيخ الأكبر في (الفتوحات المكية) أنه لقي المترجم بمراكش سنة 595 كما ذكرنا نصه في ترجمة الامام ابن رشد الحفيد ، وذكر العبدري الحاحي في رحلته لما وصل الأسكندرية ، أن أهلها يأخذون المكس من الحجاج ويفتشونهم على ذلك نساء ورجالا ، ثم نقل ذلك عن المترجم ، وأنه مدح صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، وذكّره بالله في حقوق المسلمين في قصيدة مطلعها:

أطلت على أفقك الزاهـــر   سعود من الفلك الدائـــر

وأوردها (2) ثم أورد القصيدة المتقدمة التي أنشده إياها أبو عبد الله نور الدين بن منصور بن حباسة الأسكندري عن أحمد السبتي الحميدي بثغر الأسكندرية، عن ناظمها المترجم .

وذكر في (الجذوة) في ترجمة أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي ، ثم الناميسي الطنجي ، أن المترجم أجاز له ما رواه وأنشأه ، ثم أنشد في ترجمة أبي الحسن على الشاري الغافقي قول المترجم .

وإني لاوثر مَن أصطفِـــي   واغضض عن زلّة العاثـــر

---

1) جذوة الاقتباس ص 277 ع 288 .

2) الرحلة المغربية ص 94 طبع الرباط .

وأهوى الزيارة ممن أحـــــــــب لأعتقد الفضل للزائــــــــــر

انتهى .

وممن ترجم له ابن الأبار في (التكملة) وأطال في ترجمته في (نفح الطيب) بنقل بعض كلامه في رحلته ،وكذلك ترجمه في (الاحاطة) وصاحب (بغية الملتمس) (1) .

وقال أبو عبد الله ابن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور :

لأبي الحسين مكارم لو أنهـــــا عـُدَّت لما فرغت ليوم المحشـــر
وله عليٌّ فضائل قد قصــــــرت عن بعض نعماها عظام الأبحـــر

والدعاء عند قبر ابن جبير مستجاب ، قاله ابن الرقيق رحمه الله .

وممن ترجمه الامام ابن عبد الملك في (الذيل والتكملة) ، وأطال في ترجمته في ثمانية أوراق ، وقال في (الشذرات) بعد ذكره : ولد سنة أربعين وخمسمئة ، وسمع من أبيه وعلي ابن أبي العيش المقرىء .

انتهى المقصود .

وترجمه ابن الحزري في (طبقات القراء) .

540) محمد بن عبد العزيز ابن عياش التجيبي

محمد بـــن عبد العزيز بـــن عبد الرحمـــان بن عبد الله ابـــن عياش التجيبي من أهل برشانة ، عمل المريـــة ، وسكن مراكش ، أخذ عـــن أبي عبد الله ابن حميد يسيراً ، وعن أبي القاسم السهيلي ، وعني بالآداب ، وكان عالماً بها رئيساً في صناعة الكتابة ، خطيباً مصقعاً بليغاً مفوهاً ، ذا حظ

---

1) التكملة 2 : 598 ع 1581 والاحاطة 2 : 230 ونفح الطيب 2 : 381 والمغرب 2: 384 .

صالح من قرض الشعر ، وكانت له مشاركة في غير ذلك ، واستكتبه السلطان بالمغرب في سنة ست وثمانين وخمسمئة ، فنال دنيا عريضة .

قال ابن الأبار : أنشدنا القاضي أبو محمد ابن برطله قال : أنشدنا عبد الرحمان بن محمد ابن عياش قال : أنشدني أبي مما قاله في المصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد أمر المنصور بتحليته :

ونفلته من كل ملك ذخيرة ... كأنهم كانوا برسم مكاسبه
فان ورث الأملاك شرقاً ومغربا ... فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه
وألبسته الياقوت والدر حلية ... وغيرك قد روّاه من دم صاحبه

وذكرها في (النفح) بسند ابن رشيد ، وزاد بيتاً بين الثاني والثالث وهو :

وكيف يفوت النصر جيشاً جعلته ... أقام قناه في الوغي وقواضبه

مولده سنة خمسين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش في العشر الأواخر من جمادى الآخرة سنة 618 .

انتهى (1) .

وعد في (الاحاطة) في ترجمة المامون الموحدي أبا عبد الله ابن عياش من كتّابه .

أما أبو الحسن الكاتب البارع عبد الملك ابن عياش ، فهو من كتّاب المنصور الموحدي كما في شرح المقصورة للشريف الغرناطي ، وهو من كتّاب والده يوسف وجده عبد المومن ، وستأتي ترجمته .

541) محمد بن عيسى ابن المناصف الأزدي

محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن أصبغ بن عيسى ابن أصبغ الأزدي القرطبي ، القاضي ، كذا نسبه ابن غالب ، يعرف

---

1) التكملة 2 : 605 ع 1596 .

بابـن المناصف ، مـن أهل قرطبـة ، وخرج أبوه عيسـى منها فـي الفتنة عند انقراض الدولة اللمتونة ، فاستوطن افريقية ، وبها ولد ابنه محمد هذا ونشأ وتفقه بأبي الحجاج المخزومي قاضي تونس ، وسمع بها من أبي عبد الله بن درقة ، وانتقل إلى تلمسان فسمع من أبي عبد الله التجيبي ، وله رواية عن أبيه عن جده ، ولم يعل إسناده ، وكان عالماً متفنناً نظاراً صاحب استنباط وتدقيق ، واقفاً على الاتفاق والاختلاف ، معللا مرجحاً مع الحظ الوافر من علم اللغة والآداب والتصرف الحسن في قرض الشعر ، وله أراجيز في غير ما فـن ، ومنها : (المذهبة) في الحلـى والشيات ، حملت عنه ، وسمع ابن الأبار كثيراً منه ، ومنها (الدرة السنية، في المعالم السنية)، ولم يكن له علم بالحديث ولا عناية بالرواية، وألف كتاب (الأنجاد، في الجهاد) فظهر فيه علمه ، وبان تقدمه ، وكتاب (الأحكـام) ، واستدرك على القاضي عبد الوهاب المالكي في (التلقين) من تأليفه باب السلم لاغفاله ذلك ، ونقل هذا الباب كله في (الذيل والتكملة) فراجعه فيه .

وولي قضاء بلنسية ، وبها لقيه ابن الأبار واستجازه بخطه فأجاز له جميع ما رواه لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ثمان وستمئة ، ثم نقل منها إلى قضاء مُرسية ، وكان ذا سيرة عادلة وأُبهة وشارة جميلة ، جامد اليد ، صليباً في الحق ، وكانت فيه حدة مفرطة وغلظة في تأديبه أدّته إلى صرفه عن القضاء وإسكانه قرطبة بلد سلفه ، ثم لحق بمراكش فأقام هناك مناوباً أيمة صلاة الفريضة إلى أن مضى لسبيله فى شهر ربيع الآخر سنة عشرين وستمئة ، ومولده بتونس ، وقيل بالمهدية وهو أصح في رجب سنـة 563 .

قال ابن الأبار: وذكره في الغرباء لا يصح ضنانة بعلمه على العدوة (1).

وأطال في ترجمته في (الذيل والتكملة) ، وقال فيه ما نصه : وقبح الله الحسد المذموم ، فقد حمل محمد ابن الأبار على ذكره إياه في الأندلسيين

---

1) **التكملة** 2 : 611 ع 1606 .

تشعباً ، ثم قال : ولا عبرة بالتأصل والعراقة بالنظر إلى ما تقـرر بالاصطلاح في الغرباء .

وقال أيضاً : ثم استقر أخيراً بمراكش خطيباً بجامع بني عبد المومن الأقدم جامع الكتبيين ، إلى أن توفي بها غداة يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلـة بقيت من ربيع الأول سنة عشرين وستمئة ، ودفن إثر صلاة العصر من يوم وفاته خارج باب تاغزوت ، وشهد جنازته خلق كثير ، وأثنوا عليه صالحاً ، وهو كان خاتمة بيتهم النبيه رحمه الله .

مولده بتونس ، وقيل بالمهدية وهو أصح في رجب سنة ثلاث وستين وخمسمئة .

انتهى المقصود .

وأخرج من طريق جده محمد بن أصبغ المتوفي سنة 536 المترجم في (الصلة) و (البغية) و (الموطأ) أبو بكر ابن خير في فهرسته قراءة عليه عن أبي عبد الله محمد ابن فرج المشهور بابن الطلاع ، سماعاً عليه عن ابن أبي عيسى سماعاً عليه ، عن عم أبيه أبي مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى عـن أبيه يحيى بن يحيى عن مالك رضي الله عنه ، انتهى .

كما ترجم في أصحاب الصدفي لأبي الوليد بن أبي الحسن عيسى ابن أصبغ ، كما ترجم فيه المترجم محمد ابن أصبغ .

وذكر في (النيل) أن رجزه فـي الحلى والشيات نظمه بمـراكش في جمادى الأولى عام عشرين وستمئة ، وقد علمت أنـه مات قبل ذلك فـي 18 ربيع الأول من العام المذكور .

قال ابن الزبير : أخذ عنه جماعة من شيوخنا كأبي الخطاب بن خليل، وأبي القاسم ابن ربيع ، وأخيه أبي الحسن وغيرهم .

انتهى من رحلته .

وأسند العبدري الحاحي في رحلته روايــة منظومة الحلى عن الفقيــه الأديب محمــد بن عبد المعطــي بن محمد النفــزي شهر بابن هريــرة بسنده إلى ناظمها المترجم ، وقد وقفت على هذه المنظومة بمراكش ، وهي في ملكي في مجمــوع بخط اليد اشتملت عــلى 33 ورقة من مسطــرة 16 .

وقد قال في (صبح الأعشى) صحيفة 152 من ج 1 : أن الكاتب يحتاج إلى معرفة غريب اللغة ، وأن (كفاية المحتفظ) لابن الأجذابي ، (والمذهبة) و (المقتضبة) لابن أصبغ كافلتان بالكثير من ذلك .

فــائــدة

قال في (النفح) : وكان أهل الأندلس في غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة ، قال ابن مسدي : أملى علينا ابن المناصف النحوي بدانية على قول سيبويه هذا ما الكلم العربية عشرين كراساً بسط القول فيها في مئة وثلاثين وجهاً ، انتهى ، وهذا وأشباهه يكفيك في تبحر أهل الأندلس في العلم، وربما سئل العالم منهم عن المسألة التي يحتاج في جوابها إلى مطالعة ونظر ، فلم يحتج إلى ذلك ، ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه إلى زيادة ، انتهى .

وقال في (نفح الطيب) أيضاً : وقال أبو عبد الله ابن المناصف قاضي بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى :

ألزمت نفسي خمــــــــولا	عن رتبة الأعــــــــلام
لا يخسف البــــــدر إلا	ظهوره في تمــــــــام

542) **محمــد بن عبــد الحق ابــن سليمان الكومــي** ، قاضي تلمسان ، سمع من أبيــه وتفقه به وبالحسن بن عبد الله ابــن الخراز النحوي ، وأخذ عنهما العربية ، وأخذ القراءات عن أبي علي أيضاً في سنة إحدى وخمسين ، وسمع من أبي محمد بن عبيد الله ، وأبي الحسن ابن حنين ، وأبي عبد الله ابن خليل وجماعة ، وكتب إليه ابن هذيل ، وأبو الحسن ابن النعمــة، والسلفي ، ودخل الأندلس وولي قضاء بلده ، وكان حميد السيرة مشاركاً في

الفقه وعلم الكلام معتنياً بالحديث وروايته ، معظّماً عند الخاصة والعامة ، وجمع من الدواوين شيئاً عظيماً ، وله كتاب في (غريب الموطأ) ، وكتاب (المختار ، الجامع بين المنتقى والاستذكار) في عشرين سفراً في نحو ثلاثة آلاف ورقة وغير ذلك ، وحدّث ودرّس ، وغيره أحسن تصرفاً منه وأمتن تحصيلا منه .

توفي بتلمسان سنة 625 ، وقد نيف على الثمانين (1) .

وذكر ابن الأبار أن المترجم لقي أبا عبد الله بن خليل بمراكش .

وذكر في (الجذوة) أنه من تلامذة أبي الحسن اللواتي .

وقال في (الذيل والتكملة): محمد بن عبد الحق ابن سليمان اليعفري البطوئي ، روى ببلده عن أبيه عبد الحق ، وتفقه به وبعمران التليدي ، وبأبي بكر ابن عصفور ، وبأبي بكر اللقنتي ، وبأبي الحسن جابر بن محمد ، وبأبي الحسن ابن أبي قنون ، وبالحسن ابن الخراز ، وصحب الوليين الزاهدين أبا مدين شعيب بن الحسين ، ومحمد بن محيو الهواري، ولقي كثيراً من أهل العلم والدين والزهد والورع ، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسبتة وإشبيلية ، فأخذ بمراكش عن أبي الجيش مجاهد ، وأبوي عبد الله ابن خليل ، وابن الفخار ، وأبوي القاسم ابن حبيش ، والسهيلي ، وبها وباشبيلية عن أبي بكر ابن الجد ، وأبي جعفر ابن مضا ، وأبي الحسن نجبة ، ولقي بها أبا عمران الزاهد ، وقد ضمن برنامجه المسمى (الاقناع ، في ترتيب السماع) ، ذكر شيوخه وكيفية روايته عنهم ، وله مصنفات كثيرة كثيرة سماها في آخر برنامجه ، فكان راوياً ، فقيهاً ، حافظاً ، متكلماً ، متفنناً في علوم جمة ، بارع الخط ، جماعاً للكتب الجليلة ، وله مصنفات كثيرة أجلها الخلق ، رائق الملبس ، مطعاماً وجيهاً ببلده عند السلاطين والأمراء ، ولي قضاء بلدة تلمسان مرتين فعدل وأجزل .

---

1) التكملة 2 : 623 ع 1628 .

ومن نظمه هذان البيتان في عدد أحاديث البخاري رحمه الله :

جميع أحاديث الصحيح الذي روى الـ ـبخاريُّ خمسة وسبعون في العد
وسبعة آلاف تضاف وما مضـى إلى مئتين عد ذاك أولو الجـد

مولده سنة 536 ، وتوفي بتلمسان سنة 625 ابن 89 سنة رحمة الله عليـه .

انتهى منه باختصار وتلخيص جداً ، فقد أطال فيها .

وممـن ترجمـه الذهبـي وابـن الجـزري فـي (طبقـات القـراء) صحيفة 159 ج 2 .

543) محمد بن أحمد ابن أبي غالب العبدري .

قال في (الذيل والتكملة) : روى عنه أبو محمد بن إبراهيم التطيلي ، وكان فقيهاً ، حافظاً ، نحوياً ماهـراً ، وقفت له على شرح الجمل مـن تأليفه بخطه ، وسماه بـ (المنتخل) ، وهو مختصر مفيد ، واستقضي .

وتوفي بمراكش صدر يوم الأربعاء لتسع خلون من رمضان من ست وعشرين وستمئة ، وصلى عليه أبو أمية إسماعيل بن سعد السعود ابن عفير ، ودفن بمقبرة تامراكشت .

وذكر أبو جعفر بن الزبير ما نصه :

محمد بـن أحمد ابن أبي غالب مـن أهل مالقة ، ومـن بيت علم وأدب ، كان أدِيباً ، كـاتباً ، وشاعراً مطبوعاً ، روى عنـه أخوه سليمان بعض شعره ، وذكره أبـو عمرو ابن سالم ، وتوفي بمـراكش سنة ست وعشرين وستمئة ، فيظهر من بعض ما ذكره به أنه المترجم به ، وقد كان ذكر قبل بين من توفي في محرم ، ومن توفي آخر رجب ، وكلاهما مـن سنة ست عشرة وستمئة ما نصه :

محمد بن أحمد بن أبي غالب العبدري ، كانت مشاركة في فنون من العلم كالفقه وأصوله والعربية وغير ذلك ، وولع بالمنطق حتى شرح كتـاب

(المستصفى) فما زاد على أن أرى في مسائله كيفية الانتاج باظهار المقدمتين في كل مسألة مسألة وما تنتجه ، وردها إلى ضروبها من الأشكال المنطقية على مراتبها ، وقلما تعرض لغير هذا ، وما سئم منه ولا كلّ على طول الكتاب ، وألف في العربية تأليفاً مختصراً لا بأس به ، أما شرحه فأقل شيء .

فائدة

وولي القضاء ، وكذلك أبوه أحمد ، وقفت على ما ذكرته من تأليفه ، انتهى .

ويظهر من بعض ما ذكره به أيضاً أنه المترجم به ، ويقطع بأنه عنده رجلان لذكره إياهما في طبقتين ، وشارح (المستصفى) و (الجمل) هو الذي ترجمنا به لا محالة ، وهو المتوفي بمراكش حسبما ذكرناه ، وفيما وقع عند ابن الزبير نظر ، والله أعلم .

انتهى .

544) محمد بن علي ابن حماد الصنهاجي

محمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن حماد ابن حماد الصنهاجي القلعي (1) قلعة بني حماد حمزي الأصل ، واستوطن مراكش بآخرة ، أبو عبد الله ابن كلانون وابن حماد، وتعلم القرآن العظيم عند القاسم ابن النعمان بن الناصر بن علا الناس ابن حماد الصنهاجي ، وكان يتعيش بعد انقراض دولتهم بتعليم كتاب الله جل جلاله .

وروى عن أبي جعفر بن محمد ابن عياش بمرسية ، وأباء الحسن بن شكر بن عمر ، وابني المحمدين بن عبد الملك ابن القطان ، وأبي عثمان التميمي القلعي المعمر ، وأبي الحسين ابنزرقون باشبيلية ، وأبي ذر ابن أبي ركب ، وآباء عبد الله : بن أبي بكر بن عبد الله الحمزي ، وابن عبد الله بن

---

1) ورد اسمه في عنوان الدراية هكذا : محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي .

محمد المعافري ابن الخراط ، وابن عبد الحــق التلمساني ، وابن علي ابــن مخلوف بالجزائر ، وأبي العباس بن مبشر ابن سرور مولى الحماديين ، وأبوي محمد عبد الحق ابن الخراط ببجاية ، وغلبون بمرسية .

روى عنه أبو بكر ابن غلبون ، وأبــو الحسين بن عبد الله بــن عبد الرحمان السجلماسي مستوطن أزمور ، وأبو عبد الله بن علي بن هشام شيخنا، وأبو العباس ابن فرتون ،وأبو محمد بن عبد الرحمان ابن برطله ، وابن موسى الركي .

وكان أديباً ، بارع النظم والنثر ، نزه النفس ، حسن الخلق ، ذا حظ صالح من الفقه وأصوله ، متحققاً بالنحو ، متقدماً في حفظ اللغات والآداب ، ضابطاً كتبه ، محافظاً عليها ، جيد الخط ، كتب الكثير وأتقن تقييده ، ولم يزل الناس يتنافسون في ما يوجد بخطه أو بمعاناته ، ويعتمدونه ، وصنف فــي اللغات والتاريخ والآداب وما جرى مجرى ذلك مصنفات ، منهــا . . . .
. . . . عبد الحق وشرح قصيدة عمر بن أبي ربيعة . . . .
وشرح مقصورة ابن دريد، و (الديباجة، في أخبار صنهاجة)، (النبذ المحتاجة، في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية) وديوان نظمه ونثره حافل . . . .
ومنه جزء سماه (عجالة المودع ، وعلالة المشيع) وكله أو جله صدر . . . .
كونه بمرسية أفاد به بعض أصحابه بها ، وسمط قصائد وقطعاً و . . . .
الشعراء ظهرت فيها إجادته ، وعكف عامة عمره على استفادة العلم ، واستقضي بالجزيرة الخضراء وبسنلا سنة 612 وبأزمور ، واستقضي بمرسية فحمدت فيها كلها سيره ، وشكرت أحواله، وعرف بالعدل وتمشية الحق والجزالة والطهارة.

ومن نظمه ــ وكتب به من مرسية إلى أبــي عبد الله بن عبد الحــق التلمساني شاكراً له على إجازة بعث بها إليه ــ :

يا أيها الندب السري الأمجـــــــد والعالم الحبر الفقيه الأوحــــــــد
يا أيها البحر المحيط معارفــــاً لا تنتهي ، وفوائداً لا تنفَــــــــد
وصلت إجازتك المجيزة سيـــدي نحو الذي أنحو إليه وأقصـــــد

إن الدراية والرواية منتهـــى ... أملي الذي أسعى إليه وأحفـــد
لا زلتَ لي متفضلا فأجزتنـــي ... بفوائد يفنى الزمان وتخلـــد
فجزاك عنا الله خير جزائـــه ... فجزاء مثلك عندنا لا يوجـــد
وودت لو أني لديك ، وأين مـن ... ظمآن في البيد البلاقع مـــورد ؟
ولقد لقيتك لُقية لكنهـــا ... كانت كما أغفى وهب مسهَّـــد
لم تشف لي كمداً وأنَى يُشتفـى ... بزيارة الطيف المسهد مكمَـــد
فان استمرت بي الحياة لقيتكـم ... حتماً ، وإلا فالمعاد الموعـــد
لا زلتمْ في عزة وسعـــادة ... ما لاح في جنح الدجنة فرقـــد

توفي بمراكش بعد خذر أصابه سنة تسع وعشرين وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

545) محمد بن أحمد ابن محرز الزهري

محمد بن أحمد بـن عبد الرحمان بن محمد بـن سليمان بـن محمد الزهري ، ويعرف بابن محرز قال في (عنوان الدراية) : ومنهم الشيخ الفقيه الحافظ اللافظ ، المحدث المتقن اللغوي التاريخي الأديب الكامل ، أبو بكـر محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري مـن أهل بلنسية ، ويعرف بابن محرز ، قرأ بالأندلس ولقي بها أفاضل من أهل التحصيل ، جمع بين الرواية وعلو المنصب وبُعد الهمة ، وله مكارم هو بها أولى وأخلق ، وبها قمره المنير أحق ، لقي جماعة من العلما الأفاضل ، منهم والده وخالاه أبو بكر ، وأبو عامر ولدا علي ابن هذيل المقـريء ، ومحمد بن خلف ابن مرزوق ، ومحمد ابن نوح ، ووهب بن لب ابن نذير الفهري ، وأحد (أبو الخطاب) ابن واجب ، وأبو بكر بن أبي جمرة ، وعبد الله ابن حوط الله ، ورحل إلى أبي عبد الله بن عبيد الله الحجري فسمع منه ، ومن أبي عبد الله ابن غاني بسبتة ، وأجاز له أحمد ابن مضا ، وأبو جعفر ابن حكم ، وأبو محمد ابن

---

1) ينظر عن ابن حماد عنوان الدراية ص 218 ع 55 طبع بيروت .

فليح ، وعلي ابن نقرات ، وغيرهم ، ومن أهل المشرق أبو القاسم البصير ، وأبو عبد الله الكركنتي ، وعلي ابن المفضل ، ووفد على حاضرة مراكش ، ولقي بها الفقيه علي بن عبد الملك ابن القطان ، ثم ارتحل إلىأ بجاية بعد الأربعين وستمئة واستوطنها ، وكان معظماً عند أهلها محترماً ، وكان عند الملك بها حظياً مكرماً ، وروى بها عن الشيخ العامل العابد علي بن أبي نصر رحمه الله ، وروى عنه بها كثيراً واشتغل عليه اشتغال التحصيل والتعليم ، والتبيين والتفهم .

كانت تقرأ عليه الكتب الفقهية وكتب الحديث وكتب اللغة والأدب ، كان محصلا لهذه الفنون مجيداً فيها ، ولا يخلو له وقت عن الاشتغال بالعلم ، إما الرواية وإما التدريس وإما المقابلة وإما عرض المسائل على سبيل المذاكرة ، وكان أحسن الناس خلقاً وألينهم للطلبة جانباً محباً في علم الأدب .

ورأيت له نظماً ونثراً لا بأس سهما ، ورأيت له خطباً في عقود النكاح حسنة ، وقيد أصحابه عنه كثيراً ، وذكر لي بعض أصحابنا أن له تقييداً على التلقين صغير الحجم ، وجميع ما طالعته من الكتب التي يوجد عليها خطه في غاية الجودة تقييداً وإصلاحاً وتطريزاً ، وقد رأيت له هذا في فنون كثيرة من الفقه والخلافيات والحديث والأدب واللغة ،وكل يدل على مشاركته وتحصيله، وهو كان رأس الجماعة الأندلسية ببجاية ، كلٌ كان يأتي إلى منزله وعنده مجتمعهم : محمد الأبار ، وأحمد ابن عميرة ، وأبوكر ابن سيد الناس ، وأبو عبد الله الجنان وغيرهم ، كان هو شيخ الجامعة وكبيرهم .

توفي رحمه الله ببجاية يوم الأحد الثامن عشر لشوال سنة خمس وخمسين وستمئة ، ومولده في آخر شهر جمادى سنة تسع وستين وخمسمئة، وصلى عليه على شفير القبر تلميذه أبو الحجاج ابن أيوب بوصيته بذلك ، وكان يوم وفاته مشهداً عظيماً كأنه يوم عيد ، ولم يبق مَن لم يحضره ، ولقد اتفق في وقت الحضور للصلاة عليه أن الامام المذكورتأخر وتقلق الناس ، وكان شخنا عبد العزيز ابن كحيلة أحد الحاضرين والخاصين به من طلبته ، فقال ننظر مَن يصلي ينصرف الناس ، فقال بعض الحاضرين : الحق في هذا

لولديْه أبي عامر وأبي جعفر وكانا بالحضرة ، فقال الفقيه عبد العزيز ، ما تكلمتَ إلا بألسنتهما ، فقال له محمد الأبار : يا فقيه ويجوز بلسانيهما منكتاً عليه في أنه أورد الجمع محلَّ التثنية ، فقال الفقيه عبد العزيز مجاوباً : نطقت بما نطق الله به في القرآن ، قال الله تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وهنا هو الصواب وغيره خطأ ، وبعد انقضاء الصلاة وانصراف الناس اجتمع الفقيهان وتراضيا ، رحم الله جميعهم .

وحكى بعض الطلبة عنه أنه قال كان بالزنقة التي كنت ساكناً بها ببلنسية مسجد ، وكنت أصلي فيه خلف إمامه الراتب ، فلما حضر وقت طلوعنا من بلنسية إلى حاضرة مراكش على جري العادة في كل عام ووقع العزم على السفر ووصل إلي إمام المسجد المذكور وسألني في أن أتوسل له في ظهير زيادة في مرتبه من قبل أمير المومنين على الامامة بالمسجد المذكور وكتب لي رقعة يذكرني بها حاجته ، فأخذتها منه وجعلتها في خرج فيه أسبابي ، فلما وصلت إلى حاضرة مراكش وأردت الرجوع رفعت مسائلي وأردت قضاء حاجاتي فقضيت وودعت مَن يجيب وداعه وعدت إلى منزلي بمراكش ألفيت رقعة الامام فتذكرت حاجته بعد أن كنت نسيتُها ، فخرجت من الغد على هيأة السفر وتعرضت إلى الشيخ عزوز صاحب الأشغال بمراكش، فسلمت عليه فقال لي : ما هذا ؟ أليس قد ودعتني بالأمس ؟ فقلت له : بقيَّ لي حاجة ، فقال لي : وكذا تكون أنت بحاجاتك ، وأنشدتُه هذه الأبيات :

عذراً بالحاجي عليك مؤملا ... لا غرو أن تلقى الكريم فتسألا
ألفاك مزداد لكونك باذلا ... ومعاوداً ورْدي لكونك منهلا
ومكثراً من قول هاتِ لأنني ... أبدا أراك مقللا من قولا

فاستحسنها والتفت إلى كاتبه وقال له : انزل بموضعك ويبقى الفقيه راكباً على هيأته ، واكتب له ظهيراً عن إذن أمير المومنين بزيادة ستة دنانير للامام وبزيادة مُديْن من القمح في كل يوم ، فانصرفت له شاكراً ، ولا ياديه ذاكراً (1) .

1) عنوان الدراية ص 283 ع 89 طبع بيروت .

وهذه الترجمة ليست في الأصل المطبوع ، وانما ألحقها المؤلف بعد طبع المحمدين .

546) محمد بن عبد الله ابن الأبَّار القضاعي

محمد بن عبد الله بن أبي بكر الشهير بابن الأبّار ، قال في (عنوان الدراية) ما نصه :

ومنهم الشيخ الفقيه المحدث المقرىء النحوي الأديب المجيد اللغوي الكاتب البارع التاريخي ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار ، هكذا رأيت نسبه بخط يده رحمه الله ، هو من أهل بلنسية ، وأصله من أندة وهي وما والاها دار القضاعيين بالأندلس ، أخذ القراءات عن محمد ابن نوح ، وأحمد الحصار ، وسمع منهما ، وأحمد (أبي الخطاب) ابن واجب ، وعلي ابن خيرة ، وداوود ابن حوط الله ، ومحمد بن عبد العزيز ابن سعادة .

صحب سليمان ابن سالم بضعاً وعشرين سنة ، وهو ندبه إلى وضع كتاب (التكملة) لصلة أبي القاسم ابن بشكوال ، وكتب إليه محمد بن أبي جمرة ، وأحمد ابن عات ، ومحمد بن عبد الرحمان التجيبي نزيل تلمسان ، ومحمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأندلسي ، ومن أهل المشرق عبد القوي بن عبد العزيز ابن الحباب وعلي بن يوسف ابن بندار من أصحاب عبد الأول الشجزي ، وإسماعيل بن ظافر القلعي ، وغيرهم ، ولا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الاسلام إلا وله فيه رواية إما بعموم أو بخصوص ، ويتصل إسنادي عنه من طريق الشيخين المقرئين أبي عبد الله ابن صالح ، وأبي العباس ابن خضر .

رحل إلى العدوة واستوطن بجاية ودرس بها ، وأقرأ وروى وأسمع وصنف وألف ، وهو ممن لا ينكر فضله ، ولا يجهل نبله ، له تآليف حسنة ، ونزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة .

وكان أول وصوله من الأندلس إلى العدوة رسولا عن والي بلنسية ، وقضى رسالته عند ملك إفريقية في حديث طويل ، ورجع إلى الأندلس ، ثم

رجع إلى العدوة قاصداً استيطانها ، فتخيَّر سكنى بجاية ، ثم استدعاه أمير المومنين المستنصر إلى حضرته ، فدخل فأعجبه منطقه ورأى من نبله وفضله أضعافَ ما قدر أن يراه ، وأول إنشاده لما مثل بين يديه :

بشراي باشرتُ الهدى والنـــورا   في قصديٌ المستنصرَ المنصورا
وإذا أمير المومنين لقيتُـــــه   لم ألق إلا نضرة وســــــرورا

كيف لا والاسمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكنية المباركة أبو عبـد الله ، والعلامة العلية الحمـد لله والشكر لله ، والسمة السلطانيـة المستنصر بالله المنصور بفضل الله ، ومَن كان لله كان الله له ، وأنشد بيـن يديه رحمه الله :

أمير المومنين لنا غيـــــاث   فعند المحْل تستقَى الغيـــوث
فلا جوع ويمناه الغـــــوادي   ولا خوف وقتلاه الليـــــوث

فحظي عنده ، وبلغ لديه مأموله وقصده .

وتآليفه وتقييـداته وأشعاره وكتاباته متداولة بيـن الناس ومرغوب فيها عندهم وموجودة لديهم ، ولو لم يكن له من الشعر إلا القصيدة التي رفعها لمقام الأمير أبي زكرياء رحمه الله يستنجده ويستصرخه لنصرة الأندلس لكان فيها كفاية ، وإن كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ، ولكن كما قال أبو العلاء المعري :

تكلم بالقول المضلل حاســـد   وكل كلام الحاسدين هـــــراء

ولو لم يكن له من التأليف إلا الكتاب المسمى بكتاب (اللجين ، في مراثي الحسين) لكفاه في ارتفاع درجته ، وعلو منصبه وسمو مرتبته ، فكيف لا وله تصانيف ، وجملة تآليف .

ومن شعره رحمه الله ورضي عنه :

ساق من روض الأماني أرجُـــه   ولأمر ما شجاني مدرجـــــه
خيلت لي أنها تعدنــــــي   وخيالات الفتى تستدرجـــــه

فلذا أكذب شيء فجرهـــــــا ولقد غر الحجى منبلجـــــــه
يا شقيقَ النفس أوصيـــــك وإن شقٌ في الاخلاص ما تنتهجـــــه
لا تبت في كمد من كبـــــــد رب ضيق عاد رحباً مخرجـــــه
وبلطف الله أصبح واثقـــــــاً كل كرب فعليه فرجـــــه

مولده في آخر شهريْ ربيع سنة خمس وسبعين وخمسمئة، وتوفي رحمه الله بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين لمحرم عام ثمانية وخمسين وستمئـــة (1).

وقال الذهبي في (تذكرة الحفّاظ) (4 : 235) الأبار العلامة البليغ المنشيء الحافظ المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي بكر القضاعي البلنسي ذكرته في (الممتع).

وقال ابن عبد الملك في (الذيل والتكملة) ص 101 من ج 1 ما نصه : وذكر أبو عبد الله بن الأبار روايته عنه يعني المترجم أحمد بن عيسى المتقدم بقرطبة لا غير، وقد وقفت على قراءته عليه بمراكش فلعله لقيه فيهما والله أعلم.

وممن انتصر للمترجم أبو إسحاق التيجاني بكتابه (مؤازرة الوافد، ومبارزة الناقد)، وممن أخذ عنه ابن رشيد، وأثنى عليه في رحلته أبو عبد الله التيجاني قريب صاحب الرحلة، وتآليفه بلغت نحو الخمسة والأربعين، أخذت فأحرقت في موضع قتله، منها كتاب في منتخب الأشعار سماه (قطع الرياض) و (الحلة السيرا)، و (المعجم، في أصحاب أبي علي الصدفي).

قال في (نفح الطيب) : ولابن الأبار ترجمة واسعة ذكرتها في (أزهار الرياض)، وقتل ظلماً بالرماح، ثم أحرق شلوه وكتبه، في خبر يطول جلبه، وقد ذكر في (نفح الطيب) ص 601 ج 2 فصولا من كتابه (درر السمط، في خبر السبط (2).

---

1) عنوان الدراية ص 309 ع 95 طبع بيروت.

2) هذه الترجمة ليست واردة في الأصل المطبوع، وانما الحقها المؤلف بعد طبع المحمدين.

547) محمد بن أحمد ابن الجد الفهري

محمد بن أحمد بن عبد الله بن فرج ابن الجد الفهري إشبيلي لبلي الأصل ، أبو بكر .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكره ما نصه : روى عن عمه الحافظ أبي بكر ابن الجد ، وأبي الحجاج المكلاتي ، وكان أديباً ظريفاً حسن المشاركة في فنون من العلم ، من بيت نباهة وسياسة بالعلم ، استقضي بحصن القصر من شرف إشبيلية ، ولم تطل مدته في ذلك ، ودخل مراكش مرتين ، إحداهما في وفد إشبيلية القادمين على عبد الواحد بن يوسف بن عبد المومن ، وهو الذي كتب لأبي مروان الباجي : « الحسب والوزارة أعزكم الله قد خلقا بالابتذال ، وصارا من لباس الانذال ، فرأيت الاقتصار ، على الاختصار ، وترك التشنطيط ، في التخطيط » ، وكان كثيراً ما يختلف بين إشبيلية ولبلة إلى أن توفي بلبلة سنة اثنتين وثلاثين وستمئة (1) .

548) محمد بن إدريس ابن مرج الكحل

محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم ، من أهل جزيرة شقر ، يعرف بمرج الكحل .

حاله

قال في (الاحاطة) بعد ذكر ما تقدم ما نصه :

كان شاعراً مفلقاً ، غزلا بارع التوليد ، رقيق الغزل ، وقال الأستاذ أبو جعفر : كان شاعراً مطبوعاً ، حسن الكتابة ، ذاكراً للأدب ، متصرفاً فيه ، وقال ابن عبد الملك : وكان بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها إجادته ، وكان مبتذل اللباس على هياة أهل البادية ، ويقال أنه كان أمياً .

---

1) تختلف ترجمة محمد بن احمد ابن الجد هنا قليلا عن ترجمته المطبوعة في الذيل والتكملة 6 : 49 ع 92 ، وذكر في هذا الكتاب الأخير ان المترجم لقي بمراكش ابا العباس احمد بن جعفر السبتي .

من أخذ عنه

روى عنه أبو جعفر ابن عثمان الوراد ، وأبو الربيع ابن سالم ، وأبو عبد الله ابن الأبار ، وابن عسكر وابن أبي البقاء ، وأبو محمد بن عبد الرحمان ابن برطله ، وأبو الحسن الرعيني .

شعره ودخوله غرناطة

قال في عشية بنهر الغُنداق من خارج بلدنا لوشة بنت الحضرة والمحسوب من دخلها انه دخل البيرة ، وقد قيل أن نهر الغنداق من أحواز برجة وهذا الخلاف داع لذكره :

عرّج بمنعرج الكثيب الاعفر ... بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية ... من راحتي أحوى المراشف أحور
وعشية كم كنت أرقب وقتها ... سمحتْ بها الأيام بعد تعذر
نلنا بها آمالنا في روضة ... تهدي لناشقها شميم العنبر
والدهر من ندم يسفه رأيه ... فيما مضى فيه بغير تكدر
والورق تشدو والأراكة تنثني ... والشمس ترفل في قميص أصفر
والروض بين مفضض ومذهب ... والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الأباطح والربا ... بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه ... سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده ... مهما طفا في صفحة كالجوهر
وكأنه وجهاته محفوفة ... بالآس والنعمان خدُ معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يَهم ... ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفرّ وجه الشمس عند غروبها ... إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولا خفاء ببراعة هذا الشعر ، وقال منها :

أرأت جفونك مثله من منظر ... ظل وشمس مثل خد معذر
وجداول كأراقم حضباؤها ... كبطونها وحبابها كالأظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق إليه ، ثم قال منها :

وقرارة كالعشر بين خميلـــة ... سالت مذانبها بها كالأسطـــر
فكأنها مشكولة بمصنـــدل ... من يانع الأزهار أو بمعصفـــر
أمل بلغناه بهضب حديقـــة ... قد طرزته يد الغمام الممطـــر
فكأنه ، والزهر تاج فوقـــه ... مَلِك تجلى في بساط أخضـــر
راق النواظر منه رائق منظـــر ... يصف النضارة عن جنان الكوثـــر
كم قاد خاطر خاطر مستوفـــز ... وكم استفز جماله من مبصـــر
لو لاح لي فيما تقدم لم أقـــل ... عرّج بمنعرج الكثيب الأعفـــر

وقال أبو الحسن الرعيني وأنشدني لنفسه :

وعشية كانت قنيصة فتيـــة ... ألفوا من الأدب الصريح شيوخـــا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لهـــا ... من الانحناء إلى الوقوع فخوخـــا
شملتهمُ آدابهم فتجاذبـــوا ... سر السرور محدثاً ومصيخـــا
والورق تقرأ سورة الطرب التـــي ... ينسيك منها ناسخ منسوخـــا
والنهر قد صفحت به نارنجـــة ... فتيممت مَن كان فيه منيخـــا
فتخالهم خلل اسماء كواكبـــا ... قد قارنت بسعودها المريخـــا
خرق العوائد في السرور نهارهـــم ... فجعلت أبياتي له تاريخـــا

ومن أبياته في البديهة قوله :

وعندي من مراشفها حديـــث ... يخبِّر أن ريقتها مـــدام
وفي أجفانها السكرى دليـــل ... وما ذقنا ولا زعم الهمـــام
تعالى الله ما أجرى دموعـــي ... إذا عنَّت لمقلتي الخيـــام
وأشجاني إذا لاحت بـــروق ... وأطربني إذا غنت حمـــام

ومن قصيدة :

عذيري من الآمال خابت صقورهـــا ... ونالت جزيلَ الحظ منها الأباغث
وقالوا ذكرنا بالغنا فأجبتهـــم ... خمولا وما ذكر مع البخل ماكـــث

يهون علينا أن يبيد أثاثنـــــا ... وتبقى علينا المكرمات الأثابــث
وما ضر أصلا طيباً عدمُ الغنــا ... إذا لم يغيره من الدهر حــادث

وله يتشوق إلى عمرو ابن أبي غياث :

أيا عمرو متى تقضي الليالــي ... بلقياكم وهن قصصن ريشـي
أبت نفسي هوى إلا شريشــاً ... ويابعدَ الجزيرة من شريــش

وله من قصيدة :

طَفَل المساء وللنسيم تضــوع ... والأنس ينظم شملنا ويجمــع
والزهر يضحك من بكاء غمامــة ... ريعت لشيم سيوف برق تلمــع
والنهر من طرب يصفق موجــه ... والغصن يرقص والحمامة تسجــع
فانعمْ أبا عمران واله بروضــة ... حسن المصيف بها وطاب المربــع
ياشادن البان الذي دون النقــا ... حيث التقى وادي الحمى والأجرع
الشمس يغرب نورها ولربمــا ... كسفت ، ونورك كل حين يسطــع
إن غاب نور الشمس بتنا نتقــي ... بسناك ليل تفرق يتطلــــع
أفلَت فناب سناك عن إشراقهــا ... وجلا من الظلماء ما يتوقـــع
فأمنت ياموسى الغروب ولم أقــل ... (فوددت ياموسى لو أنك يوشع)(1)

وقـــال :

ألا بشروا بالصبح منيَ باكيــاً ... أضر به الليل الطويل مع البكــا
ففي الصبح للصب المتيم راحــة ... إذا الليل أجرى دمعه وإذا شكــا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتي ... فلم يزل الكافور للدم ممسكــا

ومن بديع مقطوعاته قولــه :

---

1) من قول الرصافي البلنسي :

سقطت ولم تملك يمينك ردهــــا ... فوددت ياموسى لو انك يوشـــع

مثل الرزق الذي تطلبـــــه   مثل الظل الذي يمشي معـــك
أنت لا تدركه متبعـــاً   وإذا وليتَ عنه تبِعـــك

وقـــال :

دخلتم فافسدتم قلوباً بملكهـــا   فانتم على ما جاء في سورة النمل (1)
وبالعدل والاحسان لم تتخلقـــوا   فانتم على ما جاء في سورة النحل(2)

وقال محمد بن محمد ابن جهور : رأيت لابن مرج الكحل مرجاً أحمر قد أجهد نفسه في خدمته فلم ينجب ، فقلت :

يامرج كحل ومَن هذي المروج له   ما كان أحوج هذا المرج للكحـــل
ما حمرة الأرض من طيب ومن كرم   فلا تكن طمعا في رزقها العجـــل
فان من شأنها إخلاف آملهـــا   فما تفارقها كيفية الخجـــل

فقال مجيباً :

يا قائلا إذ رأى مرجي وحمرتـــه   ما كان أحوج هذا المرج للكحـــل
هو احمرار دماء الروم سيلهـــا   بالبيض مَن مرَّ من آبائـــيَّ الأول
أحببته أن حكى مَن قد فتنت بـــه   في حمرة الخد أو اخلافه أملـــي

وفـاتـه

توفي ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول عام أربعة وثلاثين وستمئة ، ودفن في اليوم بعده .

انتهى ما في (الاحاطة) في شأن ابن مرج الكحل (3) .

وكتب علي بن محمد ابن الخطيب على أول ترجمته ما نصه : شاعـر جليل القدر من مشايخ شعراء الأندلس ، من أهل بلنسية ، وسكن جزيـرة شقر ، انتهى .

---

1) اشارة الى قولـه تعالى (قالت ان الملوك اذا دخلـوا قرية افسدوها وجعلوا أعـزة أهلها اذلة) .

2) اشارة الى قوله تعالى (اينما يوجهه لا يات بخير) .

3) الاحـاطـة 2 : 343 .

وكتب على قوله (والنهر مرقوم الاباطح) ما صورته : لم يصِفْ أحد النهرَ بأرق ديباجة ولا أظفر من هذا الامام رحمة الله عليه .

انتهى كلام ابن لسان الدين (1) .

قال في (النفح) : قلت وما رأيت رائية تقرب من التي لابن مرج الكحل السابقة التي أولها (عرِّج بمنعرج الكثيب الاعفر) إلا رائية شمس الدين ابن الكوفي الواعظ وهي قوله :

روحُ الزمان هو الربيع فبكـــر ... وانهض إلى اللذات غير منكـــر
هذا الربيع يبيعُ من لذاتـــه ... أصناف ما تهوى فأين المشتـــري
فافرح به فلفرحة بقدومـــه ... رفل الشقائق في القباء الأحمـــر
والكون مبتهج وخفاق الصبـــا ... يُحيي القلوبَ بنشره المتعطـــر
والغيم يبكي والأقاحي باســـم ... لبكائه كتبسم المستبشـــر
والسرو ان عبث النسيم فهز أعـــ ... ـــطاف الغصون يميس ميس موقر
وكأنما القداح فستق فضـــة ... يهدي إليك أريج مسك أذفـــر
وكأنما المنثور في أثوابـــه ... ألوان ياقوت أنيق المنظـــر
وترى البهار كعاشق متخـــوف ... متشوق باد بوجه أصفـــر
وكأنما النارنج في أوراقه الـــ ... ـــقنديل والأوراق شبه مسحـــر
وكأنما الخشخاش قوم جاءهـــم ... خبر يسرهم بطيب المخبـــر
فثنوا ملابسهم لفرط سرورهـــم ... كي يخلعوا فرحاً بقول المخبـــر
فتعلقت أذيالها بأكفهـــم ... وتعلقت أزياقها (2) بالمنحـــر
والطل من فوق الرياض كأنـــه ... درر نُثرن على بساط أخضـــر
وترى الربا بالنور بين متـــوج ... ومدملج ومخلخل ومســـوَّر
ورياضها بالزهر بين مُقـــرَّطٍ ... ومطوق وممنطق ومزنـــر
والورد بين مضعف ومشنـــف ... ومكتف وملطف لم يهصـــر

1) نفح الطيب 5 : 55 .

2) الزيق من الثوب ما أحاط بالعنق .

والزهر بين مفضض ومذهـــب ومرصع ومدرهم ومدنـــــر
والنشر بين مطيب وممســـك ومعطر ومصندل ومعنبــــر
والورق بين مرجع وموجـــع ومفجع ومسجع في منبـــر
ومغرد ومردد ومعـــدد ومبدد في الخد ماء المحجـــر

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل أعذب مذاقاً ، وكل لم يقصر رحمهما الله تعالى فلقد أجادا فيما قالاه إلى الغاية ، وليس الخبر كالعيان .

ومن نظم ابن مرج الكحل قوله :

الشمس يغرب نورها ولربمـــا كسفت ونورك كل حين يسطـــع
أفلَت فناب سناك عن اشراقهـــا وجلا من الظلماء ما يتوقـــع
فامنت ياموسى الغروب ولم أقــل فوددت ياموسى لو أنك يوشـــع

ولمح بهذه الأبيات إلى قول الرصافي الأندلسي البلنسي يخاطب من اسمه موسى بقصيدة أولها :

ما مثل موضعك ابن رزق موضـع زهر يرف وجدول يتدفـــع

ومنهـا :

وعشيةٍ لبستْ ثيابَ شحوبهـــا والجو بالغيم الرقيق مقنـــع
بلغت بنا أمد السرور تألفـــا والليل نحو فراقنا يتطلـــع
فابلل بها ريق الغَبوق وقد أتـى من دون قرص الشمس ما يتوقـع
سقطت ولم يملك نديمك ردهـــا فوددت ياموسى لو أنك يوشـــع

انتهـى .

قلت : ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه إلى أديب الأندلس صفوان بن إدريس مراجعاً له بعد نظم ، ونص الجميع :

يامن تبوأ في العلياء منزلـــة جداه قد أسساها أيَّ تأسيـــس
لم يتركا في العلا حظاً لملتمـــس سيان هذا وهذاك ابن إدريـــس
وافى كتابكم فارتد لي جذلـــي واعتضت من فرط أشواقي بتأنيس
وللنوى لوعة تطفو فيطفئهـــا مسك المداد وكافور القراطيـــس

حرس الله سناءك وسناك ، وأظفر يمناك بمناك ، ودي ّ الأسلم ، كما تعلم، وعهدي الأقدم، لم تزل ّ له قدم ، وأنا ، دام عزكم ، إن أتفق ْ معكم انتساباً فلم أتفق في شأو الأدب باعاً ، ولا قاربتكم طباعاً وانطباعاً ، بل بذلك الاتفاق تشرفت ، وسموت إلـى ذروة العلا واستشرفـت ، وأقررت بذلك الفضـل واعترفت ، وكرعت في مناهلـه واغترفت ، ولقد وافى كتابكم فقلت قد نثـر الدر فيه من فيه ، وبلغ نفسي ما كانت تنويه من التنويه :

حديث لو أن الميت نودي ببضعه ... لأصبح حياً بعد ما ضمه القبـــــر

ولولا ما طالعني وجه من رضاكم وسيم ، وسقاني مزن أهتبالكم مـا أروي به وأسيم ،وحيّاني منكم روض ونسيم ، لما ساعدني الفكر بقسيـم ، لا زلتم في ظل من العيش وارف ، مرتدين رداء المعارف ، والسلام .

انتهـى .

وكانت مخاطبة صفوان له التي أجاب عنها بما نصه :

يا قاطع البيد يطويها وينشرهـــا ... إلى الجزيرة يُنضي أبدنَ العيس

ألثم بها عن أخي حب وذي كلـف ... يد العلا والقوافي وابن إدريـــس

وأبلغها إليه تحية كالمسك صدرا ووردا ً، وكالماء الزلال عذوبة وبرداً ، يسري بها إلى دار ابن نسيم ، ويسفر منها بجزيرة شقر وجه" وسيم ، وهي وإن كانت تذيب المسك خجلا ، وتستفز بصوتها وجـلا ، فما هي إلا خائفـة تترقب ، وسافرة تكاد تتنقب ، تمشي على استحياء ، وتعثر من التقصير في ذيل أعياء ، هذا لأنها جلبت إلى هجر تمراً ، وإلى شبام وبيت رأس خمراً ، ولكن علـى المجد أن يبدي في قبول عذرها ويعيد ، لعلمه أنه يتيمم من لم يجد إلا الصعيد، فله الفضل أن لا يلحفها بنار النقد ، ولا يعـرضها على ما هنالك من الحـل والعقد ، والله يبقي ذكره في مقلة الأدب حوراً ، وفي قلب الحسود خـوراً ، ويديمه والقوافي طوع قريحته ، والأغراض الجميلة ملء ُ تعريضته وتصريحته،

وزهر التبيان تطلع في سماء جنانه ، وزهر التبيان يونع في أنداء جنانه ، وعذراً إليه فاني كتبت والحامل يمسك زمامه ، ويلتفت في البيداء أمامه ، والسلام .

انتهى (1) .

وهنأ ابن مرج الكحل محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدي لما قفل من إفريقية ووصل مراكش في ربيع سنة 604 ووفدت عليه الوفود وهنأته الشعراء بالفتح ـ بقوله :

ولما توالى الفتح من كل وجهة — ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المومنين لشكره — بما أودع السر الالاهي عنده
فلا نعمة إلا تؤدي حقوقها — علامته (الحمد لله وحده)

فاستحسن الكتاب منه ذلك ووقع أحسن موقع ، وأشار بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين ، فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور (الحمد لله وحده) ، وقد تقدم ذلك في ترجمة حفصة الركونية (2) .

وقال سيدي حمدون في شرح عقود الفاتحة ما نصه : وقد أعجب ابن مرج الكحل في قوله :

ففي الصبح للصب المتيم راحة — إذا الليل أجرى دمعه وإذا شكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتي — فلم يزل الكافور للدم ممسكا

وقال ابن خلكان في ترجمة السيدة سكينة ما نصه : ولبعض المعاصرين وهو محمد بن إدريس المعروف بمرج الكحل الأندلسي في معنى هاذين البيتين وأحسن فيه :

---

1) نبه المؤلف بعد هذا الى أن ذكر ابن مرج الكحل سيأتي مرة أخرى في حرف الميم ، وأنه دخل مراكش وهنأ محمد الناصر الموحدي بها ، ونحن نجمع بين الترجمتين فنورد هنا ما أورده تحت اسم ابن مرج الكحل .

2) أنظر 3 : 212 ع 430 من هذا الكتاب .

مثل الرزق الذي تطلبـــــــه ❊ مثلُ الظل الذي يمشي معـــك
أنت لا تُدركه متبعـــــــا ❊ وإذا ولَّيتَ عنه تبِعـــــك

ثم قال : وتوفي مرج الكحل المذكور في سنة 634 ببلده وهو جزيرة شقر بالأندلس ، وكانت ولادته به سنة 554 .

وقال صفوان رحمه الله : اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوماً فاشتكى إليّ ما يجد لفراقي ، وأطال عتب الزمان في إشآمه وإعراقي ، فقلت إذا تفرقنا والنفوس مجتمعة ،فما يضر أن الجسوم للرحيل مجتمعة ، ثم قلت له :

أنت مع العين والفـــــــؤاد ❊ دنوت أو كنت ذا بعـــــــاد

فقال وهو من بارع الاجازة :

وأنت في القلب في السويـــدا ❊ وأنت في العين في الســـــواد

وستأتي ترجمة صفوان (1) .

549) محمد بن أحمد الباجي اللخمي

محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة الداخل إلى الأندلس ، اللخمي ، إشبيلي ، أبو مروان الباجي .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكره : تلا بالسبع وغيرها على أبي عمر ، وعياش ابن عظيمة ، وسمع الحديث على الحافظين أبوي بكر بن الجد ، وأكثر عنه ، وابن علي ، وبقراءة أبيه على أبي عبد الله بن أحمد ابن المجاهد ، وأخذ العربية واللغة والآداب على أبي إسحاق ابن ملكون ، وأبي بكر ابن طلحة ، وأجازوا له إلا أبا إسحاق ابن ملكون ، وأجاز له أبوه وأبو حفص بن عمر ، وعبد الرحمان السهيلي ، ومحمد ابن الفخار ، وأبو العباس ابن مقدام ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، وأبو محمد ابن عبيد الله ورحل إلى المشرق حاجا،

---

1) ينظر عن ابن مرج الكحل عدى ما تقدم **ازهار الرياض** 2 : 315 .

وسمع بدمشق على نزيلها المحدث الشهير أبي عمرو عثمان . . . . . . ابن الصلاح تأليفه في علوم الحديث ، وهذا الأصل الذي سمع فيه قد صار إلـيَّ والحمد لله وفيه خط ابن الصلاح بتصحيح التسميع، وقد تضمن إذنه في روايته عنه لكل من حصل منه نسخة ، فانتسخ منه جماعة من جلة أهل العلم ونبلائهم، منهم : أبـو الحسن الشاري ، وأبو عمـرو عثمان ابن الحاج ، وأبـو القاسم أحمد ابن نبيل ، وغيرهم ، ونسخت منه نسخة لبعض الأصحاب لأمر اقتضـى ذلك ، لم يسع خلافه ، وأخذ بدمشق أيضاً قراءة منه عن أبي نصر محمد ابن هبة الله ابن مخيل الشيرازي .

روى عنه حفيد أخيه أبي محمد ، وآباء عبد الله : أبو بكر بن أحمد ابن سيد الناس بن أحمد الرندي ، وابن أبي بكر ابن المواق ، وابن الحصار نزيل سبتة ، وصحبه في وجهته المشرقية ، وحج معه ولزمه إلى أن فـرق الموت بينهما ، وأبو عمرو عثمان بن أحمد ابن العوام ، وأبو القاسم عبد الكريم ابن عمران ، وأبو محمد بن قاسم الحرار .

وروى عنه بدمشق جماعة منهم : أبو عبد الله البرزالي ، وأبو . . . القسطان ، وابن يديم الاشبيليون ، وأبو محمد بن محمد بن أحمد ابن الحجام .

وكان من سادات بيته الأفاضل ببلدهم،ذا خلق وسيم،وخلق عظيم،دري اللون ، أسيل الوجه ، حسن الضرب ، والقد إلى الطول قد علا باخرة إحدى كريمتيه بياض لم يشنها ، وكـان كريم النفس حسـن اللقاء براً بأصحابـه ومنتابيه ، متواضعاً ، جميل السعي في حاجات الناس عموماً وخصوصاً ، مبختاً في تيسير قضائها ، متواضعاً صواماً قواماً ، سري الهمة كامل أدوات الفضل، خطيب زمانه ، مثابراً على تلاوة القرآن ، حافظاً للحديث ، من أحسن الناس صوتاً بهما وأطيبهم نغمة في إيرادهما ، جيد الخط والضبط ، ذاكراً للفقه ، استقضي ببلده أيام إمارة إدريس بـن يعقوب المنصور من آل عبـد المومن وبعدها ، يعرف بالعدل والنزاهة ووطأة الاكناف ولين الجانب حتى يقال انه ما سجن مدة قضائه أحداً ، وخطب بجامع بلده دهراً طويلا ، وتردد على حضرة

مراكش مراراً ، موقراً مبروراً حظياً عند الأمراء بها ، مقضي المآرب ، وبعد الطاريء علي أبي مروان أحمد ابن شقيقه أبي عمر محمد حسبما تقدمت الاشارة آنفاً إليه عزم على الحج فباع جل أملاكه بداخل إشبيلية وخارجها ، وفعل في سائرها ما اقتضى نظره من تصيير وتحبيس وصدقة وغير ذلك من الوجوه محصناً ذلك كله بالاشهاد عليه ، وفصل من إشبيلية يوم . . . . . لثمان خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمئة قاصداً سبتة من بر العدوة ، وأقلع منها في مركب رومي يوم الأربعاء لسبع خلون من محرم أربع وثلاثين وستمئة ، سائراً مع العوالي من بر الأندلس إلى مالقة ، إلى المنكب ، إلى قرطاجنة ، إلى لقنت ، وفارق بر الأندلس إلى جزيرة يابسة إلى جزيرة ميورقة فدخل مرساها ليلة الخميس الثالثة والعشرين من محرم المذكور ، وأقلع منه ليلة الخميس التالي إلى جزيرة قبريرة فبات بها ليلة الجمعة ، وأقلع منها صبح يوم الجمعة إلى مرسى سردانية ، فدخله يوم الثلاثاء لأربع خلون من صفر ، وأقلع منه يوم الخميس لست خلون من صفر إلى صقلية ، فجاوزها ، ثم ردته الريح إلى مرسى سرقوسة إحدى مدن الجزيرة ، فدخلها ليلة الأربعاء الثاني عشرة من صفر ، وأقام بها إلى عشية يوم السبت لسبع خلون من ربيع الأول ، ونزل إلى سرقوسة وأقام بها من ليلة الأحد الثامنة من ربيع الأول إلى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ، وانتقل إلى المركب وأقام به ريثما تساعده الريح على سيره ، فاقلع منه يوم الأربعاء إلى جزيرة قريطش في ثمانية أيام ، ثم إلى جزيرة قبرس في خمسة أيام ، ثم إلى عكا في ثلاثة أيام ، وكان المركب يسير كل يوم من سرقوسة إلى عكا مئة ميل ، فدخل عكا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب، وقدم دمشق غدوة يوم ... لسبع خلون من رمضان ، فأقام بها إلى منتصف شوال ، فخرج منها مع الركب الشامي ، وكان له سبعة أعوام لم يتوجه إلى مكة شرفها الله ، فصار إلى بصرى في أربعة أيام ، إلى الأزرق ، إلى تيماء ، إلى خيبر ، إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كرمها الله ، وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام بها يومين ، وانفصل على طريق المركب ووادي العقيق وبير علي ، وذي الحليفة ، ومنها أحرم إلى شعب علي ، إلى بدر ، إلى رابغ ، إلى الجحفة ، إلى

بطن مر ، إلى مكة شرفها الله ، فقدمها لأربع خلون من ذي الحجة ، فنزل بالأبطح ، ولما قضى فريضة الحج نزل بدار إمام المالكية عند باب العمرة ، وكان من أملة التوجه إلى العراق ، فاذا الركب العراقي لم يدخل إلى مكة تلك السنة خوفاً من عادية الكافر التركي ، ثم خرج من مكة زادها الله شرفاً في محرم خمس وثلاثين متوجهاً إلى مصر ، فسرى مدلجاً لشدة الحر بالنهار إلى حرة ، ومن حرة إلى جدة ، ومنها ركب البحر فمالت به الريح إلى سلف في يوم وليلة ، فسار منها مصعداً إلى دبادب ، وخرج في البر ، وسار منها ثمانية أيام إلى عيذاب في صحراء البجاة وهم نصارى سود ، وأقام بها نحو ثمانية وعشرين يوماً ، وقطع صحراءها في عشرين يوماً إلى قنا ، وكان بهذه الرفقة في نحو سبعين رجلا ، فلقيهم في تلك الصحراء قوم من النوبة دخلوها للغارة فسلبوا الرفقة ، وسار من قنا إلى قوص في يوم ، وكان الملك الكامل قد توجه إلى دمشق وجهاتها ذلك العام يحاول رد البلاد التي كانت لأخيه الاشرف إلى طاعته ، فوافاه وهو بالورادة من طريق دمشق أخبر بأنه وصل إلى الحج وإلى دمشق رجل مغربي الأصل يعرف بالباجي ، واثنوا عليه خيراً عنده ، وقد كان صاحب المدارس بمصر أبو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية المذكور قبل بموضعه من هذا المجموع توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمئة حسبما ذكر هنالك ، فتولى النظر فيها من لا يصلح لها ، ولما أثني على أبي مروان الباجي عند الملك إذا صرف النظر في المدارس المصرية إليه ، فسأل عنه فأخبر أنه قد نهض إلى الحج ، فأمر بالبحث عنه في جميع بلاده ، وتلقي الركبان في شأنه والاحسان إليه وإيفاده عليه ، فطيرت الحمائم من بلد إلى بلد في الوصاة به ، فبينما أبو مروان قد قدم على قوص ، كما ذكر آنفاً ، خرج إلى الرواد قوم من قبل والي المدينة يسألون عنه حسبما أمروا به ، فأخبروا في تلك القافلة فاجتمعوا به ، وساروا معه إلى والي قوص ، وكان يدعى بابن زهبوش ، فالقى إليه أمر الملك الكامل في حقه ، وبالغ في اكرامه والحفاية به ، ودفع له خمسين ديناراً مصرية وأثواباً من لباس أهل تلك البلاد فيها حرير ، فأبى أبو مروان قبول شيء من ذلك ، وبعد لأي ومراجعة طويلة قبل الدنانير على كراهة ، ورد الأثواب ، وقبض تلك الدنانير بعض خدمته ، وكان

يدعى بابن مذكور ، وسمعه حينئذ بعض خواصه وهو أبو الحجاج الأبذي ، وكان ممن حج معه ، يدعو بدعاء قال فيه : « اللهم اقبضني إليك قبل الاجتماع به » ، ثم سار من قوص في النيل إلى أخميم ، إلى منية ابن خصيب ولها مسجد جامع حسن على شاطيء النيل ، فقال أبو مروان : قد كنت سمعت بهذا الجامع وأريد الصلاة به ، فسار إليه، فاذا فيه جماعة اجتمعوا لقراءة العلم، فصلى به الظهر والعصر والمغرب ، ولما همّ بالانصراف تعرضه بعض أولئك الحاضرين وقد سألوا عنه فأخبروا به فأقبلوا إليه مسلمين عليه وراغبين منه في مبيته عندهم ، فبات معهم ، وانصرف من الغد إلى السفينة وبه شكاة ، وسئل عن غذائه عند أولئك الذين أضافوه فقال : ما كان الا يسير تمر وعسل ، وأقلع من منية ابن خصيب إلى مصر ، وقطع تلك المسافة في سبعة أيام والشكاة متزيدة ، ولما ورد مصر أراد دخولها في خفية حتى لا يشعر به أحد ، فدخلها وقت العشاء ، ونزل منها بخان الملاحين ، ويعرف بخان ابن الرصاص ، ولم يعلم أحد بوصوله ، فأقام به ليلته تلك ويومها ، وتوفي في ثلث الليلة القابلة ، وهوّن الله عليه الموت ويسره تيسيراً عجيباً .

ولما أصبح ميتاً ، أقبل جماعة من الصلحاء والزهاد في طائفة كبيرة من لفيف الناس مغلسين يقرعون باب الخان ، ويقولون لقيِّمه : افتح لنا نصل على الفقيه أبي مروان الباجي المتوفي الليلة هنا ، وكان ممن حضر ذلك الجمع رجل صالح فاضل ، من أهل العلم والدين يدعى بعز القضاة ، ويعرف بابن الجباب ، من بيت جلالة وعلم بمصر، فتوجه مع حفيد أخي أبي مروان وبعض خواصه إلى العادل ابن الملك الكامل الذي استنابه أبوه على مصر فوافوه بقصره من القلعة بالجبل . . . . على القاهرة ومصر فأعلمه بوصول الفقيه أبي مروان . . . . . . .فقيل : وصل بارحة الأمس ، وتوفي الليلة، فتأسف لذلك وأمر بتجهيزه . . . . . حفيد أخيه وأصحابه عنده جهازه ، فشرع في غسله وتطييبه ، وجعل في النعش ورُمي عليه كساء أخضر ، ولف بشريطتي قيم طويلتين . . . . . متقارباً حتى كان بين الشريطتين غلظ أصبع ، وصلى عليه جمهور من الناس بالخان ، ولما فرغ الغاسل منه وخرج بالرداء الذي غسله انطلق الناس بذلك الرداء وغلبوه عليه حتى لم يبق بيده

منه إلا قدر ما أمسك عليه بأنامله، والسعيد منهم منْ صار إليه قدر فتيلٍ لكثرة ترامي الناس عليه ، وكان منهم من رغب من الغاسل في بيع ما بقي عنده من الرداء ، فباعه منه ولم يكن شيء عنده منه إلا يسير .

وحمل الفقيه على تلك الحالة وقت صلاة العصر إلى المصلى بالشريعة، وسير به سيراً حثيثاً فاستبق الناس إليه ، فمنهم من يرمي عليه عمامته ، فاذا وصلت إلى النعش وجذبها اشترك ناس معه فيها فلا يبقى منها إلا قدر مـا يمسك بيده ، ومنهم من يرسل رداءه فيجري الحال فيه على ذلك ، وصُلي عليه هنالك مرة ثانية في جمع عظيم ، ثم سير به كذلك إلى مدفنه بالقرافة حيث قبور الصالحين والفضلاء، وإذا جماعة كبيرة من كبراء الناس وأعلاهم ينتظرونه هنالك لم يكونوا صلوا عليه، فقالوا: لابد أن نصلي عليه قبل دفنه، فصلوا عليه وهو بشفير القبر مرة ثالثة ، ووورِي في قبره بمقبرة الشهداء المنسوبة إلى سارية ، واختطف الناس تراب قبره مرة ، ثم ثانية ، ثم ثالثة ، وأقبل عليهـم الليل وانفصلوا عنه ، فلما كان من الغد أصبح قبره مبنياً كأحسن ما يبنى من القبور ، فتساءل الناس عمن بناه ، فلم يجدوا عنه مجيباً ، وجعل حفيد أخيه وأصحابه عند رأسه تاريخاً .

مولده باشبيلية سنة أربع وستين وخمسمئة .

وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامنة والعشرين من جمادى الأولى مـن عام خمسة وثلاثين وستمئة .

انتهـى .

وترجمه في (التكملة) (1) .

550) محمد بن علي ابن العربي الحاتمي

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن العربي الحاتمي، من ولد عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم الصوفي الفقيه المشهور الظاهري .

---

1) **التكملة** 2 : 637 ع 1657 وفيها أنه توفى فى شهر ربيع الآخر ، وفى رواية أخرى أنه توفى فى ربيع الأول .

ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة 560، قرأ القرآن على أبي بكر ابن خلف باشبيلية ، وبالسبع بكتاب الكافي ، وحدثه به عن ابن المؤلف أبي الحسن شريح بن محمد ابن شريح الرعيني عن أبيه ، وقرأ أيضاً السبع بالكتاب المذكور على أبي القاسم الشراط القرطبي ، وحدثه به عن ابن المؤلف ، وسمع على أبي بكر محمد ابن أبي جمرة كتاب (التيسير) للداني عن أبيه عن المؤلف ، وسمع على ابن زرقون ، وأبي محمد عبد الحق الاشبيلي الأزدي ، وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم ، وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنة 568 ، فأقام بها إلى سنة 598 ، ثم ارتحل إلى المشرق ، وأجازه جماعة ، منهم الحافظ السلفي ، وابن عساكر ، وأبو الفرج ابن الجوزي ، ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة ، ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ، ومات بدمشق سنة 638 ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، ودفن بسفح قاسيون .

وقال ابن الأبار : هو من أهل المرية أخذ عن مشيخة بلده ومال إلى الآداب ، وكتب لبعض الولاة ، ثم رحل إلى المشرق حاجاً ولم يعد بعدها إلى الأندلس ، وقال المنذري : ذكر أنه سمع بقرطبة من أبي القاسم ابن بشكوال وجماعة سواه ، وطاف البلاد وسكن بلاد الروم مدة ، وجمع مجاميع في الطريقة، وقال ابن الأبار : إنه لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه ، وقال غيره : انه قدم بغداد سنة 608 ، وكان يوماً إليه بالفضل والمعرفة ، والغالب عليه طرق أهل الحقيقة ، وله قدم في الرياضة والمجاهدة ، وكلام على لسان أهل التصوف ، ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشأن بالشام والحجاز ، وله أصحاب وأتباع ، ومن تآليفه مجموع ضمنه منامات رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ، ومنامات قد حدث بها عمن رآه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن النجار : وكان قد صحب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق الفقر ، وحج وجاور ، وكتب في علم القوم وفي أخبار مشايخ المغرب وزهادهم ، وله أشعار حسنة وكلام مليح ، اجتمعت به في دمشق في رحلتي إليها وكتبت عنه شيئاً من شعره ونعم الشيخ هو .

وقال ابن مسدي : إنه كان جميل الجملة والتفصيل ، محصلا لفنون العلم أخصّ تحصيل ، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق ، والتقدم الذي لا يسبق ، سمع ببلاده من ابن زرقون والحافظ ابن الجد ، وأبي الوليد الحضرمي، وبسبتة من أبي محمد بن عبد الله ، وقدم عليه إشبيلية عبد المنعم بن محمد الخزرجي فسمع منه ، وأبو جعفر ابن مصلي ، وذكر أنه لقي عبد الحق الاشبيلي، انتهى. وأجازه بجميع مصنفاته كما صرح به الشيخ ابن عربي في إجازته للملك المظفر غازي بن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب ، وقال : إن الحافظ السلفي أجاز له ، قال بعض الحفاظ : وأحسبها الاجازة العامة .

وقال الذهبي في حقه : إن له توسعاً في الكلام وذكاء وقوة خاطر ومحافظة وتدقيقاً في التصوف وتواليف جمة في العرفان ، لولا شطحه في كلامه وشعره ، ولعل ذلك وقع منه في حال سكره وغيبته ، فيرجى له الخير ، انتهى .

وله فيه كلام في الميزان قد رده الحافظ ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) ، ونقل كلام المثنين عليه كثيراً فراجعه ، وذكر في (الدرر الكامنة) أن أحمد ابن اسكندر الحسيني الصوفي قرأ له شرحاً على بيتين لابن العربي في كراسة أملاها في رجب سنة 777 .

وقال القطب اليونيني في (ذيل مرآة الزمان) عن المترجم ، أنه كان يقول إني أعرف اسم الله الأعظم ، وأعرف الكيمياء ، انتهى .

وقال ابن سودكين (1) عنه ، ينبغي للعبد أن يستعمل همته في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكماً على خياله .

وحكى العماد ابن النحاس الأطروس أنه كان في سفح جبل قاسيون على مستشرف ، وعنده الشيخ محيي الدين والغبث والسحاب عليهم ودمشق

---

1) ابن سودكين اسمه اسماعيل أبو الطاهر النورى الحنفى الصوفى ، كان صاحب الشيخ محيى الدين بن العربى وله كلام وشعر ، توفى فى صفر سنة 636 ، وروى عن الارتاجى ، ذكره فى الشذرات (مؤلف) .

ليس عليها شيء ، قال : فقلت للشيخ : أمـا ترى هذا الحال ؟ فقـال : كنت بمراكش وعندي ابن خروف الشاعر ، يعني أبا الحسن علي بن محمد القرطبي القيدافي ، وقد اتفق الحال مثل هذه ، فقلت له : مثل هذه المقالة فأنشدني :

يطوف السحاب بمراكـــــش طواف الحجيج ببيت الحـــــرم
يروم نزولا فلا يستطيـــــع لسفك الدماء وهتك الحـــرم

وحكى المقريزي في ترجمة سيدي عمر ابن الفارض أن محيي الدين بعث إليه ليستأذنه في شأن التائيـة فقال : كتابك المسمى بـ (الفتوحـات المكية) شرح لها كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس في تصنيف الفتوحات ، وحصلت له دنيا عريضة ، فكان لا يدخر منها شيئاً ، وأثنى عليه ممن لقيـه أيضاً الشيخ صفي الدين حسين الأنصاري ، وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بايمان فرعون أن مراده بفرعون النفس .

وولد للشيخ محيي الدين ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية سنة 618 ،وهو مدفون مع والده ، وكان الشيخ محيي الدين يقابل من يسيء إليـه بالاحسان ، وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ، ولا يلتفت إلى كلام من تكلم فيه ، ولله در السيوطي الحافظ فانه ألف (تنبيه الغبي ، على تنزيـه ابن عربي) ، وله تآليف منها : (الجمع والتفصيل ، في حقائق التنزيل) ، و (الجذوة المقتبسة ، والخطوة المختلسة) ، وكتاب (كشف المعنى ، في تفسير الأسماء الحسنى) ، وكتاب (المعارف الالاهية) ، وكتاب (الاسراء إلى المقام الأسرى) ، وكتاب (مواقـع النجوم ، ومطالع أهلة أسرار العلـوم) ، وكتاب (عنقاء مغرب ، في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب) ، وكتاب في فضائل مشيخة عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي ، والرسالة الملقبة بـ (مشاهد الأسرار القدسية ، ومطالـع الأنوار الالاهية) فـي كتب أخرى عديـدة .

وقال المجد صاحب القاموس فـي كتابه (الاغتباط ، بمعالجة ابـن الخياط) لما سئل عن كتب محيي الدين ما نصه : الحمد لله اللهم أنطقنا بما فيه رضاك ، الذي أعتقده في حال المسؤول عنه وأدين الله تعالى به انه كان

شيخ الطريقة حالا وعلماً ، وإمام الحقيقة حقيقة ورسماً ، ومحيي رسوم المعارف فعلا واسماً ، إذا تغلغل فكر المرء في طرف من بحره غرقت فيه خواطره ، وهو عباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء ، كانت دعواته تخترق السبع الطباق ، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق ، واني أصفه وهو فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته ، وغالب ظني أني ما أنصفته :

وماعليَّ إذا ما قلت معتقـــــدي	دع الجهول يظن العدل عدوانـــا
والله والله العظيم ومَـــــن	أقامه حجة للدين برهانـــــا
بأنَّ ما قلت بعضٌ من مناقبـــه	ما زدت إلا لعلِّي زدتُ نقصانـــا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر ، التي جواهرها وكثرتهـا لا يعرف لها أول ولا آخر ، ما وضع الواضع مثلها ، وإنما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها ، ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها ، وتأمل مبانيها ، انشرح صدره لحل المشكلات ، وفك المعضلات ، وهـذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصه الله بالعلوم اللدنية الربانية ، ووقفت على إجـازة كتبها للملك المعظم فقال في آخرها : وأجزته أيضاً أن يروي عني مصنفاتي ، ومن جملتها كذا وكذا ، حتى عد نيفاً وأربعمئة مصنف ، منها (التفسير الكبير) الذي بلغ فيه إلى سورة الكهف عند قوله تعالى « وعلمناه من لدنا علما » ، وتوفي ولم يكمل ، وهـذا التفسير كتاب عظيم كـل سفر بحر لا ساحل له ، ولا غرو ، فانه صاحب الولاية العظمى ، والصديقيـة الكبرى ، فيما نعتقـد وندين الله تعالى به ، وثَمَّ طائفة في الغي طائفة يعظمون عليه النكير ، وربما بلغ بهم الجهل إلى حد التكفير ، وما ذاك إلا لقصور أفهامهم عن إدراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ، ولم تصـل أيديهم لقصرها إلـى اقتطاف مجانيها :

عليَّ نحتُ المعاني من معادنهـا	وما عليَّ إذا لم تفهم البقـــر

هذا الذي نعلم ونعتقد ، وندين الله تعالى به في حقه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

كتبه محمد الصديقي الملتجىء إلى حرم الله تعالى عفا الله عنه .

انتهـى .

وقال في حقه الشيخ عز الدين بن عبد السلام : انه القطب الغـوث الفرد في زماننا ، وممن أثنى عليه سعد الدين الحموي ، وصلاح الدين الصدفي في ترجمته من تاريخ علماء العالم ، وكراماته لا تحصر ، وقد اعتنى بتربتـه بصالحية دمشق سلاطين بني عثمان ، وبنـى عليه السلطان سليم خان المدرسة العظيمة ، ورتب له الاوقاف .

وقال في (عنوان الدراية) : كان محيي الدين يعرف بالأندلس بابن سراقة ، دخل بجاية في رمضان سنة 597 ، ورأى رؤيا أوّلت بأنه ينال مـن العلوم العلوية وعلوم الأسرار ، وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من زمانه، وهي أنه نكح نجوم السماء بلذة روحانية ، وكذلك الحروف ، وله موشحات :

(مـطـلـع) :

سـرائـر الأعـيـــان   لاحت على الاكـــوان
للـنــاظــريـــن
والعاشق الغيـــران   من ذاك في حـــران
يبدي الأنيـــن

وممـن أثنى عليـه الامام الصفـي ابن ظافـر الأزدي ، والشهـاب السهروردي ، قال فيه بحر الحقائق وشمس الديـن ابن مسدي في معجمـه البديع المحتوي على ثلاث مجلدات ، وأطنب في ترجمته .

ومن أشياخ محيي الدين الذين أخذ عنهم بفاس أبو عبد الله ابن قاسم، وعلي ابن حـرزهم ، قال الشيـخ أحمد زروق : سئـل شيخنا الامـام القوري عـن ابن العربي الحاتمي فقـال : هو أعرف بكـل فن من أهل كـل فن ، قيل له لم نسألك عن هذا ، فقال : اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية ، قيل له : فما ترجّح عندك ؟ قال : التسليم ، وأخذ يستدل له ، قال زروق لأن القول بالتكفيـر مسألة خطـر ، والقول بالولاية فيـه للجاهل غرر ، وهـذا المذهب ينبغي لكل عاقل أن يسلكه في حق كل من كان من هذا النوع كابـن

الفارض ، والششتري ، وابن أملا ، وابن سبعين (1)، والعفيف التلمساني (2)، والعجمي الأيكي ، والأقطع الأسود ، وابن درسكين ، والحرالي وغيرهم . انتهــى .

وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقات الصوفية كما نقله في (الشذرات) فــي ترجمة سيدي عمر ابــن الفارض لدى سنة 632 مــا نصه : والحــاصل أنه اختلف في شأن صاحب الترجمة ، وابــن عربي ، والعفيــف التلمساني ، والغونوي ، وابن هود (3) ، وابن سبعين ، وتلميذه الششتري ، وابن مظفر ، والصفار من الكفر إلى القطبانية ، وكثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية ، ولا أقول كما قال بعض الأعلام : سلّم تسلم والسلام ، بــل أذهب إلى ما ذهب إليه بعضهم أنه يجب اعتقادهم وتعظيمهم ، ويحرم النظــر في كتبهم على من لم يتأهل لتنزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة المطهرة ، وقد وقع لجماعة من الكبار الرجوع على الانكار ، انتهى كلام المناوي مختصــراً .

وأطال في (الشذرات) في ترجمة محيي الدين ابن عربي في نحــو انثنتي عشرة صفحة ، قال في آخرها : فدفن في تربته المعلومة الشريفة التي هي قطعة من رياض الجنة والله تعالى أعلم ، انتهى ، فراجعها فقد شفي الغليل ، وراجع صحيفة 346 من (النور السافر) .

وقد وقفت على (الرد المتين ، على متنقص العارف محيي الديــن) للشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي مذهباً ، القادري مشرباً ، في اثني عشــر

---

1) ابن سبعين اسمه عبد الحق بن ابراهيم الاشبيلي توفي سنة 669 ، ترجمه الذهبــي والمناوي وابن حبيب والبسطامي وصاحب الشذرات ، وأخذ عن جماعة منهم الحراني والبوني ، ومن أصحابه أبو الحسن الششتري ، وابن سبعين ممن جال في بلاد المغرب (مؤلف) .

2) والعفيف التلمساني اسمه سليمان بن علي ، ترجمه المناوي في طبقاته واثنى عليه ابن سبعين وفضله على شيخه الغونوي ، وترجمه في **الشذرات** لدى سنة 690 (مؤلف) .

3) ابن هود اسمه حسن بن علي بن أمير المومنين أبي الحجاج يوسف ، ترجمه المناوي في طبقاته ، وصحب ابن سبعين ، وكان والده متولياً نيابة عن أخيه أمير المومنين المتوكل محمد بن يوسف بن هود ، وترجمه في **الشذرات** لدى سنة 699 (مؤلف) .

كراساً ألفه عام 1083 ، قال فيه : قد أطلعت علـى رسالة لبعض علماء الرسوم مشتملة علـى الرد والاحتقار ، جامعة لما زلّت به الأقدام فـي جانب قطب العارفين وإمام المحققين خاتم الولاية المحمدية ، وصاحب الوراثة النبوية ، الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي الأندلسي ، فأخذتني شنشنة الأخوة الايمانية الى الذب عن أعلم العلماء ، وكشفت فيها عن معاني العبارات المستشكلة من كلمات الشيخ مصدراً لها بقولي :

ظهر الحق ما عليه غطـــاء ... بك وازداد نائل وعطـــاء
وتجلت على القلوب معـــان ... عجزت عن خطورها العقـــلاء
أيها القطب قد تشرف قطـــر ... لك فيه قبر عليه بهـــاء
وزهت جلق بكونك فيهـــا ... فهي في الأرض روضة غنـــاء
لم أخصص بها مكاناً ولكـــن ... سكن الصالحية الصلحـــاء
ورأينا المنى وأشرق فينـــا ... منك محيي الدين الهدى والضيـاء
وتبدت كواكب الحق تـزهـــو ... ولها كتبك العظام سمـــاء
من فصوص يقول من قـــد رآه ... ختمت بالمصنف الأوليـــاء
كلمات تجل عن كل فهـــم ... ليس فيه من الالاه اهتـــداء
وإذا أنكرتْه قوم أجبنـــا ... لا ترى الشمس مقلة عميـــاء
والفتوحات يالها من كتـــاب ... تتقوى بفهمه الضعفـــاء
وهو يحوي حقائقاً وعلومـــا ... ولأهل السلوك فيه ارتقـــاء
كمل الفقه بالذي فيه حتـــى ... نقصت عن علومه الفقهـــاء
ولقد جئتنا بكل كتـــاب ... من علوم جاءت بها الأنبيـــاء
حيث أصبحت بالوراثة عنهـــم ... في مقام تحفـُــــه الآلاء
وإذا أنكرت عليك أنـــاس ... فالنبيؤون نالهم إيـــذاء
جهلتك العدا جهالـــة در ... قلَّبته بكفها الأغنيـــاء
وأعابت عليك والنور نـــور ... ما له من فم الحسود انطفـــاء
فسقى الله تربة لك ضمـــت ... صوب عفو له الرضا أنـــواء
أمد الدهر ما تجلت بـــروق ... فانجلت من وميضها الظلمـــاء

ثم ذكر أن كلام أهل الأحوال يجب تأويله ومعرفة اصطلاحهم ، وأن كلام المعاصرين مردود غالبه حسد ، وأن كتب الحقائق لم تصنف لبيان الأحكام ، فلهذا يذكرون الحال ولا يذكرون حكمه اعتماداً على كتب الأحكام المصنفة لذلك ، وأنه لا يجوز لفقيه اقتصر فهمه على معرفة أحكام الأشياء أن ينظر في كتب الحقائق إلا بعد أن يعلم أن مفهوماته معطلة من جهة أحكام الأشياء ، وأنه يجب التأويل ولا يتقيد بكلام جاهل ولا عالم بعد أن يكون من أهل الاسلام ، بل كلام العالم أحق بالتأويل تحرزاً من الطعن فيه بالباطل ، ومن احتقاره والاستهانة به ، وأن التأويل لا يختص بقول المعصوم ، ولما ذكر طعن الذهبي قال : ما للذهبي المشتق اسمه من ذهاب العقل والتكلم في الذهب الابريز ، الذي هو من عناية الله تعالى في حرز حريز ، وقوله : ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته يرده أنه أجاز بجميع مصنفاته الملك المظفر ، وأي اشتهار أبلغ من اطلاع السلطان عليها الذي يخاف من شره غالباً ، وفي (الفتوحات المكية) وغيرها من كتب الشيخ في الحقائق تقرير ظواهر الشريعة على ما هي عليه ، ثم العبور منها إلى الأسرار والمعارف ، وربما غلب ذكر الأسرار والمعارف ، ثم ذكر أن محيي الدين كان خاتم الولاية المحمدية الخاصة ، والسيد المهدي خاتم الولاية المطلقة ، وذكر في الخاتمة أن الشيخ رضي الله عنه ذمه قوم واثنى عليه آخرون ، وأن كل أحد لم يخل من صديق يمدح وعدو يقدح .

وممن أثنى على الشيخ محيي الدين الشيخ كمال الدين الزملكاني بالشام ، وقطب الدين الحموي ، والصفديّ ، وقطب الدين الشيرازي ، وفخر الدين الرازي ، ومحيي الدين النووي ، والشيخ محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي ، والامام محمد ابن أسعد اليافعي ، وصنف الشيخ سراج الدين المخزومي في الرد على من رد على الشيخ ، وكذلك الجلال السيوطي كتابين .

وممن أثنى على الشيخ من المؤرخين ابن الحوراني في (لطائف الاشارت) في تعداد الأولياء بدمشق ، والشيخ صفي الدين ابن أبي منصور في رسالته ، والشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب (الوحيد) .

وذكر الجلال السيوطي جماعات من العلماء والفقهاء الأجلاء أثنوا على الشيخ بما يطول شرحه ، منهم : مجد الدين الشيرازي ، وشيخ الاسلام ابن كمال باشا ، ووالد المصنف الشيخ إسماعيل بن عبد الغني النابلسي ، ثم ختم هذا التأليف بقصيدة في مدح الشيخ ، قال :

كان محيي الدين يهدي كلَّ حي ... لفريق من ذوي القرب وحي
ثم فينا بقيت أنفاسه ... بعده ، ياطيب ذياك الشذي
نفحات لذويها انتشرت ... وانطوت تلك عن المزكوم طي
فهلموا يارفاقي وقفوا ... عند هذا الباب كي يفتح كي
واقبلوا نصحي وان شئتم دعوا ... كل غير ينجلي عنكم وغي
كتبه النور لمن يبصرها ... وهي تروي كل صادي القلب ري
من كتاب الله والسنة قد ... خرجت تختال في أبهى حلي
رام أن يطفيءَ قوم نورها ... فأبى الله وما آبوا بشي
قطب أهل الله يابن العربي ... حاتميُّ المنتمي من نسل طي
كنت ختماً لكبار الأوليا ... جامعاً أرث نبيٍّ من قُصَي
ولقد حزت علوماً شرفت ... هي من داء الضلالات دوي
وترقيت مقاماً عاليا ... لويت عنه رجال الله لي
عصرك الفائت ما أشرقه ... بك ، يا شمساً له الأغيار في
وإذا عنك عيون عميت ... قد عذرنا فيك ألحاظ العمي
لا يرى المحرم إلا محرم ... هو من جيران ذياك الخبي
إن محيي الدين أحيا الدين ، قل ... والمسمى غالباً طبق السمي
زره واغنم فضل قبر ضمه ... وانتشق من نحوه طيب الشذي
وتوسل عند مولاك به ... كلما نابك خطب ياأخي
فالذي يقصده فاز وما ... خاب مَن يلجا إلى ذاك الحُمي
لم يزل رضوان ربي دائما ... عنه ما حن أشتياقاً ذو الهوي

انتهى .

وقوله : والشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب (الوحيد) تمام التسمية في (سلوك أهل التوحيد) ، وهو في مجلدين .

راجع ترجمة مؤلفه في (الدرر الكامنة) .

وقال الشيخ عبد الغني المذكور في كتابه (روض الأنام،في بيان الاجازة في المنام) أوله : الحمد لله الذي رفع أقدار عباده المقربين ، وذكر فيه أن المترجم أجاز في رؤيا منامية بصحيح الامام البخاري من طلب إجازته منه ، ووقفت من تآليف النابلسي المذكور على (أنوار السلوك ، في أسرار الملوك) ، ورسالة (رد الجاهل إلى الصواب ، في جواز إضافة التأثيرات إلى الأسباب) أثبت فيه ثبوت الكرامة بعد الموت ، ورسالة (الجواب المعتمد ، عن سؤالات أهل صفد) ، ورسالة (النفحات المنتشرة ، في الجواب عن الأسئلة العشرة) ، وكتاب (الأنوار الالاهية ، في شرح المقدمة السنوسية) ، و (القول الأبين ، في شرح عقيدة أبي مدين) وكتاب (رفع الاشتباه ، عن علمية اسم الله) ، وكتاب (الفتح الرباني ، والفيض الصمداني) ، وراجع الاجازة في المنام في ترجمة الخطيب ابن مرزوق ، ومن تلامذة المترجم الشريف عبد العزيز بن طباطبا ، راجع ترجمته في (الدرر الكامنة) ، وقد تكلم فيها على الاقطاب ، والأبدال ، والنجباء ، والأوتاد ، والغوث ، وممن ألف فيه أيضاً الشيخ محمد بن عبد الرحمان السخاوي (القول المنبي ، عن ترجمة ابن العربي) ، ومنها تأليف الشيخ سيدي علي بن ميمون المغربي الحسني في مناقبه .

وهذه تآليف الشيخ محيي الدين مرتبة على حروف (المعجم) جمعتها من (كشف الظنون) من أوله إلى آخره ، فمنها : (الأحاديث القدسية) ، وهو مئة حديث وواحد ، و (الاسرا ، إلى المقام الأسرى) ، و (الاصطلاحات الصوفية) ، و (الأمر المحكم المربوط ، فيما يلزم أهل طريق الحق من الشروط) ، وتفسيره في خمسة وتسعين مجلداً ، وقيل في ستين سفراً ، و (تنزل الاملاك ، في حركة الاملاك) ، و (الحج الأكبر)، و (حرف الكلمات ، وحرف الصلوات) ، و (حلية الأبدال ، وما يظهر منها من المعارف والأحوال)، و (الدرة الناصعة ، من الجفر والجامعة) ، و (الدرة البيضا ، في ذكر مقام القلم الأعلى) ، وديوانه ، و (رسالة الأزل) ، و (رسالة الحجب) ، و (رسالة الشأن) ، و رسالته إلى الفخر الرازي ، و (الرسالة القدسية) ، و (رسالة

القسم الالاهي) ، و (رسالة القلب) ، وتحقيق وجوهه المقابل إلى الحضرات، و (رسالة كنه ما لابد منه) ، و (رسالة الميم والواو والنون) ، و (رسالة الهو) ، و (الرياح الرسائل ، ومنهاج الوسائل) ، و (الرياض الفردوسية ، في الأحاديث القدسية)، و (سبحة السوداء)، و (ستة وتسعون ، في الكلام على الميم والواو والنون) ، و (شجون المسجون) ، و (شعب الايمان وعقائده)، و (العقد المنظوم ، والسر المكتوم) ، و (عقلة المستوفز) ، و (عنقاء مغرب، في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب) ، و (العين والنظر في خصوصية الخلق والبشر) ، و (الفتوحات المكية ، في معرفة أسرار المالكية والملكية) ، و (فصوص الحكم) ، و كتاب (الاتحاد) ، وكتاب (الأحدية) ، وكتاب (الالف) ، وكتاب (الأنوار) ، وكتاب (الباه) ، وكتاب (الجلالة) ، وكتاب (الحق) ، وكتاب (الخلوة) ، وكتاب (الروح) ، وكتاب (الشواهد) ، وكتاب (العبادة) ، وكتاب (علوم الوهب) ، وكتاب (الغوامض والعواصم) ، وكتاب (النكاح) ، وكتاب (الياء) ، و (الكشف الكلي ، والعلم اللدني) ، في علم الحروف ، و (كيمياء السعادة ، لأهل الارادة) ، و (المبادىء والغايات، في أسرار الحروف المكنونات) ، و (الأسماء والدعوات) ، و (محاضرة الأبرار ، ومسامرة الأخيار) ، و (المدخل إلى علم الحروف) ، و (المدخل إلى المقصد) ، و (مراتب التقوى) ، و (مراتب علوم الوهب) ، و (مشاهد الأسرار القدسية ، ومطالع الأنوار الالاهية) ، و (مشكاة الأنوار ، فيما روي عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار) ، وهي الأحاديث القدسية التي شرحها النووي ، و (مشكاة العقول ، المقتبسة من نور المنقول) ، و (مفاتيح الغيب) ، و (المقصد الأسنا) في الاشارات، و (المقنع) ، و (مواقع النجوم، ومطالع أهل الأسرار والعلوم) ، و (المولد الجسماني) ، و (نتائج الاذكار ، في المقربين والأبرار) ، و (نسخة الحق) ، و (النقش المختصر ، من الفصوص والوصايا الأكبرية) ، ومنها شرح (خلع التعلين ، في الوصول الى حضرة الجمعين) المتقدم ذكره في ترجمة مصنفه الشيخ أحمد ابن قسي ، وقد طبع من كتبه نحو الثلاثين كتاباً .

راجع ص 175 من معجم المطبوعات .

وقد ذكر في الجزء الأول من الرحلة العياشية إجازة الشيخ لبعض الملوك مع اختصار منها وبعض فوائده .

وترجم للشيخ في (أزهار الرياض) نقلا عن ابن خاتمة وابن الأبار ، وفي (نفح الطيب) ، وفي (الجذوة) ، وفي أول (اليواقيت والجواهر) ، وقال في (المنح البادية) : وقد أخذت والحمد لله عن روحانية محيي الدين ، ولقنني وأجازني بعض مؤلفاته ، انتهى .

وكان الشيخ يوسف العجمي المترجم في (الدرر الكامنة) على طريقة ابن العربي ، وكان الشيخ نصر المنبجي المترجم في (الدرر الكامنة) يحط على ابن تيمية من أجل حطه على ابن العربي ، ولكنه كان لا يعرف ما يعاب ابن العربي إلا لكونه منسوباً إلى الزهد ، وكان الشيخ علي القونوي علاء الدين الفقيه الشافعي المترجم في (الدرر الكامنة) يميل إلى محيي الدين ابن عربي مع تصنيفه في الرد على أهل الاتحاد ، وكان يقرر حديث أبي هريرة « من عادى لي ولّياً » تقريراً حسناً ، ويبين المراد بقوله : كنت سمعه الذي يسمع به بياناً شافياً ، وكان الشيخ زين الدين عمر بن أحمد بن عبد الله ابن حلاوات الصفدي المترجم في (الدرر الكامنة) ينتمي إلى مقالات محيي الدين ابن العربي ، وكان ولي الدين محمد ابن ابراهيم المعروف بالمنفلوطي ، وبابن خطيب ملوي يميل إلى مقالة ابن العربي ، ويدندن حولها في تآليفه ، ويجمجم ، ولا يكاد يفصح ، وكان يحضر السماعات ويرقص أحياناً ، ونقل العثماني قاضي صفد في (طبقات الشافعية) أنه حصل له عند موته ما يدل على نجاته ، وأنه قال : انزَعوا عني ثيابي فقد أُحضرت لي ثياب الجنة أو نحو هذا من الكلام ، راجع تمام ترجمته في (الدرر الكامنة) .

وذكر في (الضوء اللامع) في ترجمة الجمال محمد بن إبراهيم الفوي الأصل المكي الحنفي المعروف بالمرشدي ، أنه كان محباً في ابن عربي ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن أحمد البساطي القاهري المالكي

عالم العصر ، أنه صنف مصنفاً في ابن عربي فيما قيل مما لم يثبت أمره عنده، وذكر في ترجمة أبي المواهب محمد بن أحمد اليزليتني المالكي المعروف بابن زغدان ، أنه مال إلى ابن عربي بحيث اشتهر بالمناضلة عنه ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بـن أحمد المصري الصوفي المعروف بابن النجم نزيل مكـة أنه مال فيما بلغه لابن عربي ، وكان على طريقته مع كثرة العبادة ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن إسماعيل القاهري الحسني ، أنه يذكر باعتقاد ابن عربي ، وذكر في ترجمة أبي الفتح محمد ابن طولون مختصر فتح الباري ، أنه كان سالكاً طريق شيخه في تحسين الظن بابن عربي مع صحة عقيدته ، وذكر في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة ، أنه مضـى في ترجمة أصيل بن الخضري محمد بن ابراهيم بن علي ، أنه قرأ على محمد بن عادل بن محمود التبريزي شيرين كتب ابن عربي في حكاية الله أعلم بصحتها ، وذكر في ترجمة محمد ابـن جمعة القاهري الحنفي ، أنه ممـن ينتمي إلى ابن عربي كالزين الأنباسي ، وذكر في ترجمة أبي عبد الله محمد بن حسن الكردي ، أنه كان مبالغاً في حب ابن عربي بحيث اقتنى جملة من كتبه ، وذكر في ترجمة محمد ابن سلامة التوزري نزيل القاهرة ، أنه كان داعية إلى مقالة ابن عربي ، وذكر في ترجمة أبي عبد الله محمد بن سليمان الرومي الحنفـي المعروف بالكافياجي ، أنه ممن يميل إلى ابن عربي ، وربما ناضل عنه ، ومع ذلك ، فلما أبديت عنده شيئاً من كلماته انزعج وقال : هذا كفر صراح ، لكن حتى يثبت عنه ، وذكر السخاوي في ترجمة نفسه عند تعداد تآليفه ، أنه ألف (القول المنبي ، في ترجمة ابن عربي) في مجلد حافل ، ومحصله في كراسة اسمها (الكفاية ، في طريق الهداية) نافعة جداً، وذكر في ترجمة الشمس محمد ابن الفقيه عبيد المحلي ، أنه من الدعاة لابن عربي المتظاهرين له ، وذكر في ترجمة محمد بن علي ابن الأبار الشافعي المعراف بابن الحليبي ، أنه تخلص مـن قاضي المالكية ابـن تقي في كائنة ابن عربـي حيث بادر إلى تعزيـره والاستحكـام بخفر دمه ، وتردد إلي مـن أجلها ، وذكر في ترجمـة الشمس محمد بن عمر التونسي المالكي ، ويعرف بابن عزم بفتحتين ، أنه اشتد حرصه على تحصيل تصانيف ابـن عربي والتنويه بهـا وبمصنفها حتى صار داعيـة

لمقالته ، وركن إلى أهل هذا المذهب ، فكان يجلب لهم من تصانيفه ما ينمقه ويحسنه فيرغبونه في ثمنه ، وربما قصد كثيراً من عوام المسندين في الخفية لقراءتها لتكون متصلة الأسناد ، وعذلته عن ذلك ، فما كف ، بل أفاد حقداً ومقاطعة ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن عيسى الصفدي الشافعي المعروف بابن حامد ، أنه كان داعية لابن عربي ، مناضــلا عنه ، قائماً بتقرير كـلامه وتوجيه طاماته حتى في مواعظه على الكراسي بدمشق وغيرها ، وذكر فـي ترجمة الشمس محمد بن محمد المعروف بابن الشماع ، أنه لبس الخرقـة وتلقن الذكر من سعد الدين الصوفي بلباسه لها من طريق ابن العربي ، ثـم قال : ينسب إلى مقالة ابن العربي ، ثم قال عنه ما نصه : ومولانا الشيخ محيي الدين المشار إليه لبسها مراراً ، بحيث روينا عنه لبس الخرقة وتلقن الذكر وتأدب بنحو من سبعمئة شيخ من أشياخ الطريقة وأيمة الحقيقة ، وساق طرفاً من ذلك ، فالله أعلم بحقيقة أمره ، ثم قال في ترجمة البدر محمد بن محمـد القاهري المعروف بابن الغرس ، أنه كان أحد من قام على البقاعي ، بل وأجابه على الأبيات التي انتقدها من تائية ابن الفارض في مصنف مستقل ، ولذا قال فيه البقاعي : صار من رؤوس الاتحادية للحلاج ، وابن عربي ، وابن الفارض وحزبهم، وذكر في ترجمة البدر محمد بن محمد المعروف بابن القطان، أنه كان من أكبر المناضلين عن ابن عربي ، غير أنه لم يتظاهر بذلك إلا بعد كائنة ابن الفارض ، وذكر في ترجمة أبي الفضل محمد بن محمد ابن الشحنة ، أنه كان ممتحناً بابن عربي ، وذكر في ترجمة الشمس محمد الشرواني أنه انتمى لنصر الله الروياني ، وسكن معه بالمنصورية ، وقرأ عليه الفصوص لابن عربي خفية، ثم أقرأه كذلك لبعض من يثق بكتمانه ، وكان يحض على إخفائه ، وذكر فـي ترجمة المجد الفيروزأبادي ، أنه لما اشتهرت باليمَن مقالة ابن عربي ، وغلبت على علماء تلك البلاد صار يدخل في شرحه ، يعني للبخاري من فتوحاته الخ ، وقــال في ترجمة محمـد الشمس أنه كان يقـرأ بعض كتب ابن عربي ، هذا ما ذكر في (الضوء اللامع) في خلال تراجم المحمدين دون باقي التراجم لخصّته منه دلالة على قدر اعتناء القوم بكتب المترجم .

وترجم للشيخ أيضاً في (الطبقات الكبرى) الامام الشعراني ، وأحسن فيها مع الاختصار ، ولنجعلها آخر ما نذكره في ترجمته قال : ومنهم الشيخ العارف الكامل المحقق المدقق أحد أكابر العارفين بالله سيدي محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه بالتعريف ، كما رأيته بخطه في كتاب (سبب الخرقة) رضي الله عنه ، أجمع المحققون من أهل الله عز وجل على جلالته في سائر العلوم ، كما يشهد لذلك كتبه ، وما أنكر من أنكر عليه إلا لدقة كلامه لا غير فأنكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفاً من حصول شبهة في معتقده يموت عليها لا يهتدي لتأويلها على مراد الشيخ ، وقد ترجمه الشيخ صفي بن أبي المنصور وغيره بالولاية الكبرى والصلاح والعرفان والعلم ، فقال : هو الشيخ رأس أجلاء العارفين والمقربين ، صاحب الاشارات الملكوتية، والنفحات القدسية ، والأنفاس الروحانية ، والفتح المونق، والكشف المشرق، والبصائر الخارقة ، والسرائر الصادقة، والمعارف الباهرة، والحقائق الزاهرة، له المحل الأرفع من مراتب القرب في منازل الأنس ، والمورد العذب في مناهل الوصل ، والطول الأعلا من معارج الدنو ، والقدم الراسخ في التمكين من أحوال النهاية ، والباع الطويل في التصرف في أحكام الولاية ، وهو أحد أركان هذه الطريقة رضي الله عنه .

وكذلك ترجمة الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد بن أسعد اليافعي رضي الله عنه ، وذكره بالعرفان والولاية ، ولقبه الشيخ أبو مدين رضي الله عنه بسلطان العارفين ، وكلام الرجل أدل دليل على مقامه الباطن ، وكتبه مشهورة بين الناس لاسيما بأرض الروم ، فانه ذكر في بعض كتبه صفة السلطان جد السلطان سليمان بن عثمان الأول وفتحه القسطنطينية في الوقت الفلاني ، فجاء الأمر كما قال : وبينه وبين السلطان نحو مئتي سنة ، وقد بني عليه قبة عظيمة ، وتكية شريفة بالشام فيها طعام وخيرات، واحتاج إلى الحضور عنده من كان ينكر عليه من القاصرين بعد أن كانوا يبولون على قبره رضي الله عنه

وأخبرني أخي الشيخ الصالح الحاج أحمد الحلبي أنه كان له بيت يشرف على ضريح الشيخ محيي الدين فجاء شخص من المنكرين بعد صلاة

العشاء بنار يريد أن يحرق نابوت الشيخ ، فخسف به دون القبر بتسعة أذرع فغاب في الأرض وأنا أنظره ، ففقده أهله من تلك الليلة ، فأخبرتهم بالقصة فجاءوا وحفروا فوجدوا رأسه ، فكلما حفروا نزل وغار في الأرض إلى أن عجزوا وردموا عليه التراب .

وكان رضي الله عنه أولا يكتب الانشاء لبعض ملوك المغرب ، ثم تزهد وتعبد وساح ودخل مصر والشام والحجاز والروم ، وله في كل بلدة دخلها مؤلفات ، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام بمصر المحروسة يحط عليه كثيراً ، فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وعرف أحوال القوم ، صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبية .

مات رحمة الله عليه سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، وقد سطرنا الكلام على علومه وأحواله في كتابنا (تنبيه الأغبياء ، على قطرة من بحور الأولياء) فراجعه والله تعالى أعلم ، انتهى ، وما ذكره من كونه رضي الله عنه بالتعريف الخ قال ابن الطيب الشرقي في (حاشية القاموس) عند ذكره في عرب قوله : وابن عربي ـ أي بغير ألف ولام للفرق بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي المذكور قبله ـ وهذا اصطلاح اصطلح عليه الناس وتداولوه ، وإلا فالموجود بخط الشيخ محيي الدين قدس سره هو ابن العربي بالألف واللام كما في فتوحاته وغيرها من كتبه والله أعلم ، وشهرتهما كافية في الاقطار ، انتهى .

ومن كتب الامام ابن عربي التي نقل عنها في (النفح) (الاسفار ، عن نتائج الاسفار) وقد زرت قبره رضي الله عنه بالصالحية من دمشق لما كنت فيها حيث رجعت من الحج تقبل الله بمنه .

وقال السيد عبد الحي في (إفادة النبيه ، مَن ادعى الاجتهاد أو ادعي فيه) ما نصه : ومنهم إمام العارفين الشيخ الأكبر قدس سره ، كان مالكياً ، ثم تحول شافعياً ، ثم استقل بنفسه ، وكتاب العبادة من فتوحاته يصيح بذلك وهو القائل :

نسبوني إلى ابن حزم وإنـــي	لست ممن يقول قال ابن حـــزم
بل ولا غيره فان كلامـــي	قال نص الكتاب ذلك حكمـــي
أو يقول الرسول أو أجمع الخلـــ	ـــق على ما أقول ذلك علمـــي

انتهـى .

ودفن عند قبره ولده الفاضل الأديب سعد الدين المتوفي سنة 656 ، كما دفن هناك الامام سيدي عبد القادر بن محيي الدين الجزائري (1) وزرت الجميع لما حللت بالشام بعد الرجوع من الحج (2) .

551) محمد بن مروان ابن فهد اللخمي الاشبيلي

محمد بن مروان بـن محمد بن محمد بـن مروان بن سعيد ابـن فهد اللخمي الاشبيلي أبو بكر .

قال في تاريخ غرناطة كان متحققاً بالعربية ، حافظاً للغة ، ضابطـاً لها ، بارع الأدب ، تام العناية بشأن الرواية ، جمّاعاً للكتب ، روى عن نجبة وابن عروس النحويين ، ولد قبل التسعين وخمسمئة ، ومات بمراكش .

انتهى من (بغية الوعاة) .

552) محمد بن عبد الله الأغماتي الرقوطي

محمد بـن عبد الله بن أبي بكر القيسي مـن أهل إشبيلية ، يعـرف بالأغماتي ، لأن أصله منها .

روى عن أبي عبد الله ابن عسكر ، وتفقه بأبي عمرو ابن مرجي قـرأ عليه المدونة ، وولي القضاء ببعض الجهات ، أخذ عنه بعض أصحابنا ، وحكي عنه أنه ولد برقوط في صفر سنة ست وأربعين وخمسمئة ، ولم يذكر وفاته .

انتهى من (التكملة) (3) .

---

1) نقل جثمان الحاج عبد القادر بن محيى الدين الى مدينة الجزائر فدفن بها بعد استقلال الجزائر بقليل .

2) ينظر عن ابن العربى الحاتمى : **الذيل والتكملة** 6 : 493 ع 1277 **وعنوان الدراية** ص 156 **والوافى بالوفيات** 4 : 173 **وفوات الوفيات** 2 : 478 **وشذرات الذهب** 5 : 190 **والنجوم الزاهرة** 6 : 339 **ومرآة الزمان** ص 736 **ونفح الطيب** 2 : 161 **ولسان الميزان** 5 : 311 .

3) ترجمه ابن عبد الملك فى **الذيل والتكملة** 6 : 275 ع 710 بأوسع مما فى **التكملة** ، وقال ولد برقوط فى صفر 546 وكان حياً فى صفر 614 هـ وينظر عنه ايضاً **برنامج شيوخ ابن الفخار الرعينى** ص 78 .

553) محمد بن عبد الله ابن الصفار الأوسي

محمد بن عبد الله بن عمر بن علـي بن إسماعيل بن عمـر الأنصاري الأوسـي الضريـر ، مـن أهـل قرطبة ، يعـرف بابن الصفـار (1) سمع أبا القاسم ابن بشكوال ، وأبا بكر ابن الجد ، وأبا عبد الله ابن زرقون ، وأبا القاسم ابن حبيش ، وأبا محمد بن عبيد الله ، وأبا خالد ابن رفاعة ، وعبد الله ابن يزيد السعدي ، وأبا جعفر ابن مضا ، وأبا محمد ابـن الفرس ، وأبا ذر الخشني وغيرهم ، وأخذ القراءات عن أبي القاسم الشراط وسمع منه، وكتب إليه أبو بكر ابن خير ، وأبو زيد السهيلي ، وأبو الحسن ابن كوثر ، وأبو بكر ابن أبي جمرة ، وأبو العطاء ابن نذير وغيرهم ، وحدث بالاجازة العامة لأهل الأندلس عن أبي الطاهر السلفي ، وعن الخشوعي ، وكانت له رحلة إلى المشرق لقي فيها أبا يحيى ابن الحداد ، وبقابس أبا القاسم ابن مجكان ، وكانا من أصحاب أبي عبد الله المازري ، وأجازا له ، وقفل بعد ذلك إلى المغرب ولم يحج ، فسكن مراكش وأقرأ هنالك ، وتجول كثيراً في الفتنة وقبلها ، واستقر آخراً بمدينة تونس ، وبها لقيته في شعبان سنة 636 ، ثم صحبته بعد ذلـك طويلا ، وسمعت منه بعض روايته ، وأجاز لي بلفظه غير مرة ، وأملى عليَّ أسماء شيوخه ، وادعى الاكثار عنهم فاستربت بذلك ، وخفت أن يتساهل في الروايات تساهله في الأخبار والحكايات، وكان يقرىء العربية والآداب، ويسمع الحديث، وشارك في جميعها مع حظ من قرض الشعر وادراك في النثر ، وتوفي ضحى يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة 639 ، ودفن لصلاة العصـر منه بمقربة من المصلى بظاهر تونس ، وقد نيف بزعمه على السبعين .

قاله ابن الأبار في (التكملة) (2) .

وقال في (نفح الطيب) ومنهم ابن الصفار القرطبي ، قال في (القدح المعلـى) : بيته مشهـور بقرطبة لم يزل يتوارث فـي العلم والجاه وعلـو

---

1) ذكر ابن عبد الملك فى ترجمته من **الذيل والتكملة** 6 : 288 ع 773 أنه يعرف بابـن الصفار والبرنامج وفسر معنى هذه التسمية .

2) **التكملة** 2 : 647 ع 1668 .

المرتبة ، ونشأ محمد هذا حافظاً لفنون الآداب ، إماماً في علم الحساب مع أنه كان أعمى مقعداً مشوه الخلقة ، ولكنه اذا نطق عَلِم كل منصف حقه ، ومن عجائبه أنه سافر على تلك الحالة ، حتى غدت بغداد له هالة ، اجتمعت به بحضرة تونس ، فرأيت بحراً زاخراً، وروضاً ناضراً، إلا أنه حاطبُ ليل، وساحب ذيل، لا يبالي ما أورده ، ولا يلتفت إلى ما أنشده ، جامعاً بين السمين والغث ، حافظاً للمتين والرث ، وكان أقرأ الأدب بمراكش وفاس وتونس وغيرها .

ومن مشهور حكاياته أنه لما قال عبد الرحمان الفازازي في إدريس الموحد المستنصر بالهرب على أهل مراكش قصيدته التي مطلعها : (الحزم والعزم منسوبان للعرب) ، (1) عارضه بقصيدة ذمّ فيها أنصاره ، ثم قال فيه وفي أخيه يحيى ابن الناصر الذي نازعه في ذلك الأوان :

وان ينازعك في المنصور ذو نسب ... فنجل نوح توى في قسمة العطب
وان يقل أنا عم فالجواب له ... عم النبي بلا شك أبو لهب

وشاعت القصيدة فبلغت إدريس فحرض على قتله ، وسلمه الله تعالى منه ، ومات سنة تسع وثلاثين وستمئة .

ومن شعره قوله :

لا تحسب الناس سواء إذا ... تشابهوا فالناس أطوار
وانظر إلى الأحجار ، في بعضها ... ماء ، وبعض ضمنه نار

وقال :

ياطالعاً في جفوني ... وغائباً في ضلوعي
بلغتَ في السخط ظلما ... وما رحمت خضوعي
إذا نويت انقطاعا ... فاحسبْ حساب الرجوع

انتهى باختصار يسير (2) .

---

1) تنظر قصيدة عبد الرحمان الفازازى وجواب ابن الصفار عنها فى الذيل والتكملة 6 : 288 ع 773 .

2) اختصار القدح المعلى ص 203 ع 64 .

وقال في محل آخر من (النفح) : وقال محمد ابن الصفار ــ وهــو من بيت القضاء والعلم بقرطبة ــ (لا تحسب النــاس سواء متى) البيتيــن المتقدمين ، انتهى .

وترجمه في (الذيل والتكملة) أيضاً .

554) محمد بن عيسى المومناني الحسني

محمد بن عيسى بن معنصر بن إبراهيم بن دوناس بن زكرياء بن سعد الله بن سعيد بن محمد بن منيف بن برون بن وكيل بن هاشم بن هشام بــن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبو عبد الله المومناني .

نزل بعض سلفه بنــي مومنان من حوز فنــدلاوة بحومة فــاس ، روى عن أبيه وعن أبي ذر الخشني وأبي موسى عيسى الجزولي وجماعــة كثيرة ، وكان مشاركاً في فنون .

قتل بمراكش سنة تسع وثلاثين وستمئة .

أطال في ترجمته في (الذيل والتكملة) ، وبيَّن سبب قتله حيــث أدخله الرشيد القصر فكان آخر العهد به مع عمر بن عبد العزيز بن يوسف بن عبد المومن بسبب التعرض لما لا يعنيه من الأمور السلطانية .

وقال ابن الأحمر في ترجمته من حديقته : محمد بن عيسى ابن معي النصر المومناني الشريف الحسني الفقيه الامام المفتي المدرس القاضي أبو عبد الله، كان شريفاً حسنياً فاسياً ، يدعى بالامام لسعة علومه فــي المنقول والمعقــول ، ولي قضاء قرطبة ومراكش زمن الموحدين ، وكان فقيهاً عالماً صالحاً مستبحراً مفتياً مدرساً من أهل الرأي ، مقدَّماً في الفتوى ، شديد الفهم ، كثير الحفظ ، عارفاً بالفقه والأصــول والفروع والحديث ، وعلمــه وأسانيده وتخريجــه .

انتهى ولم يذكر وفاته ، نقله في (الجذوة) و (النيل) (1) .

---

1) جذوة الاقتباس ص 215 ع 180 طبع الرباط ، ونيل الابتهاج ص 228 .

وترجم في (الجذوة) لحفيده معاصر ابن الأحمر أبي الحسين محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر محمد بن محمد بن أبي موسى عيسى ابن معنصر الحسني المومناني (1) ، كما ترجم لعيسى المذكور في (الحديقة) و (الجذوة) (2) وحسبك من سعة علمه أن الامام القاضي عياض بن موسى كان إذا نقل مسألة فقهية يقول : « قاله عيسى المومناني فقيه أهل فاس » ، انتهى .

وقال في (السر الظاهر) بعد أن تكلم على رفع نسب المومنانيين ، ونقل عن ابن الأبار في (التكملة) ، وابن الخطيب في بعض نسخ (الاحاطة)ما نصه : وإلى يحيى الفقيه العابد يرفع نسب جد المومنانيين أبي العباس أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي بكر بن يحيي بن سعيد المدعو المومناني بن موسى الثالث بن يحيى الزاهد العابد بن موسى الثاني بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون ، كما رفعه ابن الأبار في (التكملة) وابن الخطيب في بعض نسخ (الاحاطة)، وأبو العباس هذا هو دفين برج الذهب من غرناطة ، وكان له أعقاب بالأندلس وفاس ومراكش من العدوة على عهد الموحدين ، ذكر ابن الأحمر في حديقته جماعة منهم ، وأثنى عليهم بعلو المكانة في العلم والدين والصلاح ، وحلاّهم بالنسب الشريف ، وكذلك غيره ممن ترجم للأعيان من العلماء والصالحين ، غير أن ابن السكاك قال في حق المتأخرين منهم : أنهم خرجوا من الشرف ، ونصه : وإني لأعجب من خروج بيته عن الشرف ، ولم أقف قط على سبب ذلك ، وهم المومنانيون ، ورأيت في كتاب ابن الأبار ، وفي كتاب آخر لمؤلف آخر عرّف بالرجال إلى أن ذكر فيه بعض أجدادهم ، فرفع نسبهم ، وكان شرفهم حينئذ أظهر من علم في رأسه نار ، فلا أدري سبب انسلاخ هؤلاء المتأخرين عنه ، انتهى .

قلت ولعل السبب في خروج متأخريهم سكوت آبائهم عن إفشائه لاشتغالهم بالعلم وتعاطي أسبابه الزمنَ الطويل على طريقة السلف الأول من أربابه ، ثم خروجهم عنه بعد ثبوته لآبائهم كما تقدم لا يوجب انسلاخه عنهم

1) جلوة الاقتباس ص 224 ع 193 طبع الرباط .

2) جلوة الاقتباس ص 500 ع 569 طبع الرباط .

وسلبه ، إذ الشرف ذاتي لمن اتصف به ، يستحيل سلبه عنه ، فلمن أراد التمسك به بعد من الخارجين ومن عقبهم طريق واسع في التوصل إليه ، لا يصدون عنه بوجهٍ ، كما في (نوازل المعيار) عن ابن رشد ، انتهى .

وقال الزياني آخر منظومة الأنساب ما نصه :

كالمنجري وأبي عنــــــــان ... كذا المريني ثم المومنانـــــي
فهؤلاء صرحا بني إدريـــــس ... وكلهم في ضمن ذا العقد النفيس
في كتب القوم جميعاً رسمــوا ... وبظواهر الملوك احترمـــوا
فهذه فضيلة مؤكـــــدة ... وسنة حسنة مسرمـــــدة

555) محمد بن عبد الله ابن الحاج التجيبي

محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن الحاج ، ويكنى أبا الحسين ، سمع أبا العباسِ المجريطي ، وأبا جعفر بن يحيى ، وأبا القاسم ابن بقي ، وأبا محمد ابن حوط الله ، وغيرهم ، وأجاز لـه أبو عبد الله ابـن زرقون ، وأبـو محمد ابن عبيد الله ، وأبو جعفر ابن مضا ، وأبو القاسم الشراط ، وأبو الوليد يزيد ابن بقي ، وأبو محمد ابن الفرس ، وجماعة سواهم، وولي القضاء بغرناطة وبالجزيرة الخضراء ، فحمدت سيرته وأخذ عنه يسير (1) .

ولد يوم الثلاثـاء السادس عشر لشعبـان 574 ، وتوفي بمـراكش سنة 641 ، ذكر وفاته ابن فرتون .

ترجمه ابن الأبار (2) .

556) محمد بن يحيى ابن المواق

محمد بـن يحيى بن خلف بن فرج بـن صاف . . . . . مـراكشي ، قرطبي الأصل قديماً ، فاسيه حديثاً أبو عبد الله ابن المواق . . . . أمية ابـن

1) في ملحق التكملة المطبوع بمدريد (2 : 760) : وأخذ عنه ابن مسدى ، وقال مـات فـي المحـرم .

2) التكملة 2 : 653 ع 1675 .

عفير ، وأبي بكر يحيى بن عبد الرحمان ابن ثابت ، وأبي الحسن ابن القطان ، ولازمه واختص به ، وابن قطرال ، ومحمد ابـن سلمون ، وأبي ذر بن أبـي ركب ، وأبي الربيع ابـن سالم ، وأبي عبـد الله ابن خلفون ، وابـن دادوش والشاري ، وأبي العباس العزفي ، والنباتي ، وأبي علي الرندي ، وأبي القاسم ابن بقي ، وأبي محمد عبد الحق الزهري ، وأبي مروان الباجي ، وأبي الوليد ابن الحاج .

روى عنه أبو بكر بن عثمان ابن السجلماسي ، وأبو جعفر بن محمد بن عبد الحميد ، وأبو الحجاج بن علي ابن عشرة ، وأبو الحسن الرعيني شيخنا، ومحمد ابن عتيق بن علي ، وأبو الخطاب سهل ابن زغبوش ، وأبوزكريا بن عبد الله بن يعقوب ، وأبو عبـد الرحمان عبد الله بن زغبوش ، وأبـو الفضل الغرابيلي ، وأبو أمحمد بن القاسم الحرار ، وابن مطروح ، وكان فقيهاً حافظاً محدثاً مقيِّداً ضابطاً متقناً نبيل الخط بارعه ناقداً محققاً ذاكراً أسماء الرجال وتواريخهم وأحوالهم ، وله تعقب عـلى كتاب شيخه أبي الحسن ابـن القطان المرسوم بـ (بيان الوهم والايهام ، الواقعين فـي كتاب الأحكام) ، جمـع عبد الحـق ابن الخراط الجاري عليه اسـم (الأحكام الكبرى) ، ظهر فيـه إدراكه ونبله ومعرفته بصناعة الحديث ، واستقلاله بعلومه ، واشرافه على علله وأطرافه ، وتيقظه وبراعة نقده واستدراكه ، وقد عنيت بالجمع بيـن هذيـن الكتابين مضافين إلى سائر أحاديث الأحكام ، وعلى ترتيبها وتكميل ما نقص منها ، فصار كتابي هذا من أنفع المصنفات ، وأغزرها فائدة ، حتى لو قلت انه لم يؤلف في بابه مثله لم أبعد ، والله ينفع بالنية في ذلك .

ولأبي عبد الله أيضاً مصنفات غير ما ذكر ، منها شيوخ الدارقطني ، وشرح مقدمة صحيح مسلم ، ومقالات كثيرة في أغراض شتى حديثية وفقهية، وتنبيهات مفيدة ، ووقفت على جملة من (شرح الموطأ) في غاية النبل وحسن الوضع ، وكل ذلك شاهد بوفور معارفه وتبريزه ، واستقضي ببلنسية ، وفاس . . . . سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ، ونشأ بمراكش واستوطنها . . . . سنة ثنتين وأربعين وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصلة) لابن عبد الملك المراكشي ، وستأتي ترجمة أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن القطـان .

وقال في (التكملة) في ترجمة والد المترجم ما نصه : أبو بكر بن خلف الأنصاري الفقيه المستبحر من أهل قرطبة ، وسكن مدينة فاس ، يعرف بالمواق ، ويكنى أبا يحيى ، سمع إبراهيم ابـن قرقول ، وأبا عبد الله ابـن الرمامة وغيرهما ، وكان حافظاً حاملا في علـم الفقه والخلاف فيه ، مـلازماً للتدريس ، تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك ، وله تنبيهات ومقالات مفيدة منها في المكاييل والأوزان ، وعني بالحديث عـلى جهة التفقه والتعليـل والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات وما يعارض أو يعاضد ، ولم يعن بالرواية ، وقد حدث وسمع منه أبو الحسن ابن القطان ، وسماه أبو الربيع ابن سالم في شيوخه ، وحظي بخدمة السلطان بمراكش ، فنال دنيا عريضة ، واعتقل أموالا جليلة ، وولي قضاء مدينة فاس ، وتوفي بها وهو يتولاه في آخر شوال سنة تسـع وتسعين وخمسمئة ، ودفـن بداره المعروفة به بدرب ابن صاف مـن داخـلـهـا .

انتهى كلام (التكملة) .

وزاد من أشياخه في (التشوف) أبا الربيع سليمان بن عبد الرحمان ابن المعز الصنهاجي المعروف بالتلمساني لدى ترجمة أبي الربيع المذكور المتوفي بفاس سنة 579 ، واقتصر في ترجمته من (الجذوة) في حرف الباء على ما تقدم عن (التكملة) ولم ينسبه لها .

وقال في (التنبيه) ما نصه : ومنهم سيدي صافي بدرب ابن صافي في الدار الأولى عن يسار الداخل للدرب المذكور ، انتهى . وما زال ضريحـه معروفاً بها إلى الآن عليه مقبرية من رخام ودربوز وهو مزار متبرك به .

تنبيـه

يشارك المترجم فـي اسمه وكنيته والشهـرة بابن صاف أبو بكـر

محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله ابن صاف اللخمي الاشبيلي المقرىء النحوي المتوفي سنة 586 ، المترجم في (بغية الوعاة) ، وفي (طبقات القراء) لابن الجزري ، وجعل وفاته سنة 585 عن قريب الثمانين سنة .

وممن نقل عن المترجم شراح ألفية العراقي في اصطلاح الحديث منهم شارحها وناظمها الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي ، والشيخ زكريــاء الأنصاري ، فالأول عند ذكر الحسن في موضعين ، ووصفه بالحافظ أبي عبد الله بن أبي بكر ابن المواق ، وعند ذكر العنعنة . ونقل عن كتابه (بغية النقاد). والثاني عند آخر الكلام على الحسن .

وقال في (كشف الظنون) و (بغية النقاد) في أصول الحديث للامام الحافظ عبد الله ابن المواق ، انتهى . وقد علمت أن اسمه محمد ، وأن كنيته أبو عبد الله .

557) محمد بن قاسم ابن منداس

محمد بن قاسم بن منداس بن . . . . بني زغنا أشيري الأصل السلف أبو عبد الله بن منداس . . . . عن نزيلها أبي موسى القزولي ، واختص به وصحبه إلى الأندلس . . . . الأخذ عنــه والاستفادة منه ، ثم تحول إلى مراكش وروى بمالقة . . . ابن الشيخ وأبي عبد الله محمد بن حسن الأنصاري ، وبقابس عن أبي القاسم ابن مجكان آخر الرواة عن أبي عبد الله المازري ، وسمع أيضاً من أبي الحسن ابن مومن ، وأبي ذر الخشني ، وأبي الصبر الفهري ، وأبي محمد ابن عبيد الله ، وحدث بالاجــازة العامة عن أبي الطاهر السلفي ، وروى عنه أبو محمد بن محمد ابــن عبادة ، وحدث عنه بالاجازة أبو عبد الله ابن الأبار ، والرئيس أبو القاسم العزفــي ، وحدثنا عنه مكاتبة .

وكان مستبحراً في النحو حافظاً لأقوال أهله ، عني به كثيراً ، والتزم تدريسه ببلده الجزائر إلى غاية عمره .

ولد بالجزائر مستهل جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وخمسمئة .

وتوفي بها في أول جمعة مـن محرم ثلاث ، وقيل خمس وأربعين وستمئـة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

558) **محمد بن يحيى بـن داوود التادلـي** ، مراكشي ، أخذ النحو بالأندلس عن أبي عبد الله بن محمد ابن أبي البقا وعليه معوله ، وبمراكش عن أبي موسى الجزولي .

روى عنه أبو الحسن طاهر بن علي ، وكان موصوفا بالذكاء وثقوب الذهن ، مبرزاً في النحو ، متحققاً بـه ، درسه طويلا بجزيرة شقر وغيرهـا ، واستقضـي .

ذكره في (الذيل والتكملة) .

559) **محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر السلمي** ، فاسي ، شقري الأصل .

روى عن عمه القاضي أبي حفص بن عمر ، ولازمه باشبيلية وغيرها، وروى عنه أبو يعقوب ابـن الزيات ، وكان فقيهاً عاقـداً للشروط ، بصيـراً بمعانيها ، تلبس بها في مراكش وفاس وإشبيلية وغيرها ، بارع الخط ، حافظاً للتواريخ والآداب ، نبيلا في جميع محاولاته .

ذكره في (الذيل والتكملة) .

560) **محمد بن إبراهيم ابن غالب المالقي**

محمد بـن إبراهيم بن عبد الله بـن إبراهيم ابن غالب المالقـي أبو عبد الله .

---

(1) له ترجمة في **التكملة** 2 : 658 ع 1681 .

قال ابن نقطة : سمع بالأسكندرية من أبي الحسن ابـن المقدسي ، وكان فاضلا ، رأيت بخطه إجازة بمصر لبعض المصريين في رجب 604 ، وسمع بمصر شيئاً من الخلعيات .

قال ابن فرتون الفاسي في (ذيل تاريخ الأندلس) : روى بمالقة ، ورحل إلى المشرق ، وحج ولقي أبا الحسن علي بن الفضل المقدسي ، وأخذ عنه كتاب (تحقيق الجواب ، عمن أجيز له ما فاته من الكتاب) من تآليفـه ، ورجع إلى الأندلس ، ثم نهض إلى مراكش فتوفي في أقصى بلاد السوس فـي حدود سنة 645 ، رحمه الله تعالى .

نقله في (نفح الطيب) (1) .

561) محمد بن أحمد ابن خليل السكوني

قال في (الذيل والتكملة) بعد ذكره ما نصه : لبلي الأصل ، إشبيلي المنشأ والمسكن ، أبو عمر أخو أبي الحكم وأبي الخطاب المذكور آنفاً ، وأبي الفضل ، وأبي بكر يحيى الآتي ذكره بعد إن شاء الله ، تفقه على أبيه وعميـه أبي زيد وأبي محمد عبد الحق ، وروى عن آباء بكر ابن الجد ، وابن مالك ، والنيار ، وأبوي القاسم ابن بشكوال والحوفي ، وأبي الحسن بن لبال ، وأبي زيد السهيلي ، وأبي عبد الله ابن زرقون ، وأبي العباس ابن مضا ، وأبـوي محمد ابن جمهور ، والحجري ، وأجاز له من أهل المشرق آباء الطاهر الخشوعي ، والسلفي ، وابن عوف ، وله شيوخ غير هؤلاء .

وكان حسن المشاركة في فنون من العلم،فقيهاً حافظاً جيد القيام على المذهب المالكي ، ذاكراً مسائله ، وجمع بين (الرسالة) و (التفريع) و (التلقين) جمعاً محكماً ، وصنف في الطب والبيطرة وصنعة ركوب الخيل وتدبير الحروب وتعليم الثقاف والرمي ، ومن أين يرمي على منتحل ذلك ، وما ينبغي أن يأخذ به نفسه ، ومعرفة شيات الخيل ودلائل العتاقة ، وجمع بين كتابي أبي مروان ابن زهـر

---

1) **نفح الطيب** 2 : 52 و 3 : 311 .

وابنه أبي بكر في الأغذية جمعاً حسناً ، وأضاف إليهما فصل ذكر الخواص والكليات الواقعة في تيسير ابن زهر ، وألف غير ذلك ، واستقضي بغير موضع من أقطار اشبيلية ، وورد مراكش ، ورأيتــه فيها ، وأقام فيها مــدة ليست بالطويلة متلبساً بعقد الشروط ، ثم عاد إلى الأندلس فاستوطن لبلة بلد سلفه إلى أن عرض له توجه إلى اشبيلية زائراً بعض ذوي قرابته بها ، ففقد في وجهته تلك فلم يعثر له على خبر ، كذلك أخبرني ابنه أبو الحكم أحمد ، وقال ابــن الزبير : إنه فقد في طريق لبلة عند خروج أهل اشبيلية منها سنة ست وأربعين وستمئة ، وخبر ابنه أولى بالاعتماد عليه ، والله أعلم .

562) **محمد بن هاشم الأوسي** ، المراكشــي ، السلوي ، القرطبــي السلف ، استوطن مراكش وقتاً ، ثم رحل إلى الأندلس ، وسكن اشبيلية مدة، وشريش أخرى ، ومنها فصل لرحلته الثانية سنة ثمان وأربعين وستمئــة .

أخذ عنه قاضي مراكش أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي ، وسيأتي ذكره في ترجمة أبي القاسم محمد بن أحمد الفاسي مبسوطاً نقلا عن كتاب (استنزال السكينة) .

563) **محمد بــن الحسن . . . . بــن محمد بــن حسن** التميمي مهدوي ، سكن بآخرة مراكش أبو عبد الله . . . . أخو أبي . . . . المذكور قبل كان شيخاً حسن الخلق كريم الطباع . . . . باراً بكــل من يغشاه من أصحابــه ومعارفه ، استقضــي بشريش وبأغمات . . . . فشكر في طريقته ، وعرف بالعدل والتودة، وولي بمراكش خطة المناكح ، . . . . واستمر بها محمود السيرة إلى أن توفي سنــة خمسين وستمئة ، ودفن بجبانتهم ببــاب تاغزوت داخــل مراكش ، واحتفل الناس لشهود جنازته ، واثنوا عليه صالحاً .

ذكره في (الذيل والتكملة) .

564) **محمد بن الحسن بن حجاج بن يوسف التجيبي** ، مراكشي أبــو عبد الله .

روى عن أبيه وطائفة من أعلام بلده ، وكان ذكياً نبيلا حاذقا ، له اعتناء تام بكتاب السيرة ،جيد الكـلام ، . . . . . وبسبتة حين أوبه إليها أيـام المتأمر بها أبي العباس . . . . بجامع القرويين الأعظم بفاس ، وكانت أولى صلاة صلاها به ، . . . . الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من محرم ثلاث وخمسين وستمئة . . . . صلاها عشاء ليلة وفاته ، وصلاها بالضحى « وألم نشرح » وانصرف إلى . . . . فتوفي فجأة لبلة الأحد الرابعة عشرة ؟ سنة . . . . ابن اثنين وثمانين عاماً ، وصلى عليه ابنه الخطيب بجامـع القرويين في . . . . وخليفته فـي إقامة الفريضة بعد وفاته أبو القاسم عبد الرحمان ، ودفن بروضة سلفه بحومة القلالين من عدوة الأندلس بفاس ، وكان الحفل في جنازته عظيماً لم يتخلف عنها كبير أحد ، وأسف الناس لفقده ، وأطابوا الثناء عليه ، وصحبتْه مـن داره إلى مدفنه طير شبه الخطاطيف لا عهد بهـا غطت الأفق كثرة ، فكانـت ترفرف على نعشه حتى ووري فتفرقت ، ولم يُر شيء منها بعد ، وطال تعجب الناس منها والتحدث بها دهراً ، وقد جرى له ذكر في رسم أبي محمد بن عبد الرحمان العراقي .

ذكره في (الذيل والتكملة)، وسيأتي ذكر جده حجاج ووالده الحسن.

565) محمد بن عبد الوهاب ابن الحنبلي الأنصاري

محمد بـن عبد الوهاب بن عبد الكافي بـن عبد الوهاب الأنصاري ، دمشقي ، أبو بكر ، وأبو سعد ، وأبو عبد الله ابن الحنبلي .

روى عن أبي الفرج ابن الجوزي ، روى عنه أبو جعفر ابن الزبير وأبو عبد الله بن أبي بكر ابن رشيد البغدادي الواعظ ، وصاحبنا أبو القاسم هبة بن محمد بن أبي بكر بن سعيد بن عبد الغفور الأوسي ، ولقيته وجالسته كثيراً ، وسمعت وعظه ، وكان لا يكاد يفقه ما يقول لافراط عجمة كانت في لسانه ، فلا يفهمه إلا من ألفه ، وكان أصم لا يكاد يسمع شيئاً ، فقيهاً حنبلي المذهب ، آية من آيات الله في كثرة الحفظ وحضور الذكر وحشد الأقوال في ما يجري

بمجلسه الوعظي أو يحاضر به في غيره ، سريع الانشاء ، ناظما وناثراً مع الاحسان في الطريقتين ، جيد الخط والكتب على كبرته ، ورد مراكش في وسط اثنتين وخمسين وستمئة ، . . . . اثنين وثمانين عاماً ، ولم يكن في رأسه ولحيته من الشيب إلا . . . . والحصر ، وأخبرني أنه عرض وهو ابن عشرين عاماً على أبي . . . . كتابه (المنتخب) عن ظهر قلب ببغداد ، وفصل عن مراكش ذلك العام ، . . . . . واجتاز بسبتة ، وقد كان دخلها أول ذلك العام ، وأجاز منها البحر متطوفاً على البلاد يعقد فيها مجالس الوعظ .

ولد بدمشق في حدود السبعين وخمسمئة .

وتوفي ببلبيس من مصر سنة سبع وخمسين وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) .

566) محمد بن أحمد ابن الطراوة السبائي

محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الحسين سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي ، مراكشي ، مالقي أصل السلف ، أبو عبد الله ابن الطراوة .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ما تقدم ما نصه : وهوابن أخت الكاتب أبي الحسن علي ابن عياش القرطبي اليابري ، روى عن أبي إسحاق الزوالي ، وأبي جعفر ابن عون الله الحصار ، وأبي الحسن سهل بن مالك ، وابن حزمون ، وابن القطان ، وابن يوسف ابن شريك ، وأبي زكرياء المرجيقي ، وأبي الصبر الفهري ، وأبي عبد الله بن الجذع ، وأبي العباس بن إبراهيم المكادي ، وأبي محمد ابن حوط الله وغيرهم ، وكان حافظاً للتواريخ على تباين أنواعها ، ذاكراً لها ، محاضراً بها ، أديباً بارعاً كاتباً محسناً ، يقرض شعراً يُحسن في أقله ، ممتع المجالسة ، بارع الخطب ، رائق الطريقة ، أنيق الوراقة ، متقن التقييد، مليح التندير ، نسّابة لخطوط الأشياخ ، كثير الاحكام لأموره وأدواته كلها ، ظريف الملابس ، شديد المحافظة على كتبه ، مثابراً على الاعتناء بتصحيحها ،

متهمما باقتناء الأصول التي بخطوط أكابر الشيوخ أو عنوا بضبطها ، وجمع منها جملة وافرة ، جالسته طويلا ، واستفدت بمذاكرته ومجاورته كثيرا .
وكانت بينه وبين أبي رحمهما الله مودة قديمة متأكدة كان يذكرها . . . . .
ولم استجزه ، ولا قرأت عليه ، وندمت على ما فاتني منه ، فقد كان . . . . .
أفادتني رحمه الله .

توفي بسجلماسة ظهر يوم الأحد لست بقين . . . . . . سنة تسع وخمسين وستمئة ، وقد شارف الثمانين عن عقب خامل ، انتهى .

567) محمد بن حسن ابن المحلي الفهري

محمد بن حسن بن عمر الفهري ، سبتي ، أبو عبد الله ابن المحلي ، روى عن أبي الحسن ابن خروف النحوي ، وأبي علي ابن الشلوبين ، وأبي الصبر أيوب الفهري ، وعدّ في شيوخه أبا القاسم بن الطيب الحاج ابن معزوز ، وأبا عبد الله بن محمد ابن جوهر ، روى عنه أبو عبد الله بن ابراهيم البكري ، وأبو علي الحسن بن الحسن ابن مكسور الجنب ، والحسين الخماش، وأبو القاسم محمد بن عبد الرحيم ابن الطيب المذكور ، وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد الهواري ، وجماعة من أهل سبتة .

وكان أديباً بارعاً كاتباً بليغاً ناظماً وناثراً ، عاقداً للشروط ، مبرزاً في العدالة نحوياً ماهراً حسن القيام على تفسير القرآن العظيم مذكراً، حلق بالتفسير في سبتة مدة فانتفع به خلق كثير، وكان على كلامه قبول، وله في النفوس تأثير ، واستقضي بسبتة يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب أربع وخمسين وستمئة إثر وفاة قاضيها قبله الشريف أبي الحسن بن أبي الشرف رفيع ، واستمرت ولايته خطة القضاء مشكور الأحوال محمود السيّر مستقيم الطريقة مشهور العدل إلى غاية عمره ، وكان طويلا نحيف الجسم نظيف الملابس وقوراً جميل الهيأة حسن الخلق ، يخضب رأسه ولحيته بالحناء ، ممن ساد بنفسه ، وكتب في شبيبته عن أبي عبد الرحمان يعقوب بن أبي حفص بن عبد المومن المدعو بعين الغزال أيام ولي مدينة فاس ، ووصل صحبته إلى مراكش .

وكان أبوه حسن قوّالا يغني في المحافل والأسواق . . . . . .
مجرباً بذلك ، والمتلبس بهذا العمل يعرف في بلاد المغرب بالمحلي . . . . .
شيخنا محلياً ذكر لي أنه من أصحابه ومقاوليه ، ومن شعره على . . . .

. . . . تعشق قلباً أنت مطلبـه — أو يذهب الشوق روحاً أنت مذهبه
. . . . هوى خلق ليغلبـــــه — إلا وحبك يدعوه فيغلبـــــــه
وكيف يرجو وصالا من تبعـــــده — أو كيف يخشى بعاداً من تقربـــه
وكيف يخرب رَبْع أنت تعمُــره — بل كيف يعمر مسكون تخربـــــه
وقال أهل الهوى شأن الهوى عجب — فقلت إن سلوي عنك أعجبـــــه
والعتب في سلوة الأحباب موقعـه — عذب ، ولكن عتاب السر أعذبـــه
وكل حال الهوى صعب مسالكـــه — على المحب ، وسمع العذل أصعبه
يامن أناجيه ، والأشواق توهمني — نيل الوصال ، كأن الشوق يوجبه
كم طيبة لك بالألطاف توجدهـــا — عند اللقا ، ومنائي منك أطيبـــــه
فارحم تقلب قلبي فهو شيمتـــــه — حتى يكون بما ترضي تقلبـــــه
رفقاً به فهو في حاليْ مناقضـــة — فالقبض يحزنه والبسط يطربـــه
ومنة الجود تدنيه فتؤنســــــــه — وخشية الرد تقصيه فتحجبــــــه
مناي أنت وحسبي أن تكون مُنى — ياواهباً رغباتي قبل أرغبـــــــه
كن كيف شئت فما لي عنك منصرف — فالعبد ليس سوى مولاه مطلبـــه

وقوله فيها أيضاً :

أبوح بما ألقاه فهو مبـــــــــاح — فقبليْ أرباب المحبة قد باحـــوا
إذا باح من قلبي ولم يلق بعض ما — لقيت فاني ما عليْ جُنــــــاح
أحبابنا لا تحسبوا الصبر بعدكـم — سخياً ، ولا أن الدموع شحــــاح
وان فنيتْ أجسادنا وقلوبنـــــــا — فتلك العهود السالفات صحـــاح
سمحتُ لكم بالنفس كي أربح الرضا — على ثقة ، إن السماح ربـــــاح
فؤاديْ منقاد إليكم مذلـــــــــل — فما لي إذا لج العذول جمــــــاح
وهل من سبيل أن أطير إليكمُ ؟ — وقد حص بي ريش وقص جنـــاح
تغير وقتي بعدكم ، فكأنمـــــــا — صباحي مساء ، والمساء ضبـــاح

وأوحشتمُ فالكل في الأذن نايح   لديَّ وآفاق الوجـو . . . .
وما تفضل الأيام أخرى بذاتها   ولكنَّ أيام الملاح ملاح
خرستُ عن الشكوى إليكم مهابة   وألسُن حالي بالغرام فصاح
تمتع لحظي سنة في جمالكم   فان لاحظ الاغيارَ فهو سفاح
وياعجباً أني أسير" وأنني   أناشدكم أن لا يتاح سراح
إذا هز أرباب السماع تواجد   فحظيَّ منه زفرة" وصياح
فهاأنا عند الباب منوا أو اطردوا   فماليَّ عنه كيف كان براح

وقوله فيها أيضاً :

غرامي دعاني والعذول نهاني   فوجد وعذل كيف يجتمعان
أما علما أني على الشحط والنوى   مقيم ، وأني والهوى أخوان
يقولان لي : من ذا دعاك لما نرى ؟   فقلت : دعاني حبه ، فدعاني
ضمان" على قلبي الأسى بعد بُعدهم   إذا لم يكن يوم اللقاء بضمان
أعلل نفسي بالسلوّ تعللا   وتلك أمانٍ ما بهن أمان
إذا خفق البرق اليماني بأفقكم   أقابل ذاك الخفق بالخفقان
وإن هملت مزن السحاب بأرضكم   يغالبها دمعي على الهملان
رعى الله جيران العذيب وأهله   وان أترعوني من هوى وهوان
همُ وعدوا بالغور ، ثم تراوغوا   وهم عنفوا بالنعف من بدلان
وصدوا على صدي وبالحيف خوفوا   وبانوا بذات البين صوب أبان
لئن حُجبوا عن ناظري فكأنهم   لقلبي يراهم فيه رأي عيان
وإن عميت أنباؤهم حيث يمّموا   فسريَّ يرعاهمْ بكل مكان
وعنديَّ ما لا يمكن الشرح لفظه   وإن كنت وان والفصل بيان ؟
أورى بسلع والعذيب وحاجر   وتلك مغان ما لهن معان
أليس قبيحاً من نفوس نفائس   بأيدي الغواني المصبيات عوان
وأذكر سكان العذيب تستُّراً   وما ذكر سكان العذيب بشأن
. . . . من هو القلب كله   ومن ذكره في خاطري ولساني
. . . . لاحظت لم أر غيره   على أنه إذ لا أراه يراني

. . . . فأستحييه أن أشكوَ الهوى — ومالي بما حملت منه يــــدان
ومن فضله وجدي به وتوهلـــي — ومن وجوده ما أشتكي وأعانـــي
ظهرت على حبي لـه فكأنمـــا — يراني لمنعي الحب حـين يرانـــي

مولده إما فى آخر اثنتين وثمانين ، وإمـا فى أول ثـلاث وثمانيـن وخمسمئة ، وتوفي بها صبيحة يوم السبت لثلاث بقين من رجب إحدى وستين وستمئة ، ودفن ضحى يوم الأحد بعده .

انتهى من كتاب (الذيل والتكملة) .

568) **محمد بن علي ابـن العابد** ، فاسي ، أبو عبد الله أبـن العابد ، قدم الأندلس في حدود الثلاثين وستمئة ، واتسم بالكتابة عن الأمير محمد بن يوسف بن نصر ابن الأحمر ، وكان كاتباً ، محسناً ، شاعراً ، مطبوعاً ، تلبس حيناً بعقد الشروط والكتب عن قاضي الجماعة أبي الحسن بن محمد بن أبي عشرة الفاسي بمراكش ، وإياه فاتح أبو عبد الله ابن الجنان بالرسالة العينية حسبما مر ذكر ذلك في رسمه (1) .

وقال أبو القاسم عبد الكريم بن عمران : كتبت إليه أستقرضه بعض قريضه بعد أن شافهته بذلك ووعد به فمطل :

إذا الشعر وافى في شعار ابن عابد — تقاصر فيه الوصف عنحسن موصوف
سَبَى مهجَ الرائين لألاءُ لؤلـــؤ — له فوق أجياد الاجادة مرصـــوف
ورق نسيماً فانتشق لهبوبـــــه — شذا ورق من جنة الخلد مخصوف
يولد في أهل الوقار سماعـــــه — خفوف اهتزاز مثلما شطح الصوفي
لئن زان تأليفي ببعض قريضــــه — لقد تجتلي الحسناء في خشن الصوف

أيها الشاعر المفلق ، قولة منصف لا متملـق ، بقيت وللعصر بـك اختيال ، ولزهر الآداب مـن خمائل شمائلك انتيـال ، ومهما ذكر القريـض بتصريح أو بتعريض فالناس فيه على براعتك عيال ، اقتضى الود الذي لـم

---

1) المؤلف ينقل هنا عن (الذيل والتكملة) لابن عبد الملك ، فالضمير عليها يعود .

نزل نتعاطاه تعاطي الجريال والاعتدال . . . . في مجرة برودها سابغة الأذيال ، إن أهز عطف انطباعكم . . . . عنصر طباعكم السيال ، وأتقاضى منكـم ديناً ما أحمل اللـوم . . . . صرف الليالـي ، فبعثت بهذه الرقعة على ما ترون بها من جدب . . . . . . سنجع في مصوح هشيمها مراد ولا لمتطلع في تصفح مرسومها . . . . ظمي بلعب بخواطرها شـ . . لمواطرها رقص الآل تشير بمعطل جيدها . . . قلائد النظم ومجيدها إشارة من راقها لديه لألاء اللآل ، فكيف بها إذا . . . ففتح لها الباب ، وكرعت في فم ذلك العباب ، واشتملت من مصون ذخائره . . . . اللباب ، فهنالك تبرد الأوام ، وتنثني بفرادى من فرائد البديع وتوام ، ولا تزال تصرح بالثناء عليكم مترنمة كورقاء في فروع الأيك ، مهيمنة ، وفي دوح سراوتكم إن شاء الله تجد الظلال ، وترد الزلال ، وتحل حيث حل من وسنى المقل الخيال ، فتصدق عليها وأوف المكيال ، والله يهنيكم ما منحكم من محاسن رائقة وخلال، ويقين في آيات السحر الحلال ، وسلام الله عليكم ما انحسر قناع الغيم عـن جبين هلال ، ولبى المحرمون باهلال ، ورحمة الله وبركاته .

فأجابه أبو عبد الله ابن العابد بهذه الرسالة :

إذا قيل من رب القريض الذي لـه … يدين، فقل: عبد الكريم ابن عمران
حباني بروض من نتيجة فكـــره … يروق به للنظم والنثر زهـــران
ونزّهني في خطه وبيانـــــه … فمن سامع مصغٍ إليهِ ومـــن ران
كساني به فخراً تهنأتُ لبســـه … ومن لبس أثواب الاجادة أعرانـــي

أيها البحر الوهوب لفرادى الجواهر والتوام ، والحبر اللعوب بأطراف الكلام، وقيت عين الكمال ، وبقيت محروس الجمال ، تتأنق لمن باراك فـي ارتياد البراعة ، وتسبق من جاراك بجياد اليراعة ، وتتبختر من ملابس السعادة في موشى برودها ، وتظفر من أوانس الآمال المنقادة بشهي برودها ، وصلتني رقعتك التي جلوت فـي أسطارها الكواعـب ، وعلوت باظهارها الكـواكب ، وأظهرت في نظمها ونثرها السحر لمرتاده، وذكرت بمستاف عنبرها الشحر على نأي بلاده ، فقلت : هذه غاية لا أبلغ مداها ، وآية يتحدى بها من أهداهـا ،

فتوقفت عن الاجابة توقف الحسير، وانصرفت إلى الأذعان . . . الأسير، وأنشدت الخاطر وأرجاءه داحب أبعد حول . . . . فاني لاغتـراره إلا أن يساجل عبابك بهذه الصبابة ، ويعاجل . . . . يرزق سواه من عدم الاصابة ، ومجدك أسبل على هذه الهنات . . . . يعدل مـن قابل تلك الحلل المسهمات في أسمال معاوزه ، والله يبقيكم . . . . تنظمون عقودها ، والمآثر تحبرون برودها ، والسلام عليكم ما أعـ . . . . أنابيب ، وانسدلت من الظلام جلابيب ، وهطلت من سماء بلاغتكم شآبيب ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

قال المصنف عفا الله عنه : نقلت هاتين الرسالتين من خط أبي القاسم ابن عمران ، وأصحب أبو عبد الله ابن عابد جوابه نبذة من نظمه ، منها ونقلتها من خطه في أخوين وسيم وأجدب :

في ابني محمدان نظرت عجائـــب   أخوان ظبي أحور وحـــــــوار
فمن الجَمال بوجه ذاك مآثـــــر   ومن الجِمال بظهر ذا آثـــــار

ومنها ، ونقلته من خطه في وسيم مثغر الثنية له خال بشاربه :

وشادن في القلوب مرتعـــــه   مرهف القد أهيف الخصـــــر
نشوان من خمر مقلتـــــــه   فما تفيق أعطافه من السكـــر
رماه قوم بالنقص حين غـــــدا   يزري جمالا على سنا البـــــدر
قالوا : سواد بدا بمبسمـــــه   وما عهدنا السواد في الـــــدر
فقلت : ما ذلكم بعائبـــــه   كفوا ، فعندي حقيقة العـــذر
حبة قلبي رأت مقبلـــــه   فأفلتت من جوانح الصـــدر
وارتشفت خمر ريقه فسـرى   سوادها عند ذاك في الثغـــر
ثم ثوت فوقه مخبـــــرة   من عابه كنه ذلك الأمـــر

ومنها ارتجالا في شارب رعف ، ونقلته أيضاً من خطه :

ومهفهف للبدر حسن جبينـــه   وليانع الأغصان مائس عطفـــه
لما أراق دمي ولاح بخـــــده   أجراه قصد إهانتي من أنفـــه

ومنها ، ونقلته من خطه أيضاً وفيه وصف حمام :

. . . . . . طيفالـــــــــــه	في ليلة من غرر الدهـــــــر
. . . . . . خا لوعـــــــة	أدمعه خوف النوى تجـــــري
. . . . . حكى لمعه في الدجـا	زنجية تبسم عن ثغــــــر
. . . . . . البيت حتى أتـــى	بأدمع في صور البـــــــدر
. . . . . . بابن النحل في زبدة	مثل عـ بق شيب بالـــــــدر
. . . هات الباقلاء الــــــذي	بدا لنا في حلل خضــــر
زبرجد ضم على لؤلــــــؤ	صاغهما منسكب القطــــر
فاجتمعت أطعمة حق مـــــــن	أعطيها الاقرار بالشكـــــر
فلم نزل نجهد في ضرهـــا	حتى أراحتْنا من الضـــــر
وحين ضم الليلُ أذيالَـــــــه	وانتشرت الوية الفجـــــر
قمنا لبيت حرج مظلـــــــم	قُسم بين البرد والحـــــر
تخال من ضمته احشـــــاؤه	كأنما أُدرج في قبـــــــر
تلوح في اقبائه أنجــــــــم	نقيضة للأنجم الزهـــــــر
تبدو نهاراً فاذا ما بـــــــدا	جنح الدجا غارت ولم تســـر
يا طيبه ليلا وياحسنـــــــه	صبحاً ، لقد حاز سنى العمـــر

وقد مر له ذكر في رسم أبي جعفر بن طلحة الشقري .

انتهى من كتاب (الذيل والتكملة) (1) .

569) محمد بن أبي بكر ابن رشيد الوتري البغدادي .

محمد بن أبي بكر بن . . . . . جمال الدين ، أبو عبد الله البغدادي ويذكر أن أصله من قصر كتامة . . .

---

1) توفى محمد بن على ابن العابد هذا بغرناطة فى شهر ذى القعدة عام 662 هـ قال ابن الخطيب وشعره مدون كثير .

ذكره ابن الخطيب فى **الاحاطة** 2 : 287 وما فيها من أنه توفى سنة 762 يصحح ، ويصحح أيضاً ما فى **جذوة الاقتباس** (ص 231 ع 203) عن سنة وفاته .

ولابن العابد هذا ولد اسمه محمد بن محمد ، ذكره ابن الخطيب فى **الاحاطة** (2 : 281) كتب لمحمد بن محمد ابن الأحمر ثانى ملوك بنى نصر ، وتوفى فى حدود 690 هـ .

قال في (الذيل والتكملة) بعد ما تقدم ما نصه : روى ببغداد عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الأنصاري أحد أصحاب ابن الجوزي، وبدمشق عن أبي عبد الله بن عبد الوهاب الواعظ بن . . . . . . بالأندلس عن أبي يحيى عبد الرحمان بن عبد المنعم ابن الفرس ، روى عنه بمراكش ابن رشيد ، وعبد الواحد بن عبد الرحمان بن يحيى بن عمر بن عبد المومن ، وابن مخلوف بن موسى المشاط القاضي وطائفة من أصحابنا ، وبمصر جمال الدين عثمان بن فتح الدين أبي العباس أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي ابن أبي الحوافر ، والحسن بن الحسن بن عتيق ابن مكسور الجنب بمحضر محيي الدين محمد بن محمد ابن سراقة ، وسمعت منه كثيراً ، وجالسته طويلا ، وحاضرته وذاكرته ورزقت منه قبولا كثيراً ، ولزمت شهود مجالس وعظه ، وكانت القلوب تنفعل كثيراً لكلامه ، وترق لموعظته ، وتتأثر لتذكيره ، وكان أغزر الناس دمعاً ، إذا رقي لمنبر وعظه لا يتمالك أن يرسل دموعه فيوثر عند الحاضرين من الخشوع والخشية وسكب الدموع ما لا مزيد عليه ، وكان يتولى إنشاء خطبه التي يفتتح بها مجالس وعظه وقصائده المطولة التي يختتمها بها ، وكان سريع الانشاء لذلك كله ، وكلامه نظماً ونثراً مؤثر في نفوس سامعيه على ما فيه من لين ، وسمعته غير ما مرة يقول : إن ذوقه لا يساعده على النظم في وزن عروض من أعاريض الشعر ما خلا الطويل ، هذا على اتساع حفظه وحضور ذكر فنون الشعر على اختلاف أوزانه ، وله قصائد سماها (الوترية، في مدح محمد أشرف البرية) (1) كل قصيدة منها أحد وعشرون بيتاً مفتحة أبياتها بحروف رويها ضمنها مدح النبي صلى الله عليه وسلم وإيراد بعض معجزاته تقبل الله عمله ، وأنجح أمله ، ومما يغبط بهذه الوتريات ويشهد بصدق نيته فيها ويحرض على حفظها وروايتها ، ويرغب في دراستها واستعمالها ، ما حكاه رحمه الله من أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فراغي من تبييضها وهي في يده صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة

1) بسبب هذه القصائد عرف بالوتري ، وقد طبعت ببيروت سنة 1310 هـ باسم (ديوان معدن الافاضات ، في مدح أشرف الكائنات) ، وسماها حاجي خليفة (ذريعة الوصول ، الى زيارة جناب حضرة الرسول) .

من أصحابه رضي الله عنهم لم أعرف فيهم غير أبي بكر رضي الله عنه وعنهم أجمعين . . . . صلى الله عليه وسلم قام إلي ضاحكاً كالمستبشر بي ، ثم يدفعها إلى . . . من أصحابه ، وأول من بدأ منهم به أبو بكر رضي الله عنه وعنهم أجمعين . . . . صلى الله عليه وسلم يقول لهم : انظروا بأي شيء قد مدحت ، وماذا قيل في . . . . وقعت منه صلى الله عليه وسلم . . . . فاستيقظت فرحاً مسروراً بما أعطاني . . . . وكانت هذه الرؤيا بمراكش بعد ذلك إلى ما يقارب ثلاث سنين . . . . نظري فيها وأزيدها ترقيقاً وتنميماً ، وأدخلت فيها من غرائب معجزاته صلى الله عليه وسلم ما لم أكن أدخلته أول مرة ،فبينما أنا ذات ليلة أكتب في حرف الميم ، وقد تعرضت فيه لمعراجه صلى الله عليه وسلم ، وكنت قد أكثرت في معظم قصائدها من ذكر المعراج لما فيه من العجائب إلا أني لم أذكر حديث جبريل عليه السلام ، ووقوفه في الموضع المعلوم ، وقوله لرسول لله صلى الله عليه وسلم : ها أنت وربك ، وزجه في النور زجة ، ففكرت في نظم ذلك المعنى ، فيسره الله علي في أربعة أبيات ، وأدخلتها في حرف الميم ، ثم رقدت باقي الليل ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لي : إن الله قد شفعني في أهلك وزوجك وخادمك ، وفي جميع أصحابك ، مشيراً إلي بمسبحته صلى الله عليه وسلم ، فاستيقظت وبي من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ويحق لي ، فازددت بها غبطة على غبطة ، فلله الحمد على كل نعمة عموماً ، وعلى ما ألهم إليه من مدح حبيبه صلى الله عليه وسلم خصوصاً ، وكانت هذه الرؤيا بغرناطة .

وكان فقيهاً شافعي المذهب ، نظاراً فيه ، حسن المأخذ في الاحتجاج له ، متوقد الخاطر ، ذكياً يقظاً محباً في المناظرة والمباحثة ، لا يكاد يخلي محاضره من مفاوضة علمية ومذاكرة وبحث ومساءلة ، على ذلك عرفناه ، وكثيراً ما كان يتعرض له في مجالس وعظه بالرقاع مضمنة أسئلة عويصة ، فيصدر عنه من سرعة الجواب عنها وحسنه وإيضاح خفيها وحل مشكلها ما يقضي منه العجب ، شاهدت منه في ذلك كثيراً ، وقصدت الاغماض غير ما مرة أنا وجماعة من أصحابنا في كثير من الأسئلة التي كنا نودعها الرقاع المرفوعة إليه ،

فيأتي . . . . للحاضرين سرعة بديهة ، وحسن ترتيب وحشد . . . . يخلص إلى ما كان فيه من وعظه ، وورد خبر الحادثة الشنعاء . . . . . . على بغداد وهو حينئذ بمراكش ، وكان يذكر أنه خلف ببغداد . . . . حزن ، وكان يقول حينئذ في مجالس وعظه : واأسفاه للمصيبة . . . . الخاصة بي ، وكان قدومه على مراكش صدر خمس وخمسين وستمئة . . . . . . بعض أدبائها بقصائد شكرها لهم ووقعت موقع استحسان وسرور . . . . . .

فمما رأيت إثباتَه منها هنا قصيدة الأديب الكاتب البارع هرون بن بن عبد الله بن محمد بن هرون السماتي الاشبيلي نزيل مراكش رحمه الله وهي :

أواعظنا جلت لدينا بك النعمى ... فنلنا الذي كنا نهيم به قدما

وأهدت لنا بغداد منك غريبة ... فلله ما أبهى سناها وما أسمى

حديقة فضل أينعت زهراتها ... فقد حسنت مرأى وفاحت لنا شما

فلا انتقلت عنا ظلال نعيمها ... ففي كل حين تثمر العلم والفهما

مواعظ تسرى في النفوس لطافة ... فتبرىء من داء السقام بها سقما

لقد هتكتْ حجبَ القلوب وإنها ... بلطف معانيها لتستنزل الغما

وقمت بحق الله في وعظنا فلم ... تدعْ غرضاً إلا بريت له سهما

وارسلتها نحو القلوب ، فكلها ... أصاب لعمري مقتل الغي أو أدمى

كشفت عن التنزيل حجب حقائق ... وأبديتها حتى لأبصرها الأعمى

فكم آية أوضحت خافي سرها ... فلاح سناها للنهي قمراً تما

وكم مشكل حلَّيته بلطائف ... من الفكر ، لولاها لأوسعنا كتما

وأبديت في علم الحديث غوامضا ... وحليتها الأوضاح إذ غودرت هما

إذا ما اعتمدتَ النقلَ فالبحرُ زاخر ... وقدرك أعلى أن أقيس به اليما

ومهما نحوت الرأي فالزند ثاقب ... فسهمك إن ترسله في غرض أصما

لك الهمة العليا فلا ترض خطة ... ولو عظمت قدراً فزاحمتِ النجما

طُبعت ذكاء إذ فؤادك جذوة ... تأجَّج لم تطعم ضراماً ولا فحما

حوى من فنون العلم ما أعجز الورى ... فلله منها ما حواه وما ضمـــا

تبارك من سواك خلقاً وقد حشـا ... فـــــــؤادك . . . .

وأيد منك النطق بالحِكَم التـــي ... على كل قلب خائـــــف . . .

أيادِيمة تنهل سكباً بكل مـــا ... يروّي العِطاش الهيم منـــا . . .

لقد روضت منا القلوب وأطلعـت ... بها ثمر التقوى فتهنئنـــا . . . .

لطائف وعظٍ بل هي السحرُ كلما ... سمعناه أيقاظاً ظننا بنا حلمـــا

وأرواح أذكار تلاقتْ جسومنـــا ... بها فكأن الروح ماســك . . .

وإن لواء الفقر لما نشرتـــه ... مشى الفقراء تحته كلهم قدمـــا

أريتهم التحقيق حساً فأدركـــوا ... ولم يطمعوا أن يدركوا كنهه وهما

بعلمك عزوا فالزمان وأهلـــه ... لهم أصبحوا حرباً فصاروا لهم سلما

فكلٌ لعمري أشرب الفقر قلبـه ... ولهو الغنا للنفس ياخير ما أمـا

أيابن رشيد أنت رشد لمهتـــد ... فقد وفر الرحمان منه لك القسمـا

ملكت نظام القول في كل مذهـب ... وأبدعت حتى النثر مُلّكت والنظما

إذا الخصم أدلى بالحجاج مناظـرا ... فأنت بأدنى حجة تقطع الخصمـــا

فدتك نفوس قصرت عنك لم تجد ... لهم في فنون العلم إن سئلوا عزمـا

فضضت ختام الحجب عن كل غامض ... وقد عجزوا عن أن يفضوا له ختما

ألا ياجمال الدين يافخره ، لقـــد ... أصاب الذي سماك في كل ما سما

فيصدق كل اسم جليل عليـك إذ ... منحت بما أحرزته مفخراً جمـــا

مدحتك إذ بيني وبينك نسبـــة ... فغربتنا كان القضاء بها حتمـــا

جلاء عن الأوطان شتت شملنـــا ... فهل أرين الدهر يوسعه نظمـــا ؟

ببغداد هام القلب منك وحبهـــا ... لعمرك حب خالط الدم واللحمـــا

فهل حاكم يعدي على الدهر ؟ إنـه ... على كل حال يوثر الجور والظلما

وياغربة دامت وشط مزارهـــا ... كفاك فقد قطّعت قلب الشجا كلما

إذا ما الغريب الدار هم بأوبـــة ... هما الدمع من أجفانه كلما همَّـا

عسى فرج يدني المنى فلعلهـــا ... تُنفس عنا البث والحزن والغمـا

بقيت ملقّى ما تشاء محسَّـــداً ... موقّى من المحذور متصل النعمى

. . . . ديمـــــة ... على من أعز العرب إذ وقم العجمـا

. . . . والسيد الجليل النبيل عبد الواحد بن عبد الرحمان بن عبد المومن ، وهي هذه :

أهلا وسهلا بمن أهدته بغــــذان ومرحباً مرحباً حياه رضـــــوان
. . . . الري رياها لفرقتـــــه واخرست بعدها حزناً خراســـان
. . . . وصلت موصل . . . به قد غادرت قبلها حران حـــران
وصيرت عيشها كالشري من ولــه وكان كالأري حلواً منه حلـــوان
وعم من بعمان الشجو واتسمـت من بعد نعمتها بالبؤس نعمـــان
وفاه هاتف واد للأراك متـــــى أراك تدنو وهل للقرب إمكـــان
والطلح عاد طليحاً من تلفتــــه وأنّ إذ بان يشكو بينَه البـــان
فان حضرتنا تفتر من جـــــذل به إذا فرحت ما ضر لهفـــان
أما سمعت بقول ابن الحسين وما قد جاء في الشعر حكم وهو تبيان
إيه رعي الله إخواناً به سمحـــوا لنا فنحن له في الدين إخـــوان
ونحن جيرانه من بعد جيرتــــه بباب جيرون لا يفقده جيـــران
وما إخالك يابغداد عن ملــــل رمت به منك نحو الغرب أوطـــان
لكن جرى القلم الأعلى بذاك ومــا أجراه يجري ولا يعدوه إنســـان
انى سمحت بعلق نظمـــــه درر من المعارف لا درّ وعقيــــان
بحر ولكنه عذب جواهــــــره أصدافها شقَّقتها منه أذهــــان
يبدي الجلي من المخفي منطقــه كأن ألفاظه للسحر خـــــزان
معنى رقيق ولفظ زانه زجــــل جزل يسدده للعقل برهـــــان
تجمعت فيه أشياء محاسنهــــا تفوق عداً إذا ما عُدّ ديــــوان
إذا بدى صاعداً أدراج منبـــــره غارت عليه من الأبصـــار آذان
وإن تكلم غار العين من حســـد فأعجب فبينهما في ذاك شنــآن
طوراً يعلمنا ، طوراً يخوفنـــا ، طوراً يُرجّي ، فهذا الوعظ ألوان
ياواعظاً بهرت حسناً مواعظـــه عليك لازال للرحمان إحســـان
ذكَّرت غافلنا علَّمت جاهلنـــا حليت عاطلنـــــا . . . . .
تصوب من وعظك الأجفان واكفـة كما يصوب لصـــوت . . . .
أيـدت بالصدق في قول وفي عمل فللدموع اذا أسمعت طوفـــان

كما تؤيد في نظم العروض وقــد ... دعا الرسول بروح القــدس . . .

كم من شرود أخي غي إلى رُشُدٍ ... قادته يابن رشيد منك ارســان

رأى ولولاك لم تبصر بصيرتــه ... وكيف يبصر وجه الرشد عميـان

فأنت أنت جمال الدين لا كــذب ... لا جحد في ذلك ، إن الجحد كفران

لله قوم بهذا لقبوك وقـــد ... تحروا الصدق ، حيوا حيثما كانوا

عذراً فديتك لم أحص الذي لك ،هل ... يُحصي الحصى ونجوم الليل حسبان

أني ولو قاسها قس لقصّــر ، أو ... أجرى لها طرفه لم يجر سحبـان

فكيف والطبع لم يطبع ، فُديت على ... ما يرتضيه حديد القلب يقظـان

لكن جعلت أبياتي مقدمــة ... ترتاد لي مورداً ، إني لصديـان

تبوح بالحب إذ قال الرسول : إذا ... أحب وأذكره لا يصحبك نسيـان

ورغبة في دعاء منك مبتهــلا ... في أن يباح مع الزوار إتيــان

إن الشفيع الذي من جاء ناديــه ... مستغفراً ظالماً قراه غفــران

تدعو ثلاثاً بها والناس كلهــم ... يؤمّنون ، فرب الناس منــان

صلى الالاه عليه كلما طلعــت ... شمس وما تليت آي وقــرآن

وخصه بسلام ما سرى فلــك ... مسخر ، ورسا رضوى وثهــلان

وأقام بمراكش مدة ، ثم رحل إلى الأندلس ، ودخل غرناطة وغيرهـا من بلاد الاندلس ، ووعظ بها ، ثم كر راجعاً إلى مراكش فبقي فيها مدة ،ثـم فصل عنها مشرقا ، فحج حجة الفريضة (1) وقفل الى المغرب مؤملا الوفادة على مراكش ، فتوفي بتونس عقب صلاة الجمعة لليلة بقيت من محرم ثلاث وستين وستمئــة ، انتهى .

وطبعت وترياته كما طبع تخميسها لسيدي محمــد الفاطمي الصقلي بــفــاس (2) .

---

1) سنة 661 هـ .

2) ترجم المؤلف بعد هذا مرة ثانية لمحمد ابن هشام أو هاشم الأوسي المترجم فى ص 237 وتحت عدد 562 من هذا المجلد ، ولم نشعر بهذا التكرار الا بعد طبع الترجمة الأولى ، فلهذا آثرنا أن نثبت الترجمة الثانية فى (الاستدراكات) التى سنلحقها بآخر هـذا المجلد اجتناباً لترجمة الشخص مرتين وتحت رقمين .

570) محمد بن عبد الكريم الهزميزي الأغماتي

محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الهزميزي الأغماتي ، الشيخ الصالح العالم الزاهد الولي العارف بالله ، فيه وفي أخيه عبد الرحمان ألف الامام ابن تيجلات المراكشي كتابه (أثمد العينين ، ونزهة الناظرين ، فى مناقب الأخوين) وقسمه الى أبواب 20 ، الأول فى صحة وجود الأبدال وذكر أوصاف الأولياء ، الثاني فى طي الأرض لهم والمشي على الماء وفى الهواء ، الثالث فى اجابة دعائهم وما نقل عن الثقات من أقوالهم وأفعالهم ، الرابع فيما يشتهون من الطعام والشراب وما يخلق الله من ذلك لهم ، الخامس فيما خصهم الله تعالى به من الكرامات الخارقة للعادات ، السادس فى ذكر أويس القرني واجتماعه مع عمر وعلي رضي الله عنهما ، السابع فى الرد على من أنكر الكرامات من المعتزلة بالدلائل الشرعية ، الثامن فى نسبة الشيخ أبي عبد الله ومولده ومنشئه وذكر أشياخه ، التاسع فى سبب انتقاله بطريق التصوف وخروجه إلى السياحة ، العاشر في سبب ظهوره للناس قدس الله روحه ، الحادي عشر في مجاهداته وخلواته ، الثاني عشر فيما له ولأخيه عبد الرحمان من الكرامات الخارقة للعادات ، الثالث عشر في صفة الفقر والفقراء وأخلاقهم ، الخامس عشر فى الخلاف بين الغني الشاكر ، والفقير الصابر ، السادس عشر فى الطريق الموصل الى الله عز وجل سبحانه لا رب غيره ، الثامن عشر فى الدعاء الذى كان يحض الفقراء عليه ، التاسع عشر فى سبب موته الموفى ، عشرين فى الكلام على الخضر واختلاف فيه بين العلماء .

قال فى الباب الثامن فى نسبة الشيخ ومولده ومنشأه وصفته ،وذكر أشياخه وصفة القدوة والتلميذ : هو محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، أصله فيما يحكي من الجبل المعروف بجبل إيشمرن بمقربة من جبل السكسوي ، ولد بأغمات وريكة حرسها الله تعالى ونشأ بها ، وكان رحمه الله ممن أبرزه الله للعباد ، وانقاد له الخلق أي انقياد ، وأنطقه بالمغيبات ، وخرق له العادات ، انتسبت إليه الرياسة فى علم الطريق ، وشرح المشكلات لذوي التحقيق ،وأوقع الله له فى الصدور القبول التام ، ولهج بمحبته الخاص والعام ،

وكان رحمه الله شريف الأخلاق ، وطاهر الأعراق ، كامل الأدب ، صريح النسب ، وافر العقل ، صريح النقل ، مخفوض الجناح ، كثير السراح ، شديد الورع ، مقتفي الأدب للشرع ، لم تزل به قدمه عن حسن السير والأخلاق ، بل اقتفى أثر من درج بالاعراق .

حدثني الشيخ الأجل الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمان بن ابراهيم بن أبي بكر بالجبل المعروف بانغيل أنويلان ، قال : سمعت أبي يحدث عن الشيخ أبي عبد الله أن أباه كان يصلي الضحى كل يوم بألف (قل هو الله أحد) ، وسمعت من غير واحد أن شيخنا أبا عبد الله وأخاه عبد الرحمان حين كانا صغيرين اجتازا بجنان فاقتطف أحدهما حبة من التين فأكل نصفها وأعطى لأخيه النصف الآخر ، فلما دخلا على أبيهما ظهر له التغير في وجوههما ، فسألهما ما أكلتما ؟ فأخبراه أنهما أكلا حبة من التين من جنان فلان ، فكان ذلك سبب شراء الشيخ والدهما الجنان المذكور ، واستحل الحبة من بائعه له ، فزال عنهما ذلك الغيار ، وحدثني الشيخ الأجل الصالح الفقير الى الله تعالى عبد الكريم بن الشيخ وقد سألته بمنزله أن يحدثني بكرامة ما صح عنده من كرمات الشيخين قال لي : كان عمي عبد الرحمان رحمه الله في هذه المصرية ليلة من الليالي ، إذ سمع دوي الرحا فهبط على أن يعين أمه فوجدها وقد أسندت ظهرها الى الحائط والرحا تطحن وحدها ليس معها أحد يديرها ، فرجع قليلا قليلا ، فما استقرَّ مكانه حتى وقف عليه الشيخ فقال له : سمعت الرحا تطحن فأردت أن أعينها فوجدتها على الحالة التي علمت ، فقال : إنما أجرى الرحا ذلك الذكر .

فصل في ذكر أشياخه رضي الله عنهم

ذكر الثقات أنه قرأ أصول الاعتقادات في الدين على أبي علي التقموسي إمام جامع واطاس بأغمات وريكة ، وقرأ العربية والحديث وأصول الفقه على الفقيه يحيى ابن راحيل الجنفيسي ، وقرأ الفقه والمواريث على أبي الربيع الدوري بأغمات ، وأخذ عنه طريق الزهد والخمول واليقين في المعاملات والسلوك والرياضيات ، وكان شيخ قدوته مالك بن أنس رضي الله عنه وكان

فى حياته يتسبب بتعليم الصبيان ، فلما مات ترك السبب وبقي عـلى طريـق التجريد ، فأخذ بقية ما يملك واشترى غلاماً واعتقه عن أمه ، ولم يتعرض بعد ذلك لسبب ولم يتزوج رحمه الله حتى مات ، فعلى هذه الصفة نشأ وبهـا عرف ، واتصفت به حاله حتى طبق ذكره الآفاق ، وحاز فى عصره التقديـم بالاستحقاق ،ثم عقد فصلا نقل فيه كلام الشيخ فى صفة القدوة وكلام غيره ، ثم عقد فصلا فيما يختص به التائب ، وكان الشيخ يتكلم على الرائية الشريشية بما لا يوجد فى أكثر الكتب ، ثم قال : وكان من دعاته إذا فرغ من الاقراء يمسكها بين يديه قليلا ويقول : لا تعجلوا بالقيام فان معكم الغير فتأدبـوا حتى ينصرفوا ، فاتفق ليلة من الليالي أن فرغنا منها مراهقين لصلاة المغرب فقمنا بسرعة ، وكنت أمامه فأخذ بأطراف ثوبي وأجلسني الى الأرض ، وإذا بثعبان أسود لم أر أبشع منه ، فسلك من ورائي ، وكانت وراء الشيخ حافة عظيمة فألقى الثعبان بنفسه فى تلك الحافة وجعل يمشي بها مهلا والشيـخ رحمه الله ماسك بأطراف ثوبي، فلما انصرفت قال : ألم آمركم أن لا تفترقوا حتى يتفرغ الموضوع ؟ فقلت ياسيدي وممن يتفرغ ؟ فقال : من إخوانكم الجن المومن ، إنهم يحضرون معكم ويسمعون كما تسمعون ويفهمون كفهمكم أو أحسن ، وإنهم يستأذنونني فى لقائكم ومباشرتكم فلم آذن لهم ، وإياكم وصحبتهم ، فقلمـا يسلم المريد من آفاتهم ، ثم ذكر أنه كان من عادته رحمه الله شديد الاحتياط على ظهور الكرامات على المريد ، وان الغالب عليه إظهار عيوب النفس ، وأنه كان الغالب عليه حال الملامتيه ، فانهم لا يتكلمون سراً ولا يظهرون خيراً .

ثم قال فى الباب التاسع فى سبب اشتغاله بطريق التصوف وخروجه إلى السياحـة : حدثني عبـد الله الـزواري المتصـوف السـالـك قـدس الله روحه بما حدثه به بعض أصحاب الشيخ رحمه الله ، قال : كنت يوما بأغمات وريكة ُدرس بها ، فوقعت مسألة فتباحث الطلبة فيها طويلا ، فكان فى المجلس رجل جليس فى آخر الناس ، وأدخل رأسه فى جيبه ، فلما طال الكلام بيـن الطلبة فى المسألة رفع رأسه وتكلم وقال : ياأبا عبد الله ، عندك آلة العبادة ، ولكن لا تشتغل بها ولم تعمل بما عندك من العلم فأعرضت عنه ، فأدخل رأسه فى جيبه ساعة ثم رفع رأسه وقالها ثانية ، فغاظني كلامه ، وقلت فى نفسي :

ما الذى يقول هذا ؟ وهل ثم شيء يتقرب به الى الله تعالى غير العلم ؟ ثم أدخل رأسه فى جيبه فقالها ثالثة ، فأضرني كلامه جداً ، وتغيرت لما أكون أزعم أني على أحسن حالة ، فلما تفرغت مما كنت فيه من القراءة دعوت الله لمن حضر وانصرفوا ، فقلت للرجل : سألتك بالله إلا ما كتبت لي اسمك حتى أعرفه ، فقال : أقسمت عليَّ بالله وأنا لا أعرف أن أكتب شيئاً ، ولكن اذهب إلى أمك فهي على الرحيل وهي منتظرة إليك ، ثم صاح : الله ، وطار فى الهواء ، وقال : هذه آخر رؤية تراني وأراك الى يوم القيامة ، وإذا بلغ الرجل هذا المبلغ وأنا أظـن على شيء فلقد أفنيت عمري فى البطالة ، ثم سرت الى داري فوجدت أمي كما وصف ، فقالت لي : يامحمد وما الذى حبسك عني وأنا منتظرة إليك ؟ وقد حان الرحيل فأوصتني على من يغسلها ويحفر قبرها ومن يلحدها ، ثم قالت : ما هذا الوقت ؟ قلت : وقوف الشهر ، ثم قالت : اتركني ساعـة أستريح ، فقامت وتوضأت وجعلت تركع حتى أذن المؤذن ، ثم جئت أمـي فوجدتها قد ماتت رحمة الله عليها ، فأمرت بحفر قبرها واشتغلت بتجهيزها حتى أوريتها التراب ، ورجعت الى الدار فقفلت عليها بقفل ، وانصرفت الى السياحة ، فهذا كان سبب دخولي فى طريق التصوف ،رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ثم قال : وكذلك نقل هذا بعينه عن أبي العباس الغماري ، وزاد أبو محمد الزواري في هذه الحكاية أن الرجل خرج رأسه من جيبه وقال لـه : ياعبد الله أنا مثلك كمثل فرس جواد سابق عليه سرج حسن ، وركاب وعذار حسن ، غير أن جازه الفارس ، فقال الشيخ حين قال له الرجل ذلك : ما جازنا شيء والحمد لله ، نقرأ التفسير والفقه والحديث ، ثم طار الرجل فى الهواء .

وحدثني صالح ابن الامان أنه بلغه فى ذلك الوقت حين خرج الشيخ للسياحة أن قدمه تورمت حتى كان يشد عليها الخِرَق من الشوك والحجر ، وقال لي : بلغ الرجال مقام القرب وأنا مشتغل بالبطالة ، ولم يزل رحمه الله يحرض أصحابه وتلاميذه عـلى العمل به ، فبالعلم فتـح عليـه حتى فتـح الله بصيرته ، ثم قال :

رأيت العز فى أدب وعلـــــم	وفى الجهل المذلة والهـــــوان
وما حسن الرجال لهم بعلـــــم	إذا لم يسعد الحسن البيــــان

كفى بالمرء عيباً أن تـــــــراه له وجه وليس له لســـــــــان
وكم أبصرت من قوم مـــــــلاح لهم صدر وألوان حســـــــان
يعظّم شأنهم بصري ، فلمــــــا سمعت كلامهم صغروا وهانــــوا
فما شرف الفتى إلا كـــــــلام ولولا العلم ما رفع المكـــــان

الباب العاشر في سبب ظهوره للناس قدس الله روحه وبرد ضريحه

حدث غير واحد من أصحاب الشيخ رحمه الله لمـا أراد الله تبـارك وتعالى باظهاره للناس ، فكأنما صاح به في الناس صائح ، فكانت الجموع تأتيه من كل مكان ، وكان قد أغلق عليه داره بأغمات وريكة ، فكان لا يدخـل عليه أحد ، وكان الناس يأتون إليه من كل مكان فلا يجدون إليه سبيـلا ، فمنهم من يكتب إليه كتاباً ويرسله من بين الأبواب ، فمكث كذلك مدة من ثلاثة أشهر أو نحوها ، فلما طال عليه كتبـهم إليه ومجاورتهم له كتب لهـم ما نصه :

(بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، سلام الله الأتم ، ورضوانه الأعم ، على التائبين الصادقين المخلصين المؤمنين بالله ، المسلمين المذنبين ، ورحمة الله وبركاته ، اعلموا وفقنا الله واياكم ، أني أخبركم بأني ليس في أوصاف الشيخ المنعوت الموصوف في الكتب عند أيمة العلماء المحققين ، والأولياء البالغين الواصلين المتيقظين ، والله يعلم أنه أعلم ذلك من نفسي وأقول به لا خوفاً من أحد ، ولست أيضـا بالشيخ اللفظي المتلون بالكلية في حب الدنيا وزينتها ، وحب أهلها الجاري اسمه على الألسنة من عوام الناس الذين أسكرهم حب الدنيا العاجلة وزينتها ، وغلب عليهم الجهل بأمور الآخرة وما أعد الله حتى لا يستطيعوا أن ينتبهوا من غفلتها بقلوبهم من أبناء الدنيا الغافلين عن الله عز وجل وعن الدار الآخرة ، وأرجو ربي وأطمع أن أكون عنده من الداعين إليه وإلى سبيله المذكرين بآيات الله تعالى وانه لم يفرغني إليه تعالى بعد من تقويم نفسي ، فكيف أقوم غيري ، والمقصود منكم أن تتركوني لربي يفعل بي ما يشاء ، وليشتغل كل واحـد منكم بنفسه مع ربه ، إنه معه حيثما كان أبداً ، قريب مجيب سميع بصير ،

فان القلوب قد امتلأت بحب الدنيا والمقام فيها والغرور وإيثار الهوى وطول الأمل فيها ، ففقراؤكم ليس فيهم نزاهة ولا قناعة ، وأغنياؤكم ليس فيهم إيثار ولا سماحة إلا البخل والحرص وخوف الفقر والطمع والشهوة ودناءة الهمة وقلة الصبر والاحتمال ، وعدم الصدق والاخلاص فى الخدمة ، وذلك كله إنما هو من ضعف الايمان بالله ولقائه ، وأما أنا فالله يعلم أن فيَّ ما في الكل وأضعافه ، وما خلوت منه وما تخلصت بعد إلا أن يشاء الله ، فما أنا وأنتم الا كغريق متمسك بغريق ، والله ينجي الكل بفضله ورحمته ، فدعوني مع ربي ونفسي ، فان الله تعالى للكل ، واشتغلوا أنتم بأنفسكم أيضاً ، (وإلاهنا وإلاهكم واحدكم ونحن له مسلمون) ، ومن أراد غر ذلك فالأشياخ والتلاميذ فى كل موضع وفي كل أرض ، فيدخل في سلكهم ويكون من جملتهم ، ولا يقنط ولا يحمله ما يسمع أن يصغر الأشياخ والتلاميذ فى قلبه ويحقرهم فيهلك كما هالك أهل الدعارة والفسوق والتخليط ، وتراك الصلوات ، وشراب الخمور ، وغصاب أموال الناس كانوا فى أحوالهم مثل الأشياخ والتلاميذ ، فاياكم من يهلك وهو لا يشعر ، فأنزلوا الناس فى قلوبكم منازلهم فى الشريعة ، (إنما المومنون إخوة) ، (والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل) وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أنشد أبياتاً ، ثم ذكر كتاباً له أيضاً الى الفقراء بشاكر يوصيهم بخدمة المومنين ، والاخلاص فيها ، والتواضع ولبس الثياب البيض أو الخضر النقية ، وأنه ما أفلح من أفلح إلا بدعاء الأولياء ، والتسليم على من حضر رباط شاكر من الأشياخ والطلبة وغيرهم ، وأنشدوا :

ورد الرسول مبشراً بكتابكم	فملئت من قلب البشير سروراً
تالله لو قنع الرسول بمهجتي	لبذلتها ورأيت ذاك يسيراً
فكأنني يعقوب من فرحي به	إذ عاد من شم القميص بصيراً

وكتاب آخر يتضمن أنه ما منعه من الوصول إلا ضعف أكثر الطلبة والفقهاء ، وموت هممهم فى عصره ، وكان يحض تلاميذه على المسير إلى رباط شاكر ، ثم قال : وقال أبو العباس الغماري : سمعت عبد الواحد بن مسدي يقول : سمعت الشيخ رحمه الله يقول : ما حملني على مخالطة الناس ومجالستهم

إلا خوف الهلاك ،وذلك أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يامحمد بن عبد الكريم ، انصح الناس وادعهم إلى الله ، فقلت يارسول الله ، لا أقدر على ذلك ، ثم رأيته مرة ثانية فقال لي : ادع الناس الى الله ، فقلت يارسول الله ، اعذرني فلم أفعل ، ثم رأيته ثالثة فقال لي : لئن لم تفعل ليسلبن الله الايمان والاسلام من قلبك ، فهذا حملني على ما ترون ، وما أريد بكم التكاثر والمباهاة ، ولقد يكفيني واحد ان وجدته يفلح ، فانه ذكر أن بعض الأنبياء عليهم السلام يأتي يوم القيامة ليس معه غير رجل واحد ، فلم يكن له يد من الامتثال ، فلما تصدى للناس كانت الجموع تأتيه بالمئتين الى أغمات وريكة ، فلما كان العام الذى خالف فيه مسعود ابن كانون السفياني على الأمير يعقوب بن عبد الحق الزناتي وهرب مسعود المذكور إلى جبل ثم نزل أشياخ الوقت تروم الصلح بينهما يزعمون أن ذلك طاعة لله عز وجل ، فجعلوا يرغّبون هذا ويتضرعون الى هذا ، فسمع الأمير يعقوب أن مخالفه قال : لو اجتمع أشياخ المغرب بأجمعها ووصلوا إلي ورغّبوني فى أن أصل الى هذا الرجل ، يعني يعقوب ، ما فعلت من ذلك شيئاً ما لم يأت محمد الأغماتي ، فأرسل الأمير يعقوب الى الملياني ، وهو إذ ذاك وال بأغمات ، أن يكلف الشيخ رحمه الله أن يسير الى الجبل مع أشياخ الوقت، فحدث من سمع من فم ابن الوالي قال : كما أرسلني إليه الأمير أمرني إن لم أفعل ما آمره به وإلا قتل أو أخرج من أغمات ، فلما وصلت منزلي بعثت إليه أحد رجالي في أن يصل إلي في داري ، فأبى من ذلك مراراً ، فلما كان ذات يوم أتاني القاضي وأخبرني أنه فى المسجد الجامع ، فسرت إلى أن دخلت المسجد وأرسلت إليه القاضي فأتى معه ، فلما اجتمعت معه قلت له : إن الأمير يأمرك أن تسير الى مسعود بن كانون في أمر الصلح كما فعل غيرك ، فأبى ، وقال : لا أفعل مثل ما فعل غيري فى هذا الأمر ، فقلت : فاقطع منك إذاً هذه الجموع وأطردهم حتى لا يأتيك أحد منهم ، فقال : إني لم أدعُ أحداً ولا أمرته أن يصل إلي ، وكيف لي أن أطردهمْ وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) ، فقلت : إذ لم تفعل هذا فاخرج من بلد الأمير ، فقال نعم ثم قام عني ، فأرسلت فى عقبه ألاّ يخرج ، فوجدته قد خرج .

شعر في معنى ذلك :

تباعدْ عن السلطان لا تغش بابـه ... فتسلب ديناً أو تصاب بفاقـــــره
فليس بناج منْ ألمَّ ببابـــــــه ... وإن هو أغناه وسد مفاقـــــــره
وما هو إلا النار يحرق من دنــــا ... إليه ، فلا تقربه واخش بـــوادره

قال الراوي لهذا الحديث : فلما كان من الغد قال الوالي : أصابتني علة شديدة ، فقالت أمي : ومَن في الدار من الحشم ؟ إنما فعل الله بك لأجل إخراجك لفلان ، حتى شاع ذلك في البلد ، وصار الناس يتحدثون به ، فقلت : إنما هو أمر من الله لا بسبب فلان ولا غيره ، ونويت في نفسي إن أقامني الله من هذه العلة أن أرده الى داره فأنى ان . . . . الآن يعظم .

شعر في معنى ذلك :

ما أكلف الناس بالدنيا وأطلبهـم ... حرصاً عليها باكباب وإقبـــــال
لو كان همهمُ الأخرى لما خطرت ... دنياهمُ أبداً منهم على بــــــال
لكنهم آثروا الدنيا فهم أبــــدا ... منجهلهـا بين روعات وأوجـــال

قال الراوي لهذا الحديث : فمكث سنة يصيح بالأوجاع ، وكان يفرش له القطــن المندوف يضطجع عليه وبعد ذلك لا يجد راحة من ألم الأوجاع ، ومات بعضه وانحبس لسانه ، وكان لما خرج الشيخ رحمه الله من أغمات ، وبلغ دار بعض أصحابه بهزرجة بموضع يقال له جبل هيلانة ، اجتمع إليــه تلامذته ، وارادوا أن يشتغلوا بالدعاء على الوالي حتى يهلكه الله عز وجل ، وهمَّ بعضهم بالوصول وهمَّ آخرون بالسياحة حتى يقضي حاجتهم ، وقــد تفاوضوا في ذلك بعد العشاء الآخرة ، فخرج الشيخ رحمه الله من بيته الــذي كان فيه من غير أن يخبروه بالأمر الذى عزموا عليه فنهاهم عما أرادوا فعله ، وقال : من دعا عليه فليس مني وأنا بريء منه ، ثم دعا له باصلاح دنياه ، ثم انتقل بعد ذلك الى مغيوز ، فمكث فيه حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه .

وكان مسكنه أظنه بالزاي في مغيور في بيت في صحن المسجد بني له بأمره هناك ، قال المؤلف : فانظر أصلحك الله الى حال الشيخ رحمه الله

كيف آذاه بلسانه ، وأخرجه من بلده ووطنه ، ومنع تلامذته من الدعاء عليه ، بل دعا له بأصلاح حاله ، واتبع فى ذلك سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين شج جبينه وكسرت رباعيته ، فلم يدع على قومه ، بل قال (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) ، ثم قال :

الباب الحادي عشر في مجاهدته وخلواته رحمه الله تعالى ونفع به

ونقل عن الثقات ، عن محمد بن زكرياء اللمطي ، عن صالح ابن الامان ، أن الشيخ رحمه الله مكث بين مسجد ماسة والحجر المسمى بحجر يونس عليه السلام شهرين وسبعة أيام ، آتيه عند تمام كل أسبوع بشيء من التلبينة ، فأضعها أمامه فينظر إليها ويشير بيده ما أعرف ما يقول ، ثم يأمرني بحملها ، فأرفعها وأنصرف .

حكى زكرياء عن صالح ابن الامان قال : أتاني الشيخ محمد الهزميري ذات يوم فأقام عندنا خمسة أشهر غير يومين لم يفد غير ربع من تمر مطحون أتاه من درعة من نخلة يعرفها لم يأكل غيره فى تلك المدة كلها ، ثم قال : وسمعته يقول : مكث عندي خمسة أشهر غير يومين لم يفطر ، ثم سفر الى أبي زكرياء وهو على حاله لم يفطر .

وحكى موسى بن يوسف الدغوغي عن محمد ابن ويحلان ، ضاع الشيخ رحمه الله ونحن بمتير حاحة ، قال أمرني الشيخ رحمه الله أن أغلق عليه باب ذلك البيت ، وأاني الباب الذى أغلق عليه ، وأمرني أن أدخل معه ثلاثة أوان من ماء فلما بنيت عليه أمرني أن أسير إلى بلد القبلة ، وقال : إذا كان آخر يوم من مئة تحضر هنا إن شاء الله وتفتح عني الباب ، فسرت إلى حيث أمرني ، فلما كان آخر يوم من الأجل الذى حد لي أتيت باب البيت ففتحته وأنا أتوقع أن أجد رائحته لظني أنه قد مات ، فلما وصلت إليه وجدته مستنداً للحائط ولحيته قد لصقت بصدره ، فأخذته ورفعته بين ذراعي وأخرجته الى الشمس ومددته على لوح لأنه لا يقدر على الجلوس إلا أن استند ومقعدته كأنها باذنجانة ، وجلده قد لصق بعظمه ،فطليت بالحناء جميع جسده ، ووظبته بذلك ثلاثة أيام كنت أغذيه بالتلبينة حتى قوي فى نفسه فى تلك الأيام الثلاثة فقال :

بسم الله فى السفر ، فجئته بأتان ، فركب وسرت معه أنــا وعبد الغفــور الهسكوري ويس الهسكوري ، فسرنا الى أن وصلنا وادي تانسيفت فوجدناه قد امتلأ بالسيل لا يقدر أحد على عبوره ، فقال لنا : تعالوا الى طريق نعبر هذا الوادي على اليمين أم على الشمال ، فتقارعنا ، فخرجت لليمين ، فصعدنا مع الوادي الى أن قال لنا : من هنا نعبر الوادي ، ثم قال لي : اختبره لنا ، فدخلته الى أن عبرته ثم رجعت إليه وأنا لم أصل الأرض بقدمي ، ولا علمت كيف ذهبت ولا كيف رجعت ، وإنما قصدت طاعته وامتثال أمره ، فأخذت الدابة أمامي حتى عبرت ثم رجعت وقلت : بسم الله ، فأخذت بيده وأخذ صاحبي بيــده الأخرى ، ثم اقتحمنا الوادي فغبنا فى الماء فالتفتنا فاذا هو قاعد على وجــه الماء ، فخرجنا ولم تبتل قدمه ولا شيء من ثيابه ، فصرنا الى أن وصلنا الى جبل فيه مسجد يقال له ايذكورن وذلك فى وقت المغرب ، قال انظروا لعل هذه ليلة رمضان ،فنظرنا فرأينا الهلال فبتنا هناك الى أن صبَّح ، ثم صعدنا الى جبل الى أن وصلنا المسجد ، وكنا قد بتنا أسفل الجبل على بئر هنالك ، فتركته مع أصحابه بالدابة الى أن وصلتها ثمعدت إليهم ، وكنت قد حملت معي شيئاً من دقيق زريعة الغاسول ، فكان يقتات منه ،فلما كان الغد ورد علينا نحو من ستة أنفس ، وكان عندي شيء من دقيق الشعير كنت أقتات منه أنا وصاحبي فقلت :أصنع طعام الضيفان من هذا الدقيق ، فقال لي : لا بل من قوتي الذى أقتات منه تصنع عشاءهم ، فجعلت جميع ما كان من دقيق الغاسول ، فلما انصرفوا عنا إذا شيخ وعجوز قد أقبلا والشيخ حامل لحم ثور . . . . . والعجوز حاملة جراب دقيق ، فلمــا وصلا إلينا وضعاه وانصرفا ، فأمرنــي الشيخ بطبخ جميع اللحم ، فأكل منه وأكلنا ، ومكثنا هناك حتى حان وقت السير الى رباط شاكر، وزاد في هذه الحكاية عبد الله الزواري قال : لما أتي الشيخ بالطعام، وكان الطعام شيئاً يعرف (بتاربصت) فقالت العجوز : اغسلوا أيديكم، فقال الشيخ لابن ويحلان ، اغسل يدك يامحمد ، قال له الشيخ زوج العجوز : وانت ؟ فقال له ابن ويحلان : عليه عذر، فاقسم الشيخ بالله إن لم تأكل لأقتلنك والحفنك فى هذا الغار ،فان كنت مباركاً وجدنا بركتنا ، وكان الشيخ بعد ذلك يقول : اللهم ارحم صاحب الغار والخنجر ، فكان الشيخ رحمه الله يأكل أكلا عنيفا حتى عجبت منه .

شعر فى ذلك :

إلاهي انتهى بالناس حسن ظنونهم ... بنا للذي نرجوه منك من الفضـــل
فلست أنا أهلا لذا فاستجبْ لهم ... ولا تحرم الأقوام مولاي من أجلــي

وكنت إذا أتيته بالليل بشيء من النار أسمع عنده حساً ، ولا أرى شخصاً ، فلما كان ذات ليلة أتيته على سبيل العادة ، فقال لي : هل لقيت أحداً ؟ فقلت لا غير أني سمعت حساً لا أدري ما هو ، فكنت بعد ذلـك إذا أتيته أرى أسداً خارجاً من عنده ، قال الدغوغي الراوي لهذه القصة عن ابن ويحلان قال ، سألت الشيخ رحمه الله وقد خلوت به ، فقلت : ياسيدي لما بلغ بك من الحال ما بلغ كنت تصلي الفرائض ، فقال لي : كنت إذا أتى وقت الفرائض رزقني الله القوة حتى أؤديها ثم أرجع الى حالي :

خفيت عن المنية أن ترانـــــي ... كان ألروح منى فى محــــــال
وما أبلى الهوى والشوق منـــني ... سوى نفس تردد فى خيـــــال

قال ، سمعت الشيخ رحمه الله يقول : كنت فى حال التدريج أفطر كل ليلة على ثلاث تمرات ، فما زلت انقص واحدة بعد واحدة حتى كنت افطر على نصف تمرة ، ثم فني التمر فجعلت أمصُ عظم التمرة فأقتات به :

يانفسي ما هي إلا صبر أيـــــام ... كأن مدتها اضغاث أحــــــلام
يانفسي حيدي عن الدنيا مبــادرة ... وخل عنها فان العيش قـــدامــي

وسمعت الشيخ رحمه الله يقول : مكثت ذات مرة سبعين نوبة من الدهر بين الليل والنهار طاوياً ، وكنت إذا أردت أن أقعد أخذت سراويلي فجعلته كورة فاقعد عليه ، لأني كنت لا أستطيع القعود على الأرض .

ان الحبيب الذى يرضيه سفك دمي ... دمي حلال له فى الحل والحـــرم
ان كان سفك دمي أقصى مرادكـمُ ... فما غلت نظرة منكم بسفـــك دم
والله لو علمت نفسي بمن علقــت ... قامت على رأسها فضلا عن القــدم

قال أبو العباس الغماري ، سمعت محمد بن عبد الواحد الصنهاجي يقول ، سمعت الشيخ رحمه الله يقول وقد كنت خلوت به ، وكنت قد أصابني الجوع ، إذا اشتد بي الجوع فى أكل الحشيش ، وأرى خضرته فى بطني ، لأنه لم يبق شيء يحجبه عني ، فاذا احتجت الى إخراجه تتبعته بأصابعي من أعلا الجلد الى أن يخرج وكان طول الحزام الذى أشد به بطني شبرين غير ربع شبر .

قنعت من الزمان بدون حالي	وفيما دون حالي لي كفاية
رأيت فضولها يلهي ويطغي	فنسأل ربنا منها الحماية

وحدثني الشيخ علي بن يحيى الكواب قال : صرنا إلى زيارة ضريح المقدس المرحوم أبي محمد صالح برباط أسفي أنا والحاج سعيد ابن رامي ، فنزلنا على الشيخ الصالح المبارك المسن المعروف بابي يحيى أمزيل ، فرحب بنا وبتنا عنده أياماً ، فتذاكرنا حال شيخنا أبي عبد الله قدس الله روحه ، فقال الشيخ أبو يحيى : خرج الشيخ أبو عبد الله فى السياحة على عادته ، فاجتاز بي فقعد عندي خمسة أشهر ، ولم أكشف له على طعام ولا على شراب ، فلا أدري من أي صنف هو ، هل هو من صنف الآدميين أم من صنف الملائكة قدس الله تربته ، وأعاد علينا بفضله بركته ، ثم قال : ونقل أبو العباس الغماري عن محمد بن عبد الواحد الصنهاجي قال : سمعت الشيخ رحمه الله يقول : دخلت الدار ذات يوم بأغمات وريكة واغلقتها علي ، ولبثت مدة لم أر أحداً ، ولا ذقت طعاماً ، فلما كان ذات يوم إذا بقراع يقرع الباب ، فعلمت أنه أتى بطعام ، فأبيت أن أقوم إليه ، فغضبت نفسي غضباً شديداً حتى مُثلت بين عيني من غير حجاب على أقبح صورة كأنها سوداء عظيمة ثائرة الرأس ،فقالت بيني وبينك الله ، هربنا منك إلى الله ، فجعلت أعظها وأخوفها ، فازدادت غيظاً وقالت لي ، تخوفني بالعذاب وقد رضيت الآن به ، فلقد أهلكتني بفعلك ، فعلمت أني لا أقدر عليها ، وخفت لما ظهر لي منها ، فقمت وفتحت الباب ، فاذا برجل واقف ومعه طعام ، فأخذته منه ودخلت البيت وأكلة منه حاجتي ، فقالت لي ، بسم الله ما الذى تريد من الأعمال

أوافقك عليه ، خذ لنا في العبادة فقلت لها امهلي ، فأخذت بقيـة الطعام وحملته إلى من يستحقه ورجعت إلى موضعي ، فكفاني الله شرها ، فتعساً لنفسي كلما عقدت عقداً حلت ، أو كلفت عملا من أعمال البركات أو استنجدت على عدوها الشيطان انهزمت تترقى إلى المهاد ، وتختار على العبادة الرقاد ، وتنام إذا هجع العباد ، ولا تتمسك عن مقاليد العزم بمقلاد .

الباب الثاني عشر

فيما له ولأخيه عبد الرحمان من الكرامات الخارقة للعادات

حدثني الشيخ الأجـل الشريف المنيف عـبـد الواحـد الحسنـي الجوطي قدس الله روحه وبرد ضريحه ، قال : تشاجر أبي رحمه الله مع بعض الولاة بمراكش ،فحلف أن لا يسكن معه المدينة ما دام والياً فيها ، فاستعطفه بعض أكابر المدينة وقال له : تكفرِّ ليمينك ، فلم يقدروا عليه بشيء ، فرحل إلى أغمات وريكة بالأهل والأولاد واستوطنها مدة ثم مرض مرضاً شديداً ، وزاد مرضه حتى انقطع منه الأنين ولم يبق فيه عرق يضرب ، فظنوا أنه قد مات ، فجرد من ثيابه وطرح على الجص وأقيم له نعش وتابوت ، واشتغل الناس بجهازه وحفر قبره ، فبينما هم كذلك إذ أقبل الشيخ أبو عبد الله فوجدنا هنا عند باب المنزل مع بعض خدامه وحشمه ، فسمع النياح في المنزل فقال للذي وجد عند المنزل : ما هذا الذي . . . . . . ، فقال له : إن سيدنا قد مات ، فقال لهم : إنه لم يمت ، أتريدون أن تدفنوا الشريف حياً ، استاذنوا علي حتى أدخل إليه ، فدخل وأمر به أن يدثر في ثيابه ، وأمر بنار فأوقدت ، فأخذ يسخِّن يديه ويمر بهما على ترقوته ومفاصله وبعض جسده ، وأمر بذبح طائر من الدجاج فطبخ في الحين ،وأخذ قطنة فما زال يوجره قليلا قليلا وهو مع ذلك ينتعش ، فما زال يتلطف به حتى فتح عينيه وأجلسه على نفسه ، وتحدث معه ساعة ثم انصرف ، وعاش بعد ذلك مدة طويلة ثم مات ودفن في مسجد علي بن يوسف رحمة الله عليه ، وهذا من بركته رحمه الله أن كشف له عن حاله فتلافى أمره ، فلولا ما أطلعه الله على أمره لدفن حياً ، نفعنا الله به ورزقنا بركته .

ثم قال : وحدثني الصالح المسن أبو عبد الله بن أبي طارق ، وكان رحمه الله مولعاً بزيارة الصالحين رأى منهم أعداداً كثيرة ، قال : حدثني الشيخ إبراهيم الشهير بالأعرج قال : سافرت مع الشيخ أبي عبد الله إلى رباط شاكر ، فلما قربنا منه ولم يبق بيننا وبينه إلا يسير قال للفقراء : يافقراء احتطبوا من هنا فان شاكر ليس فيه حطب ، فأخذ الفقراء يحتطبون ، ثم وصل إلي وأنا راكب دابتي فضرب بيده بين كتفي وقال لي : ياإبراهيم ، أتعرف أي شيء هو النادر ؟ فقلت : ياسيدي ما أدري ما هو النادر ، فأشار بسبابته إلى صدره فقال : أنا هو النادر ، ثم قال : وحدثني الشيخ الصالح الورع علي إبراهيم ـ وكان أبوه من أصحاب الشيخ وممن يتعبد معه ـ قال : حدثني الشيخ الصالح المنقطع إلى الله تعالى عبد الله بن أبي رمان قال : حدث الشيخ العارف القدوة إبراهيم الشهير بالأعرج قال : جلست يوماً مع الشيخ أبي عبد الله فقلت : ياسيدي من هو القطب اليوم ؟ فسكت ولم يجبني ، فأعدت عليه ثانية ، فأعرض عني فقلت له الثالثة : سألتك بالله إلا ما تخبرني من هو القطب اليوم ؟ فنظر إلي وقال لي : مجلكم ، ثم قال وحدثني الشيخ المتصوف العابد أبو عبد الله الزواري قال : حدثني الشيخ المتصوف الزاهد الورع إبراهيم بن أبي بكر الهزرجي بموضعه بأنفيل انويلان قال : سافر الشيخ رحمه الله مع بعض الفقراء من موضع يعرف بأمجدول إلى ماسة ، وأمرهم الشيخ ألا يفترقوا وأن يسيروا بسير أضعفهم ، وكان في الجمع فقير لا يوافق الناس في السير بل يتقدم أمامهم ،فبينما هو يمشي إذا اندقت رجله إلى الأرض لا يطيق النهوض ،فعلم أن ذلك عقوبة من أجل أنه لم يأخذ بوصية الشيخ ، فلما وصل إليهم الشيخ ووجده في تلك الحالة استغاث به الرجل حين بصر به ، فأمسك الشيخ رجله بكلتا يديه وحرك شفتيه وتفل على موضع الكسر ، ثم أخذ بيده وقال له : قم فقام يمشي كأن لم يصبه شيء قط ، قدس الله روحه وبرد ضريحه ، ثم قال.ونقل الشيخ الفقير إلى الله تعالى أبو العباس الغماري عن محمد بن عبد الواحد الصنهاجي قال : سمعت يوسف بن عمر الوريكي يقول : كانت عندنا امرأة مبطولة اليد بضربة ضربها بعلها ، وكانت لا تملك

شيئاً ، فبلغ خبرها الشيخ رحمه الله وكان بعلها قد تاب على يده فأتاها مع خديمه ، فلما وصل الدار نادى الخديم باسم المرأة فخرجت فقال لها الشيخ : بلغني أن يدك قد تعطلت ، قالت له : نعم الأمر كما بلغك ، فقال لها : ناوليني يدك فناولته يدها فجذب إليه ومسح عليها ثم قال لها : حركيها ، ثم قال لها : ارفعيها على رأسك فرفعتها ، ثمقال لها : احمدي الله الذى شفاك وساقني إليك فاني لا أقدر أن أكلم امرأة فكيف ألمسها بيدي ، فعادت المرأة صحيحة سالمة باذن الله تعالى ، ثم قال : وحدثني الفقيه السالك علي المغربي رحمه الله قال : زرت الشيخ رحمه الله أنا وأخي بأغمات وريكة ، فدخل الزاوية وقعدنا مع الفقراء ، وإذا بالشيخ قد خرج من خلوته وقد أعد الخديم له شيئاً يقعد عليه كالذي يلقي الصحاف على رأسه حين يرفع الأثقال ، لأجل أن مقعده لم يبق عليه لحم من المجاهدة والصوم ، فلما قعد أحدق به الفقراء ، فأخذ يصوب بصره فيهم واحداً بعد واحد ، فانهملت أعينهم بالدموع وخنقتهم العبرة لما أدكهم من الحنان والشفقة عليه ، لأنه لم يبق فيه إلا الخيال ، ثم سكتوا من البكاء ، فقلت : ياسيدي أتاذن لي أن أُسمع الفقراء شيئاً ، فقال : إفعل فحركت شيئاً أنا وأخي يطرب الفقراء ، واهتزوا عند السماع ، ثم سكتوا فلم ينطق منهم أحد كأنما على رؤوسهم الطير هيبة من الشيخ ، ثم قال : يافلان فارجع بازاء فلان ، وقم أنت يافلان فارجع بازاء فلان ، فقلت همساً لم يسمعني الذي بازائي (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ، ونظر إلي وقال : (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ، فعجبت من سماعه إياي وكون الذي بمقربة مني لم يسمعني .

ثم قال :ونقل أبو العباس الغماري عن عبد الواحد ابن مسدي الهسكوري قال : حدثني من أثق به قال : خرجت مع الشيخ أبي عبد الله من مسجد ماسة يريد أن يتوضأ ، فلما وصلنا إلى الحافة التي في شرق الحجر فقصد أبو عبد الله على رأس الحافة فرأيت البحر قد فاض إلى أن بلغه ، فجعل يتوضأ منه ، فلما فرغ من وضوئه ذهبت أنا لأتوضأ منه ، فهرب الماء مني ورجع إلى موضعه ، فجعلت أبكي ، وعبرت معه وادي ماسة وكان قد امتلأ وفاض ،فلم يبتل له ثوب ولا قدم نفع الله به .

ونقل أبو العباس الغماري عن يوسف بن عمر الوريكي قال : حدثني رجل من أصحابنا ممن أثق به قال : كنت جالساً بساحة ماسة من ناحية المشرق إذ رأيت الشيخ أبا عبد الله أقبل إلى البحر من ناحية الحجر المسمى (بحجر يونس) عليه السلام ، وانفتح البحر أمامه ، وصار عن يمينه وشماله كالحائط ، فما زال يمشي على الأرض والماء ينصب أمامه حتى أتى موضعاً فجعل يصلي منه على الرمل ، والماء مرتفع عن يمينه وعن يساره حتى صلى ما شاء الله أن يصلي ، ثم رجع الماء يتبعه حتى خرج .فرآني ، فقال : سبحان الله لولا شيء لأكلني .

وحدثني الفقير إلى الله تعالى علي الكواب قال : حدثني أبو عبد الله الصدفي قال : لما أراد الله بتوبتي حبَّب إلي زيارة الصالحين ، فكنت أزورهم ، فدخلت يوماً على بعض الأشياخ وكنت راكباً على مهر فطلبه مني فاعطيته إياه ، ثم سمعت بسيدي أبي عبد الله فوصلت إليه مع بعض الناس ، فلما قعدت بين يديه أزال العمامة على رأسي وقال : يامحمد لا ترى إلا الله ولا تخاف إلا من الله ، وعليك بالصدق فانه سيف الله ما نزل على شيء إلا قطعه ، وكان لي مال فقلت له ياسيدي إن لي مالا فتصرف فيه كيف شئت ، فقال لي : يابني ما أريد منك إلا طاعة الله ، فألححت عليه فلم أقدر على أن يقبل مني شيئاً قط رحمة الله عليه .

ثم قال : وحدثني من أثق به قال : كان أبو عبد الله الفقير إلى الله تعالى المتجرد الشهير بالهدهديقيم بالمسجد الكائن بحمام الحرة ويؤذن فيه ، فلما كانت ليلة من الليالي صلى العشاء الآخرة وخرج الناس من المسجد وأطفأ المصابيح فرأى مع حائط القبلة رجلا يصلي قال : فانتظرته ليتم صلاته فأغلق المسجد فأطال الوقوف جداً ، فعلمت أنه عوّل على المبيت ، فتركت له مشكاة موقدة وانصرفت إلى منزلي ، وأتيت بطعام وإناء من ماء فوجدته قائماً كما تركته ، فوضعت الاناء من خلفه ، وناديته ياهذا المُصلي ، إن أردت العشاء والسحور فهذا الطعام خلفك ، ثم خرجت وأغلقت المسجد ، فلما كان وقت القيام أتيت المسجد وفتحته ودخلت فوجدت الرجل قائماً كما تركته من أول الليل والطعام على حاله لم ينتقص منه شيء ، فصعدت الصومعة وتكلمت ، فلما كان قرب الصباح رأيت الرجل قد خرج إلى الصحن ورفع رأسه إلى

السماء ثم قال : لا إلاه إلا الله ، ومدّ صوته فمالت الصومعة بي حتى ألقتني في الصحن فأدركني حال وغشي علي ، فجاء الناس لصلاة الصبح فوجدوني ملقى فتلطفوا بي إلى أن أفقت من غشيتي ، ثم سألوني عن حالي فأخبرتهم بما رأيت وما اتفق لي مع الرجل ، فقال رجل ممن حضر ، رأيت الباحة سيدي أبا عبد الله الهزميري صلى المغرب هاهنا ، فلم يشك الناس انه هو الرجل نفعنا الله بـــه .

ثم قال : ونقلت مما روى الشيخ أبو العباس الغماري عن محمد ابن زكرياء عن صالح ابن الامان قال : أتاني الشيخ أبو عبد الله ذات مرة مع جماعة من الفقراء من الخمسين إلى الستين ، ولم يكن عندي شيء من الادام غير جرة عسل فأتيته بها ، وقلت له : ليس عندي غير هذه الجرة فاصنعوا بها ما شئتم ، ثم وضعها بين يديه فأشار نحوها بأصبعه ثلاث مرات وقال : لخديمه ويحلان ، ارفع وأطعم الناس العسل كيف شاءوا بالأكل والشراب ، فجعل الناس يأكلون بالخبز ويشربون منه الماء ، فأكلوا من ذلك العسل وشربوا بأجمعهم كمـــا فعلوا فى العام الماضي .

ثـــم قـــال : ونقلـــت ممـــا صـــح وثبـــت عـــن أبـــي العـــباس الغماري قال : سمعت يوسف بن عمر الوريكي يقول : حدثني من أثق بـــه قال : دخلنا على الشيخ رحمه الله فى بعض البساتين وفيه بعض شجر الرمان ، فكان أول سقوط الورق فى آخر الخريف ، ودخل معنا طفل صغير فقال لنا : ألا تأكلون الرمان، وشجره خال من الورق ومنه، فقال : ليصعد أحدكم فيجتني الرمان ، فقلت له : ليس فيه شيء فنظر فى الشجرة فقال : انزعوا تلـــك الرمانة ، فما زال يقول انزعوا تلك الرمانة الأخرى حتى كبر الرمان ، فأردنا أن نأكله فأبى علينا وقال للطفل : إحمله أنت ، ثم قال : ونقلت ما صح منه أيضاً قال : سمعت عبد الله ابن ميمون يقول : سمعت الشيخ رحمه الله يقول : خرجت مرة إلى السياحة وبقيت مدة لم آكل شيئاً ، فخطر بخاطري خبز الدبنة المشوك ،فسرت قليلا فوجدت خبزة سخنة منه فرفعتها ، وسرت قليلا فوجدت خبزة أخرى فرفعتهم بين أذرعي إذ لم يكن عندي فيما أحملهن إلا ثوباً خَلقاً

لا يحمل ذلك، ثم سرت قليلا فوجدت مقدار وصلة (1) منه من خبز سخن موضوع فى الربيع (2) وكان ذلك فى أرض صحراء بعيدة عن العمران ، فرميت ما كان عندي ، وصرت معاتباً للنفس ومجادلا لها ، ثم قال : وحدثني الشيخ الأجل أبو عبد الله المسطاسي المعلم لكتاب الله رحمه الله فقال لي ، كنت فى صغري بطالا لا أحب شيئاً من الخير وما أدري مـا الصلاة ولا الفقر ولا الفقـراء ، فنمت ذات ليلة ، فرأيت فيما يرى النائم كأن الناس قد حشروا فى صعيـد واحد ، ورأيت شخصاً قاعداً عن يساره ملائكة ، وكل ملك بيـده زمـام ، والخلائق يساقون إليه أفواجاً أفواجاً تسوقهم الملائكة ، فاذا وقف الرجل بين يديه نظرت الملائكة إليه وقالوا من أي صنف يكتب هذا فيقول : اكتبوا هذا من القانتين ، اكتبوا هذا من الصابرين ، اكتبوا هذا من الصائمين ، فلمـا وصلت النوبة إلي وقفت بين يديه وأنا أرتعش ارتعاشاً شديداً حتى كادت نفسي تزهق ، قالت الملائكة له : وممن يُكتب هذا ؟ فنظر إلي وقال : اكتبوه من المفلحين ، فلما أفلت من بين أيديهم قلت لرجل : مَن هذا الذي تكتب الملائكة باشارته ؟ فقال لي هو أبو عبد الله الهزميري الساكن بأغمات وريكة ، فأفقت وقـد أنكرت والله نفسي ، وبغض الله أهـلي ومالـي ، وانصرفت إلى المسجد، وكنت فى درعة فلقيت فيها بعض الفقراء وبأيديهم تسابيح (3) فقعدت بين أيديهم وقلت لهم : من فى أغمات اليوم من الصالحين ؟ فقالوا كلهم : شيخ القدوة اليوم بأغمات أبو عبد الله الهزميري ، فقلت لهم : صفوه لي ، فوصفوه على الصفة التى رأيته عليها فى النوم فلم ألبث أن شددت حزامي إلى أغمات ، فلما دخلت ووقع بصري عليه رأيته على الصفة التى رأيته عليها فى النوم قدس الله روحه وبرد ضريحه .

ثم قال : حكى عبد الحميد بن ميمون قال : سمعت الشيخ رحمه الله يقول : خرجت مرة الى السياحة ببلاد هسكورة فسرت الى أن بلغت بيتاً خرباً فدخلته فوجدت الأسد قد فرخ فيه بنتاً ، وتمت الشريعة والحقيقة فى صدري ،

---

1) **الوصلة** فى عامية المغاربة لوح يحمل فوقه الخبز الى الفرن لينضج .

2) **الربيع** : الكـلا فى عامية اهل المغرب .

3) **التسابيح او التسبيح** : السبحة والمسبحة فى عامية اهل المغرب .

فقالت الشريعة : اخرج من هاهنا ليلا تهلك نفسك فتأثم ، وقالت الحقيقة : إذا تهرب من هذا الأسد فلأي شيء تقعد ، وتقول : لا تهرب من قضاء الله تعالى ، فجعلت أصلي في ذلك الموضع بازاء تلك الأفراخ ، فقالت الحقيقة : إذن تقرأ القرآن فبأي شيء تخافه وأنت تقرأ القـرآن ، فرميت بنفسي فـي طريق الأسد وتركت القراءة وادخلت رأسي في جيبي ساعة ثم أخرجته ، وإذا بالأسد قد دخل إلى أشباله ولم يتعرض فقمت وانصرفت .

كم سائح في الجبال مثـــــواه	لا يعرف الخلق أيـن مـــــأواه
يخرج من كهفه الى جبـــــــل	يخضَرُّ من كهفه مصـــــلاه
ياحسنه والوحش تؤنســـــه	ياحسنه والجـن ترعـــــاه
يقول : ياثقتي ويا أملـــــي	ما خاب عبد تكون مـــــولاه

وحدثنـي الشيـخ الأجـل الصالـح عـلي بـن إبراهيـم ، وكـان أبوه ممن يسيح مع الشيخ ومن جلة أصحابه رحمه الله ، قال : حدثني أبي قال : خرج الشيخ أبو عبد الله مرة الى السياحة نحو بلاد درعة فأقام في بعض الشعاب مدة أشهر، ثم تاقت نفسه إلى العمارة فمشى في الشعاب قليلا، فوجد بيتاً خرباً والأسد قد فرخ فيه ، فقعد عند باب البيت ، فما استقر به القعود إلا والأسد قد أقبل ، فلما رءاه الأسد أخذ يزأر فسمعت به الأنثى وكانت عند أشبالها فانتفضت انتفاضة ووثبت حتى خلفت رأس الشيخ وأخذت تلطـم الأسد حتى أبعدته عنه ، ثم رجعت إلى أشبالها وانصرف الشيخ ، ثم قـال : ونقل أبو العباس الغماري عن أبي بكر ابن ميمون قال : سمعت عبد العزيز المهاجر يقول : كنت في حرم الكعبة شرفها الله تعالى وإذا رجل قد أتى وتحدث معي ساعة وسألني عن البلد الذى أنا منه فقلت له : أنا من أغمات وريكة ، فقال لي : تعرف الشيخ أبا عبد الله ؟ فقلت نعم بينما أنا في هذا الموضع الشريف إذ سمعت كلاماً فنظرت وإذا برجلين ، فقال أحدهمـا : إن الناس منتظرون إليَّ بأغمات لأصلي بهم الظهر ، وكان وقت الزوال ، فنظرت فيه وحققت صفته ، ثم ذهب ودعوت الله أن لا يقبض روحي حتى أراه في موضعه ،

ثم أراد الله بتوجيهي الى المغرب ، فلم تكن لي حاجة أوكدَ من رؤيته ، فسرت إلى أن بلغت أغمات وقصدت الجامع ، فلما وصلت الى قنطرة المسجد التى الى شرقه لقيته وعرفته بصفته ،فسلمت عليه فقال : وعليك السلام ورحمة الله ، فما كلمت بها حتى مات رحمة الله عليه .

ثم قال : ومما حدث به أبو العباس الغماري قال : سمعت عبد الواحد الصنهاجي يقول : خرجنا مع الشيخ رحمه الله ذات يوم بموضع بنفيس يقال له تيجلات ، يريد موضع صالح بن صالح بتروحين ، فأتى رجل بفرس أنثى وقال للشيخ :أريد أن تركب هذه الفرس لله تعالى فقال له : نعم ، ثم سرنا الى أن بلغنا الموضع المذكور وهو يقول : يابشراي ، فقلت له : ما الذي وجدته ، فقال لي : انتجت هذه الركمة وأصابتها علة فى ثدييها فلم يبق فيها قطرة لبن ، فلما ركبها الشيخ صار اللبن يجري من ثدييها ، أما تراه رجع مسرعاً الى موضعه مسروراً .

ثم قال : ومما حدث به يونس ابن عثمان اللمطي قال : سمعت أبا بكر ابن بلول يقول : لما وصل الشيخ أبو عبد الله عند زكرياء أراد أن يقيم عنده مدة فشاوره فى ذلك فرضي باقامته عنده وأنا حاضر معهما ، فذهبت الى منزلي ، فلما كان من الغد إذا بالشيخ أبي عبد الله قد وصل إلي فقلت له : أليس قد أقمت عند أبي علي فما حاجتك عندي ؟ فقال لي : إن أبا علي قد تحولت نيته فى ذلك بسبب أن الناس قالوا له : إنك لا تقدر على هذا الرجل لأنه عالم ولأنه من بلاد الظل ، وحال بلادهم غير حال بلادنا هذه ، فان أقام عندك اجتمع الناس إليه لأجل علمه ولا طاقة لك بالقيام بهم ، قال أبو بكر : فقلت أنا أكفيك همَّ ذلك كله إن شاء الله تعالى ، فارجع إلى موضعك واقعد فيه ما شئت ، فبتنا معه فى منزلي الى أن أصبح ، وسرنا الى منزل الشيخ أبي علي ، فلما دخلنا عليه أمرت الخادم أن يعطيه في كل ما يأمره به ، وكان قد عول على الوصال ، فقلت له : اخبرني متى آتيك إن شاء الله تعالى ؟ فقال لي :بعد ثمانية أيام اذهب الى منزلك ، فذهبت الى منزلي ، فلما تم الأجل أتيته فقال لي : سر الى ثمانية أخرى ففعلت ، فلما تم الأجل أتيته

فقال لي : سر الى ثمانية أخرى فرجعت فلما تم الأجل الثالث أتيته وقد عوّل على أن يفطر ، فوجدت أهل القرية ومن حولهم من الديار قد أتوا بكل مـــا أمكنهم من الخبز والزيت والتمر وغير ذلك مما فى بلادهم كأنما صاح بهم صائح ، فقلت للشيخ أبي علي : خذ إليك الآن أما تبصر أما ترى رداً على من طول به الناس .

ثم قال ونقل أبو العباس الغماري عن يوسف بن عمر الوريكي قال : ذهبت يوماً من الأيام لأقضي بعض ديون كانت من أهلي قبلي بأغمات وريكة ، فجاءني رسول من أهلي وقال لي : الحق بالمنزل فقد جاء الشيخ ومعه خلق كثير ، وكان ذلك آخر وقت الفاكهة ، وكنت أتوهم فى الجنان شيئاً يسيراً من العنب لا يقوم ، فجعلت أمشي وأنا أقول لو كان هذا على أول الغلة لكان أحسن،فلما (وصلت)وجدت الشيخ قد أدخلهم الجنان وأمرهم بالأكل فقالوا ليس فيه ما يقوم بالناس إلا شيء قليل ، فقال لهم : افعلوا ما أمرتكم به ، فافترقوا فى الجنان وجعل كل واحد منهم يجني العنب وهو يظـن أنه أصاب ذلـــك وحده ، وينادي صاحبه هلم حتى شبعوا عن آخرهم ، وبقي العنب مطروحـاً لا يوجد من يأكله من كثرته ، فلما رأيت ذلك فرحت وتعجبت واستغربت مما رأيت ، وعلمنا أنها بركة الشيخ وكرامة أكرمه بها الله سبحانه .

ثم قال : ونقل أبو العباس الغماري عن عبد الحــق ابن سليمــان الهزرجي قال : قعدنا ذات يوم نتحدث بالكرامات بحضرة الشيخ رحمــه الله فقال : كنت فى أول بدايتي أحب ذلك ، فلما كان ذات ليلة قمت على قدمي أريد النهوض فرأيت الأرض بأسرها تحت قدمي على قدر الترس ، ثم نظرت يميناً وشمالا فلم أر غير الهوى ، ففزعت إلى الله تعالى مبتهلا بالدعاء في الاقامة، فما زلت أدعو حتى رأيت الأرض عادت كما كانت أولا ، ثم قال : وحدث مــن يوثق به عن رجل كان يصلي بالفقراء ، وكان قدمه الشيخ رحمه الله على الفقراء لصلاة الفريضة بهم قال : حضرت مــع الشيخ بانغيل نويلان ، فحدثنا عــن الكيمياء فقلت ليس على وجه الأرض أبغض مني فيمن يشتغل بتلك الطريقة ، وإذا بالشيخ قد خرج من خلوته وقال لي : ما تقول فى نصراني سأله شخص

وتلطف به حتى أسلم ، ما تقول فى اسلامه ؟ إنما تكون فى نفسك الـذي صليت بالناس وأنت جنب ،فتفقدت نفسي فوجدت الأثر فى جسدي ، فكان والله أعرف بنفسي مني .

ثـم قال : وممـا نقل عـن أبي العبـاس الغماري عن أبـي عمران موسى الدغوغي ، عن محمد ابن ويحلان الخديم ، قال كنت أقرأ على الشيخ بترجراجت وكانت مجاعـة شديدة . . . . سنة ثلاث وسبعيـن وستمئة ، فأتيت بحمل من دقيق القمح من دار الشيخ في رجب ، فقال لي : اجعله فى خابية ، ففعلت كما أمرني ، فأدخل يده فى الدقيق ثم أخرجه وقال لي : إياك أن يراه أحد غيرك أو يأخذ منه شيئاً ، فكان الناس يأتون بالجموع الكثيرة من المئة إلى الستين ونحو ذلك ، فمـا زلت أنفق منه رغداً إلـى أن دخل المحرم ، فانتقل الشيخ الى أغمات وكان ذلك قبل خروجه منها .

ثم قال : وحدثني الشيخ الأجل أبو الحسن الكواب قال : حدثني الشيخ الذاكر أبو عبد الله الصدفي قال : حدثني أبو عبد الله . . . . . . ويحلان خديم اشيخ رحمه الله قال : رأيت تلامذة الشيخ قد شمروا للعبادة وشمروا عن ساعد الجد إلى الله تعالى ، وكل واحد أخذ خلوته فتاقت نفسي أن أكون مثلهم ، فاستشرت الشيخ وقلت ياسيدي ، إني أريد دخول الخلوة كما فعل الاخوان فقال لي : يامحمد ، أقمْ على حالك ولك من الأجر ما لهم ، وكان الشيخ أعطاني نحواً من أربعة عشر درهماً وقال لي : إن احتاج الفقراء الى شيء فاستنفق منها ، فجعلتها فى جيبي وانفقت منها نحواً من ستة أشهر ، فتاقت نفسي أيضاً الى الخلوة وأنا قاعد على الوادي ، فقلت فى نفسي إنمـا عاقني عن الخلوة هذه الدراهم، فباعدتها من جيبي ورميت بها في الوادي وعولت أن أستأذن الشيخ أيضاً فى دخول الخلوة ، فلما دخلت عليه قال لي بديهة ، يامحمد لأي شيء رميت بالدراهم ، إرجع حتى تأتيني بها ، فرجعت فوجدت الصرة على شفير الوادي قد تعلقت بخيط كأنه خيـط العنكبوت ، فأخذتها وجئت بها اليه فأخذها مني وأمرني بدخول الخلوة .

ثم قال : وحدثني الشيخ الأجل أبو الحجاج يوسف بن عبد الواحد المعبر قال : حدثني أبي قال : أتى علي وقت إذا أكلت اللحم أصابني وجع شديد ، بل كنت إذا شممت رائحته أصابني وجع حتى كنت لا يخطر اللحم بخاطري أصلا . فسرنا إلى زيارة الشيخ وكان إذ ذاك بانغيل نويلان ، وكنت مع رجلين ، فلما كان وقت السماط جاءالخديم بثلاث خبزات وغطاء فيه لحم ، فقلت في نفسي إن أكلت اللحم أخذني الوجع ، وإن امتنعت ففي ذلك جفاء لهجري لسماط هذا الشيخ ، بينما أنا متردد بين الخاطرين وإذا بالخديم قد أقبل : أيكمْ عبد الواحد ؟ فقلت له أنا ، فقال لي : يقول لك الشيخ كل من هذا اللحم فانه لا يضرك ، فأكلت والله ما أصابني بعد ذلك وجع ببركته نفع الله بـــه .

قلوب العارفين لها عيـــــــون	ترى ما لا يراه الناظـــرونـــا
وألسِنَة" بأسرار التناجـــــي	تغيب عن الكرام الكاتبينـــــا
وأجنحــة تطيــر بغيــر ريـــش	إلى ملكوت رب العالمينـــا
فيسقيها الكريم شراب صـــــدق	فتشرب من كئوس العارفينـــا

وحدثني أبو الحجاج المذكور أيضاً قال : حدثني أبي عن أعزب خديـم الشيخ رحمه الله قال : صليت المغرب مع الشيخ بجامع علي بن يوسف شرفه الله بدوام الذكر فيه ، فاستهل شهر رجب فقال لي الشيخ : هذه أول ليلة من رجب ، أتعتكف في هذا المسجد ؟ فقلت ياسيدي الرأي رأيك ، فقال لي : إنك لا تطيق على الجوع ولا لك من يخدمك ، فقلت أرجو الله أن أصيب ببركتكم ، فأعطاني درهماً وقال لي اشتر لنا به تمراً ، فاشتريته ، فأخذ الشيخ تسعين تمرة وأعطاني تسعين على عدد ثلاثة أشهر بحساب تمرة كل ليلة ، فجعــل الشيخ حظه في ركنة تحت حصير ، وجعلت أنا حظي في ركنة أخرى ، فاذا كان وقت المغرب أفطرت على تمْرة ، فما انقضت عليّ الأيام إلا وقد ضعفت قوتي ، فكنت إذا أحسست بالغشيان من الجوع التفت إلى الشيخ فأنتعش ، فلم أزل كذلك إذا أحسست بشيء من الجوع والضعف نظر إليّ فأجد قوة في نفسي أتقَوّت بنظره كما أتقوت بالطعام ، فلما انقضت الثلاثة أشهر واستهل

هلال شوال قلت في نفسي الحمد لله بلغت درجة الشيخ ، صمت ثلاثة أشهر كما صام ، وقمت ليلها كما قام ، وأفطرت على تمرة كما فعل ، قد بلغت درجته والحمد لله ، فلما صلينا الصبح قال لي : أتخرج للمصلى ، قلت ياسيدي الرأي رأيك ، ثم قال لي : انظر هل بقي من تمرك شيء نفطر عليه ؟ فقلت ياسيدي والله ما بقي منه واحدة ، ثم قال لي : أنظر إن كان بقي في تلك الركنة شيء ؟ فأخذت التمر فقال لي : عدّه ، فعددته تسعين تمرة لم تنقص ولم تزد ، فنظر إلي وقال لي : قد بلغت درجته فصمتَ كما صام وقمتَ كما قام وأفطرت كما أفطر ، قد بلغتَ الوطر ، فقبلت يده وقلت : ياسيدي ، أنا تائب إلى الله عز وجل .

ثم قال وحدثني أبو الحسن الكواب قال : حدثني شيخ الفقراء إلى الله تعالى أبو العباس أحمد الغماري قال : حدثني الشيخان الصالحان أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الهزرجي قدس الله روحه وخديم الشيخ مخلوف قالا : سمعنا الشيخ رحمه الله يقول : ما فاتتْني قط صلاة الفريضة في اليوم والوقت المختار إلا يوماً واحداً ، قال وذلك أني كنت في بلاد السوس إذ لقيت سبعاً من العرب فقالوا لي انزع ما عليك من الثياب فجردت الجبة وأعطيتها لهم ثم تخاليت وبقيت في التشامير (1) والسراويل فقالوا لي : لابد أن تنزع التشامير ، فخرجت وبقيت في السّراويل فانصرفوا عني ، ثم رجع إليّ واحد منهم فقال لي : انزع ذلك السراويل فقلت : ما أمرني الله أن أكشف عورتي ، فقال لي لابد من زواله ، فقلت له لا أزيله إلا أن تقتلني ، فحرك فرسه ليضربني فأخذت الأرض قوائم فرسه الى الركب ، فلما رأى أنها لا تتحرك نزل عنها فابتلعته الأرض الى الركب ، فصاح بأصحابه ، فلما رأوا ما نزل به وبفرسه ترجلوا كلهم وأخذوا يستعطفونني ويعتذرون إلي ، وقالوا نحن تائبون الى الله عز وجل ، فقلت لهم : إنما تتوبون من ترك الصلاة والزنا وشرب الخمر وقطع الطريق ، فقالوا كما اشترطت علينا نوفٌ به إلا ما ذكرت من قطع الطريق فليس لنا حرفة نعيّش بها أولادنا غيرها ، فقلت لهم : إن

1) التشامير في العامية المغربية هو القميص .

الله قادر على أن يرزقكم ويرزق أولادكم من غير سبب ولا حرفة ، والرزق لا يستجلب بالمعصية ،وإنما يستجلب بطاعة الله عز وجل ، فما زلت أحاولهم وأعظهم حتى حسنت توبتهم ، وزاد في هذه الحكاية أبو محمد الزواري أنهم أول من تاب على يد الشيخ .

ثم قال : ونقل أبو العباس الغماري قال : حدثني عبد الحميد بن موسى قال : دخلت على الشيخ رحمه الله في داره بأغمات وريكة ومعه موسى بن يوسف الدغوغي ، وأحمد بن يوسف ، وجماعة من أصحابه وهو يحدثهم ، فقعدت معهم وأنا لا أفهم مما يقولون شيئاً ، فقلت في نفسي مثل هـؤلاء يأخذون عنه وينتفعون بكلامه لعلمهم وفصاحتهم وفهمهم عنه ، فرد وجهه الي من غير أن أكلمه ، وأشار بيده الى صدره وتكلم إلي بالبربرية وقال : إسمع أنت ، وقال اعلم أنا بين الجنة والنار الآن ،فنزل المطر من قبل الجنة ويصعد البخار من النار ، فلولا الماء الذى يأتي من قبل الجنة لاحترق كل من على وجه الأرض ، ولولا البخار الذى يصعد من النار ما انتفع أحد بماء المطر ، فلما نزل الماء وصعد البخار ازدوجا مثل الذكر والأنثى ، فتولد منهما النبات، فكل ما أنبت الأرض من الطيب الحلو والرطب أو ذي رائحة طيبة فمن الماء ، وكل ما أنبت من المر والمنتن والحامض والشوك فمن البخار ، فسبحان من له في هذا حكم وتدبير ، وهو على كل شيء قدير .

ثم قال ونقل أبو العباس الغماري عن يعقوب بن يونس الشريف قال : جلست مع الشيخ يوماً برباط شاكر ، وكان ذلك يوم عيد وليس معنا غيرنا ، فأعطاني كسرة خبز من شعير وقال لي كل ، فامتنعت من الأكـل حياء منه ، فقال كُلْ الكسرة فانها خرجت من يد الخضر عليه السلام .

ثـم قال في الباب التاسع عشر ، كـان سبب موت شيخنا محمـد الهزميري قدس الله تربته ورزقنا من بركته مما ثبت عن الثقات من أصحابه مثل عبد الله بن محمد الهلالي ، وعبد الحميد بن ميمون الهسكوري، وإبراهيم بن أبي بكر الهزرجي وغيرهم من خواص أصحابه وتلامذته قالـوا : خرج علينـا الشيخ رحمه الله ذات يوم وكان يوم السبت فقال لنا : رأيت البارحة فيما

يرى النائم كأني في سوق من الأسواق ، ورأيت ثلاثة أنفس عليهم ثياب بيض وهم يمشون في سوق ، فحيث وجدوا دابة حسنة حملوها ، فقلت سبحان الله مال الناس الى هؤلاء ، وظننت أنهم لصوص ، فقال لي أحدهم : ما نحن بلصوص ولكننا ملائكة من ملائكة الله سبحانه ، أمرنا أن نحمل رجال المغرب ، ثم أتاني أحدهم ونزع ثوبي فقلت أفيكم مَلَكُ الموت؟ فقالوا : هو هذا، فقلت: سألتك الله إلا ما أريتني كيف تقبض أولياء الله ، فقال لي نعم ، فتوارى وراء حائط وغاب عني ساعة وإذا به قد خرج وبيده سكين محدود فقصد نحوي ، فلما وصل إلي أراد أن يضربني فحول السكين في يده وضربني بقبضتها ثم ضحك في وجهي ، وكان قبل ذلك حين أراد ضربي قد عبس وجهه ، قالوا فلما كان يوم السبت الآتي — وقد كان شكا رأسه فظننا أن الشمس قد أثرت فيه وذلك ثامن يوم الرؤية التي رأى — أرسل إلى مخلـوف الخديم وأمره أن يدعو بعض إخوانه ، فدعاهم الخديم ، فلما حضروا قال لهم : عليَّ بقدحين من ماء أو ثلاثة فأمر الخديم أن يضعها في موضع الاغتسال ويخرج، فقال له الخديم : ياسيدي إنك لا تستطيع مناولة الاناء فدعني أناولكَ إياه ، فقال دعني مع ربي فأنا أرجو أن لا يضيِّعني ، فتركه وخرج عنه وأغلق عليه الباب ، فقال له من حضر من التلاميذ : ويحك ناوله الاناء فانه لا يقدر على مناولة الاناء ، فقال لهم قد أبى ذلك ، فأجهدوه أن يفعل ، فلما أراد أن يدخل قال له الشيخ : استحي من الله ولا تكشف عـليَّ ، فرجع هارباً ، فلما اغتسـل ولبس ثيابه ناداه يامخلوف تعال ، فلما دخل عليه وجده ملقى على ظهره ، فقال له احملني الى البيت ولا تمسني بيدك فاني لا أستطيع أن يمسني أحد في جسدي فقال مخلوف : فقعدت الى الأرض وأمرته أن يجعل يديه على عاتقي ففعل ،فقمت به حبواً على يدي وركبتي حتى طرحته على سجادته في البيت ، فقال لي : الآن انظر من يعينك على إخراجي ، فناديت رجلين من خاصة التلاميذ فأخذنا بأطراف السجادة حتى أخرجناه الى صحن المسجد، فقال عليَّ بالفقراء المتجردين ، لا يقربني غيرهـم ، ويسبغوا الوضوء بأجمعهم ، قال مخلـوف فأحدقوا به من كل ناحية وأمرهم بالذكر الخفي ، وقال لهم : هذا يوم الوداع فمن جاء للوداع فأوسعوا له حتى يقضي أربه ولينصرف ، فان الوقت قريب

من هنا الى الظهر أو العصر أو متى شاء الله ،واشتغل بالذكر الخفي هو ومن حوله ، فكلما جاء أحد للوداع ودع وانصرف ، فلما حضرت صلاة الظهر قام الناس وصلوا وصلى معهم وهو قاعد ، ثم اضطجع ،وكان إذا اشتد به العطش يمضمض فاه بماء فيه عسل ثم يطرحه فى إناء ،ولم يمكن نفسه من لذة حتى مات ، فلما حانت صلاة العصر قالوا له : أوصنا ، قال عليكم بتقوى الله ، وإياكم والخلاف والفرقة ، فقال أبو عبد الله الصدفي ، ياسيدي ، ارْضَ عن تلاميذك ، فقال من أطاع الله ورسوله فقد رضيت عنه ، ثم قال للناس : قوموا للصلاة فقاموا ، فلما سلم الامام ورجعوا وجدوه ميتاً رحمة الله عليه ورضوانه لـــديـــه .

وكان موته وقت العصر آخر يوم من شوال سنة ثمان وسبعين وستمئة وهو ابن ستين سنة والله أعلم ، ودفن يوم الأحد بعد صلاة العصر خارج أغمات. ولحده الفقيه قاضي الجماعة عبد الرحمان تنيست ، وأبو العباس بن أجزول رحمهم الله أجمعين .

ثـــم قال : وجد فـــي تركته رحمه الله عبـــاءة خشنة كـــان يلبسها وأخرى يرتدي بها ، وسطل كان يتوضأ منه ، وسجادة وميزان الشمس لأوقات الصلاة ، وسروالان أحدهما من قطن والآخر من صوف ، ونعلان مرقعان ، فهذا مبلغ ما وجد في تركته رحمه الله .

وعن الشيخ الأجـــل القدوة أبي العباس الغمـــاري قال : سمعت أبا عمران موسى الدغوغي قال : سمعت عبد الرحمان بن أبي الطيب حفيد الخطيب يقول :رأيت الشيخ قبل موته بسبعة أيام وأشياخ الرسالة بأجمعهم اجتمعوا وشمروا وتحزموا وأخذوا يقفزون واحداً بعد واحد حتى إذا لم يبق منهم أحد قـــام الشيخ أبو عبد الله فشمر وتحزم وقفز فـــزاد عليهم كلهم في القفز نضَّر الله وجهه .

قال المؤلف رحمه الله : حدثني الشيخ الأجل أبو الحسن علي القصداري– وكان فيه سماحة وفضل ودين–قال:حدثني الشيخ أبو العباس أخو الأستاذ قال: رأيت فى النوم قائلا يقول لي إذا أصبح فأول رجل يدخل من باب الغرب فهو

من أهل الجنة ، فلما أصبح فعدت عند الباب المذكور ، فأول من دخل القصدار رحمه الله ، حدثني عفى الله عنه قال : اشتقت الى زيارة الشيخ ، فسرت إليه فوجدته في الزاوية بأمغيوز ، والفقراء قد أحدقوا به وهم يبكون ، فسلمت عليه فدعا لي وصرفني ولم أنصرف ، فتغافل عني ساعة وصرفني ، فقلت له إنما أريد المقام معك ، وما أريد أن أنصرف ، فلما رأى الحاحي عليه نادى بالخديم وقال له إيتني بدواة وقرطاس، فكتب براءة وطبعها ثم قال لي: ألا تمشي في حقي لمراكش ؟ خذ هذه البراءة واحملها لأبي عبد الله ابن تيجلات ، فلم يكن لي بد من امتثال أمره ، فأخذت البراءة ودعا لي وودعته ، فجئت فدخلت من باب الدباغين فوجدت الشيخ وهو يصلي بالناس صلاة العصر ، فصليت ، فلما فرغ من الصلاة أعطيته براءة الشيخ فقال لي : ما هذه البراءة ، فقلت له براءة الشيخ سيدي محمد الهزميري ، فقال لي : كيف هو ؟ فقلت : في عافية ، فلما قرأها بكى ومسح عينيه ثم قال لي : مات الشيخ رحمه الله ، فقلت ياسيدي بل تركته حياً ، فقال لي قد مات رحمه الله ، فقعدت عنده قليلا فلما نزلت من المعلقة سمعت الناس يتحدثون بموته ، فهو قد أعلم بموته وأنا سقت الخبر .

ثم قال المؤلف عفا الله عنه : سرت مرة إلى زيارة ضريح الشيخ سيدي محمد الهزميري قدس الله روحه ، ثم قعدنا مع الشيخ الأجل عبد الكريم بن أخي الشيخ عند باب منزله نتذاكر حال الشيخ وأخيه سيدي عبد الرحمان نفع الله بهما ، فقال عبد الكريم : حدثني من أثق به ، قال الشيخ أبو عبد الله رحمه الله ، من وصل الى هذا الموضع وأدخل يده فى هذه الحلقة فهو منا ، فقمنا بأجمعنا فأدخل كل واحد أصبعه فى زر الباب .

انتهى ما لخصت من كتاب (إثمد العينين)،ولم أترك منه كرامة مذكورة للشيخين، غير أني لم أنقل ما يتبع به كل كرامة من الأدلة الحديثية والآثارية والمواعظ الشرعية في الغالب،وهو كتاب نفيس اشتمل على كراريس 11 نقلت منه هنا نحو كراريس 3 وأوراق 3 بدأت في الكتابة منه في 16 رمضان عام 1328

وختمت في 26 منه والحمد لله أولا وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والنسخة المنقول منها كتبت بخط محمد ابن مسعود الغبزوري في يوم الاثنين في شوال عام 1138 .

وهزميرة من قبائل المصامدة كما تقدم في المقدمة .

وذكر المترجم في (أنس الفقير) (1) وفي (نيل الابتهاج) (2) وقال كل منهما إنه زار قبره بأغمات ، وقد كان المنصور الذهبي يشد الرحلة لزيارته كما في (المنتقى المقصور) وكذلك السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وقد زرنا رجال أغمات جميعاً عام 1333 ، ثم زرته رضي الله عنه مع ابن سعدون وابن عباد بعد الذهاب على السيارة لأغمات سنة 1356 (3) .

571) محمد بن علي الشريف

محمد بن علي بن يحيى أبو عبد الله قاضي الجماعة المعروف بالشريف شهرة لا نسبا ، قال أبو حيان في (النضار) : كان في مراكش في زمن ابن أبي الربيع يدرس كتاب سيبويه والفقه والحديث ، يميل الى الاجتهاد ، وله مشاركة في الأصول والكلام والمنطق والحساب ، ويغلب عليه البحث لا الحفظ ، روى عن الحافظ أبي الحسن ابن القطان وغيره ، وأخذ النحو عن يحيى ابن راجل شارح الجزولية ، وقرأ عليه جماعة أجلهم أبو عبد الله الصنهاجي وأبو إسحاق . . . . شارح الجزولية ، ومات بمراكش عام اثنين وثمانين وستمئة .

انتهى من (بغية الوعاة) .

---

1) أنس الفقير ص 66 وما بعدها .

2) نيل الابتهاج ص 231 .

3) الجملة الأخيرة استدركها المؤلف بعد طبع الترجمة .

وينظر عن محمد الهزميرى أيضاً سلوة الأنفاس 2 : 56 .

وقال العبدري في رحلته ما نصه : شيخنا الفقيه القاضي الأوحد الامام قاضي الجماعة بحضرة مراكش كلأها الله محمد بن علي بن يحيى الشريف قدس الله تربته ، وأنّس في قبره غربته ، كان والله زينة الدنيا والدين وهو كما قال القائل :

أقاموا بظهر الارض فاخضرّ عودها   وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

وتالله ان فقد مثله ليهون الرزايا ، وإنه لحقيق بما قال أحمد ابن المعذل (1) في ابن الماجشون : ما ذكرت أن الأرض تأكل لسان عبد الملك إلا هانت الدنيا في عيني ، انتهى (2) .

وذكر ابن قنفد في (شرف الطالب) أن في سنة تسع وستين وسبعمئة توفي خطيب جامع المنصور بمراكش الشيخ المسن الصالح إبراهيم الشريف حفيد القاضي محمد بن يحيى الحسني صاحب كتاب (الفرائض) وغيره ، انتهى (3) وتقدم تمامه في ترجمة أبي إسحاق المذكور (4) انتهى .

ونقل في (النيل) في ترجمة أحمد ابن البناء المراكشي أنه قرأ العربية على القاضي الشريف محمد بن علي بن يحيى ، قرأ عليه بعض الكتب ولازمه وذاكره مسائل من كتاب (الأركان) لأقلديس ، انتهى .

وقال في (القرطاس) لدى ذكر قضاة يعقوب بن عبد الحق المريني ما نصه : وقضاته بمراكش الفقيه القاضي العالم المشاور محمد الشريف ، انتهى (5) .

---

1) قال القاضي عياض كثير من يقول أحمد ابن المعدل بدال مهملة ، وصوابه بمعجمة هـ نقله فى **الديباج** ص 31 (مؤلف) .

2) **الرحلة المغربية** ص 78 طبع الرباط .

3) **شرف الطالب** ، أو الوفيات لابن قنفذ ص 367 طبع بيروت سنة 1971 .

4) **الاعلام** ، **بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** 1 : 178 ع 21 .

5) **الأنيس المطرب بروض القرطاس** 298 طبع الرباط .

وقال في (الذخيرة السنية) كذلك ما نصه : وقضاته بحضرة مراكش الفقيه العالم المجتهد محمد الشريف ، وكان أحد أيمة حفاظ المغرب في زمانه، وكان مشاركاً في جميع العلوم الدينية والدنيوية ، انتهى (1) .

572) محمد بن ابراهيم التجيبي

محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمان التجيبي المراكشي المولد، التونسي الأصل والوطن ، النحوي المقري، قال أبو القاسم التجيبي في رحلته : شيخ جليل له المعرفة التامة بالعربية والمشاركة في غيرها ، ولد يوم الاثنين عاشر ذي القعدة سنة سبع وستمئة ، وسمع أباه ومحمد بن يحيى بن هشام الأنصاري النحوي وخلقا ، وأجاز له عبد الله بن سليمان ابن حوط الله ، وهو آخر من روى عنه، وقرأ النحو على والده وابن هشام المذكور، ولازمه وانتفع به.

مات بتونس ليلة الجمعة مستل جمادى الأولى سنة 697 .

انتهى من (بغية الوعاة) .

573) محمد ابن إبراهيم الكتامي

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحميري الكتامي، مراكشي، أبو عبد الله ابن إبراهيم ، قال في (الذيل والتكملة) ما نصه : روى عن قريبيه أبي جعفر بن يحيى ، وأبي الحسن ابن القطان ، وأبي الحسن ابن حريق ، وأبي علي الرندي وغيرهم ، روى عنه أبو عبد الله بن إدريس القرليطشي ، وكان متقدماً في علم اللسان نحوا ولغة وأدبا ، شاعراً . . . . . . حسن الخط ، وكانت بينه وبين جماعة من أدباء عصره مكاتبات ظهر فيها شفوفه .

574) محمد بن محمد الكناني ، من علية الكتاب بدولة الموحدين ، ونزع من مراكش عندما انحل نظام بني عبد المومن وانفض

---

1) الذخيرة السنية ص 86 طبع الرباط ، وليس فيها كلمة الدنيوية .

جمعهم الى مكناسة فأوطنها فى إيالة بني مرين ، واتصل بالسلطان يعقوب بن عبد الحق فصحبه فيمن كان يثابر على صحابته من أعلام المغرب ، وسفر عنه إلى الملوك منهم المستنصر سنة 665 ، وهلك السلطان يعقوب عن عبد الحق فازداد الكناني عند ابنه يوسف بن يعقوب حظوة ومكانة إلى أن سخطه ونكبه سنة سبع وستين وستمئة ، واقصاه من يومئذ وهلك في حال سخطته .

ذكره ابن خلدون .

575) **محمد ابن عذاري المراكشي** صاحب تاريخ الأندلس وشمال إفريقيا ، نبغ فى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، السابع الهجري ، طبع منه الجزء الأول والثاني فى ليدن بمطبة بريل سنة 1848 م ، واسم هذا الكتاب الحقيقي (البيان المُغرب فى أخبار المغرب) ، أو (البيان المعرب عن أخبار المغرب) ، صحائف الجز الأول 328 ، وصحائف الثاني 321 ، ثم طبع جزء ثالث سنة 1930 فيه أخبار جزيرة الأندلس من حين انقراض الدولة الأموية إلى آخر مدة ملوك الطوائف (1) وفيه من (نظم الجمان) لابن القطان،و (تاريخ عريب ابن سعد القرطبي)مختصر (تاريخ الطبري)، وراجع صحيفة 177 من (لب الألباب)، وحلاه بعضهم بما نصه : الشيخ الأجل، الأثير الأكمل ، الراوية المطلع الحسيب الأفضل ، قسم كتابه ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول اختصر فيه أخبار افريقية من حين فتحت ، ثم أخبار أمرائها وولاة المروانيين ومن قام بأمر بني العباس من بني الأغلب ، وأخبار بني عبيد الشيعة وأخبار صنهاجة وانتقالهم إلى المهدية ، وفتنة العرب إلى أن استولى الموحدون ، وأخبار المدراريين السجلماسيين والأدارسة والبرغواطيين والزناتيين واللمتونيين .

---

1) طبع جزء رابع من **البيان المغرب** بتطوان سنة 1963 بعناية الأستاذ امبروسيو هويسى ميراندا، ومشاركة الأستاذين محمد ابن تاويت ومحمد ابراهيم الكتانى . وطبع فى بيروت سنة 1967 فى أربعة أجزاء مشتملا على نبذة منه تتعلق بتاريخ المرابطين كانت نشرت من قبل بمجلة (هيسبريس) الرباطية .

والكتاب عظيم الفائدة، ظهرت منه نسخ خطية كثيرة بمكاتب متعددة مغربية وغيرها ،وهو فى حاجة الى طبعة جديدة محررة مصححة .

والجزء الثاني خبر جزيرة الأندلس من حين فتحت ومَن وليَها لبني أميــة ، ثـم مَن وليَها منهـم ، وذكر الدولة العامريــة إلى أن قامت الفتنــة والطوائف .

الجزء الثالث في خبر لمتونة ثم خبر الموحدين ، وذكر الحفصيــين والدولة النصرية والدولة المرينية إلى عام 669 .

وهذا التاريخ من التواريخ المعتمدة التي حازت الشهرة في الآفــاق شرقاً وغرباً ، وممن نقل عنه ابن الخطيب السلماني في مواضع من (الاحاطة) واليفرني في (النزهة) ونقله في (الاستقصا) (1) .

تنبيــه

ابن عذاري المراكشي المذكور غير ابن عذاري الأندلسي البلنسي ، قال في (التكملة) محمد بن علي بن محمد المكتب من أهل بلنسية ، يعرف بابن عذاري ، سماه أبو الربيع في شيوخه ، وهو كان معمله في الكتاب ، وحكى عنه أنه كتب عن أبي عبد الله مولى الزبيدي بعض ما رواه عن ابن شرف مــن شعره ولم يسم شيوخه ولا ذكر وفاته انتهى .

576) محمد بن أحمد ابن الظهير

محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر بن عبد الله مجد الدين أبو عبد الله ابن الظهير المراكشي المحتد ، الأربلي المولد ، الحنفي الأديب ، كان فقيهاً فاضلا وأديباً شاعراً ، له النظم والمعرفة بالنحــو واللغة ، ودرس بدمشق ، وقدم مصر وحدث بها عن كريمة بنت عبد الوهاب وعلي بن محمد السخاوي ، وسمع باربل وبغداد ، وروى عن الحافظ الدمياطي .

ولد بأربل في ثاني صفر سنة اثنتين وستمئة ومن شعره :

قلبي وطرفي ذا يسيل دمــاً وذا   دون الورى أنت العليم بقرحــــه

انتهى من (بغية الوعاة) (2) .

---

1) توجد نسخة من البيان المعرب فى مكتبة الجامعة المصرية (مؤلف) .

2) هذا الشخص كان من الواجب حذفه ، لأنه ليس على شرط المؤلف ، اى انه لم يحل بمراكش واغمات ، وهو ليس مغربياً بالمرة ولا من مواليد المغرب ، وانما أصله منه فقط .

577) **محمد بن أبي طَلاق** ، الطالب المريد ، لقيه بمراكش صاحب (المنهاج الواضح) وحدث عنه فيه .

578) محمد بن أحمد ابن عمر السلمي

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن عمر السلمي ، فاسي شقري الأصل ، روى عن عمه القاضي أبي حفص ابن عمر ، ولازمه باشبيلية وغيرها، وروى عنه أبو يعقوب ابن الزيات ، وكان فقيهاً عاقداً للشروط ، بصيراً بمعانيها ، تلبس بها في مراكش وفاس واشبيلية وغيرها ، بارعَ الخط ، حافظاً للتواريخ والأدب ، نبيلا في جميع محاولاته .

انتهى من (الذيل والتكملة) .

579) محمد بن إبراهيم ابن الحاج السلمي

محمد ابن الشيخ إبراهيم بن محمد بن خلف ابن الحاج السلمي المرداسي البلفيقي أبو عبد الله الخطيب ، ذكر المقْري في (نفح الطيب) و (أزهار الرياض) أنه مرَّ بأبيه في مراكش فقال لمن حدث عنه : رأيت هذا ، والله ما أدري أن لي ابناً حتى يمرَّ بي، ولا أذكره إذا غاب عني، ولا أرى إلا الله .

وكتب صدر رسالة وجه بها إليه أيام قراءته باشبيلية :

إذا شئت أن تحظى بوصلي وقربتي — فجنبْ قرينَ السوء واصرم حباله
وسابق إلى الخيرات واسلك سبيلها — وحصلْ علومَ الدين واعرف رجاله

ومن هذا المعنى قول بعضهم :

صاحب ذوي الفضل تسعدْ من كرامتهم — واخدمهمُ صادقاً واصدقهمُ خبراً
كم صحبة ألحقتْ من شؤمها ضرراً — وصحبةٍ طوقتْ من يمنها دررا
وشاهدي كلبُ أهل الكهف مع ضعة — من أجل صحبتهم في الوحي قد ذكرا

وتقدمت (1) ترجمة والده ابراهيم فيمن يسمى إبراهيم .

---

1) فى الأصل وستاتى اعتباراً لترتيب المؤلف القديم ، أما ترجمة أبيه الشيخ ابراهيم بن محمد ابن الحاج فتقدمت فى 1 : 154 ع 11 من هذا الكتاب وهذه الطبعة .

وأما والده إبراهيم بن محمد بن ابراهيم فقد ترجمه السيوطي في (الطبقات الصغرى) عن ابن عساكر ، وإنه مات في مصر سنة 661 عن نحو خمسين سنة، وترجم في (الاحاطة) لحفيده الولي الصالح محمد بن ابراهيم بن محمد بن الشيخ إبراهيم نقلا عن جزء فيه لولده أبي البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشيخ إبراهيم الآتية ترجمته إن شاء الله ، وكلهم مذكورون في (رياض الورد) .

580) محمد بن محمد العبدري الحاحي

محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحاحي ، روى عنه أبو القاسم ابن رضوان ، وذكره في (الجذوة) مقتصراً على ذكر بعض ما في رحلته ، وقد عنَّ لي أن اختصرها هنا لعزتها فأقول : قال : وبعد فانى قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما أمكن تقييده في حين الرحلة إلى بلد الشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان ، وأحوال مَن بها من القطان ، حسبما أدركه الحس والعيان ، وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر ، وأنشدته من درر ، وأثبت في خلال ذلك من نظمي ما يتغلغل إليه الكلام ، وأضيف إلى ذلك ما يضطر له البيان ، مثبتاً في كل رسم بعض الأحاديث التي رويتها ، والآثار التي وعيتها ، وأختم ذلك بقصيدة وعظية أسرد فيها الرحلة سرداً ، وأبرزها من نسج فكري برداً ، وربما حمل الامتعاض لحزب الفضائل ، عن فرط تحزب وتألب على فئة الرذائل ، وقد يردع المسيء عن إساءته ، ما يرى ويسمع من مساءته ، ثم أورد عن تقي الدين ابن دقيق العيد عن العز بن عبد السلام بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من رأى منكم منكراً فليُغيره بيده الحديث ، ثم ذكر أن عصره تعطل فيه موسم الفضائل وصار الملك يدعيه كل غوي ، ثم أورد قصيدة له في يوسف بن عبد الحق المريني قال ، ألا ناصر ينجد ؟ ألا راحم يرؤف ، ويتذكر ملك البرين فيقرأ ياأسفا على يوسف .

ومطلع القصيدة :

فمن مبلغ علياه عني من نظـــم رسالة مستعد شكا ظلمة الظلـم

إلى أن قال :

هو البحر يغني حين يعطي وإن يصل　　　تقل دكت الدنيا ولم يبق من رسم

ثم قال :

إلى يوسف سيف الالاه الذي أتى　　　لحسم العدا إن الحُسام من الحسْم

ثم ذكر أن بـدأ تقييده لهذه الرحلة فـي تلمسان ، ووقف عليهـا شيوخه بمصر وغيرها ، واستحسن ما وقف عليه منها شيخه زين الدين ابـن المنير ، وكان سفره في 25 ذي القعدة عام 688 ، ومبدؤه من حاحة ، وكـان طريقه على بلاد القبلة ،وزار بموضع آنسا من أعلا بلاد السوس الأقصى قبر الشيخ الصالح عمر بن هارون المذكور في (التشوف) (1)، وذكر الشيخ الفقيه الصالح أبو سعيد الحاحي المترازي فـي كتابه (منار العلم) أنه كان يدخـل عليهم في الدرس فيقول لهم تهنيكم عبادة القلوب والألسن والأعين .

وبلد آنسا بلد منفسح منشرح ، في بسيط مليح طيب التربة ، يغل كثيراً ، وبه ماء جار كثير ، ونخل وبساتين ، وهو آخر بلاد السوس من أعلاه متصل بالجبل مشرف على أرض السوس ، وكان فيما مضى مدينة كبيرة ثم صارت ليس بها إلا رسوم حائلة ، وطلول مائلة ، خلت من كل قارىء ومقرء عليه ، بيد أن بها صبابة من أهل الدين (2) .

ثم سافر منها على بلاد القبلة ، وهي بلاد مات فيها العلم حتى انهم في أكثرهم لا يتخـذون لأولادهم مؤدباً ، وفيهـم حسن الظن بأهل الديـن ، يحترمون الجار ، وفي أكثر بلادهم حصون مجموعة ، وأنهار جارية ، والحرب

---

1) قال فيه في **التشوف** : كان عبداً صالحاً إنقطع في الجبل لعبادة الله تعالى،واعتزل الناس فما آوى الى أحد وما تزوج قط في أعوام التسعين وخمسمئـة ، انتهى من **التشوف** ، وتذهـب الى زيارته من تلوين سجتانة بينها وبينه الوادى في جبل هناك ، وبين رودانة وتلوين المذكورة 101 كيلومتر لتلوين على طريق تينمل.253 كيلومتر ، وتفصيلها من مراكش الى تينمل 103 ثم الى الجنوب 83 ، محل واقع بين قبيلة آيت سمـك والمنابهة ، ثم الى تلوين 67 مـن الجنوب المذكورة الى رودانة 83 كيلومتر – (مؤلف) . انظر **التشوف** ص 343 ع 174 .

2) **الرحلة المغربية** ص 8 .

فيها مستمر ، وسمع من الفقيه الشيخ الجليل الفاضل أبي بكر بن عبد العزيز عن والده الشيخ الصالح القدوة أبي محمد، وكان دخل بلاد القبلة أنه كان يقول الغرب دنيا بلا رجال ، والقبلة رجال بـلا دنيا ، أو كلاماً هذا معناه ، وإنما يعني مكارم أخلاقهم ، مع أن عيشهم غير متسع كاتساعه في الغرب (1) .

وانفصل عنها إلى تلمسان في أزيد من ثلاثين مرحلة ، وهي بلد حلت بها زمانة الزمان، مدينة كبيرة سهلة جبلية جليلة المنظر، مقسومة باثنين بينهما سور (2) ولها جامع عجيب مليح متسع ، وبها أسواق قائمة وأهلها ذوو ليانة، ولا بأس بأخلاقهم ، وبظاهرها في سند الجبل موضع يعرف بالعباد ، هو مدفن الصالحين ، ومن أعظم مزاراته الشيخ الصالح القدوة ، فرد زمانه ، أبو مدين رضي الله عنه ، وعليه رباط مليح مخدوم مقصود ، والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار ، وسوره من أوثق الأسوار ، وبه حمام العالية (3) قلَّ أن يرى له نظير ، وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد ، فما ظنك في وهي رسم عفا طلله، ووصف قاضيها بالجهل، ثم قال: ومع ذلك فلو انتهت خطة القضاء إلى عليان أو ماني ، لم تكن في الشناعة كانتهائها إلى العمراني، بحضرة مراكش كلأها الله ولا كلأ القاضي المذكور حياً وميتاً ، فانه منجنيق ظلم بـه ترمي به قواعد الدين ، ونفط فساد يضرم قلوب المهتدين ، وقد وفق الله لخضد شكوته ، وإخماد جمرته ، أمير المومنين أيده الله، فأغمد من جوره سيفاً قاطعاً، وعوض المسلمين من ظلامته ضياء ساطعاً ، ومن بعض غرائبه التي شاهدتها أن قوماً ادعي عليهم القتل وأثبت المدعي دعواه بوثيقة عليها إعلامه بصحته ، فاحتجوا بأن لهم مدفعاً ، فطلب المدعي تثقيفَهم كما يجب شرعاً ، فقال لـه

---

1) **الرحلة المغربية** ص 9 .

2) كانت تلمسان تشتمل على مدينتين ، المدينة التحتانية وتسمى اكدير ولاتزال ، وبها مسجد الامام ادريس بن عبد الله الكامل ، والمدينة الفوقانية وتسمى تاكرارت أى المحلة بلغة صنهاجة ، وهى من بناء يوسف بن تاشفين ، وفيها آثار المرابطين والموحدين والمرينيين ، وبينهما ربض يسمى الى اليوم (الربط) .

3) بقى هذا الحمام قائماً الى أن حوله الفرنسيون أيام احتلالهم الى مخزن عسكرى ، ويقع بين ثكنة (المشور) وثنة كورمالة الواقعة امامها .

القاضي : هؤلاء كبراء الناس وأعيانهم ومَن لا يتغيب ، وهذه سنة إسرائيلية أحياها هذا اللعين لا حياه الله ولا صفح عنه ، فما أعظم جرأته على الله عز وجل، ثم أورد بسنده عن شيخه الصالح المحدث علي بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني القرافي بثغر الاسكندرية بسنده المنتهي إلى الامام البخاري ، بسنده إلى عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه الـخ (1) .

ثم إنه لم يـر مَن ينتمي بهـا إلى العلم سـوى صاحبه محمد بـن عمر بـن محمد ابن خميس ، وهـو فتيُّ السن ، مولده عام خمسين ، وله عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه والمعين عليه ، وحظ وافر مـن الأدب ، وطبع فاضل في قرض الشعـر ، وألفى الشيخ العفيف إبراهيم بـن يخلف التَّنَسي وأخاه أبا الحسن مسافرين إلى المشرق ، وهما من سكان تلمسان وليسا منها ، مشاركان في العلم مع مروءة تامة ودين متين ، وكان أبو الحسن ابن المنير يثني على أولهما قائلا : أما بلاد يكون فيها مثل أبي إسحاق التَّنَسي فما خلت من العلم ، وقد أدركهما بمصر ، ولازم التَّنَسي ابن دقيق العيـد بمصر مدة ، وأكثر المؤلف من مجالسة ابن خميس ومفاوضته ، وحدثه ابـن خميس عن الفقيه أبي عبد الله ابن حمدون عن الفقيه أبي زيد ابن القاضي بتونس أن أبا محمد ابن حوط الله ورد على أبيه فأنزله بداره ، وكانت تفوح منه رائحة المسك ، فسقطت منه خريطة لا يفارقها ووقع منها كتاب (الشمائل) ، ثـم أورد كثيراً من شعر ابن خميس الذي أنشده ، ثم ذكر أن الشام يكون بالمد حتى في غير النسب خلافاً لمن أنكره ، ثم قال وأنشدني الفقيه الأديب الكاتب الأبرع محمد بن عبد الله بن داوود ابن خطاب المرسي مما أنشده إياه لنفسه ، ثم ذكر مَن لقيه ابن خطاب المذكور منهم الفقيه الأستاذ النحوي الحسن بن عبد الرحمان الكناني الشهير بالرفاء، والعالم محمد ابن محرز الزهري، والعالم أبو المطرف أحمد بن عبد الله ابن عميرة المخزومي ، قال ولازمته مدة إقامته بمرسية ، وقرأت عليه (التلقيحات) للسهروردي ، ومختصر (المستصفى)

1) **الرحلة المغربية** ص 12 طبع الرباط .

للقاضي أبي الوليد ابن رشد المسمى بـ (الضروري) ، وقرأت عليه بعض (التلقين) ، وكان له عليه كلام حسن وتنبيه على مواضع منه لم أر مَن تفطن لها سواه ، ولقيت الفقيـه القاضي محمد بن عمر ابـن أبي السداد ، ولقيت الفقيه أبا بكر ابن جوهر الأزدي ، والفقيه أبا العباس الطرسوني ، وأبا عبد الله السمار المؤدب ، والفقيه الخطيب بجامع مرسية أبا عبد الله ابن فتـح ، والفقيه الورع أبا عبد الله ابن النجار الخ .

انتهى ما وجده بخط ابن خطاب (1) .

ثم أنشد المؤلف عنه عن أبي العباس اللبلي الكاتب من إنشاد شيخه وإنشائه الأديب الفاضل أبي الطيب صالح بن شريف الرندي ، ونقل عن كتاب (التدريب) لأبي عبيد البكري .

وممن لقيه المؤلف بتلمسان يحيى ابن عاصم ، وهو رجل متقلل حيي له حظ من اللغة ويقرض من الشعر ما لا بأس به ، وكان جاراً لابن خميس ، وأورد له قصيدة فيها معارضة بيتي الزمخشري (لجماعة سموا هواهم سنة) الخ بقوله :

قل للذي سمى الهداة أولى النهى ... حمراً لان سُلب الهدى والمعرفـة

وهي 11 بيتاً ، وذكر المؤلف أن حـُمـُراً جمع حمار لا يخفف بالتسكين لالتباسه بجمع أحمر .

ومما نظمه المؤلف بتلمسان :

تغربت عن أهلي إليك ومالـــــي ... وأعرضت عن قيل عداك وقال (2)

ثم ارتحل من تلمسان بعـد المقام الطويل لخمس خلون من شهـر ربيع الأول ، ثم وصل إلى مليانة ، وهي مدينة مجموعة مختصرة وليست مـع

1) **الرحلة المغربية** ص 18 طبع الرباط .
2) **الرحلة المغربية** ص 23 طبع الرباط .

ذلك عن أمهات المدن مقصرة ، أشرفت على وادي شلف ، واستشرفت نسيم طرفها من شرف ، في روضة جمعت الأزهار والظرف ، فرعت في سفح جبل حَمى حماها أن يرام ، وشرعت في أصل نهر يشفي الهيم من الهيام ، فاق منظره ، وراق مخبره ، ولكن الزمن قد عوضه من حلْي عطلا .

ثم وصل إلى الجزائر وهي مدينة تستوقف بحسنها نظر الناظر، ويقف على جمالها خاطر الخاطر، وقد حازت مزيتيْ البر والبحر، وفضيلتيْ السهل والوعر. لها منظر عجيب أنيق، وسور معجز وثيق، وأبواب محكمة العمل، يسرح الطرف فيها حتى يمل ، ولكنها قد أقفرت من المعنى المطلوب ، فلم يبق بها من هو من أهل العلم محسوب (1) .

ثم وصل إلى مدينة بجاية ، مبدأ الاتقان والنهاية ، وهي عجيبة الاتقان ، رفيعة المباني في سفح جبل وعر ، مقطوعة بنهر وبحر ، مشرفة عليهما إشراف الطليعة ، متحصنة بهما منيعة ، فلا مطمع فيها لمحارب ، ولا متسع بها لطاعن وضارب ، ولها جامع عجيب ، منفرد في حسنه غريب ، وهذه بقعة من قواعد الاسلام، ومحل حله من العلماء أعلام ، وفيها آحاد من طلبة العلم قد اقتصروا على مطالعة الصحف والدفاتر ، وسلكوا في ترك تصحيح الرواية طريقاً لم يرضه الأعلام الأكابر ، ولم أر بها من أهل الشيمة الفضلى ، والطريقة المثلى ، أمثل من الشيخ الفقيه الخطيب الصالح المسند الرواية محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي ، وهو شيخ على سنن أهل الدين ، سالك سبيل المهتدين ، مقبل على ما يعنيه، دأبه الاقتصار على تجويد الكتاب، لقي من الشيوخ أعلاماً ، وله مع علو الرواية ، حظ وافر من الدراية ، وأقام المؤلف ببجاية يومين قرأ عليه فيهما بعض كتاب (الموطأ) برواية يحيى بن يحيى ، وناوله سائره وبعض كتابي (التيسير) و (المقنع) لأبي عمرو الداني وناوله إياهما ، و (حرز الأماني) للشاطبي ، وحدثه بها عن محمد ابن وضاح اللخمي سماعاً على ناظمها المتوفى في عقب جمادى الأخيرة عام 590 ، وبعض كتاب (الشمائل) ، وبعض (رياضة المتعلمين) للحافظ أبي نعيم ، وناله

---

1) **الرحلة المغربية** ص 26 .

سائرهما ، وناله (المفردات) لابـي عمرو ، وكتاب (فضل قيام الليـل) ، وكتاب (فضل تلاوة القرآن) للآجري ، وأجازه إجازة عامة ، وكتب له ذلك بخط يده ، وله برنامج قرأه عليه في لقائه المرة الثانية حين قفوله ، وولـد عام 614 في 29 ذي قعدة ، ورأيت في الطرة وفاته عن درة الحجال سنة 699 هـ، وقرأ عليه حديث كميل بن زياد عن علي بن أبي طالب من (رياضة المتعلمين) عن الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد السراج سماعاً عليه بقراءة أبـي عبد الله القضاعي عن أبي القاسم ابن بشكوال بسنده وأنشده من حفظه :

أرى العمر يفنى والرجاء طويـل ... وليس إلى قرب الحبيب سبيـل
حباه إلاه الخلق أحسن سيـرة ... فما الصبر عن ذاك الجمال جميـل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابـه ... ويبهج دهر بالمزار بخيـل
دللت عليه في أوائل أسطـر ... فذاك نبيٌّ مصطفى ورسـول

قال وأنشدني كذلك أيضاً ، يعني للشيخ الخطيب عبد الله بن عبـد الرحمان بن عبد الله هو ابن برطله لنفسه :

دنياك مهما اعتبرت فيهـا ... كجيفة عرضة انتهـاب
إن شئتها فاحتمل أذاهـا ... واصبر على خلطة الكـلاب

ورأيت فـي الطرة نسب ابن القاضي هذين البيتين للعبدري مؤلـف الرحلة وهو غلط منه فلا تغتر بما ذكره في (درة الحجال) في ترجمة محمد بن صالح الكناني المعرف به هنا (1) .

وضبط المؤلف بُرطُله بضم الباء والطاء وضم اللام وهاء ساكنة ، من أهل مرسية ، وولي القضاء بمواضع من عمل تونس وبها استقر إلـى أن أماته الله تعالى بها عام 661 ، وقرأ المؤلف عليه ، أي على الكناني المذكور ، قصيدة محمد بن أبي الخصال التي سماها (معارج المناقب) ، وناوله إياها عن ابن السراج قراءة عن ابن بشكـوال وابن غالب الشراط سماعاً عليهمـا بقراءة خاله محمد ابن خير عن ناظمها المذكور وأولها :

---

1) **الرحلة المغربية** ص 30 طبع الرباط .

إليك فهمي والفؤاد بيثــــــــرب   وإن عاقني عن مطلع الوحي مغرب

ثم وصل إلى بني ورا ، ثم إلى ميلة ، وكلتاهما على شكـل مدينة ، ليست بثمينة ولا متينة ، عمل البلا فيهما وفـي السكان ، وفي كليهما عـين تسح ، وبنو وراء أعمر المحلين ، وعين ميلة في داخل البلد ، وقد طويت طيا بديع الاحكام .

ثــم وصل إلى البلد الــذي نشفت الخطوب معينه ، وأبت الأقـدار أن تكون له معينة ، بلد الوضع العجيب ، والموضع الخصيب ، مدينة قسنطينة، مدينة عجيبة حصينة ، وبها للأوائل آثار عجيبة ، ومبان متقنة الوضع غريبة، وأكثرها من حجر منحوت ، يعجز الوصف عن إتقانه ويفوت ، وقد دار بها وادٍ شديد الوعر ، بعيد القعر ، ولكن سهام الدهر لا تقيها الجنن ، ولا تمنع منهـا الفتن، ولم أر بها مَن ينتمي إلى طلب سوى الشيخ حسن بن بلقاسم بن بادس، وهو شيخ من أهل العلم يذكر فقهاً ومسائل ، ولست له بالرواية عناية ، ولم يرو إلا (الموطأ) وحده بقراءته على الشيخ يوسف بن موسى الغماري الحساني حين خطر على قسنطينة راجعاً من المشرق ، فأقام عندهم مدة لتوالى الأمطار، فقرأه عليه وهو إذ ذاك كبير ، وفارقه وهو عنده مجهول ، وما عرف من هـو حتى عرّفته به حين رأيت خطه الذي كتب له على (الموطأ) ، وقد قرأت عليه صدراً منه ، وحدثني به عنه وسمعته يقول : سمعت الشيخ الصالـح الحاج المسن حسن الحلفاوي يقول: عمرت خمساً وثمانين سنة ما تمّ لي بها سرور قط إلا ثلاثة أيام ، يوم دخولي مكة ، ويوم وقوفي بعرفـة ، ويوم دخولي مدينـة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وسألته ، يعني حسن بن بلقاسم ابن بادس ، عن الأديب حسن بن علي بن محمد القسنطيني المعروف بابن الفكّون، فذكر لي أنه أدركه وهو طفل صغير ولم يحفظ له مولداً ولا وفاة، ورمت أن أجد مَن أروي عنه قصيدته المشهورة من قسنطينة إلى مراكش فلم أجده ، فقيدتها هناك غير مروية ، وكان القسنطيني كتب بها إلى أبي البدر ابن مردنيش وهو بقسنطينة ، وهي هذه :

ألا قل للسري بن الســـــــري   أبي البدر الجواد الأريحـــــي

ثم أوردها كلها وهي 31 ، ثم تعقب بعض ألفاظها قائلا : قلت قال أهل اللغة : الغنج والغَنَـج الدل وحسن الشكل ، فقوله لقد رمت العيون سهام غنج غير ملائم ، وقائله لا يسلم من لائم ، ولا يحسن في الأدب خطاب ذوي الرتب بمثل قوله « فحسبك نار قلبي من سعير » ، ثم قال : وقوله « بوسنان المحاجر لوذعي » موضوع في غير موضعه ، فان الوسن إنما يوصف به الجفن والعيـن والطرف وما جرى مجراه ، وأما المحاجر فما أحد وصفها بالوسن فيما أعلم ، وترتيب اللوذعي مع وصف المحاجر كترتيب الدل مع الشنب ، والتحاكم في ذلك إلى كثير ، وقوله : « معنوي بعد منخنث المعاطف » أبعد من هذا ، ولقد استربت به حتـى ظننت أنه مصحَّف ، ولا أبـرأ فيه من تصحيف ، وذكـر الانخناث في المعاطف ليس بدون هذا في القبح ، فان اللفظ وإن كان له أصل في اللغة في اللين والتثني فقد رفعه كثير الاستعمال في وجه آخر ، وإنمـا جـرت عادة الشعراء فـي وصف المعاطف بذكر التثنـي واللين والانعطـاف بالانخناث ، وقوله : « رشا رباطي » لفظ مختل جاف ما جلبه إلا التجنيس ، وإذا وجـد الرشا والرباط فما بقـي إلا الضرب ، وأي رقة مع هـذه الالفاظ الجافية ، ولو قال : « رشا ارتباطي » لكان أقرب مع بعده ، لأنـه أراد التماسك والتثبت، فالارتباط به أليق، وقوله : « مغاربهن في قلب الشجي » خارج عن اعتدال الكلام ، فانه أراد بما ذكر من غروبهن في القلوب اشتمالها على حبهن ، وليس اذا غرب حبهن فقد غربن فيها ، ولا يحسن أن يقال مطلعهن قطر فاس ومغربهن قلب الشجي، وإنما يحسن أن يذكر في غروبهن ما يغيبهن عن النواظر كالحدق ونحوها ، وبذلك جرت عادة الشعراء ، فهذا الرجل لم يخالف مبدعاً ، ولم يوالف متبعاً ، وقوله : « بدور بل شموس بل صباح » نزول مفرط ، وعكس للرتبة ، فان الشمس أشهر من الصباح وأنور ، والانتقال من التشبيه بالأعلى إلى الأدنى أشبه بالذم منه بالمدح ، ولاسيما مع الاضراب ، وقوله : « بهي في بهي » غير منطبق مع صدر البيت ولا ملائم له ، ولو قال بدور في خدور فـي قصور لجاء عليه عجز البيت أليق من العقد بجيد الحسناء ، وأوفق من الجود للروضة الغناء ، وقوله : « إذا انسوني الولدان حسناً » ضعيف ساقط ، لأن التشبيه والتمثيل يجب أن يكونا في كل صنعة بما تعارفه أهلها ، واشتهـر

عندهم هذا على التقييد في الولدان ، فكيف واللفظ مبهم مطلق يدخل تحته كل ما يسمى ولداً ، وقوله : « فهذا بالغدوِّ يهيم غربا » كلام غير محصل ، فإن الجسم العري من القلب لا يهيم ، وإنما يهيم القلب ، وليست الباء هنا ظرفية بمعنى في لان الهيمان لا يتخير الأوقات ، وما أضعف حباً لا يهيم إلا مرة في اليوم . وإنما هي للالصاق ، أي هذا يشتاق في وقت الغروب إلى الغدو ، وذلك في وقت الشروق إلى العشي ، وهو معنى حسن لو ساعده اللفظ (1) .

ثم وصلنا إلى مدينة بونة فوجدناها بطوارق الغير مغبونة ، مبسوطة البسيط، لكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة، تلاحظ من كثب فحوصاً ممتدة، وتراعى من البحر جزره ومده ، وقد أزعج السفر عن حلولها ، فلم أقض وطراً من دخولها .

ثم مر على قرية خولان وفناؤها رحب المسرح ، وبسيطها أبسط من غيره وأشرح .

ثم وصلوا إلى مدينة باجة التي هتكتها الأيدي العادية ، وفتكت فيها الخطوب المتمادية ، حتى صارت وهي حاضرة بادية ، وما رأيت بها من له إلى العلم انتماء سوى الأديب النحوي حسين بن محمد الطبلي ، بالطاء والباء الساكنة ، له مقول منقاد ، وذهن مشتعل وقاد ، وهمته على علم العربية مقصورة ، جمع أكثر مؤلفاتها ، قرأ عليه المؤلف بعض كتاب (المقرب) في النحو ، وحدثه بجميعه قراءة على مؤلفه علي ابن عصفور المتولد سنة 597 المتوفي بتونس سنة 669 ، وحدثه عنه بكتابه الكبير في (شرح الجمل) ، وحدث المؤلف به وبغيره المؤلف عبد الرحمان الدباغ صاحب (معالم الايمان) (2) .

ثم وصل إلى مدينة تونس محط الرحال من الغرب والشرق ، ملتقى الركاب والفلك ، أرجاؤها روضة باكرتها ريح بليل ، إن وردت مواردها

1) **الرحلة المغربية** ص 37 .

2) **الرحلة المغربية** ص 38 طبع الرباط .

نقعت غليلا ، لا تنشد بها ضالة من العلم إلا وجدت ، وأهلها بين عالم كالعلم ، رافع بين أهله للعلم ، فاقت بحسن معانيها واتقان مغانيها غيرها من المدن وطالت ، وهي في غاية الاتساع ونهاية الاتقان ، والرخام بها كثير ، وأكثر أبواب ديارها معمول به عضائد وعتباً ، وجل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل ، ولها أبواب عديدة ، وعند كل باب ربض متسع على قدر البلد المستقل ، ولو اتفق أن يكون بها ماء جار لكانت معدومة النظير شرقاً وغرباً ، ولكن ماؤهـا قليل ، وفي ديارها مصانع لماء المطر ، وهو المستعمل عندهم ، وأما الساقية المجلوبة من ناحية زغوان فقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه ، إلا رشحاً يسيراً يسرب إلى سقاية جامع الزيتونة ، يترشف منها فى أنانيب من رصاص، ويستقى منه الغرباء ، ومن ليس في داره ماء ، ويكثر عليها الازدحام ، وهذا الجامع من أحسن الجوامع ، والساقية المذكورة من جملة غرائب الدنيا مـن عمل الروم ، مجلوبة على مسيرة يومين ، ثم دارت من وراء تونس إلى الغرب، وانتهت إلى مدينة قرطاجنة ، وبينها وبيـن تونس اثنا عشر ميلا ، وما زالت مدينة تونس ، كلأها الله ، دار ملك وضخامة ، وهي إلى الآن دار مملكة افريقية أربت على البلاد في كل فضيلة ، وما رأيت لأهلها نظيراً شرقاً وغرباً ، شيماً فاضلة وخللا حميدة ومعاشرة جميلة ، وناهيك ببلد لا يتوحش به غريب ، ولا يعدم فيه كل فاضل أريب ، يبدأون من طرأ عليهم بالمداخلة ، ويخطبون منه لفضل طباعهم المواصلة ، ولولا أني دخلتها لحكمت بأن العلم في أفق المغرب قد مُحي رسمه ، وما من فن من الفنون إلا وجدت بتونس به قائماً ، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر ، ولم يلق المؤلف جميعهم ، وإنما لقي منهم أفراداً منهم الشيخ الفقيه الفاضل المسند المسن عبد الله بن محمد ابن هارون القرطبي ، صحب أبا القاسم ابن الطيلسان وأخذ عنه كثيراً ، وأخذ عن جماعة من أهل الأندلس به وبالعدوة ، وقد جمع أسماءهم فى برنامج قرأته عليه حين لقيته ثانية ، وناولني سائره ، قرأت عليه بعض كتاب (التيسير) لابي عمرو، وناولني سائره، وسمعت عليه دولا(1)من (صحيح مسلم)، وقد سمع جميعه على أبي القاسم ابن بقي ، وناولني فهرسته وفهرستيْ جده أبى جعفر وابن بقي

1) الدول جمع دولة : الدرس أو مجلسه الرتيب فى الاصطلاح العلمى المغربى القديم .

تخريج ابن السيلطان ، وحدثني بهما وبما تضمنتاه عنهما ، وأجاز للمؤلف ولولده محمد عامة ، ومنهم الشيخ الأستاذ النحوي الأديب الفاضل المحدث الراوية أحمد بن يوسف الفهري اللبلي له برنامج قرأ عليه أول (الموطأ) وجميع كتاب (الجامع) إلى آخره،وبعض (حرز الأماني)،ومجالس من كتاب (التيسير) للمقرىء ، ومن كتاب (الشمائل) ، وناوله ذلك وأجازه عامة بخط يده وبكل ما له ، وسمع عليه أرجوزته المسماة بـ (العقيدة) ، ومنهم الفقيه الأديب الفاضل ذو العناية والتهمم صاحبنا وولينا في الله محمد بن عبد المعطى بن محمد النفزي شهر بابن هريرة ، له عناية بالتاريخ ، وحظ من الادب، ومشاركة في غير فن ، أفادنا وأفدناه ، وناولني كتابه الذي جمعه في وفيات المشاهير من أهل كل فن وموالدهم ونتف من أخبارهم ، وأسمعني مواضع منه ، وأجازني سائره ، وهو كتاب مفيد إلا أنه لم يرتب كما ينبغي ، وقرأ عليه قصيدة الشيخ يحيى بن علي الشقراطيسي ، وشقراطيس قصر من قصور قفصة ، توفي الشقراطيسي سنة 466 في 8 ربيع الأول ، ثم أوردها كلها ، ثم بالغ في مدحها ، واعتنى الناس بها شرحاً وتخميساً ، فخمسها وشرحها أبو عبد الله المصري ، والقاضي أبو عمرو بن عريها (1) من المشاهير بافريقية ، والفقيه أبو بكر ابن حبيش ثلاث مرات ، وقرأ المؤلف على ابن هريرة تخميس أبي عبد الله المصري للمنفرجة ، ثم أورده وأوله :

يامن يشكو ألم الحرج ... ويرى عسراً قرب الفرج
أبشر بشذا فرج أرج ... اشتدي أزمة تنفرجي
قد ءاذن ليلك بالبلج

وقرأ عليه بعض كتاب (المذهبة) في الحلى والشيات ، ثم قرأ عليه جميعها في المرة الثانية بسنده إلى ناظمها الشيخ الفقيه القاضي محمد بن عيسى بن أصبغ ابن المناصف رحمه الله (2) .

---

1) قال العبدرى : وقيده صاحبنا أبو عبد الله عريهة بالتاء (الرحلة المغربية ص 50) .

2) **الرحلة المغربية** ص 60 طبع الرباط .

ثـم ذكر المباحثـة مع نجباء تـونس ، فمنها السؤال عـن السبب في فرار الشيطان مـن الأذان دون الصلاة ، وأجـاب المؤلف بأنه يمكن أن يقال إن من طاعة الله بالجملـة محاربة للشيطان وجهاداً له ، والعدو إنما يفر عند كشف الغطا ، وبلوغ الغاية في المجاهرة بالعداوة ، وليس في العبادات أبلـغ في هذا المعنى من الأذان ، وذكر أنه عرضه علـى الشيخ الصالح عبد الله ابن عبد السيد بمدينة طرابلس فاستحسنه ، ومـن ذلـك أن سائلا سأله عن قولـه تعالى « أن تضلَّ إحداهما فتذكـر إحداهما الأخرى » فأجاب المؤلف ، بأن إعادة لفظ إحداهما لتعادل الكلم وتوازن الالفاظ وتماثل أقسام الكـلام فيما اشتملت عليه مـن المفردات ، وهو المعنى فـي الترصيع ، ولكن هذا أبلغ وأبدع ، وبيانه انها متضمنة لقسمين ، قسم الضلال، وقسم التذكير ، فأسند الفعل الثاني إلى ظاهر حسب إسناد الأول ، ولم يوصل بضمير مفعوله لكونه لازماً ، فأتى بالثاني على صورته من التجرد عن المفعول، ثم أتى به آخراً بعد اعتدال الكلام وحصول التماثل في تركيبه ، ولو قيل إن المفعول حذف حذفاً لكان أبلغ في المعنى المذكور ، وتكون الأخرى بدلا ونعتا على جهة البيان ، كأنه قال : إن كان ضلال من إحداهما كان تذكر من الأخرى ، وقدم على الأخرى لفظ إحداهما ليسند الفعل الثاني إلى ما أسند إليه الأول لفظاً ومعنى والله أعلم ، وعرض للمؤلف سؤال في قوله تعالى « فان لم يكونا رجلين » وهو أن الضمير في يكونا للرجلين ، لأن الشهيدين قيدا بأنهما مـن الرجال ، والذي يظهر لي من الجواب فى هذا أن شهيدين لما صح أن يطلق على المرأتين بمعنى شخصين شهيدين ، قيده تعالى بقوله : « من رجالكم » ، ثم أعاد الضمير في قوله : « فان لم يكونا » على الشهيدين المطلقين ، وكان عوده عليهما أبلغ ليكون نفي الصفة عنهما كما كان إثباتها لهما ، فيكون الشـرط موجباً ومنفياً عن الشهيدين المطلقين لأن قوله : « من رجالكم » كالشرط ، كأنه قال : « إن كان رجلين » وفـي النظم على هذا الأسلوب مـن الارتبـاط وتعانق الكلام وجريه على نمط واحد ما لا خفاء به ، والذي يظهر لي أيضاً من الجواب في قوله تعالى « فان كانتا اثنتين » هو أن الضمير هنا وضع موضـع الظاهر اختصاراً لبيان المعنى ، بدليل أنه لم يتقدمه ما يعود عليه لفظاً ، فكأنه

قال : فان كان الوارث اثنتين ، ثم وضع ضمير الاثنين موضع الوارث الذى هو جنس لما كان المراد به اثنين ، وهذا لعمر الله مما لا ينال إلا بالتأييد الالاهي ، والعصمة الربانية (1) .

ثم وصلنا الى مدينة القيروان ، فدخلتها مجداً غير وان ، فلم أر إلا رسوما محتها يد الزمان ، والاحياء من أهلها جفاة الطباع ، ما لهم في لغة الحضارة باع ، ولا في معنى من معنى الانسانية انطباع ، وكسدت سوق المعارف بينهم، وليس لها بر ولا بحر ، وضعت في سبخة قرعا ، لا ماء بها ولا مرعى ، وما كان حالها في القديم ، إلا آية من ءايات هذا الدين القويم ، وهو فى غابر الأزمان بلد يناظر به إقليم ، ومتى ذكر علماؤه فليس إلا التسليم ، ولم أر في القيروان ما يؤرخ سوى جامعها ومقبرتها ، ودخل المؤلف بيت الكتب بالجامع ، وأخرجت له مصاحف كثيرة ، منها ما كتب كلــه بالذهب ، وفيها كتب محبسة قديمــة التاريخ من عهد سحنون وقبله ، منها (الموطأ) رواية ابن القاسم وغيــره ، قال : ورأيت فيها مصحفاً كاملا مضموماً بين لوحين مجلدين غير منقوط ولا مشكول ، وخطه مشرقي بيّن جداً مليح ، وطوله شبران ونصف فــي عرض شبر ونصف ، وذكروا أنه الذي بعثه عثمان رضي الله عنه إلى المغرب ، وأنه بخط عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله أعلم ، وزار قبر الشيخ أبي محمد بن أبي زيد داخل البلد .

ولم يجد مَن يعتبر من أهل العلم سوى الشيخ المحدث الراوية المتفنن عبد الرحمان بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي من ولد أسيد بن حضير رضي الله عنه،ويعرف بالدباغ، ولد سنة 605، أوحد وقته رواية ودراية على سنن المشايخ من أهل الفضل والعلم،نيف شيوخه على الثمانين،وله برنامج قرأ عليه بعضه وأجازه عامة مع ولده محمد بخط يده،ما طلب منه المؤلف جزءاً لينقل منه إلا وهبه له ، وأعطاه أكثر من عشرة أجزاء من فوائده وفوائد شيوخه وفهارسهم ، وله مجموعات وتواليف ونظم جيد كثير ، ومشاركة فى العلوم نقليها وعقليها ، وألف كتاباً حسناً مفيداً في طبقات من دخل القيروان من الفضلاء منذ دخلها

1) **الرحلة المغربية** ص 63 طبع الرباط .

الاسلام ، وهو كبير في مجلدين ، وسماه (معالم الايمان ، وروضات الرضوان، في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان) قال : وسألته لمَ لمْ يذكر فيه أبا الحسن اللخمي ، فقال لي : لم يثبت عندي أنه دخل القيروان ، وسألته عن تاريخ رفاته فقال لي : توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمئة ، وذكر لي أنه قرأ ذلك في حجر عند رأسه بمدينة صفاقس ، وخرج أحاديث مالك الثنائية وبعض أحاديثه التساعية من تأليفه وانتقائه، وناوله صحيحي البخاري ومسلم في أصله منهما ، وقرأ عليه بعض تخريجيه المذكورين ، وناوله أجزاء من حديثه وحديث شيوخه ، وناوله الأحاديث الأربعين في عموم رحمة الله لسائر المومنين من تأليفه ، وحدثه بحديث الرحمة الاولية بشرطه وبحديث عبد الله بن مسعود في التشهد مسلسلا بأخذ اليد إليه ، وبالحديث المسلسل بأخذ اليد من أخذ بيد مكروب أخذ الله بيده ، وكلها مسلسلات أبي الحسن المقدسي ، لحق روايته بها عن أبي عمرو ابن شقر عن مؤلفها،وحدثه بالانشاد الذي كل واحد من شيوخه يقول فيه ، كتب لي بخطه إلى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى بطلبيرة لنفسه « رأيت الانقباض أجل شيء » الأبيات الثلاثة ، وأنشده عن ابن شقر عن المقدسي عن السلفي عن التبريزي عن الفالي « تصدر للتدريس كل مهوس » الأبيات الثلاثة ، وأنشده عن بعض أصحاب أبي عمرو المعروف بابن الجميل عنه قال : ولا أدري هل هو له أو تمثل « إلا أن هذا الدهر يوم وليلة » البيتين الـخ (1) .

قال المؤلف : وقد نظمت بالقيروان قصيدة بعثت بها إلى ولدي محمد وفقه الله ، وقد استحسنها شيخنا زين الدين ابن المنير ، وكتب عليها سماعها مني شيخنا أبو الحسن القرافي مطلعها :

أصخ سمعا أوصك يابنـــــي وصية والد بر حفـــــي

وخاتمتهـا :

ومن ذي العرش أسأل أن يوالـــي لكم صونَ الغدو مع العشـــي (1)

---

1) **الرحلة المغربية** ص 72 طبع الرباط .

1) **الرحلة المغربية** ص 74 .

ثم وصل إلى مدينة قابس ، ذات المخبر الخبيث والمحيا العابس ، هواء وخيم ، ولؤم طبع وخيم ، وتضييع المصليات والمساجد ، وقلـة اعتناء بكل راكع وساجد ، مغانيهم إلى النجوم عالية ، ومعانيهم أسفل هاوية ، إلى عفونات تخبو لقربها المصابيح ، تنساب حواليها أنهار ، تشتعل بها في حشي الظمآن نار ، ودارت عليه غابة ونخيل ، قد طلمست ثمرتها بكف كل بخيل ، وأما العلم عندهم فقد ركدت ريحه ، نعم بهاء آحاد الفضلاء الصلحاء ، كالشعرة البيضاء في اللمة السوداء .

ثم وصل إلى قرية زوارة وزواغــة ، ذوي الأنفس الخبيثــة والقلوب الرواغة ، معتقدات شنيعــة ، وأعمال كسراب بقيعــة ، يرعون الخنازيــر ، ويبيعونها إلى النصارى بأبخس الثمن .

ثم إلى قرية زنزور ، ولم أختبرها فلا أحدث عنها بزور ، إلا أن منظرها معجب مونق ، وشجرها مخصب مورق .

ثم إلى مدينة طرابلس ، وهي للجهل مأتم وما للعلم بها عرس ، أقفرت ظاهرا وباطنا ، وذمها الخبير بها سائــراً وقاطنا ، اكتنفها البحر والقفــر ، واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر ، النفاق والكفر ، لا ترى بهــا شجراً ولا تمراً ، ولا تخوض في أرجائها حوضاً ولا نهراً ، أفقر من جوف حمار ، وأهلها سواسية كأسنان الحمار ، فسبحان مَن جعلهم وأهل تونس طرفــي نقيض ، أولئك في الأوج وأولاء في الحضيض ، ولم أر بها ما يروق العيون سوى جامعها ومدرستها ، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها ، حضر المؤلــف بها عند القاضي الخطيب عبد الله ابن عبد السيد ، وهو بيت قصيدتهم ، ذو سمت ووقار ، خيِّر في دينه ، شرس الأخلاق ، قال : وما أبعد جميع أحواله من أحوال شيخنا الفقيه القاضي الأوحد الامام قاضي الجماعة بحضرة مراكش كلأها الله محمد بن علي بن يحيىٰ الشريف قدس الله تربته ، وأنَّس في قبره غربته ،فانه كان والله زين الدنيا والدين ، وهو كما قال :

أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر

وتالله إن فقد مثله ليهوّن الرزايا ، وإنه لحقيق بما قال أحمد ابن المعدل في ابن الماجشون ، ما ذكرت أن الأرض تأكل لسان عبد الملك إلا هانت الدنيا في عيني (I) .

قال المؤلف : ولما حضرت تدريسه ، يعني ابن عبد السيد ، مرت اهم في دولة التفسير قوله تعالى « وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير » فسألته : ما الكتاب المنير الذي أراد هنا ؟ فأجاب بأنه جنس ، وهو بمعنى الزبر قبله باجماع من المفسرين ، فقلت له : لم كرر ؟ فقال : للتأكيد ، وجمد على ذلك ، ولا يفهم هنا للتأكيد معنى ، ولو قال كرر لما تضمنه من المدح كما تعطف النعوت بعضها على بعض لكان أشبه ، ولكن تكرير الباء يشعر بالفصل ، ثم مر لهم بعد ذلك قوله تعالى : « وغرابيب سود » وهي من الآيات التي صديت فيها الأذهان الصقيلة ، وذلك أن المنهج في كلامهم تقديم المتبوع على التابع، فيقولون : أبيض ناصع ، وأصفر فاقع ، وأحمر قاني ، وأسود حالك، وغرابيب، ولا يقولون ناصع أبيض لأن التابع له معنى زيادة الوصف ، فلو قدم كان بعده ذكر المتبوع عيا إلا أن يكون لمعنى أوجب تقديمه ، فلما قرعت أسماعهم بهذا سكتوا ولم يحر أحد منهم جوابا ، وكان الشيخ قد ذكر ما قال بعضهم ، وأظنه أبا محمد ابن عطية ، أنه من فصيح الكلام ، فلم أقنع بذلك ، ثم أجاب المؤلف بأن قوله « جاءتهم » يعود فيه الضمير على المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى الذين من قبلهم ، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم داخلا في الرسل المذكورين ، والكتاب المنير القرآن .

وقوله : « ثم أخذت الذين كفروا » معطوف على قوله : « فقد كذب الذين من قبلهم » ، أي كذبوا ثم أخذتهم لقيام الحجة عليهم قبل العطف اعتراضا للتهمم به ، والوجه الآخر أن يكون المعني على حذف مضاف كأنه قال : وبخبر الكتاب المنير ، يعني القرآن ، فيكون مثل قوله : (ومبشراً برسول ياتي من بعدي اسمه أحمد) ، واستحسنه شيخنا زين الدين ابن المنير حين عرضته عليه والحمد لله .

I) **الرحلة المغربية** ص 78 .

وأما الآية الأخرى وهي قوله تعالى : « وغرابيب سود » فحسبك هنا إشكالا أن فحول المفسرين أحجموا عن القول فيه ، والذي ظهر له أن الموجب لتقديم الغرابيب ، هو تناسب الكلم وتماثل نسق الألفاظ لما تقدم ذكر البيض والحمر دون اتباع ، كان الأليق بحسب النظم أن تكون السود كذلك ، ولكنه لما كان في السواد هنا زيادة الوصف ، كان الأليق بالمعنى أن تتبع بما يقتضي ذلك ، وهو الغرابيب ،فتقابل حظ اللفظ وحظ المعنى فوفي الحظان معاً بتقديم الغرابيب على السود ، فوفي لفظ الغرابيب حظ المعنى في زيادة الوصف ، ووفي ذكر السود مفرداً على الاتباع حظ اللفظ إذ جاء مجرداً على صورة البيض والحمر ، فاتسقت الألفاظ كما ينبغي ، وتم المعنى كما يجب ، وهذا لعمر الله من العجائب التي تكل دونها العقول ، ويعيى فيها اللسِن ، فلا يدري ما يقول ، وهذا وما أشبهه انما أثبته تنبيها على ضعف العلم في هذا الزمان .

ولم أر بطرابلس أثر عناية سوى ما تقدم ذكره إلا بقبة بباب البحر من بناء الأوائل ، هي غاية الاتقان ونهاية الأحكام ، مبنية من صخور منحوتة في نهاية العظم ، منقوشة بأحسن النقش ، موصوفة بأعجب الوصف ، ولا بلاط بين الصخر من طين ولا غيره ، وعلى القبة قبة أخرى عالية ، والذي في بلاد أفريقية من عجائب البناء وآثار الاعتناء أمر يضيق عنه الوصف ، منها قصر الجم ، ومنها قصر يعرف بالمنارة غربي القيروان على مرحلة منه ، مبني من صخور منحوتة موضوع على الاستدارة كأنه مخروط من عود ، وهو من فرط إتقانه كأنه حجر واحد ، ثم تكلم على حكم السفر بهذه البلاد لقضاء فريضة الله تعالى على العباد (1) .

ثم مررنا على بلد مصراتة وهو بلد لم يحو إلا جفاته ، وشأنه أحقر من أن يعمل فيه الواصف مقوله وأداته ، على أنه ذو قرى ظاهرة ، ومناظر عند ظهورها باهرة .

مساكن غصت بسكانها	ولكن تراهن كالغامر
يظن بها الحسن ذو غرة	وما حسن دار بلا عامر

1) **الرحلة المغربية** ص 84 طبع الرباط .

ثم قال : وبعد طول التعني بهذا المهمه المرت ، لاحت لنا في البيداء قصيرات سرت :

لي اسم ولكن لا مسمـــــــى وراءه	فلا تغترر إن كنت ذا فطنة باســـم
فكم طار في الآفاق صيت مشهــر	لمن ما له في صالح الفعل من قسم

وذكر البكري في مسالكه ، أن ســرت مدينة كبيرة على ساحل البحر لها نخل وبساتين ، وذكر نحو ذلك في أجدابية وبينها عشرون مرحلة ، ولا وجود لشيء مما ذكر إلا أن يكون مما غبر ودثر ، وأظنه سمع وجود التمر فيها فظن أن بها نخلا ، والتمر إليها مجلوب من بلاد أوجلة ، وهو جل عيشهم بها ، ومما أنشده البكري في سرت :

ياسرت لا سُرَّت بك الأنفـــــس	لسان مدحي فيكم أخـــــــــرس
ألبستم القبح فلا منظـــــــر	يروق منكم لا ولا ملمــــــــــس
بخستم في كل أكرومـــــــة	وفي فعال القبح لم تبسخـــــوا

ثم قال : ثم وصلنا إلى القفر القواء أرض برقة ، فوجدنا برية هي أم البراري ، ولو أنشدت لقالت :

أنا الغول غالت من يطوف فناءهـــا	وتخدع بالألطاف طوراً وبالبـــر
فان أكلوا بري شربت نفوسهـــم	فكم بين نفس المرء في الغدر والبر

سكنها الأعراب من كل فظ غليظ، والشأن عندهم في التبايع المعاوضة بالمبيعات ، لا يدري فيها دينار ولا درهم ، وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم ، وعرب الحجاز أيضاً فصحاء ، ولكن عرب برقة لم يكثرْ ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره ، وهم إلى الآن على عربيتهم ، لم يفسد مــن كلامهم إلا القليل ، ولا يُخلو ن بالاعراب إلا بمــا لا قدر له بالاضافة إلى مــا يعربــون .

ثم وصلوا إلــى ثغر الاسكندرية مدينــة الحصانة والوثاقة ، وبــلاد الاشراق اللامع والطلاقة ، لم تبد عليها للزمان ضراعة ، ولا وقفت له موقف

ذل يوما ولا ساعة ، مدينة فسيحة البنيان ، صحيحة الأركان ، كلها عجب ، قد ستر حسنها حسن غيرها ، وسلب من ذكر اتقان أبوابها ومصارعها ، وعمود السواري وغير ذلك ، ثم ذكر أخذ أهلها المكس من الحجاج ، وتفتيشهم على ذلك نساء ورجالا ، ثم نقل ذلك عن ابن جبير ومدحه لصلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتذكيره بالله في حقوق المسلمين ، وأورد تلك القصيدة التي مطلعها :

أطلت على أفقك الزاهـــــــر سعود من الفلك الدائـــــــر

الخ (1) ثم أورد قصيدة ابن جبير أيضا في ترائيه مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي مطلعها :

أقول وآنست بالليل نـــــــاراً لعل سراج الهدى قد أنـــــــار

الخ ، أنشدها عن أبي عبد الله نور الدين بن منصور بن جباسة الأسكندري عن أبي العباس أحمـــد السبتي الحميدي بثغـــر الأسكندرية عن ناظمهـــا المذكور ، ثم قال : وقد رأيت بها أفراداً من أهل الفضل علما ودينا ، ووددت لو منحت في ذكر فضلهم قلباً حافظاً ولسانا مبيناً الخ ، فمنهم من طلبه في كتم اسمه ، وهو مما يستسقى المطر بذكره ، ومنهم القاضي الأعدل شرف الفقهاء والمفتين، ورأس الكتاب والناظمين ، وحيد العلماء وفخر المصنفين ، أبو الحسن علي زين الدين ابن المنير الأسكندري ، بحر علم تفيض أمواجه ، وغيث سمـــاح لا يغيض لجاجه ، استظهر دواوين من العلم في صغره ، ولم يتغير حفظه بها في زمن كبره ، مع ما خص من طلاقة اللسان ، وحسن اقتدار على التأليف ، قرأ عليه المؤلف بعض شرحه على البخاري الذي استحسنه المحب الطبري لما وقف عليه بمكة ، وأبو إسحاق العراقي بديار مصر ، وصدراً من (الموطأ)، وبعض الجزء الثاني من مختصر ابن الحاجب الفرعي ، وقصيدته النبوية فـــي سفره إلى الحجاز التي أصلح بعضها باشارة المؤلف ومطلعها :

أجب دعوة الرحمان ياصاح تسعدِ وبادر لفرض الحج غير مفنـــــــد

ثم أوردها كلها ، وأنشده بعض شعر أخيه أبي العباس .

---

(1) الرحلة المغربية ص 94 .

ثـم لقي الشيخ الفقيه الراويـة المحدث الشريف علي بـن الشيخ أحمد بن عبد المحسن الحسني الغرافي ، له رواية عالية متسعة ببغداد والعراق ومصر ، وله رحلة إلى الحجاز ، وله فهرسة ، وهو شيخ متفنن في العلـم ، متين الدين ، قرأ عليه المؤلف ثلاثيات البخاري ، وأحاديث ابن زنبور ، وحديث الأولية ، وحديث اللـوح والقلم مسلسلا ويده عـلى كتفي ، وحديث الايمان بالقدر مسلسلا ، وأخذ بلحيته وبغير ذلك ، وأنشده لغيره :

علم الحديث فضيلة تحصيلهـــــا بالسعي والتطواف في الأمصـــار
فاذا أردت حصولها باجـــــازة فقد استعضْت الصفر بالدينـــار

وقرأ عليه بعض كتاب (فتح الوصيد، في شرح القصيد) ، لعلم الدين أبي الحسن السخاوي عنه عن ناظمها الشاطبي ، وذكر قصيدة السخاوي التي أجاز بها آخر ملوك بني العباس ، وقصيدته في المدح النبوي :

قف بالمدينة زائراً ومسلمـــــأ واشكر صنيع الدمع فيها إن همـا

قال المؤلف : قيَّد اسمي ونسبي في برنامج شيوخه ، وقيد عنـي أبياتاً من شعري ، وكتب بخطه جميع القصيدة التي كتبتها إلى ولدي محمـد وفقه الله من القيروان ، وبالغ في أستحسانها ، وسمع مني القصيد الحجازي الذي فلته في طريق الحج .

ثم ذكر أن ممن لقي بها أستاذ العربية في وقته محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الزناتي المعروف بالمازوني وأنشده لنفسه :

ومعتقد أن الرياسة في الكبـــر فأصبح ممقوتاً به وهو لا يـــدري
يجر ذيول العجب طالب رفعـــة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

وأنشده أيضاً لنفسه :

عتبت على الدنيا لتقديم ناقـــص وتأخير ذي فضل،فقالت خذ العذرا
بنو النقص أبنائي ، وكل فضيلـة فأربابها أبناء ضرتيَّ الأخـــرى

وأيـضـاً :

إذا ما الليالي جاورتك بساقــط	وقدرك مرفوع فعنه ترحـــل
ألم تر ما لاقاه في جنب جــاره	كبير أناس في بجاد مزمـــل

وأنشده كثيراً من شعره غيرها ، ولد سنة 606 (1) .

ثم قال: ثم وصلنا إلى (القاهرة) قاعدة الديار المصرية، مدينة كبيرة القطر، وساكنها يحاكي الرمل والقطر ، وهي مع ذلك تصغر عن أن يسطر ذكرها في سطر ، وحسبك شراً أنها جرين لحثالة العباد ، ووعاء لنفاية البلاد ، ومستقر لكل من يسعى في الأرض بالفساد ، استوى الحسد على قلوبهم ، واستوى الغش في جيوبهم ، وبالغ في ذمهم ، قال : وقد رأيت فيهم من قلة الحياء ، وعدم التنزه عن الخناء، ومن قلة التستر عند قضاء الحاجة والأكل ما قضيت منه العجب، وما رأيت بالمغرب الأقصى والأندلس على شكاسة أخلاقهم ، ولا بافريقية وأرض برقة والحجاز والشام فريقا من الناس أرذل أخلاقا وأكثر لؤما وحسدا ومهانة نفوس وأضغن قلوباً وأوسـخ أعراضا وأشد دمامة وخيانـة وقساوة وأجفى للغريب من أهل هذه المدينة المؤسسة على غير التقوى، وحق لمدينة وضع أساسها عبد الزنادقة غلام بني عبيد لعنهم الله أن تجمع أخلاق العبيد ، وأحوال الزندقة الـخ (2) .

وكان وصولنا إلى هذه المدينة في أخريات رمضان ، وكنت نزلـت بالمدرسة الكاملية منها ، وذكر أنه ضاعت له دابة بمصر من كثرة الزحام ، ثم ذمهم باكبابهم على علم المعقول وتشاغلهم عن المنقول، واعتقادهم أن مَن لا يحسن المنطق لا يحسن أن ينطق ، ثم قال : ولم أر بهذه المدينة على كثرة عمارتها أمثل وأقرب الى الانسانية وأجمل معاملة من الشيخ الفقيه المحدث الراويـة المسند المفتي الضابط شرف الدين ذي الكنيتين أبي محمد وأبي أحمد عبد المومن بن خلف أبي الحسن الدمياطي المحدث بالمدرسة الظاهرية ، راوية

1) الرحلة المغربية ص 121 .

2) الرحلة المغربية ص 127 .

جمّاعة مقيد ضابط حافظ ، رحل في طلب العلم ، ولقي من أهله أعداداً ، وجمع وألف وروى حتى صار أوحد وقته ، وله معجم في أسماء شيوخه ومن لقيه وأخذ عنه في أي فن كان ، كبير في أربعة أسفار ، وسمعته يقول : ينيفون على ألف ومئتين وسبعين ، فقال له بعض الحاضرين : وهل كانوا كلهم أيمة ؟ فقال : لو لم أكتب إلا عن العلماء الأيمة ما كتبت عن خمسة ، ونشأته بدمياط مدينة هي قاعدة ريف مصر ، وعندها يصب بحر النيل الرومي ، وغلط في إعجام دالها أبو محمد الرشاطي ، سمع منه حديث الأولية ، وجملة من (سنن الشافعي)، وحديث السؤال عن السن ، وأجاز المؤلف وأولاده الثلاثة بكل ما يحمل وما له من تأليف ، وكني له أحد المحمدين أبا علي ، والآخر أبا بكر ، وقيد خطه بذلك في الاستدعاء ، وهو مليح الخط ، قال : ما رأيت بمصر أملح منه خطاً (1) .

ثم قال : وممن لقيته بها الشيخ الفقيه المحدث الأصولي المتفنن عالم الديار المصرية تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد ، صاحب المدرسة الكاملية ، فهو الآن قطب مصر وعلمها ، لولا وسوسة تصحبه ، وأخلاق يجل عنها منصبه ، وكان في أول أمره مالكياً على رأي أبيه ، ثم انتقل بعد شافعياً ، ومن جملة ما يصحبه من الوسواس ، أنه لا يُمس منه عضو ولا لباس ، بل يقتصر الوارد على الاشارة بالسلام إليه ، أجاز المؤلف عامة وبكل ما له .

قال المؤلف : وفي أول ما رأيته قال لي : كان عندكم بمراكش رجل فاضل ، فقلت له : من هو ؟ فقال : هو أبو الحسن ابن القطان ، وذكر كتابه (الوهم والأيهام) ، وأثنى عليه ، وذكرت له رد ابن المواق عليه ، وأنه تركه في مسودته ، فعاني إخراجه صاحبنا الفقيه الأديب الأوحد أبو عبد الله بن عبد الملك حفظه الله تعالى ، فقال لي : من هذا الرجل ؟ فعرفته به ، وما حضر لي من تحليته ، وما أذكر من تقاييده ، ومن جملتها تذييله على كتاب (الصلة)

---

1) الرحلة المغربية ص 138 .

لابن بشكوال (١) وأنه كتاب متقن مفيد ، فعجب من ذلك وكتب ما أمليته عليه منه ، وذكر من إنشاده قصيدة أبي الحســن المقدسي : (خسر الذي تــرك الصلاة وخابا) الخ ، وأنشد عن ابن دقيق العيد لنفسه :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتـــــى	وقرّب مني في صباي مـــــزاره
لآخذ من عصر الشباب نشاطـــــه	وآخذ من عصر المشيب وقــاره

ثم قال : وأما أرض مصر ونيلها وعجائبها وخصبها واتساعها فأكثر من أن يحصرها كتاب ، أو يحيط بها حساب ، وقد سطر المؤرخون من ذلك ما أغني عن ترداده ، ما تسافر بها إلا في عمارة متصلة ، والطرق في الصحراء غاصة بالخلق ، فكأن المسافر بها لم يزل في مدينة ، قال البكري ، وليس في الأرض نهر يسمى بحراً ويَمّاً غيره ومن غرائب صنــع الله أن مَدّه يبتديء في معمعان الحر وشدته ، في الوقت الذي تغيض فيه الأنهار ، وينتهي فــي الوقت الذي تمد فيه الأنهار ، ويغيض فيحسر الماء من الأرض في مبدإ زمان الحرث الخ . وأما أهرامها وبرابيها فمبان عجيبة في غاية الغرابة ، ثم قــال : وفي مصر من المزارات عدة وافرة ، ومن أعظمها تربــة رأس الحسين ، ثــم قال : وناهيك بمملكة وصلت بين الشــرق والغرب واستولت علــى الحجاز واليمن والشام وديار ربيعة ومضر ومصر وأرض بــرقة وافريقية ، وانتهت إلى سجلماسة وفاس بأقصى المغرب ، ودامت نحو مئتي سنة .

ثم قال : ومن المزارات بربضها الغربي روضة السيدة الشريفة الصالحة ذات الفضائل الطاهرة ، والــكرامات المتظاهرة ، نفيسة بنت علي بن أبــي طالب الخ ، ثم تربة الامام الشافعي الخ ، وفي القرافة وغيرها من أرض مصر من قبور العلماء والصلحاء ما لا يحصره عد ، منها قبر ابــن القاسم وأشهــب وأصبغ ابن الفرج ، وابن عبد الحكم ، وأبي إسحاق ابن شعبان ، والقاضي عبد الوهاب (٢) .

١) يريد كتاب **الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصلة**

٢) **الرحلة المغربية** ص ١٥٢ طبع الرباط

ثم قال : وسافرنا من المدينة المذكورة ، وتركناها غير محمودة ولا مشكورة ، ثم ذكر أن البرية الكبيرة ما بين الحجاز ومصر مسيرة أربعين يوماً ما بها مستعتب إلا في ينبع وبدر ، وذكر في كيفية سير الركب المصري في هذه البرية أنهم يرحلون في نصف الليل أو قبله بيسير ، وربما وصلوا بالثلث الآخر ، والمشاعل ترد الليل نهاراً ، فيسيرون بصبح ويصلون ، ثم يشتد بهم السير حتى ترتفع الشمس فينزلون إلى الظهر ويصلون ، ثم يرحلون ، وربما وصلوا قبل الصلاة ، ثم ينزلون آخر النهار عند الغروب إلى نصف الليل ، هكذا الى مكة وإلى مصر ، وهذا السير على هذه الصورة من أروح ما يكون للمسافر المجد لانقسام السير والراحة بين الليل والنهار ، مع الارواد في المشي والجد فيه ، فصاروا يقطعون بالدوام مع المهل ما لا يقطعه الجاد في يوم تام ، وحصلت الراحة مع ما لابد منه بالنهار من أكل وسقي في المناهل ، ونزول المراحل وغير ذلك ، ولو كان سيرهم بالنهار خاصة لقطعهم عنف السير ، وتعطل عليهم أكثره لتلك الضروريات ، فكثر عناؤهم ولم يقطعوا مسافة ، وهذه البرية مع طولها من أروح المواضع للحاج بسبب الأمن .

ثم قال : وذكر لي بعض من حج قبل هذا العام أنه أحصى في بعض الأعوام ما في الركب من الجمال ، فوجدت ثمانين ألف راحلة .

ثم قال : وأيلة معدودة من كور مصر ، وفيها عدها البكري ، وجعلها القاضي صاعد حد طول مصر حسبما تقدم ، وقد ذكرها القاضي عياض في مشارقه ، وغلط (١) فيها فحكى عن أبي عبيدة أنها مدينة على شاطيء البحر من بلاد الشام ، وهي نصف الطريق من قسطاط مصر إلى مكة ، وذكرها المتيجي صاحب الرسالة في القبلة في رسالته قال : إن منها إلى مكة نصف شهر ، فغلط فيها أيضاً كما رأيت ، وذلك غير مستنكر ، فان من لم يشاهد الشيء يصعب عليه وصفه ، وقلما يسلم فيه من الغلط ، وما زال أهل الاتقان يقعون في مثل هذا ، ألا ترى إلى أبي عبيد البكري مع تحقيقه وفرط

---

١) لا غلط فهي اليوم تجعل معدودة من شرق الأردن الذى هو من الشام ، والنزاع ما زال قائماً كما هو مشهور (مؤلف) .

اعتنائه وقبول تواليفه قد أودع في مسالكه من الغلط في صفة البلدان وتحديدها وترجمتها ما لا غاية وراءه، فمن ذلك قوله في إيلياء مدينة بيت المقدس، إن الجبال محيطة بها ، إنما هي في نشز من الأرض كما ذكر ، وليس بالقرب منها جبل إلا روابي وتلال ، وأظنه سمع بما دار بها من الوعر وما حازها من جهات الأودية المنقطعة فظنها جبالا. ومنه قوله في وصف قصر الجم بافريقية وهو قصر الكاهنة: إن في دوره نحواً من ميل ، وقد طلعته إلى أعلاه وتأملته ، ولو رمى الرامي حجراً لخلفه به(1)، ومن ذلك قوله في سرت: انها مدينة كبيرة على ساحل البحر بها حمام وأسواق ، ولها بساتين ونخل ، وهذا كله لا وجود له ، وإنما هي قُصيْر يعرف بالمدينة ، وهو أول قصور سرت من جهة الشرق ، وبينه وبين البحر مسافة ، وما للنخل بسرت كلها وجود ، وأظنه سمع بأن التمر عندهم كثير فحكم بوجود النخل عندهم ، وغلط في عكس القضية ، والتمر عندهم مجلوب من بلاد أوجلة، ومن ذلك قوله في نفيس بالمغرب الأقصى، أنها مدينة وبينها وبين البحر مسيرة يوم ، وإنما هو اسم نهر كبير عليه قرى كبيرة ، وعمارة متصلة ، وبينه وبين البحر ثلاثة أيام ، ومن ذلك أنه ذكر في طريق تامدولة إلى بلاد السودان جبلا يقال له آزور ، قال : أظنه جبل درن، وجبل درن قد حاز السوس جبلا يقال له آزور ، قال : أظنه جبل درن ، وجبل درن قد حاز السوس الأقصى ، فلس شيء منه وراءه ، وتامدولت من وراء السوس على مسيرة أيام ، ومن ذلك أنه ذكر من بلاد الصحراء بلدة يقال لها تادمكة ، وترجمها فقال معنى تاد الهيأة، أي إنها على هيأة مكة، وليس معنى تاد الهيأة كما ذكر، ولا للهيأة اسم في لسانهم البتة ، إنما معنى تاد هذه ، وهي من أسماء الاشارة عندهم ، يقولون لهذا واد ، ولهاتين ولهؤلاء ويد ، ولهذه تاد ، ولهاتين وهؤلاء تيد ، وليس للمثنى عندهم عبارة سوى عبارة الجمع إلا في ألفاظ العدد ، فمعنى تادمكة هذه مكة ، أي مشبهتها (2) .

وعقبة أيلة المذكورة عقبة كؤود ، مسافتها نحو من خمسة أميال .

1) الرحلة المغربية ص 158 .

2) الرحلة المغربية ص 159 .

ثم قال : وينبع من بلاد الحجاز المعروفة ، وهي بليدة في أصل جبل ، ضعيفة البناء ، قليلة الساكن ، وفيها نخل وماء معين، وصاحب ينبع مستبد بها كاستبداد صاحب مليانة ، إذ لا أحد يرغب فيها ، ولكن ينبع على ما هي عليه، ترتاح لها النفوس ، وينضى لرؤيتها لبوس البوس ، لأنها مصاقبة لدار حلها الحبيـب .

ثم قال بعد ذكر بدر : وهو واد به ماء معين ، ونخل وعمارة ليست بالكثيرة ، وماؤه طيب وبه مسجد مختصر مليح ، ذكروا أنه بني في موضع العريش الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وأكثر سكان بدر ضعفاء رفضة ، وكذلك أكثر أهل المدينة على ساكنها السلام ، وفي غربي مسجدها مقبرة كبيرة فيها قبور شهداء بدر رضي الله عنهم .

ثم قال بعد ذكر الجحفة : ذكر أهل الأخبار أن الجحفة كان اسمها قديماً مهيعة حتى نزلها بنو عبيل إخوة عاد في الزمن الأول حين أخرجتهم العمالقة من يثرب ، فأتى عليهم سيل اجتحفهم ، فسميت الجحفة ، وحكى القاضي عياض في مشارقه أنها سميت الجحفة من سبب سيل الجحاف الذي اجتحف الحجاج عام ثمانين ، ولا أدري كيف ينطلق اللسان بحكاية مثل هذه ، وبعد أن تُحكى كيف لا ينبه عليها ، وذلك أنها كانت تسمى الجحفة قبـل الاسلام وإلى الآن ، وجاء ذكرها في الأحاديث الصحيحة والأخبار الثابتة ، وكان سيل الجحاف في إمارة عبد الملك ابـن مروان ، فكيف سميت به قبـل وجوده ، وأغرب من ذلك أن سيل الجحاف كان بمكة ، واجتحف الحجاج من المحصب وذهب بهم وبأمتعتهم ، وهدم بمكة دوراً كثيرة ، ودخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ، وكان ذلك سحر يوم التروية من عام ثمانين ، فما شأنه والجحفـة حتى سميت به ، هذا مما يكون الاضراب عنه صفحاً أولى (1) .

ثم قال عند ذكر جهات عرفة حتى ذكر المغمس، ما نصه : فقلت له : أي لشيخ بعرفة خبير بها نسأله عن حدود عرفة ومسجدها أين هو ؟ فأشار لي إلى ناحية اليمن وأنت مستقبل القبلة، وقد وهم فيه الأستاذ أبو القاسم السهيلي

---

1) الرحلة المغربية ص 166 طبع الرباط .

رحمه الله فذكر أنه من مكة على ثلثي فرسخ ، وذلك ما لا يصح ، وليس المغمس من الحرم ولا وصل أصحاب الفيل إلى الحرم، بل المروي خلاف ذلك ، وهو أنهم لما نزلوا بالمغمس برك الفيل ، فكانوا إذا وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح ، وإن صح الحديث الذي ذكره السهيلي وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد قضاء الحاجة وهو بمكة خرج إلى المغمس على ثلثي فرسخ فمعناه أنه يخرج إلى ناحية المغمس ، لا أنه يصل إليه ، ولعل التقييد بثلثي فرسخ إنما كان لمسافة المذهب لا لمسافة المغمس ، ولا يصح غير هذا والله أعلم ، اللهم إلا أن يكون بالحرم موضع يقال له المغمس غير الذي انتهى إليه أبرهة ومات به أبو رغال ، وما أظن ذلك كائناً والله الموفق (1) .

ثم قال : وفي يوم التروية دخلت إلى البلد الأمين مقر المجد العميم والشرف المكين ، فَخَرْ بقاع الأرض كلها على ممر السنين .

ثم قال : إن مكة شرفها الله من عظيم آيات الله في الأرض الدالة على عظيم قدرته ، فانها بلد يسبي عقول الخلق ، ويستولي على قلوبهم، ويتملك رقها من غير سبب ظاهر، فالنفوس إليه نزاعة من كل أرض، ولا يدخله أحد إلا أخذ بمجامع قلبه، مع عدم الدواعي إلى ذلك، ولا يفارقه إلا وله إليه حنين، ولو أقام به على الضنك سنين، لا يمل سكناه، ولا تضيق النفس بلزوم مغناه، على أنه بواد كما قال الله عز وجلّ غير ذي زرع ، وأرضه جدبة كلها حجر لا ماء بها ولا شجر ، وفي أصحابها بعض جفاء وقلة ارتباط للشرع ، وهم في الغالب يؤذون الحجاج ويحيفون على المجاورين بها ، وقلّ ما ترى منهم من يتبرم من سكناها على ما خيلت ولا ما يسر بالانفصال عنها ، وما فارقها أحد إلا وفيه نية الرجوع إليها، وهذا أمر أطبق عليه السالف ممن رآها والخالف ، واتفق عليه المؤالف ممن شاهدها والمخالف ، لا يخلو فكر من تصورها ، ولا خاطر من توهمها ، فهي نصب العين وحشو القلوب ، حكمة من الله وتصديقاً لدعوة خليل الله ، يحضرها الشوق إليها وهي غائبة ، ويدنيها وهي نائية ، ويهون ما يتكلف إليها من المشاق ، وما يعاني إليها من العناء الخ (2) .

---

1) الرحلة المغربية ص 169 طبع الرباط .

2) الرحلة المغربية ص 172 طبع الرباط .

ثم قال : وهي شرفها الله بلدة كبيرة متصلة البنيان ، فهي واد بين جبال محيطة بها لا يراها القاصد إليها حتى يشرف عليها ، والجبال المحيطة بها ليست شامخة ، وبنيانها آخذ في الاستطالة مع الوادي ، ولا سور لها إلا أنها حبزت من أعلى الوادي وأسفله بحائطين من صخور لا ملاط لها قطعا الوادي عرضاً حتى وصلا بين الجبلين ، وهما على فسحة من البلد وأعلى الوادي ناحية الشرق وأسفله ناحية الغرب ، ولكن دخول الحجاج من أعلاه حسبما تقدم ، ولها ثلاثة أبواب ، باب المعلاة من أعلاها ، وباب الشبيكة من أسفلها ، والثالث باب اليمن من جهة الجنوب ، وفي شرقيها المناسك كلها ، عرفة ، ومزدلفة ، ومنى .

ثم قال بعد ذكر الحجون : وهي ما أشرف من الجبل على المقبرة ، ويقال هي المقبرة ، وليس بين هذا الموضع وبين مكة إلا أقل من نصف ميل ، ولا أدري من أين أتى السهيلي فقال : بين الحجون ومكة فرسخ وثلث ، ولعل ذلك من جملة تحكماته ، فله منها عدة والله الموفق .

وأما المسجد الحرام ، زاده الله تشريفا ، فهو في وسط البلد كبير متسع ، يكون طوله أزيد من أربعمئة ذراع كما ذكر الأزرقي رحمه الله ، وطوله من الشرق إلى الغرب وهو قريب من التربيع ، يخيل للناظر إليه أنه مربع مفروش برمل أبيض جميل المنظر جداً ، محكم العمل ، عجيب الصنعة ، كثير الاشراق ، مرتفع الحيطان نحو عشرين ذراعاً ، ودوره كله مسقف على أعمدة عالية ثلاثة صفوف .

ثم قال : وفيه خمس صوامع ، ثم ذكر قبة زمزم الكبيرة المتسعة المربعة ، وعمق البير من أعلاه إلى سطح الماء نحو من ثلاثين ذراعاً ، ومن سطح الماء إلى قعر البير نحو من أربعين ذراعاً ، ويقال إن عمقه من أعلاه إلى أسفله اثنان وسبعون ذراعاً ، وسعته قريب من أربعة أذرع ، وماؤه دفيء وليس بتلك العذوبة :

ولكن له في النفس موقع فرحة ... تفاجىء بعد اليأس قلب كئيب
ترى صورة الأحباب مرآة صفوه ... فيطفي من الأحشاء لفح لهيب

وقد تمسحنا به وتوضأنا وتروَّينا منه ، وتملأنا واقتضينا منه عللا بعد نهل ، فشفي الغلل وأبرد العلل ، وبودي لو عوضته عن كل ماء ، وغنيت به عن كل مشروب ، ووردته دون كل منهل ، وقال بعد أن ذكر المقام قلت : وعليه الآن شباك من حديد على نعت قبيبة متجاف عنه قدر ما يصل من يدخل يده بأصابعه إلى الصندوق ، والشباك مقفل عليه ، ومن ورائه موضع قد حيز وجُعل مصلى لركعتيْ الطواف وغيرها .

ثم قال : وأما الكعبة شرفها الله فهي في وسط المسجد ، وفي موضعها يسير نتو يبين للمتأمل ، وبناؤها عجيب متقن من حجر منحوت محكم الالصاق ، ولونه إلى الحمرة مع دكنة يسيرة ، وارتفاعها في السماء فيما ذكروا ثلاثون ذراعاً .

ثم قال : والمطاف لاصق بالمسجد ، والمسجد على يسار الذاهب من الصفا ، ثم قال : وبين الصفا والمروة على ما ذكر الأزرقي رحمه الله سبعمئة ذراع وستة وستون ذراعاً ، وبالله التوفيق .

ثم بيَّن معنى مكة وبكة وأسماءها ، ثم ذكر نقل الأزرقي عن ابن عباس ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام ، فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ، ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله عز وجل .

ثم ذكر بناء البيت ، ثم قال : وأما المسجد الحرام صانه الله تعالى فانه لم يكن قديماً ولا كان حول البيت حائط ، وفي البخاري عن عمرو بن دينار ، وعبد الله بن أبي يزيد قال : لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حول البيت حائط، كانوا يصلون حول البيت، حتى كان عمر فبنى حوله حائطاً، قال عبد الله : جداره قصير، فبناه ابن الزبير، قلت: والمسجد الحرام هو ما دار بالكعبة، وهو المصلى، ويطلق على الكعبة، وهو الظاهر من حديث أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مسجد على ظهر الأرض وضع أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، الحديث ، ثم نقل عن الأزرقي أن من حد الحرام إلى مسجد عرفة ألف ذراع وستمئة ذراع وخمسة أذرع ، وقد ظن قوم أنه لا يجزىء الوقوف ببطن عرنة وبطن محسر لكونهما

ليسا من عرفة ومزدلفة ، وقال ذلك اللخمي وعياض . وليس كما توهموا ، ولو كان لم يحتج إلى استثنائهما (1) .

ثم قال : وعدد الأميال من مكة إلى عرفة اثنا عشر ميلا لا تزيد ولا تنقص ، قاله الأزرقي ، ثم ذكر الغار الذي في جبل أبي ثور الذي دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر حين هاجرا من مكة ، ثم ذكر القتال الذي وقع بين أهل مكة وأمير الركب الشامي إلى أن وصل أهل الشام إلى المسجد الحرام ونهبوا بين الصفا والمروة ، ثم دافعهم أهل مكة حتى أخرجوهم منها ، وقتل بها أشخاص من الحجاج ، فكان ذلك سبباً لعدم إقامة المؤلف بمكة المشرفة بعد أن عزم على ذلك ، ثم ذكر فقهاً مختصراً في المناسك .

ثم قال : وفي ضحى يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي حجة وصلنا إلى معهد الفضائل المشهورة ، ومعقد ألوية الدين المنشورة، ومحتد المآثر المذكورة المأثورة ، مجمع محاسن الدارين ، ومنبع مفاخر العصرين ، ومطلع سعادة الثقلين ، شرفت مكة بمولده ومحتده ، ولكن مدار الأمر على الختام ، يا له من محل هو لملك الدنيا واسطة ، فدع عنك الشام وحمصه والعراق وواسطه ، به تحط أوزار من قطن أوزار :

مقام للعلاء به مقـــام	وفيه انجاب عن ضوء ظـلام
به مثوى السيادة غير شـــك	فسار بنور غرته الأنـــام

إلى أن قال :

به النور الذي عم البرايـــا	هداهم للمسالك فاستقامـــوا
عليه صلاة ربٍّ قد حبـــاه	سيادة من عليها والســـلام

ولم يقم الركب بالمدينة إلا يوماً وبعض يوم ، وقد استفرغت وسعي في تأملها وتحفظ صفتها وما عسى أن يدرك من ذلك مع قلة الاقامة ، وكثرة الشواغل ، وترادف الوظائف الدينية والدنيوية ، وهي زادها الله شرفاً ، مدينة

1) الرحلة المغربية ص 184 طبع الرباط .

مليحة ، ظاهرة الشراقة والرونق ، موضوعة في مستوى من الأرض على واد به غابة عظيمة من النخل ، وأرضها خصبة ، وبظاهرها حـرة سوداء ووعر ، وسورها قد أثّر به القدم ، وتربته حمراء ، ولها جملة أبواب لا أحصي عدتها، والبقيع شرقيها ، وجبل أحد شماليها ، وهو جبل عال إلـى الحمرة وليس بمفرط العلو ، وقباء منها في جهة الشرق تلوح مبانيه وصومعته من المدينة ، وبينهما نحو من ثلاثة أميال ، وفي البقيع زاده الله طهارة من المزارات الشريفة ما لا يحصره وصف ، من قبور الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين ، وعلى أكثرها مبان وقباب متقنة ، ومن أشهرها وأتقنها قبة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهي عالية ، متسعة ، محكمة العمل ، رائقة المنظر ، وتليها قبة العباس رضي الله عنه ، وفي كل قبة وبنية بالبقيع عدة مقابر للصحابة وغيرهم ، إلا تربة الامام مالك بن أنس رضي الله عنه، فان قبره في بيت لا يسع غيره، وقد رفع التسنيم على القبور إلى نحو الصدر، وأعلاه مستو مفروش بالحصا، وبازاء رأسه في الحائط مكتوباً في حجر: « توفي الامام مالك بن أنس رضي الله عنه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة ، ومولده في ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين » ، وقد استصحبت من قبره حصيات تبركاً بها وتذكراً لمعاهدها :

ومن الوفاء بعهد حب ظاعـــــن لثم الطلول ووقفة بالمنـــــــزل

وأما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فعلى صورة المسجد الحرام ، إلا أنه في المساحة دونه بكثير ، وهو عالي السمك ، مبيض ، مدور السقائف ، عجيب المنظر ، ووسطه فضاء مفروش برمل أحمر ، وأساطينه مبيضة بالفضة عالية متسع ما بينهما ، وأوسع سقائفه ناحية الجنوب ، ثم ذكر أنه لم يبق به من الأبواب إلا أربعة ، وأن فيه ثلاث صوامع ، وذكر بعض الناس أن أساطينه مئتان وستة وسبعون أسطوانة ، وأنا لم أعدها لشغلي بغير ذلك ، انتهى (1) .

وفي الطرة أن للمسجد الآن خمس صوامع كلها دائرة بالقبة الشريفة دوران الهالة بالقمر ، وفيها أيضاً أنه لا مقبرة على وجه الأرض أشرف مـن مقبرة المدينة بالاجماع ، فهي خارجة من الخلاف الذي في تفضيل المدينـة على مكة ، فلا يشك مسلم أن ليس في أمة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل

---

1) الرحلة المغربية ص 205 طبع الرباط .

من الزمرة التي تبعث في المدينة ، وقد رُوي عن الامام رضي الله عنه أنه قال: دفن بالمدينة أكثر من عشرة آلاف من الصحابة ، انتهى .

وكاتبه حج سنة 1232 رحمه الله .

ثم ذكر المؤلف أن الروضة المقدسة معمولة بالرخام الأبيض من الأساس إلى سقف المسجد بأتقن ما يكون من الصنعة وأعجبه ، وهي موضوعة على شكل التربيع .

ثم قال بعد أن ذكر المنبر الشريف : وقبلة المسجد ، وهي مسامتة للجنوب حقيقة خلاف ما ذكره القاضي أبو الوليد الباجي من أنها مائلة عن الجنوب إلى الشرق وكثيرا ، بل أقول إنها إلى المغرب أميل ، وقد تهممت بذلك واعتبرته بالمدينة على ساكنها السلام ، فوقفت في صحن المسجد حيث أرى النازل ، واستقبلت المحراب ، فوجدت سمتيْ القبلة إلى الثريا ، وهي ذاهبة على التوسط شيئا قليلا ، وأين ذلك من قول الباجي ، وأظنه لم يعتبر ذلك بالحس وإنما اعتمد على ما يروى عن ابن عباس وغيره أن قبلة المدينة إلى الميزاب ، وذلك يعطي أنها إلى المطالع الشتوي كما تقدم ، وذلك ما لا يصح بوجه ، ولعله لم يَثبُت عن ابن عباس ، وإن ثبت فلعله أراد بالميزاب ناحيته والجهة التي هو فيها لا عين الميزاب ، والله أعلم ، وإذا أثبت بالحس أنها مسامتة للجنوب فهي إذاً إلى الركن الشامي ، وهو على يسار الميزاب مناظراً للركن اليماني المحاذي لحقيقة الجنوب كما مر ذكره وبيانه وبالله التوفيق .

ثم رحل الركب من المدينة يوم الأربعاء الموفي ثلاثين لذي حجة راجعا من طريقه حتى قَرُب من وادي الصفراء فتيامن وخرج من مضيق يعرف بنقب علي مصوبا على الدهناء ثم على ينبع ، ماراً على الطريق الأولى إلى عقبة أيلة فتيامن منها إلى الشام ، وصوب الأكثر إلى مصر ، وكان الركب الشامي رحل إلى المدينة على طريق المعلى إلى تبوك ، وصحبه أكثر المغاربة حرصاً منهم على تقريب المسافة إلى الشام ، لأنها أقرب من طريق البرية بكثير ، ولكنها طريق شاقة . قليلة الماء جداً وردها على سبعة أيام ، فحملهم الكسل والحين المقدر

إلى سلوكها مع ضعفهم وتهتك قواهم ، فوقع عليهم الثلج وهم بالمغرب من عمان ، فأفنى منهم خلقاً كثيراً ، وذكر بعض مَن حضر ذلك أنه قد أحصى منهم ألفاً وسبعمئة ، وما أعلم أنه مات ممن رجع على الطريق الأول إلا أقل من عشرة ماتوا بالمرض (1) .

وسافرنا من عقبة إيلة إلى الشام صحبة الأمين الصالح علاء الدين الأعمى ، وصل الله علاءه ، فرأيت منه رجلا قلّ أن يسمح الدهر بمثله سخاوة نفس ، وسراوة همة ، ومتانة دين ، وصحة يقين إلى علم جم قد حفظه سماعاً وذكاء الخ .

ثم وصلنا بعد ثمانية أيام إلى المحل الأنيس ، والمعهد الذي يتخذ فيه مقيل وتعريس ، حرم الخليل عليه السلام ، وهي قرية مليحة المنظر والمخبر ، أنيقة المسموع والمبصر ، مشرقة كالصبح إذا أسفر ، موضوعة ببطن واد قليل الماء والشجر ، والمحيط بها حرار وعرة ، والمسجد بنية أنيقة من المباني القديمة ، عالية البناء ، محكمة العمل من صخور منحوتة في نهاية العظم ، منها صخرة في الركن الذي على يسار القبلة ، ويقال إن البنية كلها من صنع الجن أمرهم سليمان عليه السلام بتجديدها .

ثم نقل عن كتاب (المسفر للقلوب ، عن صحة قبر إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب) لعلي بن جعفر الرازي بخط راويه عنه الفقيه القاضي المحدث الامام محمد بن أحمد ابن مفرج الأندلسي ، ثم ذكر أنه زار قبر لوط عليه السلام في شرقي حرم الخليل عليه السلام ، على تلّ مرتفع يشرف منه على غور الشام ، ثم ذكر أنه سافر من الحرم الخليلي بعد ما أقام به خمسة أيام ، وصلى به الجمعة إلى بيت المقدس ، وبينهما مسيرة يوم ، وزرنا في طريقنا قبر يونس عليه السلام ، وهو على نحو ثلاثة أميال من بلد الخليل عليه السلام ، وعليه بنية كبيرة ومسجد ، ومررنا على طريقنا ببيت لحم ولم يُقض لنا دخوله، وهو قريب من بيت المقدس ، وقد تقدم أنه مولد عيسى عليه السلام ، والنصارى يعظمونه ويقومون به غاية القيام ، ويُضيفون مَن نزل به .

---

1) الرحلة المغربية ص 220 طبع الرباط .

ثم وصلنا إلى بيت المقدس زاده الله تعظيماً، مسجد الأنبياء وقبلتنا قديماً، أحد المساجد التي تعمل إليها المطي ، وتضاعف بها الحسنات لكل برّ تَقي، مصعد نبينا عليه السلام إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام ، ومعراجه حين عسعس الظلام ، إلى مناجاة الملك العـلام ، ولو نطق محتج بفضيلـة الشام لأفحم به العراق أي إفحام ، والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة ، كلها من صَخر منحوت على نشز غليظ مقطوع بجهات الأودية ، وسورها مهدوم ، هدمه الملك الظاهر خوفاً من استيلاء الروم عليها وامتناعهم بها، والخراب فيها فاشٍ ، وليس لها نهر ولا بستان ، وحواليها تلال مشرفة عليها ، وبها كنيسة معظمة عنـد النصارى يحجّونها في كل عام (1) ، وأما المسجد المقدس فهو من المساجد الرائقة ، العجيبة ، المنشرحة ، الفسيحة ، وهو متسع جداً طولا وعرضاً ، وذكر أبو عبيد البكري أن طوله سبعمئة واثنان وخمسون ذراعاً بالمالكي ، وهو ثلاثة أشبار ، وعرضه أربعمئة وخمس وثلاثون ذراعاً ، ثم ذكر عن بعض الناس أن عدد أبوابه خمسون باباً ، وهو فضاء غير مسقف إلا مواضع منـه ، وهناك موضع مهد عيسى عليه السلام ، وفي وسط فضاء المسجد قبة الصخرة، وهي من أعجب المباني الموضوعة في الأرض .

شرك العقول ونزهة ما مثلهـا   للناظرين وعقلة المستوفـز

وفي وسط القبة الصخرة التي جاء ذكرها في الآثار ، وأنه عليه السلام عرج منها إلى السماء ، وهي صخرة صماء ، علوها أقل من القامة ، وتحتهـا شبه مغارة على مقدار بيت صغير يعلو قدر القامة ، ويُنزَل إليه في درج (2) .

ثم قال : ولم أر في هذا البلد مع شرفه واشتهاره مَن هو أهل لأخذ العلم عنه ولا معنياً به إلا شيخاً هو قاضي البلد ، يلقب ببدر الدين ، وهـو محمد بن إبراهيم بن سعد ابن جماعة ، له مجلس علم يدرس فيه أول النهـار في المسجد عند المحراب ، ومجلس سماع يروي فيه بعد صلاة الجمعة في

1) الرحلة المغربية ص 228 طبع الرباط .

2) الرحلة المغربية ص 230 طبع الرباط .

قبة الصخرة . وقد حضرت كلا المجلسين فلم أخرج منهما بطائل ، وكلمته في أشياء تخبط بها وتعسف ، فلم أجد لنفسي إذعانا للأخذ عنه على قلة همته في الرواية ، إذ وجدته يروي عن نظائره من أهل مصر ومن لا يزيد عليه في السن إلا يسيرا ، إلى أخلاق وصف لي بها تريب الأريب ، وتنفر النسيب والغريب ، وله تواليف منها (اختصار أبي عمرو بن الصلاح) في علوم الحديث ، ومنها كتاب حذا فيه حذو السهيلي في كتابه (الاعلام ، بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام) ، أغار فيه على الكتاب المذكور إغارة ، وسماه (غرر البيان ، في مبهمات القرآن) ، ومنها كتاب (المسالك ، في علم المناسك) ، لم يأت فيه ببديع ، ولا شق الظلماء من بيانه صنيع .

وكانت إقامتنا بالقدس خمسة أيام ، ثم زرنا ثغر عسقلان ، جبره الله، وهو خراب يباب ، لا أنيس به إلا أطلالا ماثلة ، وآثارا طامسة ، تثير في القلب تباريح الأسى ، وتعيد المشرق من أنسه حندسا ، ثم قال : وقلما رأيت من البلدان ، ما جمع من المحاسن ما جمعت عسقلان ، صنعا وإتقانا ومكانا ، براً وبحراً ، وعامراً وقفراً ، لها البر والبحر طرف ممتد ، وحكم ماض لا يرتد ، في روضة جمة الأزها ، وأما مبانيها فلو فاخرتها أرم ، لقيل لها نفخت في غير ضرم ، وبها مزارة رأس الحسين رضي الله عنه ، وهو مسجد كبير مليح مرتفع، والمسقف منه ناحية القبلة ، وفيه جُب كبير لماء المطر أمر ببنائه بعض بني عبيد ، وبظاهر عسقلان وادٍ يعرف بوادي النمل ، ويقال إنه المذكور في الكتاب العزيز ، وقد ذكر المفسرون أنه واد بالشام ، وفيه جبانة عسقلان (1).

ثم وصلنا إلى غزة ، وهي آخر بلاد الشام مما يلي مصر ، وبينها وبين الصالحية أول بلاد مصر ستة أيام ، وغزة مدينة متسعة عامرة لا سور لها ، وبينها وبين البحر مسافة أميال، وهي أكثر عمارة من كل ما تقدم، ولكنها قد عريت من عالم ومتعلم ، وأقفرت من فقيه ومتكلم ، وهذا أمر شمل في هذا الأوان المدن والقرى ، وعم بحكم القدر أصناف الورى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (2) .

1) **الرحلة المغربية** ص 232 طبع الرباط .

2) **الرحلة المغربية** ص 233 طبع الرباط .

ثم سافرنا من غزة مستقبلين لبرية الشام ، ثم وصلنا إلى الصالحية أول بلاد مصر ، ولكنها معدودة في البرية ، لضيق أرزاقها وشكاسة أخلاقها ، ومنها إلى قاعدة مصر قرى ظاهرة متصلة ، وعمارة متظاهرة متأصلة ، مسيرة خمسة أيام ، لا يتعذر بها مرام ، وأعظمها عمارة ، وأسناها بزة وشارة ، مدينة بلبيس ، كبيرة ذات أسواق قائمة ، ولها نخل وبساتين كثيرة ، وليس بهـا رونق الحضارة ولا رقتها ، وهكذا أكثر بلاد مصر إلا القواعد المعروفة (1) .

ثم وصلنا إلى قاعدة الديار المصرية ، وكنت إذ وردتها مريضاً فلم يمكني فيها لقاء أحد ، وأنزلنا شيخنا شرف الدين الدمياطي بمدرسة الظاهرية بعلو منها مليح ، وكان يبعث إليّ شخصاً يتفقدني ويعالجني ، وهو الحكيم الفاضل أبو الطاهر إسماعيل السوسي ، فتى حَدَث السن رصين العقل ، نافذ الفهم ، ما رأيت أحفظ منه للطب ، ولا أحسن منه تصرفاً ، ولا أذكر منه لنصوص كتب أبقـراط ، وما زال يتفقدني مدة من سبعة أيـام حتى تماثلت واشتهيت الطعام والضعف لي ملازم ، فقدّرت أن هواء البلد لي غير ملائم ، فسافرت ، وما وصلت إلى الأسكندرية حتى ثابت إليّ قوتي ، وعادت إلـيّ صحتي ، وكان سفرنا منها على غير الطريق ، إذ كان الماء قد نضب عن الريف فسافرنا على طريقه ، والعمارة عليه متصلة مدناً وقرى إلى الأسكندرية ، ومن أعظم بلادهم وأشهرها مدينة قليوب ، مدينة مليحة ، ومدينة فرمى ، ومدينة بيار ، ومدينة لقانة ، ومدينة دمنهور ، وقراها أكثر من أن تعد ، وهي ذات بساتين ونخل وشجر يفتن حسنها الناظر ، ومن أعظم مدنها وقواعدها المشهورة الموصوفة بالحسن والجمال مدينة دمياط ، وهي على البحر الرومي ، ولم أدخلها لأنها رائغة إلى اليمين كثيراً عن طريق مصر إلى الأسكندرية ، وكنت متحفزاً للسفر فلم يتأت لي دخولها ومررنا على قرية سمنود ، وزرنا بها قبر عيسى ابن الوليد أخي خالد ابن الوليد رضي الله عنهما ، وهو في بيت مغلق علـى يسار المحراب ، ومن مصر إلى هذه القرية مرحلة (2) .

1) **الرحلة المغربية** ص 234 طبع الرباط .

2) **الرحلة المغربية** ص 235 طبع الرباط .

ثـم وصلنا إلـى الأسكندريـة فأنزلنا شيخنـا الفقيه زين الديـن بمدرسة إقرائه ، وأولانا من بره وتأنيسه ما يكافيه الله به ، وأقمنا بها سبعة أيام ثم سافرنا على طريقنا الأول (1) .

ثم قال : وفي المنستير دفن الامام أبو عبد الله المازري ، وقبره بها مشهور ، وهو بضم الميم ، ثم ذكر مدينة سوسة ، وهي مليحة برية حولهـا بساتين وثمار ، ثم ذكر أن تونس تعسف عليها من قال :

لعمرك ما ألفيت تونس كاسمهـا ولكنني ألفيتها وهي توحـش

ثم ذكر ملازمته فيها لقاضي القضاة الشيخ أحمد ابن الغمار الخزرجي، ولازمه في (جامع البخاري) من أول النهار إلى قريب الظهر ، ومن العصر إلى الغروب ، وربما قام مراراً إلى تجديد الطهارة ، فقرأ عليه أكثر الكتاب قراءة ضبط واتقان ، وولده الفقيه الفاضل المتقن المحقق أبو عبد الله يمسك عليه أصلـه العتيق المقـروء على الامـام أبي ذر الهـروي وعليه خطـه ، وكـان يناوبني القـراءة ، وأمسك أنا الأصـل ، حتى كمـل الكتاب بقراءتي في الأكثر ، وسماعي بقراءة المذكور أحياناً ، وسمعت عليه أثناء ذلك أبواباً كثيرة من (الموطأ) ، و (صحيح مسلم) ، و (سنن أبـي داوود) ، و (جامع الترمذي) ، وناولني سائرها في أصوله ، وناولني سواها ، وقرأت عليه أكثر (التيسير) للامام المقريء أبي عمرو الداني رضي الله عنه ، وسمعت عليه باقيه ، وقرأت عليه برنامجه الذي قيد فيه أسماء شيوخه ، وناولني برنامج شيخه الامام الشهير أبي الربيع بن سالم رحمه الله ، وسمعت عليه أدلا مـن كتابه (الاكتفا ، في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثـة الخلفا) ، وهو كتاب كبير في أربعة أسفار ، وقرأت عليه من تأليفه أيضـا (مفاوضة القلب العليل ، على طريقة أبي العلاء المعري في ملتقى السبيل) ، وأجازني حفظه الله إجازة عامة ، وحضرت عنده مذاكرات ومفاوضات (2) .

---

1) أى الذى سافر منه فى وجهته من المغرب الى المشرف .

2) **الرحلة المغربية** ص 241 طبع المغرب .

ثم ذكر أنه لقي بها صالح العلماء أبا القاسم بن حماد بن أبي بكر الحضرمي اللبيدي ، وقرأ عليه كثيراً من كتاب البخاري ، وناوله سائره في أصل صاحب الرحلة،وحدثه به عن يحيى بن محمد المهدوي،ويعرف بالبرقي، سماعاً عليه لجميه عن أبي محمد ابن حوط الله بأسانيده ، وبعض كتاب (المعلم) للمازري في أصله سماعاً عن مؤلفه المذكور ، وعن البرقي المذكور ، رواه أبو عبد الله القضاعي بتونس ، وبعض (عوارف المعارف) بقراءته إياها عن أبي القاسم عبد الرحمان بن أبي جعفر الأنصاري عن مؤلفه ، وغير ذلك ، وأجازه إجازة عامة ، ولقي بها الزاهد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاصي الأندلسي ، لبس منه خرقة التصوف بلباسه إياها عن أبي المكارم ابن مسدي المهلبي صاحب المؤلف فيمن كساه الخرقة من الشيوخ الذي قرأه عليه مع الأربعين له في فضل الحج ، وقواعد القاضي عياض ، و (مختصر السير) لابن فارس، و (الكتاب المغني عن الحفظ) ، و (الكتاب ، في حصر الضعيف من الحديث بالأبواب) ، تأليف أبي حفص بن بدر الحنفي وغير ذلك مما قرأه عليه المؤلف .

قال : وقرأت عليه : أنشدكم الشيخ الفقيه إبراهيم بن محمد بن الحاج البلفيقي قال : أنشدنا أبو عبد الله ابن فرحون السلمي قال : أنشدني أبو عمران الزاهد لنفسه :

ألمَّ كل ثقيل قد أضَرَّ بنـــا	أروم تقصهم والشيء يـــزداد
ومن يخف علينا لا يلم بنـــا	وللثقيل مع الساعات تـــرداد

وقرأت عليه : أنشدكم الفقيه إبراهيم البلفيقي قال : أنشدنا محمد ابن قسوم لنفسه :

تباً لفرقة قـــــوم	لا ينتمون لمذهـــــبْ
إذا تزندق وغـــــد	قالوا : فلان تهـــــذبْ

ثم قال : وقرأت عليه : أنشدكم إبراهيم البلفيقي عن غير واحد من شيوخه عن أبي محمد الحجري عن أحمد ابن العريف لنفسه ، يعارض أبيات إسحاق الموصلي التي أولها :

وآمرة بالبخل ، قلت لها اقصري   فذلك شيء ما إليه سبيل
أرى الناس خلان الجواد ، ولا أرى   بخيلا له في العالمين خليل
أمن خير حالات الفتى لو علمته   إذا نال شيئا أن يكون يسيل
فعالي فعالُ المكثرين تجملا   ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو ادع الغنى   ورأيُ أمير المومنين جميل

وعارضه أحمد ابن العريف بقوله ، وقد أحسن كل الاحسان :

تعاتبني في الجود ، والجود شيمتي   وما لي بتبديل الطباع زعيم
ولم أر مثل الجود ، أمّا حديثُه   فحلو" ، وأما حبه فقديم
ولا خير فيمن لا يعاش بعيشه   ولو أنه فوق السماك مقيم
ذريني فان البخل عار" لأهله   وما ضر مثلي أن يقال عديم
أرى كلَّ طلق كلُّ خلق حميمه   وليس لمقبوض اليدين حميم
وكيف يخاف الفقر أو يدع الغنى   كريم ، ورب العالمين كريم

ومولد شيخنا أبي محمد رزقنا الله بركته ، عام عشرة وستمئة .

ولقيت بها الفقيه الأديب ، الفاضل العارف الأوحد ، الحسيب ، الناظم ، الناثر ، علي بن محمد بن أبي القاسم ابن رزين التجيبي ، ثم ذكر أن له فهرسة ، وقرأ عليه من (الصلة) لابن بشكوال وغير ذلك ، وضبط ابن برطله عبد الله بن عبد الرحمان بضم اللام وإسكان الهاء .

ولقي بها الشيخ الفقيه الحسيب، العالم الفاضل، الكامل، الزكي، الرضي، مفتي إفريقية ، والمنظور إليه بها ، وقطب أصولها وفروعها ، والمرجوع إليه في أحكامها غير مدافع ولا منازَع أبا القاسم بن أبي بكر اليمني ، وسمع كلامه في بعض المسائل ، ولقي بها الشيخ الديّن ، الحسيب ، الكاتب ، البليغ ، ذا الفضائل المذكورة ، والمآثر المأثورة ، شيخ الأدباء ، وأوحد البلغاء ، وزين الناظمين والشعراء ، علي بن إبراهيم التجاني التونسي ، له بيت عريق في العلم والأدب ، قرأ عليه (مقامات الحريري) ، وكان يرد فيه رداً حسنا ، وينقدها نقداً محققاً ، وذاكرته فيها بمواضع عديدة ، وكنت أتعقبها فأثبت

قولي فيها وأستحسنه ، (والمقامات الروضية) لأبي بكر ابن عياض القرطبي ، و (رياضة المتعلمين) للامام الحافظ أبي نعيم ، وقصيدة ابن الآبار التي أولها:

أدرك بخيْلِك خيل الله أندلسا ‌ ‌ ‌ ‌ إن السبيل إلى منجاتها درسا

وقصيدة حازم الأندلسي القرطاجني التي أولها :

لعينيك قُلْ إن زرتَ أفضل مرسل ‌ ‌ ‌ ‌ «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»

أجاد فيها وأبدع ما شاء ، ورام منه المرام الصعب فطاوع الانشاء ، وهي مما ينبغي أن يقيد ولا يهمل ، فلذلك رأيت إثباتها الخ ، وقد حدثني بها عن منشئها المذكور .

ولقي بها الفقيه الأفضل محمد بن أبي القاسم الأزدي ، ويعرف بالقُستّي ، قرأ عليه جزءاً في فضيلة من اسمه أحمد لابن بكير النجار ، وأجازه عامة وقرأ عليه أرجوزة السخاوي في المتشابه من ألفاظ القرآن ، ولقي بها أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي ، يعرف بابن السكان ، له برنامج جمعه لشيخه ابن حَبيش بفتح الحاء ، قال وأنشدني لنفسه :

يقولون لي إن الشهادة مكسب ‌ ‌ ‌ ‌ ولم تشتغل يوماً بصرف المنى لها
فقلت لهم : لي في الشهادة مذهب ‌ ‌ ‌ ‌ أنا في سبيل الله أرجو منالها (1)

ولقي بها الشيخ الصالح الفقيه الفاضل يوسف بن إبراهيم بن أحمد ابن عقاب الجذامي ، وسمع عليه من (الموطأ) ومن (جامع البخاري) ومن (سنن الدارقطني) ، وناوله جميعها ، وحدثه بها عن الشيخ الفقيه الفاضل المحدث علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري هو ابن قطرال ، ونقل هنا من مسلسلات القاضي أبي بكر ابن العربي ، وقرأ عليه غير ذلك .

ولقي بها الشيخ الفقيه الصالح الفاضل أحمد بن موسى بن عيسى أبي الفتح البطرني منسوب إلى بَطَرْنة بفتح الطاء واسكان الراء ، وقرأ عليه (الأربعين المسلسلة) لأبي الحسن ابن المفضل القدسي .

---

1) الرحلة المغربية ص 271 طبع الرباط .

ثم قال : ثم سافرنا من مدينة تونس أمنها الله فمررنا على باجة ، ثم على خولان ، فتياسرنا منها على طريق بونة ، ولقي ببجاية الشيخ الصالح المسن أبا الحسين الرندي ، والشيخ الفقيه الخطيب ، المحدث ، الفاضل ، أبا عبد الله ابن صالح ، فقرأ عليه برنامجه في أسماء شيوخه في أصل بخطه وغير ذلك .

ثم لقي بملالة ، قرية بقرب بجاية ، الفقيه أبا علي منصور بن محمد الزواوي المشدالي ، ومشدالة قبيلة من زواوة ويلقب بناصر الدين ، وهو وإن كان متقناً في الدراية غير معتن بالرواية (1) .

ثم رحل على طريقه الأولى إلى مليانة فتيامَنَ منها على طريق مازونة مثوي خطوب الزمن ، بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بجرف واد منقطع شبه قلعة ولكنها واهية حساً ومعنى ، وليس بها ما يتعرض لذكره البتة .

ثم مر على مدينة وهران ، وهي مدينة مليحة حصينة برية بحرية ، وهي مرسى تلمسان وأنظارها ومتجر تلك النواحي ، ولكن أبدلها الحدثان من كل بشارة نعياً ، وخرس بها لسان التلاوة ، فيا عجباً أصف بالفناء وهران ، كأني لم أر سكان تلمسان .

ثم وصل إلى تلمسان ، وكان في نيته أن يقيم بها مدة حتى يجد صحبة قوية يقطع بها المفازة التي في طريقها إلى رباط تازة لكون قطاع الطريق بها أشد خلق الله ضرراً .

ثم وجد قافلة تخرج من باب تلمسان كبيرة تزيد على الألف ، ولهم في محاولة الخروج نحو شهور ثلاثة ، حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة .

ثم زار قبر الشيخ أبي مدين بالعباد، وفي الغد أدرك القافلة بوجدة، وهما مدينتان بينهما مسافة قليلة في بسيط مستو ، وقد دَثَرَتا فلم يبق منهما إلا رسوم حائلة ، وأطلال ماثلة ، والقديمة أشدها دثوراً ، وبهما عمارة قليلة ،

---

1) الرحلة المغربية ص 277 طبع الرباط .

فرحلنا منها حتى وصلنا إلى مدينة تازة ، وذلك في آخر رمضان ، ثم عيَّدنا في مدينة فاس ، ومما قلته في ذلك :

قالوا تعيد في فاس فطب فرحــاً	فقلت ما لي بها دار ولا عطــن
فاس ، ومكناسة ، وطنجة ، وسلا	عندي كزديك (1) لا أهل ولا وطن
بغداد قفر إذا لم تحو لي سكنــاً	والقفر بغداد إنْ أهلي به قطنــوا

ثم مررنا على مكناسة ، فلقيت بها الشيخ الفقيه المحـدث القاضي يوسف بن أحمد ابن حكم التجيبي الأندلسي ، وهو شيخ راوية لقي جماعة من كبار العلماء ، وأخذ عنهــم ، وقيد لي بخطه منهم أبا الربيع بن سالم ، وأبــا الحسن ابن قطرال الخ وأجازه إجازة عامة (2) .

ثم مر على مدينة أزمور ، وزار بها قبور الصالحين ، وختم الرحلـة بزيارة قبر شيخ الصالحين وقدوتهم شرف المغرب الأقصى وفخره ، وشمس زمانه وبدره ، أبي محمد صالح ابن ينصارن أفاض الله علينا من بركاته ، وأمد بصائرنا بنور يستمد من مشكاته .

قال المؤلف : ثم منّ الله بجمع الشمل والاجتماع مع الأهل له الحمد والشكر كثيراً .

ثم قال : وهذه قصيدة نظمتها في الرحلة رأيت أن أختم بها هذا التقييد مستعيناً بالله على ذلك .

عليك النصح رده بكل حــــيٌّ	وإن الفيت وارده فحـــــيٌّ
فمعظم ديننا نصح البرايــــا	كذاك أتى الحديث عن النبــي

وهي طويلة ذكر فيها البلاد التي رحل إليها في هذه الرحلة ، وفــي آخرهــا :

---

1) زديك قفر فى صحراء ليبيا ، وصفه فى الرحلة المغربية ص 85 .

2) الرحلة المغربية ص 279 طبع الرباط .

ولا يغررك من دنياك وصـــل ... ففي الأمثال أغرر من بغـــي
فقلت لقد نصحت بكل معنـــى ... حقيق أن يُصاخ له حـــري
لقد أسمعت لو ناديت حيــاً ... ولكن النداء لغير حـــي
فقالت قد عهدت إليك نصحـاً ... فوفّقك المهيمنُ مـن وصي (1)

انتهى (2) .

وقال ابن عبد السلام الناصري في رحلته بعد أن ذكر ذمّ العبدري لمصر وأهلها ما نصه : جرياً على عادته عفا الله عنه في ذم البلاد وأهلها ، وما كان ينظر إلا بعين السخط إليها ، فليته مدح مَن يستحق المدح ، وذمّ مَـن يستحق الذم أو يتغافل عنه إلا بقصد البيان ، وما رأيناه مدح بلدة ولا ساكنها إلا مدينة تونس ، ولو أمكنه أن يقول في الحرمين هجواً لقال ، وما ذلك إلا أن الرجل بربري من سكان الجبال لم يألف الناس ولا البحث عنهم ولا الذهاب إليهم ، وإنما ينزل بمدرسة من جملة الطلبة أو بفندق من جملة الغرباء ، ولا يتفطن له عالم ولا ذو مروءة حتى إذا صدر عن البلد قال فيه ما شاء (3) .

581) **محمد بن محمد بن أبي القاسم** ، حدث عنه صاحب (التشوف) فيه أنه قال : سمعت أبا يزيد الرفاء ، وكان رجلا خيراً يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم عند أحد أبواب مراكش ، فقلت : يارسول الله أفي هذه البلدة أحد من الأولياء ؟ فقال : سبعة ، فقلت : يارسول الله مَن هم ؟ فقال لي : هؤلاء ، فاذا سبعة رجال خرجوا من الباب ما عرفت منهم إلا أحمد بن محمد الغساني (4) .

582) **محمد بن أحمد (أبي العباس) السبتي** ، الفقيه ، سمع من أبيه وسمع منه صاحب (التشوف) بعض كراماته كما تقدم عنه .

1) **الرحلة المغربية** ص 284 طبع الرباط .

2) تم تلخيصه في 10 رمضان عام 1329 ، ثم ان نسختنا مـن هذه الرحلة طلبت منـا اعارتها لتطبع في تونس ، فما طبعت ولا رجعت لنا ، فلا حول ولا قوة الا بالله (مؤلف) .

3) ينظر عن العبدري مقدمة رحلته التي حققها الاستاذ الوزير محمد الفاسي .

4) **التشـوف** ص 2 .

583) محمد بن محمد ابن عبد الملك الأوسي المراكشي .

محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي المراكشي، الامام العلامة ، الأوحد ، المصنف ، الأديب ، المفتي ، الفقيه ، المقريء ، المؤرخ ، الحافظ ، المقيد قاضي الجماعة بمراكش ، من جملة شيوخه أبو زكرياء ابن أبي عتيق ، تلا عليه القرآن بالسبع ، وأبو القاسم البلوي، والقاضي أبو محمد الحسين بن الامام الحافظ علي بن محمد ، والعلامة علي بن محمد الفخار الرعيني الاشبيلي الكاتب ، وإبراهيم بن أبي بكر التلمساني صاحب الأرجوزة في الفرائض ، وفقيه فاس محمد بن يوسف المزدغي المتوفي سنة 655 المترجم في (النيل) و (الجذوة) و (بيوتات فاس) للفاسي (1) وغيرهم .

مولده ليلة الأحد عاشر ذي القعدة سنة 634 ، وتوفي سنة 703 ، ألف كتاب (الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصلة) وأخذ عنه أبو جعفر ابن صفوان .

ترجمه في (الديباج) (2) وقيد ترجمته ابن دقيق العيد عن أبي عبد الله العبدري الحاحي ، ووصف كتابه المذكور بالاتقان والافادة في رحلته (3).

وقال في (الجذوة) في ترجمة أحمد ابن البناء المتولد سنة 654 ما نصه : وأخذ ابن البنا الحديث عن أبي عبد الله وأخيه ولدي محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي الشهير بابن الدهاق ، وقرأ عليه (موطأ) مالك رواية يحيى ، وعروض ابن السقاط (4) ، وتأدب بين يديه في عقود الوثائق ، وانتفع عليه كثيراً ، انتهى (5) .

---

1) **بيوتات فاس** كتاب بدأ تاليفه الأمير الاديب اسماعيل ابن الأحمر المتوفى بفاس عام 807 أو الذى بعده ، وزاد فيه غيره ، وله مختصر اسمه **بيوتات فاس الصغرى** هو الذى يشير اليه المؤلف .

2) زاد فى **الديباج المذهب** ص 331 ودفن بتلمسان .

3) **الرحلة المغربية** ص 140 طبع الرباط .

4) **ابن السقاط** اسمه محمد بن علي ، وعندى تاليفه المذكور (مؤلف) .

5) **جذوة الاقتباس** ص 150 طبع الرباط .

ومن نظمه نظمه كما تقدم في المقدمة :

لله مراكش الحمراء من بلـــــــــد	وحبذا أهلها السادات من سكـن
إن حلـَّها نازح الأوطان مغتـــرب	أسلوه بالأنس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها أو العيان لهـــــا	ينشـا التحاسد بين العين والأذن

وقال في (مشارق الأنوار) كما يأتي في ترجمة القاضي عياض :

تنادي بأنوار المشارق نخـــوة	بمطلعها في الغرب ياشرق غربـي

وراجع أول كتاب (بيوتات فاس ، في القديم) .

وابن عبد الملك قاضي مراكش الأوسي يروى أيضاً عن الحسن بن علي الماكري عن أبي الحسن ابن الحصار عن ابن الفخار عن عياض كما فـي الحديث الثامن والعشرين المسلسل أكثره بالمراكشيين في كتاب (استنزال السكينة) وعن أبي محمد مولى سعيد بن حكم عن أبي عبد الله البري (1) عن أبي عبد الله ابن سليمان الندرومي عن ابن الفخار عن عياض كما في الحديـث التاسع والعشرين عنه كذلك ، وعن أبي الحسن الرعيني عن أبي عبد الله ابن المواق القرطبي الفاسي ثم المراكشي ، عن أبي الحسن الشاري (2) عن أبي عبد الله ابن الغماز (3) عن عياض كما في الحديث الثلاثين منه كذلك ، ويروي أيضاً عن أبي جعفر الصباغ ، وأبي عبد الله بن أبي ، وأبي الحسن الرعيني ، وأبـي محمد مولى أبـي عثمان ابن حكم ، أربعتهـم عن محمد بـن عياض الحفيد عن أبيه أبي الفضل عياض عن جده محمد عن أبيه القاضي أبي الفضل عياض بن موسى ، كما في الحديـث الواحد والثلاثين منه كذلـك ،

---

1) ترجمه فى الذيل والتكملة (مؤلف) .

2) مترجم فى التكملة (مؤلف) .

3) هكذا فى النسخة ، ويظهر انه مصحف عـن ابن غازى راوى (الشفا) عـن القاضى عياض ، وهو محمد بن الشيخ الصالح حسن بن عطية ابن غازى الذى روى (الشفا) عن مؤلفهـا القاضى أبى الفضل قراءة عليه سنة 535 ورواها عن ابن غازى المذكور الشيخ الفقيـه المحدث العدل الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد اللخمى ثم العزفى سماعاً عليه لأكثره وقراءة لسائره ، وروى عن العزفى هذا الكتاب الفقيه الجليل الفاضل محمد بن سعيد بن على ابن عطية قراءة وتصحيحاً لجميعه (مؤلف) .

ويروي أيضا عن أبي الطيب صالح ابن شريف ، وأبي الحسن الرعيني ، وأبي الحجاج ابن حكم ثلاثتهم عن أبي الحسن ابن قطرال الأنصاري القرطبي ، ثم المراكشي عن محمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد هو ابن الفخار عن القاضي عياض كما في الحديث الثاني والثلاثيـن منها من الكتاب المذكور كذلك ، ويروي أيضاً عن القاضي حسن بن أبي الحسن ابن القطان عن أبيه ، وعن التاريخي العدل أبي يعقوب ابن الزيات ، وأبي عبد الله ابن المناصف، فالأول عن أبي عبد الله البقار ، وهو محمد بن إبراهيم ابن حزب الله ، عن أبي الطاهر السلفي ، والثاني عن محمد بن إبراهيم الأصولي الاشبيلي، تقدم (1) عن السلفي ، والثالث عن أبي الخطاب ابن الجميل عن السلفي عن الشريف أبي القاسم زيد بن عبد الله عن أبي بكر محمد بن الحسين الآجري بمكة ، حدثنا أبو شعيب عبد الله الحرازي ، حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبو معشر عن يعقوب عن زيد بن طلحة عن زيد بن أسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَمَلَة العلم في الدنيا خلفاء الأنبياء ، وفي الآخرة من الشهداء ، وهو الحديث الثالث والثلاثون من الكتاب المذكور كذلك ، وهو آخر المسلسل بالمراكشيين من (استنزال السكينة ، لتحديث أهل المدينة) .

وأبو عبد الله البقار وقفت على تأليفه كتاب (الأدوار ، في تسيير الأنوار) بخط الموقت السيد الطاهر ابن المحجوب بن محمد الحمري السعيدي المراكشي ، انتسخه عام 1320 .

وقال في (نفح الطيب) ما نصه : وقال لسان الدين في ترجمة ابن عبد الملك المراكشي ما صورته ، وخاطبني بقوله :

وليتَ ولاية أحسنتَ فيها	ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم والٍ أساء فقيل فيه	دنيء القدر ليس لها بمدرك

---

1) ص 169 ع 536 من هذا الجزء .

وقال أيضا يخاطبني في المعنى

وليت فقيل أحسن خيــــــر وال ... ففاق مدى مداركها بفضلـــــــــه
وكم وال أساء فقيل فيـــــــــه ... دنا فمحا محاسنها بفعلـــــــــه

انتهـــى .

وفي (الاحاطة) ما محصله : أن المذكـــور محمد بن محمد بـــن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي كان شديد الانقباض ، محجوب المحاسن ، تنبو العين عنه جهامة ووحشة ظاهر وغرابة شكل ، وفي طي ذلك أدب غض ونفس حـــرة وحديث ممتع وأبـــوة كريمة ،أحـــد الصابريـــن على الجهـــد ، المستمسكين بأسباب الحشمة ، الراضين بالخصاصة ، وأبوه قاضي القضاة نسيج وحده الامام التاريخي المتبحر في الآداب ، تقلبت به أيدي الليالي بعد وفاته لتبعة سلطت على نشبه ، فاستقر بمالقة مقدوراً عليه ، لا يهتدي لمكان فضله إلا مَن عثر عليه جزافاً .

ومن شعره قوله :

من لم يصن في أمل وجهــــــــه ... عنك ، فصن وجهك عـــــــن رده
واعرف له الفضل وعرفْ لـــــه ... حيث أحلّ النفس من قصــــــده

ثم قال : توفي في ذي القعدة عام 743 .

انتهى كلام (الاحاطة) بواسطة نقل (نفح الطيب) ، وسيأتي ذكره في ترجمته نقلا عن (ريحانة الكتاب) ، والمقصود من هذا كله قوله : وأبوه قاضي القضاة الخ (1) .

وقال فـــي (كشف الظنون) ، تاريـــخ المراكشي هو الشيخ أبـــو عبد الله ، انتهى . ولعله أراد به المترجم ، ثم قال : تكملة لابن عبد الملك ، انتهى ، وهو المترجم أيضاً .

---

1) **نفح الطيب** 6 : 89 طبع بيروت .

ووقفت من كتبه رحمه الله على الجزء الرابع والخامس وهو الأخير من كتاب (الذيل والتكملة ، لكتابي الموصول والصلة) وهما مجلدان كبيران ، غير أن البـلا محا بعضهما ، عندي ، وعـلى الجزء السادس منه في المكتبـة الباريزية الوطنية، وعلى شرحه لـ (الأنوار السنية) لابن جزي في مجلد كبير، ومن تآليفه الجمع بيـن كتابي (بيان الوهـم والايهام ، الواقعين فـي كتاب الأحكام) جمع أبي محمد عبد الحق ابن الخراط الجاري عليه اسم (الأحكام ، الكبرى) ، وتعقب هذا الكتاب تلميذ ابن القطان محمد بن يحيى أبي بكر بن خلف بن فرج ابـن صاف المراكشي ، قاضي فاس الشهير بابـن المواق ، مضافين إلى سائر أحاديث الأحكام وعلى ترتيبها وتكميل ما نقص منها ، فصار كتابه هذا من أنفع المصنفات وأغزرها فائدة حتى لو قلت إنه لم يؤلف فـي بابه مثله لم أبعد كما قاله المترجم كما تقدم في ترجمة ابـن المواق ، وتقدم في ترجمة العبدري الحاحي أن المترجم هو الذي خرج رد ابن المواق على ابن القطـان .

وقال في (طبقات المالكية) بعد ذكره : وتوفي سنة ثلاث وسبعمئة بتلمسان ، انتهى ، فيكـون عمره نحو سبعيـن سنة ، لأن مولده كما تقـدم سنة 634 ، وأما وفاته عام 743 المذكورة في (النفح) هي لولده كما علمت ، وستأتي ترجمته كما تقدم التنبيه على ذلك (1) .

584) محمد بن إبراهيم البقوري الليثي

محمد بن إبراهيم بن محمد الليثي نسباً ، البقوري بلداً ، المراكشي وفاة ، وبقور بباء موحدة مفتوحة ، وقاف مشددة ، وراء مهملة ، بلد بالأندلس،

1) خلط المؤلف بين محمد بن محمد ابن عبد الملك وهو المترجم هنا وبين ولده محمد بن محمد بن محمد الذى سياتى فيما بعد ، وكان من الواجب عليه أن لا يفعل اجتناباً للالتباس .

وتنظر ترجمة محمد بن محمد ابن عبد الملك مع بعض اخباره وأشعاره فى كتاب **المرقبة العليا، فيمن يستحق القضاء والفتيا** للقاضى أبى الحسن النباهى ص 130 طبع بيروت ، وفيها أن وفاته كانت بتلمسان الجديدة أواخر محرم عام 703 راجعاً من الأندلس الى المغرب . وفى **صلة الصلة** (مخطوط) لأحمد ابن الزبير وفيها معلومات أوفى عن شيوخه وقضائه ، وهو آخر المحمديـن الغرباء المترجمين فيها .

سمع من القاضي الشريف محمد الأندلسي ، ووضع كتاباً سماه (إكمال الاكمال) للقاضي عياض، وله كلام على كتب شهاب الدين القرافي في الأصول، قدم إلى مصر وأرسل معه بعض السلاطين بالمغرب ختمة كبيرة بخط مغربي منسوب ليوقفها بمكة أو بالمدينة ، ورجع إلى مراكش فتوفي بها سنة سبع وسبعمئة .

ترجمه في (الديباج) وفي (النفح) قائلا : وقد زرت قبره مراراً ، انتهى .

وقد ذكر شيء من أحواله بترجمة أبي عبد الله الكومي المراكشي، وفي ترجمة أبي العباس الشبلي ، وذكر في (نور البصر) في ترجمة الامام المازري ، وقبره في قبة صغيرة ملاصقة لحائط قبة الشيخ الجزولي مؤلف (دلائل الخيرات) من جهة رأسه ، وهو صاحب الروضة المذكورة قبل أن يدفن بها الجزولي رضي الله عنهما .

وقال في (أثمد العينين) : وحدثني من أثق به قال : حدثني الشيخ الفاضل المبارك جابر الشهير بابن درهم قال : أردت الحج ، ثم قلت : لا أنصرف إلى الحج حتى أستأذن في ذلك سيدي أبا زيد ، وكان إذ ذاك بتلمسان، وشددت وسطي حتى وصلت ، فاستأذنته في ذلك فأذن لي وقال : إذا أصابتك شدة فناد باسمي ، فودعته وانصرفت إلى الحج ، فحججت ثم رجعت إلى أن بلغت الأسكندرية ونحن قد استقبلنا المغرب ، فصعدنا في سفينة ، فانكسرت بنا ، فغرق الناس فناديت : ياسيدي ياأبا زيد خاطرك، فأغاثني الله عز وجل بصندوق من خشب قد انكسر وبقيت بجوانبه فتعلقت به ، وإذا بمحمد البقوري قد تمسك أيضاً بالجانب الآخر ، فلما رآني أخذ يشجعني ويقول لي : كن راجلا (1) ويقول لي : أما سمعت قول الله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » فما زلنا متشبثين بذلك الصندوق حتى خرجنا إلى الساحل، فما كان من أبي عبد الله إلا أن قام وانصرف ، وأما أنا فرفعت رأسي إلى مسجد

1) جمعه رجال كقائم وقيام كما في تاج العروس (مؤلف) .

هنالك ، ثم أغمي علي ، فما أفقت إلا في دار شيخ بين أهله وأولاده وقرابته قد داروا بي جميعهم ، ورأيت منهم من الحنانة ما يقصر عنه الوصف ، كأنني معهم ، وذلك ببركته رحمة الله عليه .

إذا زرت أرضاً زارها منك وابــل   فديتك لا ينفك منك مكـــــان
فأنت غيـاتٌ للأنامَ ورحمـــــــة   وحرزهم من دهرهم وأمـــــان

وترجمه أيضاً في (طبقات المالكية) .

585) محمد بن محمد الفار القالوسي القضاعي

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن يوسف القضاعي أبو بكر القالوسي الملقب بالفار ، لقيه بمراكش أحمد بن البناء ، وقرأ عليه كتابه الكبير المسمى بـ (الختام المفضوض ، من خلاصة العروض) ، وأرجوزته العروضية المسماة بـ (النكت العلمية ، في مشكل الغوامض الوزنية) ، وقرأ عليه (إثارة المسائل الغوامض ، عن متعلقات مشكل الفرائض) .

قال ابن البنَّاء : كنت أفرض لأبي بكر القالوسي مسائل من علـم الفرائض ، فينظمها حتي كمل به رجزه هذا ، انتهى .

وأخذ عنـه عبد الملك ابـن مخلص الأنصـاري ، وورخ بربيـع الأول من عام سبعمئة ، أجاز له رجزه في الفرائض الذي سماه (الغوامض ، من متعلقات مشكل الفرائض) .

ولد عام سبعة وستمئة بظاهر اسطبونة .

وتوفي سنة سبع وسبعمئة .

ذكره في (الجذوة) لدي ترجمة تلميذه المذكور ، كما أفرد له ترجمة في المحمدين (1) .

---

1) جلوة الاقتباس ص 288 ع 296 طبع الرباط .

وقال الحافظ في (الدرر الكامنة) بعد ذكره ، قال ابـن الخطيب : كان إماما في العربية والعروض ، وكان شديد التعصب لسيبويه مع خفة فيه ، حدثني شيخنا أبو الحسن ابن الجياب قال:ورد أبو بكر القالوسي على القاضي أبي عمرو الرندون وكان شديد المهابة ، فتكلم في مسألة في العربية نقلها عن سيبويه فقال له القاضي : أخطأ سيبويه ، فكاد يجن ولم يقدر على جوابه لمكان منصبه، فجعل يدور في المسجد ودموعه تنحدر على وجهه وهو يقول : أخطأ مَن خَطّأه ولا يزيد عليها ، وكان مشاركاً في فنون من الفقه والقراءات والفرائض ، وله تواليف حسان ، ونظم في العروض وفي الفرائض ، وشرح الفصيح ، وكان قرأ على أبي الحسن بن أبي الربيع ، وأبي جعفر ابن الزبير وغيرهما ، وله شعر منه قصيدة أولها :

أطلع بأفق الراح شمس الـــــراح وصل الزمان مساءَه بصبـــاح

وكانت وفاته (يوم الجمعة الثامن عشر) من رجب الفرد سنة 707 (1) .

586) محمد بن علي ابن قطرال الأنصاري

محمد بن علي بن محمد بن علي بن يوسف ابن قطرال الأنصاري من أهل مراكش ، يعرف بابن قطرال .

حـــالـــه (من العائد) :

كان رحمه الله فاضلا ، صوفياً ، عارفاً ، محدثاً ، فقيهاً ، زاهـداً ، تجرد عن ثروة معروفة ، واقتصر على الزهد والتخلي وملازمة العبادة والعزوف عن الدنيا ، وله نظم رائق ، وخط بارع ونثر بليغ ، وكلام على طريقة القوم ، رفيع الدرجة ، عالي القدر ، شرح قصيدة الاسرائيلي ، وتجول في لقاء الأكابر، على حال جميلة من إيثار الصمت والانقباض والحشمة ، ثم رحل إلى المشرق وحج صدر سنة ثلاث وسبعمئة .

1) **الاحاطـة** مخطوط ، وذكر فيه من تآليفه **الدرة المكنونة ، فى محاسن اسطبونة** ، وكتبت القالوسى فيه هكذا القلوسى .

مشيخته :

من شيوخه القاضي العالم محمد بن علي ، والحافظ أبو بكر بن محمد المرادي ، والفقيه أبو فارس الجروي ، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع ، والعدل أبو محمد ابن عبيد الله، والحاج أبو عبد الله ابن الخضار ، وأبو إسحاق التلمساني ، ومحمد ابن خميس ، وأبو القاسم ابن السكوت ، وأبو عبد الله ابن عياش ، وأبو الحسن ابن فضيلة ، وأبو جعفر ابن الزبير ، وأبو القاسم ابن خير ، هؤلاء كلهم لقيهم وأخذ عنهم ، وكتب له بالاجازة جملة كالقاضي أبي علي ابن الأحوص ، وأبي القاسم العزفي ، وأبي جعفر الطنجالي ، وصالح ابن شريف ، وأبي عمرو الداري ، وأبي محمد ابن الحجاج ، وأبي بكر ابن حَبيش، وأبي يعقوب ابن عقاب ، وغيرهم .

شعره :

وأما شعره فكثير بديع ، قال شيخنا أبو بكر ابن شبرين كتبت إليه :

يامُعمِل السير أي إعمـــال ... سلمْ على الفاضل ابن قطـــرال

في أبيات فراجعني عنها بأبيات منها :

زارت فأزرت بمسك داريـــن ... تفتق الحسن منها في أفانيـــن
ومثلها في شتى محاسنهـــا ... ليست ببدع من ابن شبريـــن

وفاته :

ووفاته بحرم الله عاكفاً على الخير وصالح الأعمال، راغباً عن زهرة الحياة الدنيا ، إلى أن اتصل خبر وفاته ، وفيه حكاية ، عام تسع وسبعمئة رحمه الله ، ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن ابن فضيلة وغير ذلك .

انتهى من (الاحاطة) (1) .

وذكر الحافظ في (الدرر الكامنة) أنه جاور بمكة ، ومات بمكة في جمادى الأولى عام 710 ، سقط سقف رباط الخوزي فمات ، وأرخ ابن الخطيب وفاته في سنة 709 فوهم ، انتهى .

---

1) الاحاطة مخطوط .

وذكر محمد المقري الجد أنه حفظ من وجادة أنه ذكر عند المترجم أن ابن الحاجب اختصر (الجواهر) فقال : ذكر هذا لأبي عمرو حين فرغ منه فقال : بل ابن شاش اختصر كتابي، قال ابن قطرال: وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاش، والانصاف أنه لا يخرج عنه وعن ابن بشير إلا في الشيء اليسير، فهما أصلاه ومعتمداه ، ولا شك أن له زيادات وتصرفات تنبيء عن رسوخ قدمه وبعد مداه ، نقله في (نفح الطيب) في ترجمة جده .

وقال فيه أيضاً : ولا بأس أن نورد من فوائد مولاي الجد ما حضرني الآن ، فمن ذلك ما حكاه عن عبد الرزاق عن ابن قطرال قال : سمع يهودي بالحديث المأثور نعم الادام الخل ، فأنكر ذلك حتى كاد يصرح بالقدح ، فبلغ ذلك بعض العلماء ، فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة، قال : فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام .

ثم قال : ومنها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال : كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام إذ أقبل رافضي بفحمة في يده ، فكتب بها على جدار هناك :

من كان يعلمُ أن اللهَ خالقــه فلا يحب أبا بكر ولا عمــرا

وانصرف ، فألقى علي من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسي قبل ، فجعلت مكان يحب يسب ورجعت إلى مجلسي ، فجاء فوجده كما أصلحته ، فجعل يلتفت يميناً وشمالا كأنه يطلب من صنع ذلك ، ولم يتهمني ، فلما أعياه الأمر انصرف ، انتهى .

واقتصر في (درة الحجال) و (لقط الفرائد) على ذكر تاريخ وفاته، وسيأتي ذكر علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري المعروف بابن قطرال .

587) محمد بن عمر (المرتضي) الموحدي

محمد بن عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المومن بن علي المراكشي ، كان أبوه يلقب المرتضي ، وولي المملكة نحو العشرين سنة ، ثم

خرج عليه الواثق أبو دبوس فاسره ، ثم قتله واعتقل أولاده ، وهذا منهم ، وذاك في سنة 665 ، فلما استولى المريني على المملكة انتزعه إلى الأندلس ، فاقاموا باشبيلية ، ثم انتقلوا إلى غرناطة ، وكان محمد هذا وقوراً ، قرّب صاحب غرناطة مجلسه ،وأجرى عليه كفايته ، واستعمله على الحمراء ، ومات في ذي القعدة سنة 715 .

588) محمد بن سليمان البيّاتي

محمد بن سليمان بن أحمد المراكشي الصنهاجي البيّاتي بالتثقيل ، ثم مثناة الزين المقري من شيوخ الأسكندرية ، سمع من ابن رواج ومظفر الفوي ، وسمع منه الواني والجماعة ، ذكره في (مشتبه النسبة) .

وقال في (إنباء الغمر) لدى سنة 794 ما نصه : عبد الله بن أبي بكر بن محمد الدماميني ، ثم الأسكندراني شهاب الدين ، سمع (الموطأ) من الجلال بن عبد السلام ، وتفرد به ، وسمع من محمد بن سليمان المراكشي الرابع وثلاثة أجزاء بعده من التعقبات ، وتفرد به أيضاً ، ومات في ربيع الآخر، وكان فاضلا أديباً ، انتهى .

وذكره في (الدرر الكامنة) في ترجمة تلميذه عبد الله بن محمد بن علي بن أبي الحسن جمال الدين ابن معين الدين القيم بالكاملية وبالجامع الأقمر ، المتولد سنة 708 ، شيخ البرهان محدث حلب ، وابن ظهيرة ، وابن العراقي وغيرهم منها وقال فيها في ترجمته ما نصه : محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف بن علي المقري الصنهاجي المراكشي نزيل الأسكندرية ، كان سمع من ابن رواج الستة الأولى من التعقبات ، ومن المظفر بن الفوي ، وأمَّ بمسجد قداح ، وحدث وكتب في الاجازات ، وعاش نحواً من ثمانين سنة، ويقال ولد في حدود سنة أربعين وستمئة ، ومات في ذي الحجة سنة 717 هـ ، وترجمه في (الشذرات) أيضاً نقلا عن (العبر)، وابن رواج المذكور اسمه عبد الوهاب ابن ظافر الأسكندراني المالكي المحدث أبو محمد رشيد الدين المتوفي في 18 ذي القعدة سنة 648 المترجم في (الشذرات) .

وترجم في (حسن المحاضرة) لابن زواج ، ورشيد الدين يحيى العطار ، ولابن سليمان المذكور في المحدثين والمسندين بمصر .

وترجم الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) للرشيد العطار صحيفة 226 ج 4 .

589) محمد ابن صالح ، الوليُّ الصالح صاحب الضريح المشهور بالحومة المنسوبة إليه ، لم أقف له على ترجمة ، ويُذكر أن العلامة سيدي الحسن الفلالي المراكشي كان إذا أشكل عليه شيء من عويصات المسائل العلمية يأتي قبر المترجم له وينام داخل ضريحه يساراً بقصد الجواب عما أشكل عليه ، فيرى الشيخ في منامه ساعته ، ويبين له القضية ، ويحقق له مناطها ، وربما أطلعه عليها في كتاب ، فيستيقظ وهو حافظ لها أو عارف بالمحل التي هي مذكورة فيه ، وهكذا كان حاله معه غير ما مرة ، وهذا يدل على أنه من أهل التصرف في الحياة وبعد الممات ، وذكر بعض الطلبة أنه وقف له على كتاب يسمى بـ (الهدية) وضعه في سر الحرف وعلم الفلك والتنجيم ، وبلصقه صومعة المسجد المشهور بالنسبة إليه التي بنيت في غرة رجب عام أحد وعشرين وسبعمئة ، بتقديم السين على الموحدة كما هو مسطر فيها بالتزليج ، أما مسجده فبناه أبو الحسن المريني سنة ثمان عشرة وسبعمئة (1) وفي سنة ثمانين وألف جدده السلطان مولانا الرشيد ، وأمر بتأسيس المدرسة التي بازائه ، ثم جدده السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، كما جدد قبة الشيخ المذكور .

590) محمد بن عمر ابن رشَيْد الفهري السبتي

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسين بن محمد بن عمر الفهري من أهل سبتة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن رشيد كأنه تصغير رشد ، الخطيب المحدث الشهير المتبحر في

1) لعل الذى بناه هو أبوه السلطان أبو سعيد ، لأن أبا الحسن لم يتول الملك الا عام 731 الا اذا كان أبو الحسن بناه وهو ولى للعهد .

علوم الرواية والاسناد ، وصفه ابن خلدون في (العبر) بكبير مشيخة المغرب وسيد أهله ، شيخ المحدثين الرحالة ، وقال ابن الخطيب ، كان رحمه الله تعالى فريد عصره جلالة وعدالة وحفظاً وأدباً وسَمتاً وهدياً ، واسع الأسمعة عالي الاسناد ، صحيح النقل ، أصيل الضبط ، تام العناية بصناعة الحديث ، قيِّماً عليها ، بصيراً بها ، محققاً فيها ، ذاكراً للرجال ، متضلعاً من العربية واللغات والعروض ، فقيها أصيل النظر ذاكراً للتفسير ، ريان من الأدب ، حافظاً للأخبار والتواريخ ، مشاركاً في الأصلين ، عارفاً بالقراءات ، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، وكانت إجازته البحر من المرية فتلاقى بها هو والوزير محمد ابن الحكيم ، وكان قصدهما واحداً ، ومأمهما متعاضداً ، فترافقا في السفر كما ترافقا في الوطن ، فدخلا إفريقية ومصر والشام ، وأخذ بها وبالحجاز عمن لقي من الأيمة الأعلام ، وأكثر من هذا الشأن وأجاد فيه الضبط والاتقان ، وتوسع في الرواية ، وذهب في ذلك إلى أبعد غاية ، وكان أديباً خطيباً بليغاً ، حُكيَ عنه أنه قام للخطبة يوماً بعد فراغ المؤذن الثاني ، ظنه الثالث ، فلما قام نادى المؤذن الثالث ، فقال بديهة : أيها الناس ، رحمكم الله ، إن الواجب لا يبطله المندوب ، وإن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب ، فتأهبوا لطلب العلم ، وانتبهوا وتذكروا قول الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا »، فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَن قال لأخيه والامام يخطب أنصت فقد لغا ، ومَن لغا فلا جمعة له ، جعلني الله وإياكم ممن عَلِم فعمل ، وخوطب فقبل ، وأخلص فتخلص وذلك مما استُدل به على قوة مطاوعة لسانه له .

قال الونشريسي في (المعيار) : وقعت هذه القضية أيضاً بتونس بجامع القصبة لقاضي الجماعة عيسى الغبريني ، فتمادى كما تمادى ابن رشيد، ووقعت لبعض الشيوخ بجامع الزيتونة ، فرجع والصواب مع الأول . انتهى ، ونقله في ترجمته في (طبقات المالكية) .

وكان المترجم يقرض الشعر على تكلف لوزنه ، وأعظم غايته بعلم الحديث متنه وسنده ومعرفة رجاله ، وبذلك كان جل اشتغاله ، قرأ ببلده

سبتة على الأستاذ إمام النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع كتاب سيبويه ، وقيد على ذلك تقييداً مفيداً ، وأخذ عنه القراءات بمضمن كتاب (التيسير) ، وأخذ عن الجلة الذين يشق إحصاؤهم ، فلقي بافريقية الراوية العدل عبد الله ابن هارون ، يروى عن ابـن بقي ، وروى بالمشـرق عن أبي اليمن ابن عساكـر الدمشقي شرف الدين ، وقطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني شيـخ دار الحديث الكاملية ، وأخذ في المرية في اجتيازه عليها عن الخطيب محمد ابن الصائغ ، والوزير الأديب أحمد بن محمد ابن سلبطور ، قيد عنه من شعره ، وأخذ ببجاية عن الخطيب أبي محمد عبد العزيز بن عمر القيسي ابن كحيـلا نزيلها ، وبتونس عـن قاضي الجماعة بها أبـي القاسم ابن زيتون ، وأخـذ بالأسكندرية عن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل ابن فارس التميمي ، والصالح العدل ابي عبد الله بن عبد الخالق ابن طرخان القرشي ، وبالقاهرة عن الحافظ أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، والأديب الصوفي شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري بن الخيمي نزيل إيوان الحسين رضي الله عنه من القاهرة المعزية ، وبدمشق عن عز الدين أبي العز عبد الله بن عبد المنعم بن علي الحراني ، وأبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي ، والمسند أبي الفرج عبد الرحمان بن أحمد بن عبـد الملك المقدسي ، وبالحرم الشريف عـن المحدث الأديب أبي إسحاق عبـد الصمـد بن عبـد الوهاب ابن عساكـر الدمشقي ، وفقيـه الحرمين محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم ابن المكي ، وبالمدينة المشرفة على محمد ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وأشياخه أودعهم رحلته الحافلة التي سماها (ملء العيبة ، في ما جمع بطول الغيبة ، في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة) ، وهي في أربعة أسفار أو ستة ، وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق ، وبمكتبة الأسكوريال ببلاد إسبانيا منها الآن عدة مجلدات ، منها ما هو بخط المؤلف ، وربما يخرج من مجموعها نسخة كاملة .

وقد ذكر الحافظ في (الدرر الكامنة) في ترجمة علم الدين القاسم بن يوسف السبتي ما نصه : قلت : وقفت على رحلته ، وهي ثلاث مجلدات ضخمة، وقد حذا فيها حذو ابن رشيد ، وكان رحل قبله بنحو عشر سنين ، وزاد هو

على رحلة ابن رشيد بتضمين الرحلة مشيخة له مستوعبة ، يذكر ترجمة الشيخ وما يمكن من مروياته ، ويبيّن ما سمعه منه بأسانيده ، ويخرج عنه بعد ذلك شيئاً من حديثه وفوائده وإنشاداته ، ويفعل ذلك في كل بلد دخله . انتهى .

قدم غرناطة في عام اثنين وتسعين وستمئة ، فعقد مجالس للخاص والعام ، يقرىء بها فنوناً من العلم ، وتقدم خطيباً وإماماً بالمسجد الأعظم ، وله من التآليف (ترجمان التراجم) في إبداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري ، و (السَّنَنُ الأبين ، في السند المعنعن) ، و (المقدمة المعرفة ، لعلوم المسافة و الصفة) ، و (المحاكمة بين البخاري ومسلم) ، و (إحكام التأسيس ، في أحكام التجنيس) ، و (إيراد المريع ، لرائد التشجيع والترصيع) ، و (وصْل القوادم بالخوافي ، في ذكر أحكام القوافي) ، شرح فيه كتاب (القوافي) لشيخه حازم القرطاجني ، وجزء مختصر في العروض ، وتقييد على كتاب سيبويه .

قال في (الاحاطة) : وله شعر يتكلفه ، إذ كان لا يزن أعاريضه إلا بميزان العروض ، انتهى ، فمن شعره ما أنشده له القاضي أبو البركات البلفيقي قال : أنشدني الفقيه الخطيب محمد ابن رشيد لنفسه في تمثال نعل المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد رآه بدمشق في دار الحديث الأشرفية :

هنيئاً لعيني إذ رأت نعل أحمد ... فيا سعد جدي قد ظفرت بمقصدي
وقبلتها أشفي الغليل فزادني ... فياعجباً زاد الظما عند موردي
فلله ذاك اللثم فهو ألذ من ... لمى شفة لميا وخد مورَّد
ولله ذاك اليوم عيداً ومَعْلما ... بتاريخه أرَّخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيب كما ... يحب ويرضي ربنا لمحمد

وله مما قاله في البحر ، وقد انبسط عليه ضوء القمر ليلة البدر :

انظر إلى البدر قد مُدت أشعته ... على خضاره حتى أبيض أزرقه
والريح قد صنعت درعاً مسامرها ... حباب برق بدا للعين رونقه

وله أيضاً :

تغرّبْ ولا تحفل بفرقة موطـــن ... تفزْ بمنى في كل ما شئت من حاج
فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقا ... ولولا اغتراب الدر ما حل في التاج

ولما قفل من المشرق ، عاد إلى بلده سبتة فلم يساعده بها القدر ، كتب له الوزير محمد ابن الحكيم رفيقه يستدعيه إلى حضرة غرناطة ، ويعده بنيل كل أمنية ، فأعمل الرحلة إليه ، ثم قدم حينئذ للخطبة والصلاة بالجامع الأعظم من الحضرة ، ثم لما توفي أبو جعفر ابن الزبير عن قضاء المناكح خلفه عليها . فلما أن اغتيل صاحبه الوزير محمد ابن الحكيم رحل من غرناطة ولحق بحضـــرة فاس فحل بها ، وجعـــل له الأمـــر السلطاني الاختيار أيـــن يحب الاستقرار ؟ فاختار التحول إلى مراكش إذ كان قبل قد سكنها فاستحسنها ، فورد عليها وقدم للخطبة والصلاة بجامعها العتيق ، وهو القائل كما في فهرسة السراج عن شيخه الرعيني عن المترجم : لم أر عالماً بالمغرب إلا رجلين ، ابن البناء العددي بمراكش ، وابن الشاط بسبتة ، انتهى .

ثم استدعاه السلطان إلى حضرة فاس ، فوردها وصار من خواص السلطان ، وأقام على ذلك إلى أن توفي بفاس في الثالث والعشرين (1) لشهر المحرم سنة إحدى وعشرين وسبعمئة .

قال في (النشر) في ترجمة أبي المحاسن نقلا عن صاحب (الاحاطة) ما نصه : ودفن في الجبانة التي بخارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجلة باللام ، وهي جميع جليل ، ويقال فيه اليوم الجنة بالنون وهو تفاؤل حسن ، وقد اشتمل على العلماء ، والصلحاء ، والفضلاء من الغرباء الواردين من مدينة فاس ، انتهى .

مولده بسبتة في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمئة .

---

1) في **الاحاطة** (مخطوط) في الثامن لشهر محرم .

ترجه في (الاحاطة) و (الدرر الكامنة) قال فيها: واستمر ابن رشيد في الجامع، يعني من غرناطة ، يشرح من البخاري حديثين يتكلم على سندهما ومتنهما أتقن كلام ، ودرس دروساً مبيناً للرواية ، فلما قُتل ابن الحكيم في شوال سنة 708 خرج منها إلى العدوة ، فبقي في إيالة صاحبها عثمان بن يعقوب المريني إلى أن مات مكرماً ، وله أيضاً (إيضاح المذاهب ، فيمن يطلق عليه اسم الصاحب) .

ثم نقل عن (سير النبلاء) للذهبي عن تلميذه ابن المرابط، أن المترجم كان على مذهب أهل الحديث في الصفات ، يمرها ولا يتأول ، وكان يسكت لدعاء الاستفتاح ، ويسر البسملة ، فأنكروا عليه وكتبوا عليه محضراً بأنه ليس مالكياً ، فاتفق أن القاضي الذي شرع في المحضر مات فجأة وبطل المحضر .

انتهى المقصود .

وترجمه في (الديباج) ، وفي (البدر الطالع) ، و (الجذوة) و (بغية الوعاة) ، و (الدرة) و (السلوة) (1) .

وقال المترجم في فهرسته ، كنت مع الفقيه الأستاذ أبي القاسم المزياتي تحت ثريا جامع القرويين من فاس عمره الله تعالى بالذكر وحرسها ، بعد صلاة المغرب ، وإذا رجل قد أقبل وأخبر الأستاذ أبا القاسم بقدوم الأستاذ ابن عبدون ، فقال لنا أبو القاسم : قوموا بنا إلى لقائه ، فالتقيناه وهو داخل المسجد ، وسلمنا عليه ، فاستقبل الثريا وهي مُسرَجَة ، فقال ابن عبدون مرتجلا :

انظر إلى ثورية نورها ... يصدع باللألاء سجف الغسق

فقال أبو القاسم :

كأنها في شكلها ربوة ... انتظم النور بها فاتسق

1) الديباج المذهب ص 310 وجذوة الاقتباس ص 289 ع 298 ودرة الحجال 2 : 96 ع 532 طبع تونس ، وسلوة الانفاس 2 : 191 وبغية الوعاة ص 85 .

ثم اجتمعت صبيحة تلك الليلة مع الأديب البليغ مالك ابن المرحل ، وأعلمته بما وقع من الأستاذين ، فقال : لو كنت معهما لقلت :

أعيذها من سوء ما يتقـــــي   من فجأة العين برب الفلـــق

وقال محمد بن خلف :

باهى بها الاسلام ما أشرقـــت   كاساتها عند مغيب الشفـــق

انتهى نقله في (المنتقى المقصور) .

قلت : وما في أوائل (الجذوة) مما يخالف هذا ، فهو ليس على ما ينبغي (1) .

للأستاذة الأديبة الشاعرة السيدة سارة الحلبية نزيلة فاس تخاطب المترجـم :

وافى قريض منكم قد غـــدا   لبعض أوصافكم ذاكـــرا
يابن رشيْد ياأخا الرشد يـــا   من لم يزل طي العلا ناشـــرا
خذها فدتك النفس ياسيـــدي   وكن لمن نظمها عـــاذرا
لم تستطع أنثى بتقصيرهـــا   بأن تجاري ذكراً ماهـــرا
لا زلت تُحيي من رسوم العـــلا   ما كان منها عافياً داثـــرا

فـائـدة

يُعرف بابن رشيد جماعة ، اشهرهم وأعلمهم المترجم ، فمنهم أبو سعيد بن رشيد بن يحيى بن محمد بن عمرو ابن رشيد الفهري ، الفقيه الكاتب صاحب العلامة للسلطان عبد الحليم المريني ، ومنهم أبو عبد الله محمد بـن محمد ابن رشيد الفقيه الكاتب ، كاتب الدولة المرينية أيضاً .

فائدة أخرى

تتعلق بقول ابن رشيد فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَن

---

1) جذوة الاقتباس ص 69 طبع الرباط .

قال لأخيه أنصت والامام يخطب فقد لغا، ومَن لغا فلا جمعة له: اعلم أن لفظ ومَن لغا فلا جمعة له نسبه ابن دقيق العيد للترمذي مع أنه ليس في جامعه ، كما نسبه العراقي لأبي داوود من حديث علي مع أنها لم توجد فيه ، وإنما لفظه كما نقله في (الترغيب والترهيب) : ومَن قال يوم الجمعة لصاحبه أنصت فقد لغا ، ومن لغا فليس له في جمعته شيء ، ولفظ مسند أحمد : ومن قال صه فقد تكلم ، ومَن تكلم فلا جمعة له . وقلّد العراقي في النسبة المذكورة المجد ابن تيمية في (منتقى الأخبار)، وقد تبعهما ابن الديبع في (تيسير الوصول) ، ويجاب أن مرادهم أن أصل ذلك فيهما ، وحديث أبي داوود المذكور منقول في (الجامع الكبير) وحواشي (الموطأ) وابن الهندي في (كنز العمال) ومنتخبه، وشرح (الموطأ) للزرقاني ، و (تكملة المشكاة) بلفظ : ومَن لغا فليس له في جمعته شيء ، وأبو الليث السمرقندي الحنفي أورد في (تنبيه الغافلين) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : ومَن مسّ الحصا فقد لغا ، ومَن لغا فلا جمعة له . وهو عند أحمد وغيره بدون تلك الزيادة ، كما في (الجامع الكبير) ، وكذلك لم توجد في نسخة خطية من (تنبيه الغافلين) ، وقد أدرج تلك الزيادة الامام أبو حامد الغزالي في (الاحياء) ، وقبله الامام أبو طالب المكي في (القوت) ، وبعدهما الشيخ عبد الوهاب الشعراني في (كشف الغمة) ، وجعلها ابن عبد البر من قول عكرمة وعطاء ، وقال الشيخ عبد الباقي الزرقاني في (شرح المختصر) عند قول خليل: ونُهي لاغ وحصبه لخبر من حرك الحصا فقد لغا، أي ومَن لغا فلا جمعة له، كما في خبر آخر ، أي كاملة انتهى ، وقال أبو عبد الله التاودي في حواشيه على الصحيح ، عقب حديث الانصات لأبي هريرة ما نصه : زاد في رواية ومَن لغا فلا جمعة له ، وقال العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في جواب له مذكور في رحلة ابن زاكور : أن هذا اللفظ ، وهو ومَن لغا فلا جمعة له ، لم أجد مَن ذكره على أنه حديث انتهى ، وقد نسبها مع حديثها ابن القيم في (الهدي النبوي) للامام أحمد أيضاً .

قال السيد أبو الاسعاد بعد إيراد ما تقدم مبسوطاً في كتاب (عقد الزبرجد ، في أن ومَن لغا فلا جمعة له مما نقب عنه من الأخبار ولم يوجد) ما نصه : قلت : وحيث ظهر أن الجواز ، يعني جواز رواية الحديث بالمعنى مشروط بحالة النسيان أو عدم استطاعة الاتيان بعين اللفظ ، فالظاهر من فعل

الفقيه المحدث الخطيب محمد ابن رشيد الفهري أنه حصل لـه نسيان لفظ أحمد الذي هو : ليست له جمعة ونحوه ، فأداه بلفظ مَن لغا فلا جمعة له ، وذلك أنه كان فوق منبر جامع غرناطة ، فلما فرغ المؤذن من الأذان الثاني ، ظن أنه الثالث ، فقام وشرع في الخطبة فاستعظم ذلك بعض الحاضرين وهموا بتنبيهه ، وفعلوا فلم ينته عما شرع فيه وقال بديهة : أيها الناس الخ ما تقدم، فان إدراج ومن لغا فلا جمعة له في الحديث ساغ لمحمد ابن رشيد لضرورة ضيق الوقت ، وخصوصاً ما تكلف على البديهة من التشجيع ، ويرشدك لذلك ما ارتكبـه صدر الحديث مـن إتيانه فيه بأخيه بـدلا عن صاحبه المعلومـة وغير ذلك ، وقال السخاوي في (المقاصد الحسنة) حديث : إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت متفق عليه عن أبي هريرة ، ثـم قال : ولأحمد عن علي مرفوعاً : من قال صه فقد تكلم ، ومن تكلم فلا جمعة له ، وعزا ابن دقيق العيد للترمذي قوله : ومَن لغا فلا جمعة له ، وما رأيت هذا في جامعه ، وبسطت هذا كله في جزء مفرد انتهى ، وختم السيد أبو الاسعاد هذا الكتاب بأربعين حديثاً عزيت لكتب لم توجد فيها ، ووقع الوهم في عزوها، وهو كتاب عجيب حافل في نحو ست كراريس ، وقد ذكر الشيخ ميارة في شرح (المرشد) خطبة المترجم المذكورة ، مصدراً لها بقوله : إذا فرغ المؤذن الثاني يوم الجمعة فاعتقد الامام أنه الثالث ، فقام وشرع في الخطبة ، ثـم سمع المؤذن فانه يتمادى لكونه تلبس بفرض ، ووقعت بجامع غرناطة الخ .

فائدة ثالثة

قال في (كشف الظنون) عند صحيح البخاري وشروحه ما نصه : و(ترجمان التراجم) لمحمد بن عمر ابن رشيد الفهري السبتي ، وهو على أبواب الكتاب ولم يكمله انتهى ، وقد تقدم ذكره في عدة كتبه ، غير أنه لـم يتقدم التنبيه على أنه لم يكمل .

وذكـر الحافظ فـي (الدرر الكامنة) فـي ترجمة محمد بـن عثمان الغرناطي ابن المرابط المتوفي سنة 752 ما نصه : قلت : قرأت بخطه أربعين تساعيات خرجها لشيخه محمد ابـن رشيد ، خبط فيهـا كثيراً ، وأخرج له فيها من مسند أحمد بروايته عن الفخر علي ، ويقع له ذلك عشارياً وأكثر ، فما كأنه كان يفهم ، ورأيت بخطه جزءاً حط فيه الذهبي ، وترجمه ترجمة أفرط

في ذمه فيها ، وتعقبها برهان الديـن ابن جماعة عـلى الهامش ، والله يرحم الجميع ، انتهى (1) .

591) محمد بن علي ابن الفخار الجذامي

محمد بـن علي بن محمد بن أحمد ابـن الفخار الجذامي أبـو بكر ، أركشي (2) المولد والمنشأ ، مالقي الاستيطان ، شريشي التدرب والقراءة .

قال ابن الخطيب رحمه الله : كان رحمه الله كثير العكوف على العلم ، قليل الرياء ، خيِّراً صالحاً شديد الانقباض ، مغرقاً في باب الورع ، سليم الباطن ، مستغرق الوقت في التدريس ، مغرماً بالتأليف ، ألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة ، منها (تحبير نظم الجمان ، في تفسير أم القرآن) و (نصح المقالة ، في شرح الرسالة) .

توفي عام ثلاثة وعشرين وسبعمئة ، انتهى .

ونقله في (طبقات المالكية) ، وجعله في (الديباج) صحيفة 303 أركشي الولد والمنشأ ، وأطال في ترجمته ، ولم ينسبها (3) ونصه محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفخار الجذامي ، يكنى أبا بكر ، أركشي المولد والمنشأ ، مالقي الاستيطان ، شريشي التدرب والقراءة .

كان رحمه الله كثير العكوف على العلم والملازمة، قليل الرياء، خيراً صالحاً شديد الانقباض مغرقاً في باب الورع ، سليم الباطن ، وكان مفيد التعليم ، متفننه من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث ، عظيم الصبر ، مستغرق الوقت في التدريس ، ونشأت بينه وبين فقهاء بلده مشاحنة في أمور عدوها عليه مما

---

1) ينظر عن ابن رشيد عدى ما تقدم : **ذكريات مشاهير المغرب** ع 18 **وازهار الرياض** 2 : 347 **وغاية النهاية** 2 : 219 **وشجرة النور الزكية** 2 : 216 **والرسالة المستطرفة** ص 134 **وذيل طبقات الحفاظ** ص 355 **والدرر الكامنة** 4 : 111 .

2) في الأصل المطبوع بفاس مراكشي ، وهو خطأ نشأ عن تصحيف أركشي نسبة الى أركش التى ولد بها المترجم ما بين الثلاثين والاربعين والستمئة ، وهذا التصحيف هو الذى جعل المؤلف يدرج ابـن الفخار فى كتابه هذا مع أنه لم يحـل بمراكش ولا بأغمات ، وانمـا قصارى رحلته الى المغرب مدينة سبتة التى انتقل اليها من الجزيرة الخضراء بعد استيلاء العدو على مدينته أركش فقرأ بها وروى ثم كر راجعاً الى الأندلس فاستقر بغرناطة .

3) منقولة من كتاب **الاحاطة** لمحمد ابن الخطيب السلمانى مع تصرف قليل .

ارتكبها اجتهاده في مناط الفتوى ، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس مجلساً أجلى عن ظهوره فيه وبقاء رسمه ، وبلغ من تعظيم الناس إياه مبلغاً لم ينلـه أحد مثله ، وانتفع بعلمه واستفيد منه ، قرأ ببلده على فقهائها كالأستاذ أبي بكر محمد الدباج ، وعلى الأستاذ علي بن إبراهيم ابن حكيم السكوني ، وعلى الحافظ علي بن عيسى المعروف بابن متيوان ، وقرأ على الخطيب أبي عبـد الله ابن خميس ، وأبي الحسن ابن أبي الربيع ، وعلى أبي يعقوب اليحساني ، والمحدث الحافظ أبي محمد ابن الكماد وغيرهم من الأيمة الجلة ممن يطول تعدادهم .

وكان رحمه الله تعالى مغرماً بالتأليف ، ألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة ، منها كتاب (تحبير نظم الجمان ، في تفسيـر أم القرآن) ، و (انتفاع الطلبة النبهاء ، في اجتماع السبعة القراء) ، و (الأحاديث الأربعون، فيما ينتفع به القارئون والسامعون) ، وكتاب (منظوم الدرر ، في شرح كتاب المختصر) ، وكتاب (نصح المقالة ، في شرح الرسالة) ، وكتاب (جواب المختصر المروم ، في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم) ، وكتاب (استواء النهج ، في تحريم اللعب بالشطرنج) ، وكتاب (الفيصل المنتضَى المهزوز ، في الرد على مَن أنكر صيام النيروز) ، وكتاب (جواب البيان ، على مصارمة أهل هذا الزمان) ، وكتاب (تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر وقتهـا المختار ، على صلاة الصبح للمفرد في أول وقتها بالابتدار) ، وكتاب (إرشاد المسالك، في بيان إنفاء إسناد زياد عن مالك)، وكتاب (الجوابات المجمعة ، على السؤالات المنوعة) ، وكتاب (إملاء الدول ، في ابتداء مقاصد الجمل) ، وكتاب (أجوبة الاقناع والاحساب ، في مشكلات مسائل الكتاب) ، وكتاب (منهج الضوابط المقسمة ، في شرح قوانين المقدمة) ، وكتاب (التوجيه لأوضح الأسماء ، في حذف التنوين من حديث أسماء) ، وكتاب (التكـملة والتبرية ، في إعراب البسملة والتصلية) ، وكتاب (سح مزنة الانتخاب ، في شرح خطبة الكتاب) ، ومنها (اللائح المعتمد عليه ، في الرد على من رفـع الخبر بلا إلى سيبويه) ، وغير ذلك من مجيد ومقصر .

توفي في عام ثلاثة وعشرين وسبعمئة ، ولم يذكر أركش البكري في (معجم ما استعجم) ولا صاحب (معجم البلدان) فيه ولا في (تاج العروس)، وذكره في (الذيل والتكملة) ممن ينسب إلى أركش علي بن إبراهيم بن الحسن الأموي شريشي أركشي ، وصحح في وفاته 12 صفر سنة 642 .

592) **محمد بن أحمد المراكشي** من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالمراكشي .

حـــالـــه

كان فتى جميل الرؤيا سكوتاً مطبوعاً على المغافصة والغمز،مهتدياً إلى خفي الحيلة ، قادراً على المباهتة ، ذكياً متسوراً عـلى الكلام في الصنائع والألقاب من غير تدرب ولا حنكة ، دمث الأخلاق ، لين العريكة ، انتحل الطب وتصدر للعلاج والمداواة ، واضطبن أغلوطة صارت له بها شهرة ، وهي رق يشتمل على أعـداد وخطوط وزيرجة وجداول تحتها عـلامات فيها اصطلاحات الصنائـع والعلوم ، ويتصل بها قصيدة رائقة رويُّها لام ألف ، أولها وهي منسوبة لأبي العباس السبتي :

يقول سبيتي ويحمد ربـــــــه مصل على هاد إلى الناس أرســلا

كأنهـا مدخل للزيرجة ، ذكــر أنه عثــر عليها في مظنــة غربية ، وظفــر برسالة العمل بها ، وتحدى بالاعلام بالكنايات وإخراج الخبايا والانذار بالوقائع حتى استهوى جملة من المشيخة ممن كان يركن إلى رجحان نظره ، وسلامة فطرته ، واستقلت الشهادة له بالاصابة سجية النفوس في حرصها على إثبات دعاوي المنحرفين .

أخبرني بعضهم أنه خبأ عظماً صغيراً يكون في أطراف أجنحة الطير ، أخذه من جناح ديك ، وزعم أرباب الخواص أنه يزيل العياء إذا علق ، فتصرف على عادته في تلك الجداول ، وأخذ الأعداد الكثيرة يضربها آونة ويقسمها

أخرى ، ويستخرج من تلك الجداول جيوباً وسهاماً ، ويأخذ جذوراً ، وينتج له العمل إخراج حروف مقطعة يبقيها الطـرح يؤلف منها كلاماً يقنص منـه الفائدة ، فكان في ذلك بيت شعر :

وفي يدكم عظم صغير مـــدور يزيل به الاعياء من كان في السفر

وأخبرني آخرون أنه سئل في نازلة فقهية لم يلف فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك، وعارض ذلك كله جلة من أشياخنا، فذكر لي الشيخ نسيج وحده أبو الحسن ابن الجياب أنه سامره فخرج له خبيئـة سواد الليل ، فتأمل ما يصنعه فلم يأت بشيء ولا ذهب إلى عمل يتعقل ، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على تخيل تختلف فيه الاصابة وضدها بحسب محاله ، القائل لتصرف الحيلة فيه ، فاقتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه ، وانتسخوا نظائر من تلك الزيرجة المموهة ، ممطولين منه التصرف فيها إلى اليوم .

واتصل بالسلطان فارنسم ببابه ، وتعدى طب الانس إلى طب الجن ، فافتضح أمره ، وهمّ به فنجا مفلتاً ، ولـم تزل حاله مضطربـة إلى أن دعي من العدوة وسلطانها منازل مدينة تلمسان ، وصلت الكتب عنه فوجه في جفن هيىء له ، ولم ينشب أن توفي بالمحلة عام سبعة وثلاثين وسبعمئة .

انتهى من (الاحاطة) (1) .

وقال في (الدرر الكامنة) بعد نقله مختصراً : ووقفت على الزايرجة عند شيخنا القاضي ولي الدين ابن خلدون ، وكان يوهم أنه يعرفها ولا يعترف بها صريحاً ، وانتسخها عنه جماعة وذهبوا بها ، وأطلعتُ على أن بعضهم ينظم البيت الشعر في الحال ويدعى أنه من استخراجه ، والعلم عند الله تعا لى .

انتهى كلام الحافظ (2) .

وقد وقفت عليها واستعملتها فظهر منها ما يقضي منه العجب .

---

1) الاحاطة (مخطوط) .

2) الدرر الكامنة 3 : 466 ع 3518 .

593) محمد بن محمد ابن عبد الملك الأوسي المراكشي

محمد بن محمد بن محمد أبن عبد الملك المراكشي الأنصاري الأوسي، ولد مؤرخ وقاضي مراكش أبي عبد الله المتقدم (1) .

قال ابن الخطيب في (ريحانة الكتاب) ما نصه :

ومن ذلك في وصف ابن عبد الملك من أهل مراكش : وقور أفرط حتى أثقل ، وفريع مجد مسه الاحتياج فتنقل ، ووجد الحميم فعافه وتنفل ، رحل من بلده مراكش لما جف حوضه ، وصوح روضه ، واتخذ به داراً ، واختارها قراراً ، وجرت عليه جراية تَبلَّغ بها ، وارتفق بسببها ، رعياً لأبيه، واحتراماً لبيته النبيه ، فقد كان أبوه رحمه الله صدراً في عصره ، وبدراً في هالة قطره ، رحب الحال ، نسيج وحده معرفة بطرُق الحديث وأسماء الرجال ، متبحراً في علوم الآداب ، منتدباً لاقامة رسم العفاف كلَّ الانتداب ، وابنه هذا متمسك بأذيالها ، مغرى بادارة جريالها ، إلى سرو عميم ، ووفاء يثني كل صديق له وحميم ، ولما تقلدت بهذه البلاد ، تثقيف أرزاق الأجناد ، بادرت إلى تقديم واجبه ، وإيثار جانبه . انتهى .

ونقل عنه في (الاحاطة) ما مدح به لسان الدين لما ولي (2) وقدمناه عنه في ترجمة والده (3) فراجعه هناك ، وأنه انتقل لمالقة وأن وفاته سنة 743 في ذي القعدة بأحواز استبة .

وقال في (الدرر الكامنة) : محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأوسي ، ولد سنة 674 وسمع على أبيه العلامة التارَيخي ، وتأدب به وقرأ على سعيد بن عبد الله في العربية ، وعلى أحمد بن عثمان ابن البناء التعاليمي كثيراً ، وتصانيفه في العدد والنحو والبديع ، وسمع من أبي علي ابن الزهر السلوي ، وعلى الخطيب أبي عبد الله المسترزقي ، ولقي شيخ الأدباء مالك ابن المرحل ، وسكن مالقة بعد أن تقلبت به الأحوال ، وله شعر حسن فمنه :

---

1) انظر ص 331 ع 583 من هذا الجزء .

2) الاحاطة 2 : 527 طبع القاهرة 1974 .

3) انظر الترجمة ع 583 ص 331 من هذا الجزء .

وليت ولاية أحسنت فيهـــــا   لتعلم أنها شرفت بقـــــدرك
وكم وال أساء فقيل فيـــه   دنيء القدر ليس لها بمـــدرك

ومات قتيلا في وقيعة كانت للمسلمين مع الافرنج حول استبة (1) في ذي القعدة سنة 743 انتهى (2) .

والبيتان المذكوران تقدم في ترجمة والده أنه خاطب بهما لسان الدين ابن الخطيب ، وما ذكره من أنه قرأ على ابن البناء فالتاريخ يقبله ، كما أن والده قرأ عليه وعلى أخيه ابن البناء المذكور كما تقدم في ترجمة ابن البناء المذكور ، ولكن هناك أن الأب اسمه محمد بن محمد بن عبد الملك ، والولد حينئذ يكون اسمه محمد بن محمد بن محمد بن عبد الملك ، وابن حجر تبعاً لصاحب (الاحاطة) جعل الولد محمد بن محمد بن عبد الملك ، وقد جرينا هنا على ما لصاحب (الاحاطة) وابن حجر ، وفي ترجمة الأب على ما في (الديباج) .

594) محمد بن علي أبو خرشة

قال ابن الخطيب : كان آية في تعبير الرؤيا ، قليل التصنع ، وكان يشتغل بعمل النجارة ، وكان قد أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله ابن الرقام ، واتفق أن صاحب غرناطة رأى رؤيا فطلب مَن يعبرها فدلوه عليه ، فقصها عليه ، ولم يعلمه أنه الرائي ، فعبرها له بمكروه يحصل للرائي ، فأمر بضربه بالسياط ، ونفاه إلى مراكش فأقام بها قليلا ، وظهر صدق عبارته ، وكان ينسب إلى السذاجة ، ومات سنة بضع وأربعين وسبعمئة .

انتهى من (الدرر الكامنة) (3) .

595) محمد بن يحيى ابن النجار التلمساني

محمد بن يحيى بن علي ابن النجار التلمساني شيخ التعاليم من أهل تلمسان ، أخذ العلم ببلده عن مشيختها وعن الآبلي ، وبرز عليه ، ثم ارتحل

---

1) في الدرر الكامنة سبتة ، ولاشك انها تحريف استبة ، كما في الاحاطة التي ينقل عنها ابن حجر .

2) الدرر الكامنة 4 : 314 ع 4391 .

3) الدرر الكامنة 4 : 219 ع 4136 .

إلى المغرب ، فلقي بسبتة إمام التعاليم محمد ابن هلال شارح المجسطي في الهيأة ، وأخذ بمراكش عن الامام أحمد ابن البناء ، وكان إماماً في علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها ، ورجع إلى تلمسان بعلم كثير ، واستخلصته الدولة، فلما هلك أبو تاشفين (الزياني) وملك السلطان أبو الحسن (المريني) نظمه في جملته ، وأجرى له رزقه ، فحصر معه بافريقية ، وهلك في الطاعون عام تسعة وأربعين وسبعمئة .

ذكره ابن خلدون (1) وصاحب (الجذوة) (2) .

وقال في (نفح الطيب) نقلا عن جده الامام الكبير ما نصه : قال لي العلامة الآبلي : ما قرأ أحد علي حتى قلت له لم أ'بق عندي ما أقول لك غير ابن النجار .

سمعت ابن النجار يقول : مرَّ عمل الموقتين على تساوي فضلتي ما بين المغرب والعشاء والفجر والشمس ، فيؤذنون بالعشاء لذهاب ثماني عشرة درجة ، وبالفجر لبقائها ، والجاري على مذهب مالك أن الشفق الحمرة، وأن تكون فضلة ما بين العشاءين أقصر ، لأن الحمرة ثانية الغوارب والطوالع، فتزيد فضلة الفجر بمقدار ما بين ابتداء طلوع الحمرة والشمس ، فعرضت كلامه هذا على المزوار عبد الرحمان بن سليمان اللجائي فصوَّبه .

وذكرت يوماً حكاية ابن رشد الاتفاق في الخمر إذا تخللت بنفسها أنها تطهر، واعترضته بما في (الاكمال) عن ابن وضاح أنها لا تطهر ، فقال لي : لا معتبر بقول ابن وضاح هذا ، لأنه يلزم عليه تحريم الخل ، لأن العنب لا يصير خلا حتى يكون خمراً ، وفيه بحث .

وذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة ، وهي أصول وفصول ، وفصول أول أصوله ، وأول فصل من كل أصل وإن علا، فقال : إن تركب لفظ النسبة العرفية من الطرفين حلت ، وإلا حرمت ، فتأملته

---

1) التعريف بابن خلدون ص 47 .

2) جذوة الاقتباس ص 302 ع 308 طبع الرباط .

فوجدته كما قال ، لان أقسام هذا الضابط أربعة ، التركب من الطرفين كابن العم ، وابنة العم ، مقابله كالأب والبنت ، التركب من قبل الرجل كابنة الأخ والعم ، مقابله كابن الأخت والخالة .

وأنشدت يوماً عنده على زيادة اللام (باعد أم العمر من أسيرها . .) البيت ، فقال لي : وما يدريك أنه أراد العمر الذي أراده المعري بقوله :

وعمر هند كأن الله صـــوره عمرو بن هند يُعنِّي الناس تعنيتاً

وأضاف اللام إليه كما قالوا أم الحليس ، قلت : ولا يندفع هذا بثبوت كون المغنية تُكنى أم عمرو ، لأن ذلك لا يمنع إرادة المعني الآخر ، فتكون أم عمرو وأم العمر .

قال ابن النجار : بعثت بهذه الأبيات من نظمي إلى القاضي محمد ابن هدية فأخرج لغزها :

إن حروف اسم مَن كَلِفت بــه خفت على كل ناطق بفــم
سائغة سهلة مخارجهـــا من أجل هذا تزداد في الكلــم
صحفه ثم اقلبن مصحفــه فعل ذكيٌّ مهذب فَهِــم
وأطلبه في الشعر جد مطلبــه تجده كالصبح لاح في الظلــم
فان (تأملت بت) منه علــى علم ، وإلا فأنت عنه عمــي

واللغز سلمان ، وموضعه (تأملت بت) .

وتوفي رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام (1) .

وقال في (النيل) بعد ذكر بعض ما تقدم ما نصه : وقال المقري لم يكن ابن النجار بصيراً بالفقه ، وإنما عنده ذكاء زائد ، قلت : وإنما ذكرته في هذا الذيل لهذه الفائدة (2) .

---

1) **نفح الطيب** 5 : 236 طبع بيروت .

2) **نيل الابتهاج** ص 241 .

وينظر عن ابن النجار زيادة على ما تقدم **البستان ، في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان** ص 153 .

596) محمد بن إبراهيم ابن حامد المراكشي

محمد بن إبراهيم بن يوسف ابن حامد الشيخ تاج الدين المراكشي، قال ابن السبكي في طبقاته ما نصه بعد ما تقدم : ولد بعد السبعمئة ، ونشأ بالقاهرة ، وتفقه بها ، وقرأ على قاضي القضاة الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي ، ولازم الشيخ زكي الدين ابن القويع ، وكان فقيهاً نحوياً متفنناً مواظباً على طلب العلم ، لا يفتر ولا يمل إلا في القليل ، أعاد في القاهرة بقبة الشافعي ، ثم دخل دمشق ودرس بالمروزية ، وسمع من شيخنا الحافظ المزي وجماعة ، ثم ترك التدريس وانقطع بدار الحديث الأشرفية على طلب العلم إلى أن توفي فجأة بعد العصر من يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين وسبعمئة .

أنشدنا من لفظه لنفسه :

قلة الحظ يافتى ... صيرتني مجهلا
وجهول بحظه ... صار في الناس أكملا

دخلت إليه مرة وهو ينشد قول ابن تقي :

حتى إذا مالت به سِنة الكرى ... زحزحتُه شيئاً وكان معانقي
أبعدتُه عن أضلع تشتاقه ... كي لا ينام على وساد خافق

وقول الحكم ابن عقال :

ان كان لابد من رقاد ... فأضلعي هاك عن وساد
ونم على خفقها هدوا ... كالطفل في تنهة المهاد

وهو ومن عنده يقولون ، إن قول الحكم أجدر بالصواب ، فانه لا يناسب المحب أن يُبعد حبيبه ، وينشدون قول الشيخ صلاح الدين الصفدي، امتع الله ببقائه ، في ذلك رداً على ابن تقي :

أبعدته من بعد ما زحزحته ... ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق
إن شئت قل أبعدتُ عنه أضالعي ... ليكون فعل المستهام الصادق
أو قل فبات على اضطراب جوانحي ... كالطفل مضطجعاً بمهد خافق

قلت : إن ابن تقي وإن ساء لفظاً حيث قال : أبعدته ، فقد أحسن معنى، لأنه وصف أضلعه بالخفقان والاضطراب الزائد الذي لا يستطيع الحبيب النوم عليها ، فقدم مصلحته على مصلحته ، وترك ما يريد لما يريد ، وأبعده عما يقلقه ، ولو قال : (أبعدت عنه أضلعاً تشتاقه) لأحسن لفظاً كما أحسن معنى ، وأما الحكم فانه وصف خفقانه بالهدوء ، وهو خفقان يسير يشبه اضطراب سرير الطفل ، وهذا نقض ، فوقع النزاع في ذلك، وأرسلوا إلى القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله رحمه الله صورة سؤال عن الرجلين ابن تقي والحكم أيهما المصيب ؟ فكتب قول ابن تقي عليه مأخذ (لكنه قول المحب الصادق) :

يكفيه في صدق المحبة قوله ... كي لا ينام على وساد خافق
ما الحب إلا ما يُهَدِّدُ له الحشا ... ويهد أيسره فؤاد العاشق

في أبيات أخرى لم تجر على خاطري الآن ، وأبيات ابن تقي هذه من كلمة له حسنة وهي :

بأبي غزال غازلتْه مقلتي ... بين العذيب وبين شطيْ بارق
وسألت منه زيارة تشفي الجوا ... فأجابني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا في خيمة ... ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيتُه ، والليلُ يسحب ذيله ، ... صهباء كالمسك العبيق الناشق
وضممته ضم الكميّ لسيفه ... وذؤابتاه حمائل في عاتق
حتى إذا مالت به سِنَةُ الكرى ... زحزحته شيئاً ، وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كي لا ينام على وساد خافق
لما رأيت الليل آخر عمره ... قد شاب في لمم له ومفارق
ودَّعت من أهوى وقلت تأسفاً ... أعززْ عليّ بأن أراك مفارقي

ويقرب من هذه النكتة أن جريراً قال :

طرقتْكَ صائدة الفؤاد وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي بسلام

فعيب عليه قوله ، فارجعي ، وهو نقد حسن ، فان لفظه أبشع من قول المحب لمن يحبه : ارجع ، ورأيت الشيخ صلاح الدين الصفدي نفع الله به قد قال راداً عليه :

ياخجلة لجرير مــــــن قول كفانا الله عـــــاره
طرقتك صائدة الفـــؤا د ، وليس ذا وقت الزيـــاره
هل كان يلقي أن أتـــا ه خيال من يهوى خســـاره
أو كان قلب حولـــه هو من حديد أو حجـــاره

فعجبت له كيف ترك لفظة ارجعي وهو أبشع ما عيب به على جرير ، وقـلـت :

أما جرير فجرّ ثوب العار فـــي دعوى الصبابة وازدياد غـــرام
إذ كذب الدعوى وقال لها وقــد زارته في الغلس : ارجعي بسلام

ثم قلت : لعل الشيخ صلاح الدين إنما ترك لفظة الرجوع لنكارتها ، وقـلـت :

إني لأعجب من جرير وقولـــه قولا غدوت به أنكر حالـــه
طرقتْك صائدة الفؤاد وليـس ذا وقت الزيارة فاستمع أقوالـــه
وإعذر فلست بقـــادر والله أن أحكي الذي بعد الزيارة قالـــه

فلما وقف الشيخ صلاح الدين على كلامي هذا كله ، زعم أني أعترف له بحسن النقد وقال :

أما جرير فلم يكـــن صباً ، ولكن يدعـــي
أوّ ما تراه أتته صـــا ئدة الفؤاد فلم يـــع
بل قال جهلا ليـــس ذا وقت الزيارة فارجعـــي
لو كنت حاضر امـــرِهِ قلت ارجعي وله أصفعـــي !

قلت : ولا يخفى أن هذه الاعتراضات كلها لفظية طرقت قائلها ولـم يحقق ، فان جريراً لم يقصد رجوعها إلا للشفقة عليها من الزيارة في غير وقت الزيارة ، فجاءه الاعتراض من لفظة الرجوع فقط ، كما جاء ابن تقي من لفظة الابعاد ، وربما أتي أقوام من سوء العبارة .

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدي ، أخبرني أبو غالب محمد بن محمد ابن سهل النحوي قال : حكيت للوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي قول أبي الحسن الكرخي : أوصانا شيوخنا بطلب العلم وقالوا لنا : اطلبوه واجتهدوا فيه فلأن يُذم لكم الزمان أحسن من أن يَذم بكم الزمان ، قال : فاستحسن الوزير ذلك ، وكتبه ، ثم عمل أبياتاً أنشدنيها وهي :

ولقد بلوت الدهر أعجم صرفه ... فأطاع لي أصحابه ولسانه
ووجدت عقل المرء قيمة نفسه ... ويحده جدواه أو حرمانه
وعلى الفتى أن لا يكفكف شأوه ... عند الحفاظ ولا يغض عيانه
فاذا جفاه المجد عِيبت نفسه ... وإذا جفاه الجد عيب زمانه

قلت : وهذه أبيات حسنة بالغة في بابها، وقد حاول الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني اختصارها فقال :

تجنب أن تُذمَّ بك الليالي ... وحاول أن يذم لك الزمان
ولا تحفل إذا أكملت ذاتاً ... أصبت العز أم حصل الهوان

فأغفل ما تضمنته أبيات الوزير الثلاثة من المعاني ، واقتصر على ما تضمنه البيت الرابع ، ثم انقلب عليه المعنى ، وأتي من سوء التعبير ، فان المقصود أن المرء يكمل نفسه ولا عليه من الزمان ، وأما أنه يسعى في أن يُذم له الزمان ، فليس بمقصود ولا هو مراد أشياخ الكرخي ، ولا يحمده عاقل وكان الصواب حيث اقتصر على معنى البيت الرابع أن ياتي بعبارة تطابقه كما قلنا نحن :

عليك كمال ذاتك فاسع فيها ... وليس عليك عز أو هوان
وليس إليك أيضاً ، فاسْعَ فيما ... إليك ، وأنت مشكور معان
فذم الدهر للانسان خير ... من الانسان ذم به الزمان

فهذا البيت واف بالمعنى الذي قاله أشياخ الكرخي ، مطابق له من غير زيادة ولا نقص .

وأحسن من هذا قول بعضهم :

جهل الفتى عار عليه لذاتـــه   وخموله عار على الأيـــام

وقول الآخر :

إنَّ كون الزمان عيبي أولـــى   بيَ من أكون عيب الزمـــان

وقول الآخر :

ما في خموليَ من عار على أدبـي   بل ذاك عار على الدنيا وأهليهـا

قلت : كلام الصفدي ذكره من شرح (لامية العجم) ، وزاد بعد البيت الأول :

هذا يدل الناس منك على الجفـا   إذ ليس هذا فعل صب وامـق

وقال الحافظ في (الدرر الكامنة) : وكان قوي النفس ، فاستطال على القاضي جمال الدين القزويني ، فشكاه إلى الناصر ، فأمر باخراجه إلى الشام ، فأقام بها ثم قال : ومن مشايخه أثير الدين أبو حيان ، وسمع الحديث من محمد ابن غالي ، وابن القماح والطبقة ، ثم قال : وكان مطموس العينين، يبصر باحداهما قليلا ، وكان يعطي الأجرة لمن يطالع له ، قال الاسنوي في (الطبقات) : كان عجولا محتقراً للناس كثير الوقيعة فيهم ، ثم قال : وقال ابن كثير : كان سريع التصور قوي المشاركة ، وقال الشيخ علاء الدين حجي : كان يتناظر هو والفخر المصري فكان من حضر لا يفهم كثيراً مما يقولان لسرعة عبارتهما ، وكان قد حصلت له أول النهار حمى فصبر إلى أن صلى الظهر بالجامع ، ثم جاء إلى بيته فصلى العصر بالمدرسة ، ثم دخل البيت فوقع ميتاً في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة 752 رحمه الله . انتهى (1) .

وقال السيوطي في (بغية الوعاة) ص 7 ما نصه : قال قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي في (طبقات الشافعية) : كان فقيهاً نحوياً متقناً مواظباً على طلب العلم جميع نهاره وغالب ليله ، يستفرغ فيه قواه ، ويدع من أجله طعامه وشرابه ، وكان ضريراً فلا يفتر عن الطلب إلا إذا لم يجد

1) الدرر الكامنة 3 : 386 ع 3322 .

من يطالع له ، مولده بعد السبعمئة ، وأخذ عن العلامة القونوي وغيره ، وأعاد بقبة الشافعي ، ثم دخل دمشق ودرس بالمسرورية وتأدب بالشيخ زكي الدين ابن القوبع ، ومن شعره :

قلة الحظ يافتـــــــــى	صيرتني مجهـــــــــلا
وجهول بحظـــــــــه	صار في الناس أكمـــــلا

ثم تركها للشيخ تقي الدين السبكي لانه رأى في شــرط واقفها أن يكون المدرس عالماً بالخلاف ، مات فجأة يوم الأحد ثالث عشر جمادى الأخيرة سنة سبعمئة واثنتين وخمسين ، انتهى .

وقال الحافظ في (إنباء الغمر) لدى ترجمة محمد بن أحمد بن عبد العزيز الكمال النويري قاضي مكة المكرمة المالكي ما نصه : قال ابن حجي : وبلغني أنه كان يستحضر (شرح مسلم) للنووي ، وكان يستحضر فقهاً كثيراً، وتفقه بالتاج السبكي ، والتاج المراكشي الخ ، وقال في ترجمته من (الدرر الكامنة) عند ذكر من تفقه به : والتاج المراكشي انتهى .

وقال في (شذرات الذهب) لـدى ترجمة سعد الدين بـن يوسف النووي ثم الخليلي الشافعي المتوفي سنة 805 ما نصه : وحمل عـن التاج المراكشي ، انتهى ، وترجم له أيضاً فيها لدى سنة وفاته 702 (1) .

597) محمد بن محمد ابن سودة المري

محمد بن محمد بن علي ابن سودة المري ، يكنى أبا القاسم .

اوليتـه

من نبهاء بيوتات الأندلس وأعيانها ، سكن سلفه البشارة بشارة بني حسان ، وولي جده خطة الأشغال ، حميد السيرة ، معروف الأمانة .

---

1) هذا الرجل حقه أن لا يثبت في هذا الكتاب لأنه ليس على شرط المؤلف ، اذ لم يحل بمراكش ولا بأغمات ، بل لم يدخل المغرب وهو من مواليد القاهرة ، وانما أثبته المؤلف لنسبته المراكشية فقط .

حـالـه

هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء المانع عن كثير من الأغراض ، مال إلى العلوم العقلية فاستظهر على الماسة في بعض أغراضهـا بالدؤوب والعكوف المؤثرين تأثير حبل الركية في حجرها ، فتعاطى الطب ، وتصدر للعلاج وعانى الشعر ، وارتسم في الكتابة ، وعُد من الفضلاء ، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء .

مشيختـه :

قرأ الطب والتعديل عـلى الحَبْر طبيب الدار السلطانية إبراهيـم ابن زرزار اليهودي ، ورحل إلى العدوة فقرأ على الشريف العالم رحلة الوقت في المغرب محمد العلوي التلمسانى وبلقائه نجح .

شـعـره

أنشد السلطان قوله :

جاد الحمى صوب الغمام هتونـه   تزجي البروق سحابه فتعينه (1)

ولو أخذته أيدي التحرير والنقد لرجِيَ أن يكون شاعراً ، وبالجملة فالرجل معدود من السراوات بيتاً وتخصصاً .

انتهى كلام ابن الخطيب (2) ، وناهيك به فانه حذام .

ثـم إن أول قـادم منهم على هـذه الحضرة هو أبو القاسـم هذا المترجم له أخيراً ، وذلك سنة أربع وخمسين وسبعمئة في دولة أبي عنان المريني ، وقد عده ابن الأحمر في (روضة النسرين) من جملة كتبة دولة موسى بـن أبي عنان (3) وكذا في (الجذوة) ، وعليـه فهو المترجم لـه في (الاحاطة) بأنه الداخل والمنتقل للعدوة ، ودليله هو أن جميع ما بأيدي حفدته

---

1) القصيد طويلة اوردها بتمامها ابن الخطيب في الاحاطة (مخطوط) .

2) الاحاطة (مخطوط) .

3) روضة النسرين ص 36 طبع المطبعة الملكية بالرباط .

من الرسوم والاصدقة إنما تنتهى إليه ، إذ هو مركز دائرتهم ، وإليه يرجعون، ومن الشائع بين حفدته وأعقابه خصوصاً أهل التيقظ والمحافظة منهم ، أنه دخل أرض المغرب طالباً للعلم ، وحل منها بتلمسان ، ثم إن أمير الوقت حمله معه وهو السلطان أبو عنان بن أبي الحسن ، واشترى له داراً بدرب العزفي من عدوة القرويين ، ذكره في (الدرر البهية) ، واقتصر في (الدرر الكامنة) على بعض كلام ابن الخطيب المتقدم .

598) محمد بن محمد ابن شَلَنْبَطور الهاشمي

محمد بن محمد بن أحمد ابن شلبطور الهاشمي من أعيان أهل المرية ، أخذ عن عبد الله بن محمد الحمي ، وتلا عليه الكتاب العزيز ، وبه تأدب ، وعلى أبي الحسن بن أبي العيش القاضي ، وعلى الأستاذ سعيد ابن ليون ، وولي قيادة أسطول المنكب ، ولم تمتد مدته بها ، ورحل للمغرب لائذا بجانب السلطان ، فولاه المزورة (1) بمراكش ، وكانت رحلته من المرية سنة خمس وخمسين وسبعمئة .

من نظمه يخاطب محمد ابن خاتمة جواباً عن قطعة خاطبه بها مطلعها البيت الأخير من هذه الأبيات :

أعدْ ذكرَ تلك الليالي القصار ... فقد قدح الشوق زند اذكارْ
وفاضت دموعي بفرط ولوعي ... وبين ضلوعي هوى شب نار
فكم ذا أقاسي وقلبك قاسي ... وحالي ءاس بطول النفار
أترضى مماتي وأنت حياتي ... إذا لم توات فكيف اصطبار
فجُد بالوصال فلست بسال ... وقلبي صال صحيح الأوار
أطلتَ التجني وأسهرت جفني ... فكم ذا أعاني لبعد المزار
خلعت عذاري بواد المزار ... وسمع القمار ورشف العقار

1) المزورة المشيخة ، والمراد بها هنا مشيخة الطلبة ، ومتوليها هو المزوار ، وما زالت الكلمة مستعملة الى اليوم فى العامية المغربية ، يقال لنقيب الشرفاء ، وللولد البكر المزوار لانه اكبر اخوته .

وقوله ، وكتبها على تفاحة :

تفاحة أذكا من المســـــــــك	كأنما أنفاسها منــــــــــك
تزهى بلونين عن حمــــــــرة	تورد ذاك الخد تحكــــــــي
وصفرة شاهدة أننـــــــــي	متيم القلب بلا شــــــــك
إن كنت قد ملكت أمر الهــوى	فانني لا صبر لي عنــــــــك

توفي في آخر شوال سنة ست وخمسين وسبعمئة .

ترجمه فـي (درة الحجال) (1) واختصر الحافظ في ترجمته مـن (الدرر الكامنة) (2) ، وكذلك ترجمه في (شذرات الذهب) .

599) محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني

محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني عرف بالآبلي ، الامام العلامة المجمع على إمامته ، أعلم خلق الله بفنون المعقول ، قال تلميذه الامام المقري : هذا الامام نسيج وحده ، وواحد وقته في القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره .

قال ابن خلدون : أصله من الأندلس من أهل آبلة من بلاد الجوف ، انتقل منها أبوه وعمه (أحمد) ، فخدما يغمراسن صاحب تلمسان ، وتزوج أبوه بنت القاضي محمد ابن غلبون فولدت له شيخنا هذا ، ونشأ في كفالة جده القاضي بتلمسان ، فانتحل العلم ، فسبق لذهنه محبة التعاليم فبرع فيها ، وعكف الناس عليه في تعلمها وهو في سنّ البلوغ، فلما أخذ يوسف بن يعقوب المريني تلمسان استخدمه فكره ذلك وسار إلى الحج، قال : فلما ركبت البحر من تونس لأسكندرية، اشتدت عليّ الغلمة في البحر، واستحييت من كثرة الغسل، فأشير علي بشرب الكافور ، فشربت منه غرفة فاختلطت فقدمت الديار المصرية

---

1) درة الحجال 2 : 89 ع 528 طبع تونس .

2) الدرر الكامنة 4 : 278 ع 4292 .

وبها ابن دقيق العيد ، وابن الرفعة ، والصفي الهندي ، والتبريزي وغيرهم من فرسان المعقول ، فلم يكن قصاراه إلا تمييز أشخاصهم ، فحججت ورجعت لتلمسان وقد أفقت من اختلاطي ، فقرأت المنطق والأصلين على أبي موسى ابن الامام ، ثم أراد أبو حمو صاحب تلمسان إكراهه على العمل ، ففر لفاس واختفى هناك عند خلوف المغيلي اليهودي شيخ التعاليم، فأخذ فنونها وحذق، ثم دخل مراكش في حدود عشر وسبعمئة ، ونزل على شيخ المعقول والمنقول المبرز في التصوف علماً وحالا الامام ابن البناء ، فلازمه وتضلع عليه في المعقول والتعليم والحكمة ، ثم صعد إلى الجبل عند علي بن محمد ابن تروميت شيخ الهساكرة ، فقرأ عليه ، واجتمع عليه طلبة العلم فكثر إفادته واستفادته ، ثم رجع لفاس ، فانثال عليه طلبة العلم من كل ناحية ، فانتشر علمه واشتهر ذكره ، ولما لقي السلطان أبو الحسن عند فتح تلمسان أبا موسى ابن الامام أثنى عليه ووصفه بتقدمه في العلوم ، وكان يعتني بجمع العلماء لمجلسه ، فاستدعاه من فاس فنظمه في طبقة العلماء ، فعكف على التدريس والتعليم ، ولازمه وحضر معه وقعة طريف والقيروان .

قال ابن خلدون : لازمته وأخذت عنه فنوناً ، ثم طلبه أبو عنان بتلمسان فنظمه في طبقة علماء أشياخه ، وكان يقرأ عليه حتى مات بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمئة ، وأخبرني أن مولده بتلمسان سنة إحدى وثمانين وستمئة ، انتهى (1) .

قال تلميذه المقري : أخذ بتلمسان عن أبي الحسن التنسي ، وابني الامام، ورحل في آخر المئة السابعة للشرق، فدخل مصر والشام والحجاز والعراق، ثم رجع لتلمسان ثم للمغرب فأخذ عن ابن البناء ، وشافه كثيراً من علمائه ، قال لي : قلت لأبي الحسن الصغير : ما قولك في المهدي ، فقال عالم سلطان، ولقيته بعد فتح تلمسان وأخذت عنه انتهى .

قال المقري : ولما قدم شيخنا ابن المسفر الباهلي فاساً رسولا عن صاحب بجاية زاره الطلبة فحدثهم أنهم كانوا في زمن ناصر الدين يستشكلون ما وقع في تفسير الفخر في سورة الفاتحة ويستشكله الشيخ معهم ، وهذا

1) التعريف بابن خلدون ص 21 و ص 33 .

نصه : نبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل المركب في الفصـل ، وأن الجنس أقوى من الفصل ، فلما رجعوا إلى الشيخ الآبلي أخبروه بذلك فاستشكله ثم تأمله فقال : فهمته ، وهو كلام مصحف ، وأصله : أن المركب قبل البسيط في الحس ، والبسيط قبل المركب في العقل ، وأن الحس أقوى من العقل ، فرجعوا إلى ابن المسفر فأخبروه ، فلج ، فقال لهم الشيخ : اطلبوا النسخ ، فوجدوا في بعضها كما قال الشيخ ..

انتهى بنقل ابن الخطيب في (الاحاطة) .

قال المقري : وحدثني الآبلي أن عبد الله بن إبراهيم الزموري أخبره أنه سمع من ابن تيمية ينشد لنفسه :

محصل في أصول الدين حاصلـه ... من بعد تحصيله علم بلا ديـن
أصل الضلالة والافك المبين فما ... فيه فأكثره وحي الشياطيـن

قال : وبيده قضيب فقال : والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب كذا ، ثم رفعه ووضعه انتهى (1) .

قال المقري : وسمعته يقول ما في الأمة المحمدية أشعر من ابن الفارض .

قال : وقال طالب له يوماً : مفهوم اللقب صحيح ، فقال له الشيخ : قل زيد موجود ، فقال : زيد موجود ، فقال له الشيخ : أما أنا فلا أقول شيئاً ، فعرف الطالب ما وقع فيه ، فخجل .

قال : وقال لي : كنت عند القاسم بن محمد الصنهاجي إذ وردت عليه رقعة من القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيرات ما تحويه مبذولـة ... ومطلبي تصحيف مقلوبهـا

فقال لي : ما مطلبه ؟ فقلت له : نارنج انتهى ، أي فان مقلوبه تاريخ ، وتصحيفه نارنج (2) .

---

1) نيل الابتهاج ص 246 .
2) نيل الابتهاج ص 246 .

قال أيضاً : وسمعته يقول : إنما أفسد العلم كثرة التآليف ، وأذهبه بنيان المدارس ، وكان ينتصف له من المؤلفين والبانين ، وإنه لكما قال ، بيد أن في شرح ذلك طولا، وذلك أن التآليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم ، فكان الرجل ينفق فيها مالا كثيراً ، وقد لا يحصل له من العلم إلا نزر يسير، لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه، ثم صار يشتري أكبر ديوان بأبخس ثمن فلا يقع منه أكثر من موقع عوضه ، فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر ، وأفضي الأمر إلى ما يسخر منه الساخر ، وأما البناء فلأنـه يجذب الطلبة لما فيه من مرتب الجرايات فيقبل بهم على ما يعيّنه أهل الرياسـة للأجراء والاقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمهم، ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك ، وإن دعوا لم يجيبوا ، وإن أجابوا لم يوفوا نهم بما يطلبون من غيرهم ، انتهى (1) .

قال في (النيل) بعد إيراده ، قلت : ولعمري لقد صدق في ذلـك وبر ، فلقد أدى ذلك لذهاب العلم بهذه المدن الغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان ، كفاس وغيرها حتى صار يتعاطى الاقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة أصلا ، فضلا عن غيرها ، بل لم يفتح للقراءة كتاباً قط ، فصار ذلك ضحكة ، وسبب ذلك أنها صارت بالتوارث والرياسات أعاذنا الله ، حتى خلت هذه الساعة عمن يعتمد عليه في علمه ، مصداق قوله ما ورد فـي ذلـــك .

قال المقري : ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها لأمهاتها، وقد نبه عبد الحق في (تعقيب التهذيب) على منع ذلك لو كان من يسمع ، وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع ، ثم تركوا الرواية ، فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال ، فصارت الفتاوي تنقل من كتب لا يُدرى ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها، كان أهل المئة السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتيا من تبصرة اللخمي ، لأنها لم تصحح على مؤلفها ، ولم تؤخذ عنه ، وأكثر ما يعتمد اليوم هذا النمط،

---

1) نفح الطيب 5 : 275 طبع بيروت .

ثم انضاف إلى ذلك عدم اعتبار الناقلين ، فصار يؤخذ من كتب المسخوطين ، كالأخذ من كتب المرضيين، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ، ولم يكن هذا فيمن قبلنا حتى تركوا كتب البراذعي على نبلها ، ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير (التهذيب) ، وهو المدونة اليوم لشهرة مسائله وموافقته في أكثر ما خالف فيه (المدونة) لأبي محمد، ثم كَلَّ أهل هذه المئة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات ، وشق الشروح والأصول الكبار ، فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه ، ونزر حظه ، وأفنوا عمرهم في حل لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا لرد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضعيف والصحيح ، بل هو حل مقفل ، وفهم أمر مجمل ، ومطالعة تقييدات زعموا أنها تستنهض النفوس ، فبينما نحن نستكبر العدول عن كُتب الائمة إلى كتب الشيوخ ، أبيحت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ ، فانا لله وإنا إليه راجعون . فهذه جملة تهديك إلى أصل العلم ، وتريك ما غفل الناس عنه انتهى (1) .

قال المقري : وسمعت العلامة الآبلي أيضاً يقول : لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل ، لأنا أتينا أكثر مما أتوا ، يشير إلى افتراق هذه الأمة على أكثر مما افترقت عليه بنو إسرائيل ، واشتهار بأسهم بينهم إلى يوم القيامة حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم ، وتعدد ملوكهم لاتساع أقطارهم واختلاف أنسابهم وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة ، فنُزعت من أيديهم وساروا في الملك بسير من قبلهم مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى لكنا آخر الأمم ، أطلعنا الله من غيرنا على أقل مما ستر منا وهو المرجو أن يتم نعمته علينا ، ولا يرفع جميل ستره عنا ، فمن أشد ذلك إتلافاً لغرضنا تحريف الكلم عن مواضعه ، إذ ذلك لم يكن بتبديل اللفظ، إذ لا يمكن ذلك في مشهورات كتب العلماء المستعملة ، فكيف في الكتب الالاهية ، وإنما ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس وغيره ، وأنت تنظر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف ، وما حملت الآي والأخبار عليه من ضعاف التأويلات ،

---

1) نفح الطيب 5 : 276 .

قيل لمالك : لـم اختلف الناس في تفسيـر القرآن ؟ فقال : قالـوا بآرائهم فاختلفوا ، أين هذا من قول الصديق : أيُّ سماء تظلني ؟ وأيُّ أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله عز وجل برأيي ؟ كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل إلى بعض الميل ، وأقرب ما يحمل عليه معظم خلافهم كون بعضهم علم بقصد إلى تحقيق نزول الآية بسبب أو حكم أو غيرهما ، وبعضهم لم يعلموا ذلك تعييناً ، فلما طال بحثهم وظنوا عجزهم صوروا المسألة بما يسكن النفوس إلى فهمها في الجملة ليخرجوا عن حد الابهام المطلق ، فذكروا ما ذكروه تمثيلا لا قطعاً بالتعيين ، بل منه ما لا يعلم أنه أريد لا عموماً ولا خصوصاً ، لكنـه يجوز أن يكون المراد أو قريباً منه ، ومنه ما يعلم أنه مراد بحسب الشركـة والخصوصية ، ثم اختلط الأمران ، والحق أن تفسير القرآن من أصعب الأمور، فالاقدام عليه جرأة ، وقد قال الحسن لابن سيرين : تعبر الرؤيا كأنك مـن آل يعقوب ، فقال له : تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل ، وقد صح أنه عليه السلام لم يفسر من القرآن إلا آيات معدودة ، وكذا أصحابه والتابعون بعدهم ، وتكلم أهل النقل في صحة ما نسب لابن عباس من التفسير إلى غير ذلك ، ولا رخصة في تعيين الأسباب والناسـخ والمنسوخ إلا بنقـل صحيح ، أو برهان صريح ، وإنما الرخصة في تفهيم ما تعرفه العرب بطبائعها من لغـة وإعراب وبلاغة لبيان إعجاز ونحوها انتهى (1) .

قال في (النيل) : قلت : وأخذ عن صاحب الترجمة مِن لا يعد كثرة مـن الأيمة كابن الصبـاغ المكناسي ، والشـريف التلمساني ، والشـرف الرهوني ، وابن مرزوق الجد ، وسعيد العقباني ، وابن عرفة ، والولي ابـن عباد ، وابن خلدون في خلق أجلاء ، انتهى (2) .

وترجم لشعيب بن محمد التونسي المتوفي في حماة سنة 770 ، في (الدرر الكامنة) من تلامذة المترجم ، وتصحف في النسخة الآبلي بالاربلي ، وقد نقل عنه تلميذه المقري في كتابه (عمـل من طب ، لمن حب) ، وهـي

1) نفح الطيب 5 : 277 طبع بيروت .

2) نيل الابتهاج ص 248 .

الكليات الفقهية في صدر القسم الثاني منه ، ونقل عنه أبو إسحاق الشاطبي في (الافادات والانشادات) ، وقال في (تاريخ الدولتين) : وكان الشيخ محمد الآبلي من فقهاء المغرب لما عزم السلطان أبو الحسن على السفر من تونس في البحر اختفى هو تلكؤاً عن السفر دون غيره من الفقهاء ، قال : وذلك أني رأيت في النوم كأن قائلا يقول لي : الفلك الفلك ، يكرر ذلك علي ، فانتبهت وما أدري ما هذا ، فاخبرت بالرؤيا صاحبنا ابن رضوان فاخبر بها السلطان أبا الحسن فقال : لعله يريد السفر في البحر ، فاشتد عزمه في ذلك ، فجرى ما جرى ، قال الشيخ ابن القصار ، فقلت للآبلي : إنما مراده أن الفلك جمع تكسير فلك انتهى .

وذكر في الروضة الثالثة من (أزهار الرياض) نقلا عن (الاشارات الحسان ، المرفوعة إلى حَبر فاس وتلمسان) يعنى أحمد الونشريسي للعلامة ابن غازي أنه سأل الفقيه المحقق سيدي محمد القوري ليلة عن ضبط باء الآبلي الذكي الرحال ، أبالضم أم بالكسر ، فكأنه ترجح فيه ثم مال إلى الضم (1) انتهـى .

وجعل في (الجذوة) الآبلي رجلين ، أولهما محمد بن علي ابن إبراهيم، وذكر أخذه عن أحمد ابن البناء المراكشي ووفاته سنة 757 ، ثم ترجم بعد ذلك للمترجم الآخذ عن ابن البناء والمتوفي في السنة المذكورة بفاس الخ ، وما أظنه ، أعني التعدد ، إلا من أوهامه ، وترجمه في (نفح الطيب) أيضاً، وترجمه الحافظ في (الدرر الكامنة) ، وجعل اسم جده عبد الله ، كما ضبط الآبلي بمدة وموحدة مكسورة ، وجعل إكراه صاحب تلمسان قبل ذهابه للحج وأنها هي السبب ، وضبط في (الدوحة) في ترجمة الشيخ السنوسي الآبلي بسكون اللام وفتح الهمزة وضم الباء وكسر اللام ، ومنهم من يعرف بالآبلي بكسـر الهمزة والموحدة نسبة إلى إبل السوق بوادي بردا ، وهو محمد بن أبي بكر المعروف بالسوقي المترجم في (الدرر الكامنة) .

وممن ترجم للمترجم صاحب (طبقات المالـكية) ، ونقل فيه عـن المقري أنه قال فيه : عالم الدنيا على الاطلاق (2) .

---

1) بل بكسر الباء ، نسبة الى مدينة آبلة Avila الأندلسية .

2) ينظر عن الآبلى : **المسند الصحيح الحسن** (مخطوط) ، **والتعريف بـابـن خلدون** ص 21 و ص 33 **ونيل الابتهاج** ص 244 **ونفح الطيب** 5 : 244 **والبستان ، فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** ص 214 و **سلوة الأنفاس** 3 : 273 **والدرر الكامنة** 3 : 375 ع 3286 .

600) **محمد بن الامان الجزولي** المعلم من أهل مراكش ، مـن أصحاب عبد الغفور بن يوسف ، وكان عبداً صالحاً متقللا من الدنيا ،.منقبضاً عن أهلها.

قال في (التشوف):سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول:جاءه بعض الكبراء إلى مكتبه فقال له ، ياأبا عبد الله ، مالَك لا تأتينا إذا بعثنا إليك ، فقال لـه : إن لي عذراً ، فلم يزل به بعضهم إلى أن وعده أن يأتيه ، وكان ذلك في يوم الأربعاء ، فلما صرف الصبيان يـوم الخميس وصلى صلاة العصر قـال لي : يامحمد وعدت فلاناً أن آتيه ، وأنا أكره أن آتيه وأريد أن ادعو وتؤمِّن على دعائي الا يجمع الله تعالى بيني وبينه ، فدعا وأمَّنت دعائه ، ثم قال : عسى أن تذهب معي إليه ، فذهبنا إليه ، فوجدنا بابه مغلقاً ، فقرعت الباب فقال لي البواب : أمرني سيدي ألا أفتح الباب لأحد، فقعد عند الباب إلى أن جاءت جماعة من العظماء ، فاستعظموا جلوس أبي عبد الله بالباب ، وكلموا البواب أن يفتح لهم فأبى ، فقال أبو عبد الله لأولئك الواصلين : أعلموا فلاناً بوصولي إليه ، ثم قال لي : سر بنا فقد قضى الله تعالى حاجتنا .

قال محمد بن أحمد : سمعت أبا عبد الله يقول : بعث إلي بعض معارفي قطعة نريد بلحم فجمعت عليها الأهل والأولاد ، فأردت أن آكل ، فكلما رفعت لقمة وجدتها مملوءة بالذباب فاضعها ثم آخذ غيرها فأجدها كذلك ، وأرى الأهل والأولاد يأكلون ولا يجدون ما أجد ، فأمسكت عن الأكل ، ثم بحثت عن أصل ذلك الطعام ، فاذا هو طعام رجل من الغُصَّاب أهداه إلى الذي بعثه إلي انتهى (1) .

ونقله الحضيكي في (الطبقات) أيضاً .

601) **محمد الصفاقسي** نزل مع أخويه أبي الطيب ومحرز اغمات وريكة بالموضع المعروف بايغيل ، وكـانوا علماء فضلاء فأخفوا أنفسهم ، وكـانوا يحضـرون مجالس العلم فيستمعـون ولا يتكلمون إلى أن وصلت كتب مـن

1) التشوف ص 283 ع 132 .

صفاقس إلى أهل أغمات ينبهونهم على قدرهم ، فأخذوا عنهم ، ونفع الله بهم ، وكان محمد أصغرهم سناً ، وكان يخدم أخويه ، وكان أبو الطيب أعلمهم .

وقد تقدمت ترجمة أبي الطيب ، وستأتي ترجمة محرز رحمه الله (1) .

602) **محمد بن أحمد ابن شاطر الجمحي المراكشي** ، يعرف بابن شاطر كان مستظرف الشكل ، مليح الشيبة ، جميل الصورة ، مليح الحديث والنادرة ، كثير الاعتبار ، دائم الاسترجاع والاستغفار ، قال المقري : لقيت فيمن لقيت بفاس رجلين أحدهما عالم الدنيا والآخر نادرتها ، أما العالم فهو شيخنا محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي ، وأما النادرة فمحمد ابن شاطر ، ثم قال : صحب عبد الرحمان الهزميري كثيراً ، ومحمد ابن تيجلت ، وابن البناء وغيرهم من المراكشيين ومن جاورهم ، واختص بعبد الرحمان الهزميري ، وكان يقول له : « وألقيت عليك محبة مني » ، فظهر أثر ذلك عليه، ووضع له القبول في الأرض ، فلا تجد مَن يستثقله ، وربما سئل عن نفسه فيقول : ولي مفسود ! قلت له يوماً : كيف أنت ؟ فقال : محبوس في الروح .

وقال : في (الحقائق والرقائق) :

رقيقة

كان ابن شاطر يقول : الليل والنهار حرسيان أحدهما أسود والآخر أبيض ، وكلاهما قد أخذ بمجامع الخلق إلى يوم القيامة، ثم يتلو « وان مردنا إلى الله » انتهى .

وسئل عن العلة في نضارة الحداثة فقال : لقرب العهد بالله ، قيل له : ففيم تغير الشيوخ ، قال مِنْ بُعد العهد من الله وطول صحبة الشياطين، قيل : ففيمَ نتنُ أفواههم ؟ قال من كثرة ما تتفل الشياطين فيها .

---

1) **التشوف** ص 140 ع 45 .

وبعد هذه الترجمة ترجم المؤلف من جديد لمحمد بن عبد الله بن أبى بكر الأغماتى الذى تقدمت ترجمته تحت عدد 552 ص 226 من هذا الجزء ، فلهذا أغفلنا هذه الترجمة المكررة .

انتهى بنقل ابن الخطيب في (الاحاطة) ، وحفيده في (النفح) .

وكان يسمى الصغير فار المصطكي ، وكان حياً سنة سبع وخمسين وسبعمئـة .

وفي (الحقائق والرقائق) أيضاً .

رقـيـقـة

كنت يوماً بالمسجد الأعظـم بتلمسان ، ومعي محمد ابـن شاطر ، فأردت الانصراف فقال لي · تنصرف عن روضة من رياض الجنة قام فيهـا على رأسك هذا التاج ، وأشار إلى المنار ، مملوءاً بالله أكبر ، فكأنما عقلنـي فجلست . انتهى .

دخل الأندلس ، ومر يوماً بأحمد ابن شعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجزيرة ، وقد ذهب به الفكر فصاح به : انظر إلى مركب عزرائيل هذا ، وأشار إلى نعش هنالك ، قد رفع شراعه ، ونودي عليه الطلوع ياغزي !

وقال المقري : سمعته يقول : المؤذنون يدعون أولياء الله إلى بيته لعبادته فلا يصدهم عن دعائهم ظلمـة ولا شتاء ولا طين ، ويصرفونهم عـن الاشتغال بما لم يبين لهم فيخرجونهم ويغلقون الأبواب دونهم (1) .

وأكل يوماً مع أبي القاسم عبد الله ابن رضوان الكاتب جلجلاناً فقال له أبو القاسم : إن في هذا الجلجلان لضرباً من طعم اللوز ، فقال ابن شاطر : وهل الجلجلان إلا لوزة دقت ؟ .

قال لي ابن شاطر : لقيت عمي ميموناً المعروف بدبير بقرب موتـه وقد أصفر وجهه وتغيرت حالته ، فقلت له : ما بالك ؟ وكان قد خدم الصالحين ورزق بذلك القبول ، قال : انسدت الزربطانة (2) فطلع ، يعني العذرة ، يشير إلى احتقان الطبيعة .

---

1) **نفح الطيب** 5 : 248 طبع بيروت .

2) **الزربطانة** مجمع المياه القذرة يسد بزرب وشبهه للسقي ، والكلمة فارسية على ما يظهر ، وفي فاس حتى يعرف الى اليوم بالزربطانة .

أنشدني ابن شاطر قال : أنشدني أحمد ابن البناء لنفسه « قصدت إلى الوجازة في كلامي » الأبيات ، وأخبار ابن شاطر عندي تحتمل كراسة ، فلنقنع منها بهذا القدر انتهى (1) .

وقال أيضاً : سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض :

فلم ألْه باللاهوت عن حكم مظهري ولم أنس بالناسوت موضع حكمتي

فقال : يقول ما أنا بالحلاج ولا ببلعام ، ثم قال مولاي الجد بعد هذا الكلام ، قلت : وهذا هو الانسان على الكمال والتمام ، ولقد سمعته يقول في الحلاج نصف إنسان ، يشير إلى البيت .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : سمع ابن شاطر إنساناً يقول في الجنة رخيصة فقال : كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول « ان الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » انتهى ، ثم قال مولاي الجد باثر هذا الكلام ، قلت ما الأنفس والأنفاس في جنب ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، لا سيما وفوق هذه الحسنى زيادة الاكرام بالنظر والرضى .

وقال لابن شاطر : صف لنا الدنيا فقال : « كسراب بقيعة » الآيتين ، فبلغ ذلك عبد الرحمان ابن الامام ، فأنكر عائباً لاستحسان سامعه ، تالياً : « يحرفون الكلم عن مواضعه » ، ولقد أصيب المتعسف بأدهى منها وأمر ، فانه أفحم يوماً ببعض أهل النظر فتلا عليه : « فبهت الذي كفر » على أن له أن يقول لم أخرج الآية عن مرادها ، فالبهت من انقطاع المعاند ، والكفر من جحد الجاحد انتهى ، وهذا كله على مذهب جمهور المالكية في منع الاقتباس ، وللكلام على ذلك موضع غير هذا ، فليراجع في كتب البيان وغيرها .

---

1) نفح الطيب 5 : 249 طبع بيروت .

وقال رحمه الله تعالى : حدثت أن المتوكل على الله أبا عنان رحمه الله تعالى أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحج بها ، فمر بها إلى تلمسان ، فصار يدفع منها شيئاً فشيئاً للمتفرجين بغدير الوريط شرقي عباد تلمسان العلوي إلى أن نفدت ، فلما ورد السلطان أبو عنان لقيه بسوق العطارين من منشر الجلد فقال له : ياسيدي أبا عبد الله حج مبرور ، فقال له : إذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ، ويأبى الله إلا أن ينفق الخبيث في مثله ، فضحك السلطان وانصرف انتهى .

وكان لابن شاطر هذا عجائب ، ولم يكن مخلا بشيء من الحقوق الشرعية ، وكان مُعتقداً عند أهل وقته ، وكان السلطان أبو عنان على فقهه يعظمه ويصله ويسلم له ، وبات عنده ليلة بقصره ، وكان يدخل القصر ولا تحتجب منه الجواري ، فاحتاج إلى البول فبال في قبة عظيمة في القصر ، فانتهرته إحدى الجواري وقالت له : أتبول في قبة مولانا ؟ فقال لها : إن قبة مولانا الخضراء أعظم من هذه ، وأنا أفعل تحتها ما هو أعظم من البول ، وما انتهرني قط ، فذكرت ذلك الجارية للسلطان فضحك وعلم أنه يريد السماء، وكان يكتب القرآن والعمدة ولا يغلق حرفاً مجوفاً ، فاذا غلب على ذلك أصلحه، حتى حُكي أنه سافر لاصلاح حرف مجوف أغلقه سهواً من نسخة كان باعها ، ولم يتذكر ذلك حتى سافر مشتريها ، فما رجع حتى جوده .

وحكى الشيخ أبو القاسم بن داوود الفخار السلوي أن الشيخ محمد الشريف التلمساني صاحب (المفتاح) في أصول الفقه ، وشارح (الجمل الخونجية) ، المتوفي عام اثنين وسبعين وسبعمئة ، المدفون بالمدرسة اليعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح (شرح العمدة) بما نصه : اللهم أحمد نفسك عمن أمرته أن يتخذك وكيلا ، حمداً عائداً منك إليك ، متحداً بك ، دائماً بدوام ملكك ، لا منقطعاً ولا مفصولا ، قال : فقال لي محمد ابن شاطر : ما هو انفصال عالم الملك ؟ فقلت له : بالضرورة الوقتية ، فقال لي : ما أجهلك وأجهل سيدك أبا عبد الله وأجهل ابن سودكين الذي أخذ من كتابه هذا الحمد إذ قال لا منقطعاً ولا مفصولا بعد قوله بدوام ملكك ، وهو بالضرورة الوقتية ،

وهي منقطعة ، فهلاً قال دائماً بدوام قيوميتك ، وعظيم قدرك ومجدك الأعلى ، وسبحات وجهك الأكرم ، لا منقطعاً ولا مفصولا ، فبلغ ذلك محمد الشريف فبدلـه .

وأخبار ابن شاطر كثيرة انتهى .

ترجمه الحافظ في (الدرر الكامنـة) نقلا عن ابن الخطيب قائـلا : محمد بن أحمد ابن شاطر اللخمي المراكشي ، قال ابن الخطيب : فقير متجرد مليح الشيبة ، جميل الصورة ، حسن الملبس ، مستظرف الشكل ، كثيـر الذكر ، قال : وآخر عهدي به بفاس سنة 756 ، وقد أربى على الستين انتهى .

وترجمه في (توشيح الديباج) ، وفي (الجذوة) ، و (النيل) ، و (نفح الطيب) وغيرها (1) .

فـائـدة

ممن يعرف بابن الشاطر الشيخ علاء الدين علي بن ابراهيم المعراف بابن الشاطر ، المنجم الأنصاري الدمشقي الفلكي المتوفي سنة سبع وسبعين وسبعمئة ، المذكور في (كشف الظنون) في حرف الألف فـي موضعين ، وفي حرف الراء في مواضع أربعة ، ثم في حرف الزاي ، ثم في حرف النون ، وممن يعرف بالشاطر محمد بن أحمد بن منير بن سليمان الذهبي المترجم في (الدرر الكامنة) ، وراجع ترجمة ابن سودكين فـي المحمدين مـن (الدرر الكامنـة) .

603) محمد ابن حسون الجدميوي

محمد بن أبي العلا كان مـن حاشية السلطان وبيوت الـولاة بالمغرب ، معولا على أعمال مراكش ، ولما ولي السلطان إبراهيم المرينـي

---

1) ينظر عن ابن شاطر الاحاطة (مخطوط) ، ونيل الابتهاج ص 248 ونفح الطيب 5 : 248.

يوسف بن سعد الله على قومه جدميوة ، وطير الاعلام بذلك إلى المترجم ، نزل إلى مراكش وقتل بها يوسف بن سعد الله وابنه عبد الحق ، فذهبت الرياسة من جدميوة برهة من الدهر ، ثم رجعت إليهم في بني سعد الله .

ذكره ابن خلدون .

وقال في (نفاضة الجراب) لما ذكر مَن لقيه بمراكش : ومنهم والي الوطن ، ومؤمن السبل ، وجمّاعة مال الجباية ، الشيخ الرئيس الفقيه محمد ابن حسون بن أبي العلا ، وقد مر بعض ذكره ، وهو فريد العصر بل الدهر في الخلال المبرة والخصال الحرة ، من مذكر بالبرامكة مغبر في وجوه سباقهم ، انتهازاً لفرص المكارم ، وتهالكاً في هوى المآثر، ما شئت من مغل لبضائع الحمد ، منتقب بورد الخجلة ، مرسل أعنة الاعتذار في أعقاب ملوكي العطية ، يهب الكتائب غانمات ، والمهى مستردفات ، والجياد عراباً ، يقوم على الأصليين والمنطق ، وهما الفنان المهذبان للعقل ، والمستدعيان لكثير من المواد ، يعترف له بالتقدم في ذلك ، مشارك في غيره ، حسن الصورة مهيب جزل وقور حاسر عن الاضطلاع والكفاية ، لم يبلغ عندي في البرِّ مداه ، ولا بلَّ جناح شكري ندى كنداه ، ولقد أقسم بالغموس بعد أن بان رزحه من وظائفه الباهظة ، وقعود زمنه عن أمله ، وقصور وجده عن مرمى همه ، أن لو ألفى سعته التي تعودها لنقدني ثمن ما غُصِبتُه بالأندلس عن يد ، إبلاغاً في المكارمة ، ونزعاً إلى هدف الحرية ، واسترقاقاً لرقبة السؤدد ، حفظ الله نعمته ، وحاط حظوته ، ورد عنه النوائب صاغرة ، والحوادث ناكصة .

وكثيراً ما خاطبته بعد وداعه من محال كرامته ، بالطريق من عمالته الفسيحة الخطة ، وقد ألزم من نبلاء خدامه من تمم إلي الوظائف ، وكمل المآرب بمثل قولي :

ياخاتمَ الفضل ، أو ياحاتمَ الزمن	ومشتري الحمد بالغالي من الثمن
ومرسل المَثَل الجاري بكل علا	فوق البسيطة من شام إلى يمن
يامَن إذا ما حكاه الجلة افتضحوا	إذ التورمُ ممتاز من السِّمَن

يامَن تلقيتُ منه الخلقَ في رجل — وقدت نافرة الأيام في رسن
لله ما ذا رأت عيني وقد لمحت — ذاك الكمال ؟ وما ذا قلدت أذني ؟
دع ذكر قيصر أوكسرى وما جمحت — به الحكاية عن سيف بن ذي يزن
ما الفخر إلا لملكٍ أنت تخدمه — فحلَّ منه محل الروح في البدن
إن لم يفز منه بالغايات مثلك أو — يعلو الكواكب في آفاقه فمنٍ ؟
تبأى العلا منك يوم الفخر يابن أب — جم السيادة عف السر والعلن
ماضي العزيمة ميمون نقيبته — جار من البرّ والتقوى على سَنَن
إلى مضاء كنصل السيف يعضده — رأي يفرق بين الماء واللبن (1)
أفادني زمني لقياك معتذراً — عما جناه فلا أدعو على زمني
من بعد لقياك لا آسى على وطر — مهما تعذر أو أبكي على وطن
عقدت صفقة ود فيك رابحة — إن حالت الحال لا تخشى من الغبن
فالبس نسيجة ما قدمت معلمة — من صنعة اليمن تنسى صنعة اليمن
مَن زار ربعك لم تبرح جوارحه — تروي أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة، والكف عن صلة ، — والقلب عن جابر،والأذن عن حسن(2)

604) محمد بن محمد ابن جزي الكلبي

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمان بن يوسف ابن جزي الكلبي الغرناطي الأديب المؤرخ ، ولد سنة عشرين وسبعمئة ، وكان أبوه من أعلام المقرئين ، وتعانى هو الأدب ، وابتدأ في جمع تاريخ لغرناطة فحصل منه جملة مستكثرة ، وكان واسع الحفظ ، ثاقب الفهم ، وانتقل إلى فاس فكتب لملكها أبي عنان ، ومن شعره :

قسماً بوضاح السنا الوهاج — من تحت مسدول الذوائب داج
وبأبيع كالمسك خفت نونه — من فوق وسنان اللواحظ ساج
وبحسن خد دبجت صفحاته — فغدت تحاكي مذهب الديباج

---

1) عجز منحط عن رتبة المدح ، تامل (المؤلف) .

2) نفاضة الجراب ص 59 .

وهي قصيدة طويلة جيدة ، ومن شعره :

أفنيت فيه نسيب شعريَ طامعـاً   وسفكت دمعيَ كالحيا المـــدرار
وأراه ما حفظ الوداد ولا رعـــى   ذمم النسيب ولا حقوق الجـــار

مات في شوال سنة سبع وخمسين وسبعمئة وعمره ست وثلاثون سنـــة ، ذكره في (البدر الطالـع) ، وفي (الاحاطـة) أنه توفي سنـة ثمان وخمسين وسبعمئة في شـــوال انتهى (1) وهو أولى ، لأنـه معاصره ، بل تلك الترجمة كلها إنما أخذت من (الاحاطة) ، ولقيه بفاس سنـــة 755 ، وأطال في ترجمته نحو ثمان صفحات ، وأرد فيها بعض شعره ، ونقل ما قاله فيه في (التاج المحلى) ، وترجمه أيضاً في (نفح الطيب) (2) .

605) محمد بن محمد المقْري القرشي التلمساني

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمان بـن أبي بكر بن علي القرشي التلمساني ، شهر بالمقْري .

قال في (الديباج) (3) هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً وعناية واطلاعاً ونقلا ونزاهة ، سليـــم الصدر ، محافظاً على العمل ، حريصاً على العبادة ، قائماً على العربية والفقه والتفسير أتم القيام ، ويحفظ الحديث ، ويتفجر بحفظ الأخبار والتواريخ والآداب ، ويشارك مشاركة في الأصلين والجدل والمنطق ، وله شعر جيد ، ويتكلم في طريق الصوفية

1) نص عبارة ابن الخطيب فى **الاحاطة** : اتصل بنا خبر وفاته بفاس مبطوناً فى أوائل ثمانية وخمسين وسبعمئة ، ثم تحققت ان ذلك فى آخر شوال من العام قبله .

فيكون معنى العبارة أن ابن جزى مات فى آخر شوال عام 757 وان خبر وفاته بلغ ابـن الخطيب فى أوائل عام 758 هـ .

2) ينظر عن أبى جزى هذا : **الاحاطة** 2 : 256 طبع القاهرة سنة 1974 .

3) هذه العبارات ليست من كلام صاحب (الديباج) ، وانما هى من كلام ابن الخطيـب منقولة من **الاحـاطـة** بتصرف كما سنرى ذلك فى الصفحات التالية .

كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين فيها ، حجَّ ولقي جلة ثم عاد إلى بلده ، فأقرأ به وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي السلطان أبو عنان المغرب ولاه قضاء الجماعة بفاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحق ، وألان الكلمة ، وآثر التسديد في العلم ، واستفاد على الامامين العالمين الراسخين عبد الرحمان ، وأبي موسى ابني الامام ، والعالم الحافظ ناصر الدين عمران بن موسى بن يوسف المشدالي وكان رحمه الله تعالى نسيج وحده في المتأخرين ، وعلى قاضي الجماعة بتلمسان محمد بن منصور ابن هدية القرشي من ولد عقبة ابن عامر الفهري صاحب رسول الله عليه وسلم ، وعلى غيرهم من الأشياخ الجلة ، وألف كتاباً يشتمل على أزيد من مئة مسألة فقهية ضمنها كل أصل من الرأي والمباحثة ، ودوّن في التصوف (إقامة المريد ورحلة المتبتل) ، وكتاب (الحقائق والرقائق) .

قال ابن الخطيب : اتصل بنا نعيُه في شهر محرم عام تسعة وخمسين وسبعمئة ، وأراه توفي في ذي الحجة من العام قبله .

وقال في (النيل) ما نصه : ضابطاً للمقْري بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة ، كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في كتابه (العلوم الفاخرة) ، وكذا الونشريسي ، وزاد أنها قرية من قرى بلاد الزاب من إفريقية، سكنها سلفه ، ثم تحولوا لتلمسان ، وبها ولد ونشأ وأقرأ وقرأ ، وضبطه ابن الأحمر في فهرسته ، والشيخ زروق بفتح الميم وسكون القاف انتهى .

وقال في (الاحاطة) بعد ذكره :

اوليته

نقلت من خطه قال : وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً بعد أن كانت لمن قبله مزاراً ، عبد الرحمان بن أبي بكر بن علي المقْري صاحب الشيخ أبي مدين ، الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين ، وهو أبي الخامس ، فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمان ، وكان هذا الشيخ عروي الصلاة ، حتى انه

ربما امتحن بغير شيء فلم يُؤنس منه التفات ، ولا استُشعر منه شعور ، ويقال إن هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبي مدين ، ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة ، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار ، وتأمين التجار ، واتخذوا طبلا للرحيل ، وراية تقدم عند المسير ، وكان ولد يحيى الذي كان أحدهم أبا بكر خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه على السواء بينهم والاعتدال ، وكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان ، وعبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد وعلي ، وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن (I) ، فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار ، فتزوجو النساء ، واستولدوا الاماء، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ، والسجلماسي كلسان الميزان ، يعرفهما بقدر الرجحان والخسران ، ويكاتبهما بأحوال التجار والبلدان ، حتى اتسعت أموالهم ، وارتفعت في الفخامة أحوالهم ، ولما افتتح التكرور كورة إيوالاتن وأعمالها ، أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها ، بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال ، ونصب دونها ودون ماله القتال ، ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه ، ومكنه من التجارة ببلاده ، وخاطبه بالصديق الأحب ، والخلاصة الأقرب ، ثم صار يكاتب مَن بتلمسان يستقضي منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبيء عن ذلك ، فلما استوثقوا من الملوك ، تذللت لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحد ، وكادت تفوق الحصر والعد ، لأن بلاد الصحراء ، قبل أن يدخلها أهل مصر ، كان يُجلَب إليها من المغرب ما لا بالَ له من السلع ، فيتعاوض عنه بما له بالٌ من الثمن ، أي مدبِّر دنيا ضم جنباً أبي حم وشمل ثوباه ، كان يقول : لو لا الشناعة لم أزل في بلادي تاجراً من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ، ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ، ومن سواهم يحمل منها الذهب ، ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ، إلى ما يغير من العوائد ، ويجر السفهاء إلى المفاسد .

I) **ايوالاتن** عربت فصارت تدعى اليوم **ولاتة** حاضرة شهيرة قديمة تضاءلت فى الوقت الراهن أهميتها فعادت مجرد قرية واقعة بالجنوب الشرقى لصحراء شنجيط غير بعيدة عن حدود مالي .

ولما درج هؤلاء الأشياخ ، جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ، ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم ، وصادفوا توالي الفتن ، ولم يسلموا من جور السلاطين ، فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان ، فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمة ، ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب ، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء، سواء المقيم القاطن ، والوارد والظاعن .

حاله

هذا الرجل مشار إليه في العدوة الغربية اجتهاداً ودؤوباً وحفظاً وعناية واطلاعاً ونقلا ونزاهة ، سليم الصدر ، قريب الغور ، صادق القول ، مسلوب التصنع ، كثير الهشة ، مفرط الخفة ، طاهر القلب ، ذاهب أقصى مذاهب التخلق ، محافظ على العمل ، مثابر على الانقطاع ، حريص على العبادة ، مضايق في العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ، ثم يغافض الوقت فيها ويوقعها دفعة ، متبعاً إياها زعقة التكبير ، برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة بما هو دليل على حسن المعاملة ، وإرسال السجية ، قديم النعمة متصل الخيرية ، مكب على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصف في المذاكرة ، حاسر الذراع عند المباحثة ، رحب الصدر في وطيس المناقشة ، غير مختار للقرن ولا ضان بالفائدة ، كثير الالتفات ، متقلب الحدقة ، جهير بالحجة ، بعيد عن المراء والمباهتة ، قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة ، يقوم أتمّ قيام على العربية والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث ، ويتفجر بحفظ الأخبار والتاريخ والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر مصيباً غرض الاجادة ، ويتكلم في طريق الصوفية كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين فيها ، شرّق وحج ولقي جلة واضطبن رحلة مفيدة ، ثم آب إلى بلده فأقرأ به ، وانقطع إلى خدمة العلم ، فلما ولي ملك المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة الملك وأثير الله من بين القرابة والاخوة ، أمير المومنين أبو عنان ، اجتذبه وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحق ، وألان الكلمة ، وآثر التسديد ، وحمل الكل ، وخفض

الجناح ، فحسنت عنه القالة ، وأحبته الخاصة والعامة . حضرت بعض مجالسه للحكم ورأيت من صبره على اللدد وتأتيه للحجج ورفقه بالخصوم ما قضيت منه العجب .

دخوله غرناطة

ثم لما أخر عن القضاء استعمل بعد لأي في الرسالة ، فوصل إلى الأندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة وخمسين وسبعمئة ، فلما قضى غرض رسالته ، وأبرم عقد وجهته ، واحتلّ مالقة في منصرفه ، بدا له في نبذ الكلفة ، واطراح وظيفة الخدمة ، وحل التقيد إلى ملازمة الامرة ، فتقاعد وشهر غرضه ، وبت في الانتقال طمع من كان صحبته ، وأقبل على شأنه ، فخلي بينه وبين همه ، وترك وما انتحله من الانقطاع إلى ربه ، وطار الخبر إلى مرسله ، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة والعدول عنها بقصد التخلي والعبادة ، وأنكر ما حقه الانكار من إبطال عمل الرسالة والانقباض قبل الخروج عن العهدة ، فوغر صدره على صاحب الأمر ، ولم يبعد حمله على الظنة والمواطأة على النفرة ، وتجهزت جملة من الخدام المجلين في مآزق الشبهة ، المضطلعين باقامة الحجة ، مولين خطة الملام ، مخيرين بين سحائب عاد من الاسلام ، مظنة إعلاق النقمة ، وإيقاع المثلة ، والاشادة بسبب إجارته بالقطيعة والمنابذة ، وقد كان المترجم به لحق بغرناطة ، فتذمم بمسجدها وجأر بالانقطاع إلى الله ، وتوعد مَن يجبره بنكير مَن يجير ولا يجار عليه سبحانه ، فأهم أمره ، وشغلت القلوب آبدته ، وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة اقتضت له فيها رفع التبعة ، وتركه إلى تلك الوجهة ، ولما تحصل ما تيسر من ذلك انصرف محفوفاً بعالمي القطر قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني ، والشيخ الخطيب أبي البركات ابن الحاج ، مسهلين لوروده ، مشافهين بالشفاعة في غرضه ، فانقشعت الغمة ، وتنفست الكربة ، واستصحبا من المخاطبة السلطانية في أمره من إملائي ما يذكر ، حسبما ثبت في الكتاب المسمى بـ (كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان) المجموع بسلا ما صورته :

المقام الذي يحب الشفاعة ويرعى الوسيلة ، وينجز العدة ويتمم الفصيلة ، ويضفي مجده المنن الجزيلة ، ويعيي حمده الممادح العريضة الطويلة ، مقام محل والدنا الذي كرم مجده ، ووضح سعده ، وصح في الله تعالى عقده ، وخلص في الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمده ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها .

معظم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير، المتشيع لأبوته الرفيعة قولا باللسان واعتقاداً بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الأحمى والولي النصير ، فلان (1) .

سلام كريم ، طيب برّ عميم ، يخص مقامكم الأعلا ، وأبوتكم الفضلى، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمدِ الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاه حلاها ، وميز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها ، حمداً يكون كفؤا للنعم التي أولاها وأعادها ووالاها ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقي من درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها ، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها ، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها ، والرضى عن آله وصحبه الذين خَبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها ، وعسل ذكرهم في الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن وأحلاها ، والدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى علاها ، بالسعادة التي يقول الفتح أنا طلاّع الثنايا وابن جلاها ، والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلي فلاها ، فانا كتبنا إليكم كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء ، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء ، وقلدكم من قلائد مكارم الأخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء ، من حمراء غرناطة حرسها الله ، والود باهر السنا ظاهر السناء ، والتشيع رحب الدسيعة والفناء .

---

1) هو السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج ابن الأحمر ملك غرناطة .

وإلى هذا وصل الله سعدكم،وحرس مجدكم، فاننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبي عبد الله المقْري خار الله لنا وله ، وبلغ الجميع من فضله العميم أمله ، جواباً عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثلة ، والمآرب المعملة ، والقضايا غير المهملة ، نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يُرد ، وظمئاها عن منهل قبولكم لا تجلى ولا تصد ، حسبما سنة الأب الكريم والجد ، والقبيل الذي وضح منه في المكارم الرسم والحد ، ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا مـن أحواله صدق المخيلة ، وتبلج صبـح الزهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار ، واختلاطه باللفيف والغمار ، وإقباله على ما يعني مثله من صلة الأوراد ومداومة الاستغفار،وكنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره ، والفضل الذي أبرزه للعيان وأظهره ، أمرنا أن يعتنى بأحواله ، ويعان على فراغ باله ، ويجرى عليه سيب" من ديوان الأعشار الشرعية وصريح ماله ، وقلنا أما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله ، ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب ، وسكـن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب ، بحيث لم يتعرف وروده ووصوله إلا ممن لا يؤبه بتعريفه ، ولم تتحقق زوائـده وأصوله لقلة تصريفه ، ثم تـلاحق أرسالكم الجلـة فوجبت حينئذ الشفاعة ، وعرضت على سوق الحلم والفضل مـن الاستلطاف والاستعطاف البضاعة ، وقررنا ما تحققناه من أمره ، وانقباضه عن زيد الخلق وعـمْره ، واستقباله الوجهة التي من ولى وجهه شطرها فقد آثر أثيراً ، ومن ابتاعهـا بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيراً وخيراً كثيراً ، وسألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذي رماه بعزمه ، وقصر عليه أقصى همه ، فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ، ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقي وقسمه، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه ، ويُعول البريء على فضله ويثق المذنب بحمله ، فوصل الجواب الكريم بمجرد الأمان ، وهو إرب من آراب ، وفائدة من جراب ، ووجه من وجوه الاعراب ، فرأينا أن المطل بعد جفاء ، والاعادة ليس بثقلها خفاء ، ولمجدكم بما ضمنا عنه وفاء ، وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله ، وأن يقتضى له ثمرة المقصد ، ويبلغ طية الاسعاف في الطريق إن قصد ، إذ كان الأمان لمثله

ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلا ، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلا ، ولما مدت اليد في تسويـغ حالة هديكم عليها أبداً يحرض ، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض ، فكملوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب ، والحقوا بالأصل حديث هذه الاباحة فهو أصح حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم وخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب باخلاص المتاب، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب الذي تعلق بـه أعلق الله به يدكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب، وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب، ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب، وهما فلان وفلان، ولولا الاعذار لكان في هذا الغرض إعمال الركاب يسبق إعلام الكتاب ، وأنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ، ويربي على التأميل ، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقـة التسجيل ، وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرفد الجزيل .

والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلا ، ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

فـي الحادي والعشريـن لجمادى الآخرة مـن عام سبعة وخمسيـن وسبعمئـة .

مشيختـه

قال : فممـن أخذت عنه واستفدت منـه علماها ـ يعني تلمسان ـ الشامخان ، وعالِماها الراسخان ، عبد الرحمان ، وعيسى ابنا محمد بن عبد الله ابـن الامام (1) وحافظها ومدرسها ومفتيها عمران بن موسى بـن يوسف المشدالي ، صهر شيخ المتأخرين أبي علي ناصر الدين على ابنته ، ومشكاة الأنوار ، التي يضيء زيتها ولو لم تمسسه نار ، الأستاذ إبراهيم ابن حكـم الكناني السلوي رحمه الله ، ومنهم القاضي محمد بن عبد الله بن عبد النور ،

---

1) الاحاطة 2 : 200 طبع القاهرة عام 1974 .

والشيخ محمد بن الحسن البروني ، وموسى المصمودي الشهير بالبخاري قال : سمعت البروني يقول : كان الشيخ أبو عمران يدرس البخاري ورفيق له يدرس (صحيح مسلم) ، وكانا يعرفان بالبخاري ومسلم ، فشهدا عند قاض ، فطلب المشهود عليه الاعذار فيهما ، فقال له أبو عمران : أتمكنه من الاعذار في الصحيحين: البخاري ومسلم؟ فضحك القاضي وأصلح بين الخصمين.

ثم قال : ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها ، خطيبها الشيخ سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط أدرك إبراهيم الطيار ، ومنهم محمد بن محمد القرموني ، وكان بصيراً بتعبير الرؤيا ، ومن عجائب شأنه فيه أنه كان في سجن يوسف بن عبد الحق مع من كان فيه من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ، فرأى أبو جمعة بن علي التلالسي الجرائحي منهم كأنه قائم على ساقية دائرة ، وجميع قواديسها تصب في نقير في وسطها، فجاء ليشرب فلما اغترف الماء إذا فيه فرث ودم ، فأرسله واغترف ، فاذا هو كذلك ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل عنه فرأى خصة ماء وشرب منها ثم استيقظ وهو النهار ، فأخبره فقال : إن صدقت الرؤيا فنحن عن قليل خارجون من هذا المكان ، قال : كيف ؟ قال : الساقية الزمان ، والنقير السلطان ، وأنت جرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم ، وهذا ما لا تحتاج معه إلى دليل ، فلم تكن إلا ضحوة النهار وإذا النداء عليه ، فخرج فوجد السلطان مطعوناً بخنجر ، فأدخل يده في جوفه فنالها الفرث والدم ، فخاط جراحته ، ثم خرج فرأى خصة ماء فغسل يديه وشرب ، ثم لم يلبث السلطان أن توفي ، وسرحوا من كان في سجنه .

ومن أشياخه الامام نسيج وحده محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي التلمساني ، وهو رحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره ، حدث قال : قدم على مدينة فاس شيخنا محمد بن يحيى الباهلي، عرف بابن المسفر ، رسولا من صاحب بجاية ، وزاره الطلبة ، فكان فيما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاماً وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ، ويستشكله الشيخ معهم ، وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل

المركب في الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل ، فرجعوا به إلى الشيخ الآبلي فتأمله ثم قال : هذا كلام مصحَّف ، وأصله : أن المركَّب قبل البسيط في الحس ، والبسيط قبل المركب في العقل ، وأن الحس أقوى ، فأخبروا ابن المسفر فلج ، فقال لهم الشيخ : التمسوا النسخ ، فوجدوا في بعضها كما قال الشيخ .

رحلته

رحل إلى بجاية مشرقاً ، فلقي بها جلة منهم : الفقيه محمد بن يحيى الباهلي ابن المسفر ، ومنهم قاضيها محمد ابن الشيخ يعقوب الزواوي فقيه ابن فقيه ، ومنهم حسن بن حسن إمام المعقولات بعد ناصر الدين ، وبتونس قاضي الجماعة وفقيهها محمد بن عبد السلام، وخضر درسه، وقاضي المناكح أبو محمد الأجمي ، وهو حافظ فقهائها في وقته ، والفقيه محمد ابن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول ، وحج ، فلقي بمكة إمام الوقت محمد بن محمد بن عبد الرحمان التوزري المعروف بخليل ، وإمام المقام أبا العباس رضي الدين الشافعي ، وغير واحد من الزائرين والمجاورين وأهل البلد ، ثم دخل الشام فلقي بدمشق شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب ابن تيمية، وصدر الدين الغماري المالكي ، وأبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي وغيرهم ، وببيت المقدس الأستاذ أبا عبد الله ابن مثبت ، والقاضي شمس الدين ابن سالم ، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان وغيره .

تصانيفه

ألف كتاباً يشتمل على أزيد من مئة مسألة فقهية ضمنها كل أصل من الراي والمباحثة ، ودوّن في التصوف (إقامة المريد)، و (رحلة المتبتل)، وكتاب (الحقائق والرقائق) .

شعره

نقلت من ذلك قوله : هذه (لمحة العارض ، لتكملة ألفية ابن الفارض)، سلب الدهر من فرائدها مئة وسبعة وسبعين ، فاستعنت على ردها بحول الله المعين .

من فصل الاقبال :

رفضت السوي وهو الطهارة عندما … تلفعت في مرط الهوى وهو زينتي
وجئت الحِمى وهو المصلى ميمماً … بوجهة قلبي وجهها ، وهو قبلتي
وقمت وما استفتحت إلا بذكرها … وأحرمت إحراماً لغير تحلة
فديني، إن لاحت،ركوع،وإن دنت، … سجود، وإن لاهت ، قيام بحسرة
على أننا في القرب والبعد واحد … تألّفنا بالوصل عينُ التشتت
وكم من هجير خضت ظمآن طاوياً … إليها ، وديجور طويت برحلة
وفيها لقيت الموت أحمر ، والعدا … بزرقه أسنان الرماح وحدة
وبيني وبين العذل فيها منازل … تنسّيك أيام الفجار ومؤتة
ولما اقتسمنا خطتينا ، فحامل … فجار بلا أجر ، وحامل برة
خلا مسمعي من ذكرها فاستعدته … فعاد ختام الأمر أصل القضية
وكم لي حكم الهوى من تجلد … دليل ، على أن الهوى من سجيتي
يقول سميري ، والأسا سالم الأسى … ولا توضع الأوزار إلا لمحنة :
لوْ أن مجوساً بت موقد نارها … لما ظل إلا مَنهلا ذا شريعة
ولو كنت بحراً لم يكن فيه نضحة … لعينٍ إذا نام الغرام استحرت
فلا ردم من نقب المعاول آمن … ولا هدم إلا منك شيد بقوة
فمِمَّ تقول الأسطقسّات منك أو … علام مزاج ركبت أو طبيعة
فان قام لم يثبت له منك قاعد … وإلا فأنت الدهر صاحب قعدة
فما أنت ياهذا الهوى ؟ ماء أو هوى … أم النار أم دساس عرق الأمومة ؟
وإني على صبري كما أنت واصف … وحالي أقوى القائمين بحجة
أقل الضنى إن عج من جسميَ الضنى … وما شاكه معشار بعض شكيتي
وأيسر شوقي أنني ما ذكرتها … ولم أنسها إلا احترقت بلوعتي
وأخفى الجوى قرع الصواعق منك في … جواي، وأخفى الوجد صبر المودة
وأسهل ما ألقى من العذل أنني … أحب أقليْ ذكرها وفضيحتي
وأوج حظوظي اليوم منها حضيضها … بالأمس ، وسَلْ حرَّ الجفون الغزيرة
وأوجز أمري أن دهريَ كله … كما شاءت الحسناء يوم الهزيمة
أروح ، وما يلقى التأسف راحتي … وأغدو ، وما يعدو التفجع خطتي

وكالبيض بيض الدهر،والسمر سوده ... مساءتها في طي طيب المسرة
وشأن الهوى ما قد عرفت،ولا تسل ... وحسبك أن لم يخبر الحب رؤيتي
سقام بلا برء ، ضلال بلا هدى، ... أوام بلا ري ، دم لا بقيمة
ولا عتبَ فالأيام ليس لها رضا ... وإن ترض منها الصبر، فهو تعنتي
ألا أيها اللوام عني قوضوا ... ركاب ملامي فهو أول محنتي
ولا تعذلوني في البكاء ولا البكى ... وخلوا سبيلي ما استطعتم ولوعتي
فما سلسلت بالدمع عيني إن جنت ... ولكن رأت ذاك الجمال فجنت
تجلى وأرجاء الرجاء حوالك ... ورشديَ غاوٍ والعمايات عمت
فلم يستبن حتى كأنيَ كاسف ... وراجعت إبصاري له وبصيرتي

ومن فصل الاتصال :

وكم موقف لي في الهوى خضت دونه ... عباب الردى بين الظبي والأسنة
فجاوزت في حدي مجاهدتي له ... مشاهدتي لما سمَت بيَ همتي
وحل جمالي في الجلال فلا أرى ... سوى سورة التنزيه في كل صورة
وغبت عن الاغيار في تيه حالتي ... فلم أنتبه حتى امتحى اسمي وكنيتي
وكاتبت ناسوتي بأمارة الهوى ... وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
وعلم يقيني صار عيناً حقيقة ... ولم يبق دوني حاجب غير هيبتي
وبدلت بالتلوين تمكين عزة ... ومن كل أحوالي مقامات رفعة
وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفي ... مع المحو والاثبات عند تثبتي
وكم جلت في سم الخياط وضاق بي ... لبسطي وقبضي بسط وجه البسيطة
وما اخترت إلا دنَّ سقراط زاهداً ... وفي ملكوت النفس أكبر عبرة
وفقري مع الصبر اصطفيت على الغنى ... مع الشكر، إذ لم يحظ فيه مثوبتي
وأكتم حبي ما كني عنه أهله ... وأكني إذا هم صرحوا بالخبيئة
وإنيَ في جنسي ومنه لواحد ... كنوع ، ففصل النوع علة حصتي
تسببت في دعوى التوكل ذاهباً ... إلى أنَّ أجدى حيلتي ترك حيلتي
وآخر حرف صار منيَ أولا ... مريداً ، وحرف في مقام العبودة
تعرفت يوم الوقف منزل قومها ... فبت بجمعٍ سدَّ خرق التشتت
فأصبحت أقضي النفس منها منى الهوى ... وأقضي على قلبي برعي الرعية

فبايعتها بالنفس داراً سكنتهـــا وبالقلب منه منزلا فيه حلـــت

فخلص الاستحقاق نفسي من الهوى وأوجب الاسترقاق تسليم شفعـة

فيانفس لا ترجع تقطع بيننـــا وياقلب لا تجزع ظفرت بوحـــدة

ومن فصل الادلال :

تبدت لعيني من جمالك لمحـــة أبادت فؤادي من سناها بلفحـــة

ومرت بسمعي من حديثك ملحة ، تبدت لها فيك القران وقـــرت

ملامي بن ، عذري استبن، وجدي استعن سماعي أعن، حالي أبن ، قائلي اصمت

فمن شاهدي سخط، ومن قائلي رضا وتلوين أحوالي وتمكين رتبتـــي

مرامي إشارات ، مراعي تفكـــر ، مراقي نهايات ، مراسي تثبـــت

وفي موقفي ، والدار أقوت رسومها تقرب أشواقي ، تبعّد حسرتـــي

معاني إمارات ، مغاني تذكـــر ، مباني بدايات ، مثاني تلفـــت

وبث غرام ، والحبيبُ بحضرة ، ورد سلام ، والرقيب بغفلـــة

ومطلع بدر في قضيب على نقـــا فويقَ محلٍ عاطل دون دجيـــة

ومكمن سحر بابليٌ له ، بمــــا حوت أضلعي ، فعل القنا السمهرية

ومنبت مسك من شقيق ابن منذر على سوسن غض بجنة وجنـــة

ووصف اللآلي في اليواقيت كلما تعل بصرف الراح في كل سحرة

سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه ونكهته يخبرك عن علم خبـــرة

ورمان كافور عليه طوابـــع من الند لم تحمل به بنت مزنـــة

ولطف هواء بين حقف وبانـــة ورقة ماء في قوارير فضـــة

لقد عز عنك الصبر حتى كأنـــه سراقة لحظ منك للمتلفـــت

وأنت وإن لم تبق مني صبابـــة منى النفس، لم تقصد سواك بوجهة

وكل فصيح منك يسري لمسمعـي وكل مليح منك يبدو لمقلتـــي

تهوّن عليّ النفس فيك وإنهـــا لتكرم أن تغشى سواك بنظـــرة

فان تنظريني بالرضى تُشف علتي وإن تظفريني باللقا تطف غلتـــي

وإن تذكريني ، والحياة بقيدها ، عدلت لأمني منيتي بمنيتـــي

وإن تذكريني بعد ما أسكن الثرى تجلت دجاه عند ذاك وولـــت

صليني وإلا جددِ الوعد تدركي   صبابة نفس أيفنت بتفلت
فما أم بو هالك بتنوفة   أقيم لها خلف الحلاب فدرت
فلما رأته لا ينازع خلفها   إذا هي لم ترسل عليه وضنَّت
بكت كلما راحت عليه ،وإنها   إذا ذكرته آخر الليل ، حنت
بأكثر مني لوعة ، غير أنني ،   رأيت وقار الصبر أحسن حلية
فرحت كما أغدو إذا ما ذكرتها   أطامن أحشائي على ما أجنت
أهوّن ما ألقاه إلا من القلى   هوى،ونوى نيل الرضا منك بغيتي
أخوض الصلا، أطفي العلا والعلو لا   أصل السلا، رعى الخلا بين عبرتي
ألا قاتل الله الحمامة غدوة   لقد أصلت الأحشاء نيران لوعة
وقاتل مغناها وموقف شجوها   على الغصن،ما ذا هيجتْ حين غنت
فغنتْ غناء أعجمياً ، فهيجت   غراميَّ من ذكرى عهود تولت
فأرسلت الأجفان سحباً ، وأوقدت   جوايَ الذي كانت ضلوعي أكنت
نظرت بصحراء البريقين نظرة   وصلت بها قلبي ، فصلٌ وصلت
فيالهما قلباً شجياً ونظرة   حجازية لو جن طرف لجنت
وواعجبا للقلب كيف اعترافه   وكيف بدت أسراره خلف سترة
وللعين لما سوئلت كيف أخبرت   وللنفس لما وطنت كيف دلت
وكنا سلكنا في صعود من الهوى   يسامي بأعلام العلا كل رتبة
إلى مستوى ما فوقه فيه مستوى   فلما توافينا ثبتُ وزلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا   على نحر قربان لدى قبر شيبة
مؤكدة بالنذر أيام عهده   فلما تواثقنا شددت وحلت

ومن فصل الاحتفال :

أزور اعتماراً أرضها بتنسك   وأقصد حجاً بيتها بتحلة
وفي نشأتي الأخرى ظهرت بما علت   له نشأتي الأولى على كل فطرة
ولولا خفاء الرمز من لا ولن ولم   تجدها لشملي مسلكاً بتشتت
ولو لم يحدد عهدنا عقد خلة   قضيت، ولم يقض المنى صدق توبة
بعثت إلى قلبي بشيراً بما رأت   على قدم عيناي منه فكفت
فلم يعد أن شام البشارة شام ما   جفا الشام من نور الصفات الكريمة

فيالك من نور لو أن التفاتـــة … تعارض منه بالنفوس النفيســة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبهــا … بما حملته من حراقة حرقــة
وتنبيء آصال الربيع عن الربــا … وأشجاره إن قد تجلت فجلــت
وتخبر أصوات البلابل أنهــا … تغنت بترجيعي على كل أيكــة
فهذا جمالي منك في بعد حسرتي … فكيف به إن قربتني بخلــة
تَبَدى وما زال الحجاب ولا دنا ، … وغاب ولم يفقده شاهد حضرتــي
له كل غير في تجليه مظهــر … ولا غير إلا ما محت كف غيــرة
تجلى دليل واحتجاب تنــزه … وإثبات عرفان ومحو تثبــت
فما شئت من شيء وآليت أنــه … هو الشيء لم تحمد فجار أليتــي
وفي كل خلق منه كل عجيبــة … وفي كل خلق منه كل لطيفــة
وفي كل خاف منه مكمن حكمــة … وفي كل باد منه مظهر جلــوة
أراه بقلب القلب واللغز كامنــاً … وفي الزجر والفال الصحيح الأدلة
وفي طي أوفاق الحساب ، وسر ما … يتم من الاعداد ، فابدأ بستــة
وفي نفثات السحر في العُقد التي … تَطوع لها كل الطباع الأبيــة
يصور شكلا مثل شكل ، ويعتلي … عليه بأوهام النفوس الخبيثــة
وفي كل تصحيف وعضو بذاته اخـ … ـتلاج ، وفي التقويم مجلى لرؤية
وفي خضرة الكمون تزجي شرابــه … مواعيد عرقوب على إثر صفــرة
وفي شجر قد خوفت قطع أصلهـا … فبان بها حمل لأقرب مــدة
وفي النخل في تلقيحه ، واعتبر بما … أتى فيه عن خير البرية ، واسكت
وفي الطابع السبتي والأحرف التي … يبيِّن منها النظم كل خفيــة
وفي صنعة الطلسم والكيمياء والـ … ـكنوز وتغوير المياه المعينــة
وفي حرز أقسام المؤدب محــرز … وحزب أصيل الشاذلي وبكــرة
وفي سيمياء الحاتميّ ومذهب ابـ … ـن سبعين إذ يعزى إلى شر بدعة
وفي الملل الأولى ، وفي النحل الألى … بها أوهموا لما تساموا بسنــة
وفي كل ما في الكون من عجب وما … حوى الكون إلا ناطقاً بعجيبــة
فلا سرٌ إلا وهو فيه سريــرة … ولا جهرَ إلا وهو فيه كحليــة
سل الذكر عن إنصاف أنصاف ما انبنى … عليه الكلامُ من حروف سليمــة

وعن وضعها في بعضها وبلوغ ما   أتت فيه أمضي عدها ونثبت
فلا يد من رمز الكنوز لذي الحجا   ولا ظلم إلا ظلم صاحب حكمة
ولولا سلام ساق للأمن خيفتي   **لعاجل مس البرد خوفي لميتتي**
ولو لم تداركني ، ولكن بعطفها   درجت رجائي أن نعتني خيبتي
ولو لم تؤانسني عنا قبل لم ولم   قضى العتب مني بغية بعد وحشتي
ونعم أقامت أمر ملكي بشكرها   كما هوّنت بالصبر كل بلية

ومن فصل الاعتقال :

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي   وسارت ولم تثن العنان بعطفة
وذلك لما أطلع الشمس في الدجى   محيا ابنة الحيين في خير ليلة
يمانية لو أنجدت حين أنجدت   لما أبصرت عيناك حياً كميت
لأصحمة في نصحها قدم بنَى   لكل نجاشيٍّ بها حصن ذمة
ألمت فحطت رحلها ثم لم يكن   سوى وقفة التوديع حتى استقلت
فلو سمحت لي بالتفات وحل من   مهاوي الهوى والهون جد تفلتي
ولكنها همت بنا فتذكرت   قضاء قضاة الحسن قدماً فصدت
أجلت خيالا إنني لا أجله   ولم أنتسب منه لغير تعلة
على أنني كلي وبعضي حقيقة   وباطل أوصافي ، وحق حقيقتي
وجنسي وفصلي والعوارض كلها،   ونوعي وشخصي والهواء وصورتي
وجسمي ونفسي والحشا وغرامه   وعقلي وروحانيتي القدسية
وفي كل لفظ عنه ميل لمسمعي   وفي كل معنى منه معنى للوعتي
ودهري به عيد ليوم عروبة   وأمريّ أمري ، والورى تحت قبضتي
ووقتي شهود في فناء شهدته   ولا وقت لي إلا مشاهد غيبتي
أراه معي حساً ووهماً ، وإنه   مناط الثريا من مدارك رؤيتي
وأسمعه من غير نطق كأنه   يلقن سمعي ما توسوس مهجتي
ملأت بأنوار المحبة باطني   كأنك نور في سرار سريرتي
وجليت بالاجلال أرجاء ظاهري   كأنك في أفقي كواكب زينة
فأنت الذي أخفيه عند تستري   وأنت الذي أبديه في حين شهرتي
فتهْ أحتمل،واقطع أصل،واعل أستفل   ومرْ أمتثل،واملل أمل،وارم أثبت

فقلبي إن عاتبته فيك لم أجــد ... لعتبي فيه الدهر موقع نكتــة
ونفسي تنبو عن سواك نفاسـة ... فلا تنتمي إلا إليك بمنــة
تعلقتِ الآمال منك بفوق مــا ... أرى دونه ما لا ينال بحيلــة
وحامت حواليها ، وما وافقت حمى ... سحائب يأس أمطرت ماء عبرتــي
فلو فاتني منك الرضا ، ولحقتني ... بعفو ، بكيت الدهر فوت فضيلـة
ولو كنت في أهل اليمين منعمـاً ... بكيت على ما كان من أسبقيـة
وكم من مقام قمت عنك مسائــلا ... أرى كل حي ، كل حي وميــت
أتيت بفاراب أبا نصرها فلــم ... أجد عنده علماً يبرد غلتــي
ولم يدر ما قولي ابن سيناء سائلا ... فقل كيف أرجو عنده برء علتــي
فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجى ... وفي ابن طفيل لاحتثاث مطيتــي
لقد ضاع لو لا أن تداركني حمـى ... من الله سعي بينهم طول مدتــي
فقيض لي نهجاً إلى الحق سالكـاً ... وأيقظني من نوم جهلي وغفلتــي
فحصنت أنظار الجنيد جنيدهــا ... بتركٍ ، فلي من رغبة ريح رهبــة
وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهما ... وأنقذته من أسر حب الأسـرة
وعدت على حلاج سكري بصلبــه ... وألقيت بلعام التفاتي بهــوة
فقوليَ مشكور ورأيي ناجــح ... وفعلي محمود بكل محلــة
رضيت بعرفاني فأعليت للعــلا ... وأجلسني بعد الرضى فيه جلتــي
فعشت ، ولا ضيراً أخاف ولا قـلا ... وصرت حبيباً في ديار أحبتــي
فها أنا ذا أمسي وأصبح بينهــم ... مبلغ نفسي منهم ما تمنــت

وأنشدني قوله في حال قبض ، وقيدتها عنه :

إليك بسطت الكفَّ أستنزل الفضلا ... ومنك قبضت الطرف أستشعر الذلا
وها أنا ذا قد قمت، يقدمني الرجاء، ... ويحجم بي الخوف الذي خامر العقلا
أقدم رجلا إن يضيء برقُ مطمع ... وتظلم أرجائي فلا أنقل الرجــلا
ولي عثرات لست آمل إن هــوت ... بنفسيَ أن لا أستقيل وأن أصلي
فان تدركني رحمة أنتعش بهــا ... وإن تكن الأخرى فأولى بي الأولى

قال : ومما نظمته من الشعر :

وجد تسعّره الضلــو ... ع وما تبرّده المدامــع
همٌ تحركه الصبــا ... بـة والمهابة لا تطــاوع

أمل إذا وصل الرجـــــــــــا أسبابه فالموت قاطـــــــع
بالله ياهذا الهـــــــــــوى ما أنت بالعشاق صانــــــــع

قال : ومما كتبت به لمن بلغني عنه بعض الشيء :

نحن ، إن تسأل بناس معشـــر ، أهل ماء فجرته الهمـــــــــم
عرب من بيضهم أرزاقهـــم ومن السمر الطوال الخيـــــــم
عرضت أحسابهم أرواحهـــم دون نيل العرض وهي الكـــرم
أورثونا المجد حتى إننـــــا نرتضي الموت ولا نزدحـــم
ما لنا في الناس من ذنب ســـوى أننا نلوي إذا ما اقتحمـــــوا

قال : ومما قلته من الشعر مذيلا قول القاضي أبي بكر ابن العربي :

أما والمسجد الأقصـــــــــى وما يتلى به نصـــــــــا
لقد رقصت بنات الشـــو ق بين جوانحي رقصـــــا

قـــولـــي :

فاقلع بي إليه هـــــــوى جناحا عزمه قصـــــــــا
أقل القلب واستعـــــــدى على الجثمان فاستعصـــــى
فقمت أجول بينهمـــــــا فلا أدني ولا أقصـــــــى

قال : ومما قلته في التورية بشأن راوي المدونة :

لا تعجبنّ لظبي قد دها أســـــدا فقد دها أسداً من قبل سحنـــون

قال : ومما قلته من الشعر :

أنبت عودا بنعماء بدأت بهـــــا فضلا وألبستها بعد اللحى الورقـا
فظل مستشعراً مستدثراً أرجـــا ريان ذا بهجة يستوقف الحدقـــا
فلا تشنه بمكروه الجنى فلكـــم عودته من جميل من لدن خلقـــا
وانف القذى عنه واثر الدهر منبته وغذه برجاء واسقه غدقــــــا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها ما جاء منها على ضوء وما طرقـــا

ومما قيدت عنه أيام مجالسته ومقامه بغرناطة ، أنه شهد مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو ، ذكر فيه عبد الرحمان ابن الامام أن ابن القاسم مقلد مقيد بالنظر بأصول مالك ، ونازعه عمران بن موسى المشدالي ، وادعى أنه مطلق الاجتهاد ، واحتجّ له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه لما ليس من قوله ، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة ، قال : فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره ، فاستظهر عبد الرحمان بنص لشرف الدين التلمساني مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك والمزني إلى الشافعي ، فقال عمران : هذا مثال ، والمثال لا تلزم صحته، فصاح به عبد الرحمان ابن الامام وقال لأبي عبد الله بن عمرو : تكلم ، فقال : لا أعرف ما قال هذا الفقيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل به ، فقال عمران للسلطان : هذا كلام أصولي محقق، فقلت لهما يومئذ ، وأنا حديث السن ، ما أنصفتما الرجل ، فان المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق تؤخذ على جهة التقريب ، ومن ثَمَّ جاء ما قاله هذا الشيخ ، أعني ابن أبي عمرو ، وكيف لا وهذا سيبويه يقول : وهذا مثال ولا يتكلم به ، فاذا صح أن المثال قد يكون تقريباً فلا يلزم صحة المثال ولا فساد الممثل لفساده ، فهذان القولان من أصل واحد .

وقال : شهدت مجلساً آخر عند السلطان قرأ فيه على عبد الرحمان ابن الامام حديث : « لقنوا موتاكم لا إلاه إلا الله » من صحيح مسلم ، فقال له الأستاذ ابراهيم ابن حكم السلوي : هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازاً ، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ، فأجابه عبد الرحمان بجواب لم يقنعْه ، وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض (التنقيح) ، فقلت : زعم القرافي أن المشتق إنما يكون حقيقة في الحال مجازاً في الاستقبال مختلفاً فيه في الماضي إذا كان محكوماً به ، أما إذا كان متعلق الحكم ، كما هنا ، فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً ، وعلى هذا التقدير لا مجاز ولا سؤال ، ولا يقال إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأنا نقول : إنه نقل الاجماع وهو أحد الأربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل ، كما ذكر أيضاً ، بل نقول إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة

ونحوها ، بل هذا أشنع ، لكونه مما علم من الدين بالضرورة ، ثم إنَّا لو سلمنا نفي الاجماع فلنا أن نقول إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقينه قبل ذلك إن لم يدهش قد يوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أي لقنوا من تحكمون بأنه ميت ، أو يقال إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام ، ألا ترى اختلافهم فيه ؟ هل أخذ من حضور الملائكة أو حضور الأجل أو حضور الجلاس ؟ ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلا على الحكم إلى وصف ظاهر يضبطها ، وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت ، وهو أيضاً مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات ، فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية إشارة إليها ، والله تعالى أعلم .

قال : وكان عبد الرحمان ابن الامام يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول ابن أبي زيد : وإذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف ، إن ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد ، وقد ارتفع عنه حكمه فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة ، قلت : وهذا من مُلح الفقيه .

وكان عبد الرحمان ابن الامام ، يصحف قول الخونجي في (الجمل): والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها فيقول : والمفارقات ، ولعله في هذا كما قال أبو عمْرو ابن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه :

وغررتَني وزعمتَ أنـــــــــك لابنٌ في الصيف تامـــــــر

فقال :

وغررتَني وزعمت أنـــــــــك لا تني بالضيف تأمـــــــر

فقال: أنت في تصحيفك أشعر من الحطيئة،أو كما حكى عمن صلى بالخليفة في رمضان، ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر في المصحف، فصحف آيات (صنعة الله أصيب بها من أساء) ، (إنما المشركون نحس) ، (وعدها أباه) ، (تقية الله خير لكم) . (هذا إن دعوا للرحمان ولداً) . (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يعنيه) .

وقال : ذكر عبد الرحمان ابن الامام في مجلسه يوماً أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) ، فانهما يستلزمان بحكم الانتاج (ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا) وهو محال ، ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين ، فقال ابن حكم : قال الخونجي : والاهمال باطلاق لفظ لو وإن في المتصلة ، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان ، والمهملة في قوة الجزءية ، ولا قياس عن جزئيتين ، فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين وأخبرته بهذا وبما أجاب به الزمخشري وغيره مما يرجع إلى انتفاء تكرر الوسط قال لي : الجوابان في المعنى سواء ، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرر الوسط ، فأخبرت بذلك شيخنا محمد الآبلي فقال : إنما يقوم القياس على الوسط ، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين إلى سائر ما يشترط ، فقلت : ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبني عليه الوسط ، وإلا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين ، قال الآبلي : وقد أجبت بجواب السلوي ، ثم رجعت إلى ما قاله الناس لو جوب كون مهملات القرآن كلية لأن الشرطية لا تنتج جزئية ، فقلت : هذا مما يساق منها للحجة مثل (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ، أما في مثل هذا فلا ، قلت : وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولي سبب تأخر حسبما تبين في مسألة لو لم يطع الله ، فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى ابن هذيل .

قال : ولما ورد تلمسان الشيخ الأديب علي ابن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام ، سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين :

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيتُ بعينها ورأتْ بعيني

ففكر ثم قال : لعل هذا الرجل كان ينظر إليها وهي تنظر إلى قمر السماء ، فهي تنظر إلى القمر حقيقة وهو لافراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة، فقد راى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة ، وأيضاً فهو ينظر إلى قمر مجازاً ، وهو لافراط الاستحسان يرى أن قمر السماء هو المجاز ، فقد رأت بعينه لأنها

ناظرة المجاز ، قلت : ومن هاهنا نعلم وجه الفاء في قوله تعالى (فاذكروني أذكركم) وفاء : « فأذكرتني » ، لأنه لما صارت رؤيتها رؤيته ، وصار القمر حقيقة إياها ، كان قوله : « رأت قمر السماء فأذكرتني » بمثابة قولك أذكرتني، فتأمله فان بعض مَن لا يفهم كلام الأستاذ كل الفهم ينشده : وأذكرتني ، فالفاء في البيت الأول مبنية على معنى البيت الثاني وهذا النحو يسمى الايذان في علم البيان .

وقال : سألني ابن حكم المذكور عن نسب هذا المجيب في هذا البيت :

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب   فأجاب ما قتل المحب حـــــرام

ففكرت ثم قلت : أراه تميمياً لالغائه مـــا النافية ، فاستحسنه مني لصغر سني يومئذ .

وسأل ابن فرحون ابن حكم يوماً : هل تجد في التنزيل ست فاءات مرتبة ترتيبها في هذا البيت ؟ :

رأى فحبَّ فرام الوصل فامتنعت   فسام صبراً فأعيا نيله فقضى (1)

ففكر ثم قال : نعم ، قوله عز وجل « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » إلى آخرها ، فمنعت له البناء في « فتنادوا » ، فقال لابن فرحون : هل عندك غيره ؟ قال : نعم ، قوله عز وجل « فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها » إلى آخر السورة ، فمنع له بناء الآخرة لقراءة الواو ، فقلت له : امنع ولا تسند، فيقال لك إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف ، وإن كان السند لا يسمع الكلام عليه ، وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد سواء بهذا الشرط وبدونه كقول نوح عليه السلام : « فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم » ، وكقول امرؤ القيس :

« غشيت ديار الحي بالبكرات » البيتين ، لا يقال قوله فالحب سابع، لأنا نقول : إنه عطف على عاقل المجرد منها ، ولعل حكمة الستة كونها أول الأعداد التامة كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض ، وشـــأن اللســـان عجيـــب .

(1) هذا البيت لابن العفيف التلمساني (مؤلف) .

وقال : سمعت ابن حكم يقول : بعث بعض أدباء فاس إلى صاحب له :

إبعث إلي بشـــــــــيء مدارُ فاس عليـــــــه
وليس عندك شـــــــيء مما أشيرُ إليـــــــه

فبعث إليه ببطة من مري يشير بذلك إلى الرياء .

وحدثت أن قاضيها عبد الله بن أحمد ابن الملجوم دعي لوليمة وكـان كثير البلغم ، فوضع بين يديه صهره أحمد ابن الأشقر غضاراً (1) من اللون المطبوخ بالمري لمناسبته لمزاجه ، فخاف أن يكون عرض له بالرياء ، وكان ابن الأشقر يـذكر بالوقوع في النـاس ، فناوله القاضي غضار المقـروض ، فاستحسن الحاضرون فطنته .

وقال عند ذكر شيخه عبد الله بن عبد الواحد المجاصي : دخلت عليه بالفقيه محمد السطي في أيام عيد فقدم لنا طعاماً ، فقلت : لو أكلت معنا ، فرجونا بذلك ما يرفع من حديث « من أكل مع مغفور له غُفر له » ، فتبسم وقال لي: دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي بالأسكندرية، فقدم لنا طعاماً، فسألته عن هذا الحديث فقال : وقع في نفسي منه شيء ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عنه فقال لي ، لم أقله ، وأرجو أن يكون ذلك، وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيـان بمصافحته عثمان ابـن عطية الصعيدي ، بمصافحته أحمد الملثم ، بمصافحته المعمر ، بمصافحته رسول الله عليه السلام .

وحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد ، فكـان يخصه لدينه وعقلـه بالنداء باسمه ، وإنما كـان ينعق بمماليكه : ياساقي ، ياطباخ ، يامزين ، فناداه ذات يوم يافراش ، فظن أن ذلك لموجدة عليه ، فلم ير أثر ذلك ، وتصورت له به خلوة فسأله عن مخالفته لعادته فقال له : لا عليك ، كنت يومئذ جُنُباً فكرهت أن أذكر اسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الحالة .

---

1) **الغضار** ، والمغاربة يقلبون الضاد طاء فيقولون **الغطار** : الطين المطبوخ لغة ، والصحن يؤكل فيه اصطلاحاً ، والكلمة قاموسية .

وقال أنشدني المجاصي قال : أنشدني الامام نجم الدين الواسطي قال : أنشدني شرف الدين الدمياطي قال : أنشدني تاج الدين الآمدي مؤلف (الحاصل) قال : أنشدني الامام فخر الدين لنفسه :

نهاية إقدام العقول عقـــال وأكثر سعي العالمين ضـــلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبـــال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أنْ جمعنا فيه قال وقالوا
وكم من رجال قد رأينا ، ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فماتوا والجبال جبـــال

وقد مر ذكر الشريف القاضي حسن بن يوسف بن يحيى الحسيني في عدد شيوخه .

قال : حدثني القاضي أحمد الرندي قال : لما قدم القاضي أحمد ابن الغماز من بلنسية نزل بجاية ، فجلس بها في الشهود مع عبد الحق ابن ربيع ، فجاء عبد الحق يوماً وعليه برنس أبيض ، وقد حسنت شارته وكملت هيأته ، فلما نظر إليه ابن الغماز أنشده :

لبس البرنس الفقيه فباهـــى ورأى أنه المليح فتاهـــا
لو زليخا رأته حين تبـــدى لتمنَّته أن يكون فتاهـــا

وقال أيضاً : إن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة ، فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يهلوه ، وجاء حفيد له صغير فأخبر أنه أهله ، فردهم معه فأراهم إياه ، فقال : ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقع لنا مثل هذا مع أبي الربيع ابن سالم ، فأنشدنا فيه :

تواري هلال الأفق عن أعين الورى وأرخى حجاب الغيم دون محيـاه
فلما تصدى لارتقاب شقيقـــه تبدى له دون الأنام فحيـــاه

وجرى في ذكر مجلس محمد ابن النجار الشيخ التعاليمي أني ذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة ، وهي أصول وفصول ،

وفصول أول فصوله ، وأول فصل من كل أصل وإن علا ، فقال : إن تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت وإلا حرمت ، فتأملته فوجدته كما قال : لأن أقسام هذا الضابط أربعة : التركب من الطرفين كابن العم وابنة العم ، مقابله كالأب والبنت ، التركب من قبل الرجل كابنة الأخ والعم ، مقابله كابن الأخت والخالـة .

وذكر الشيخ الرئيس عبـد المهيمن بـن محمد الحضرمي وقـال : كان ينكر إضافة الحول إلى الله عز وجل ، فلا يجيز أن يقال بحول الله وقوته، قال : لانه لم يرد إطلاقـه والمعنى يقتضي امتناعه ، لأن الحـول كالحيلة أو قريب منها .

وحكى عن شيخه عبد الرحمان الصنهاجي، عن القاضي عبد الرحمان بن علي الدكالي ، أنه اختصم عنده رجلان في شاة، ادعى أحدهما أنه أودعها الآخر ، وادعى الآخر أنها ضاعت منه،فأوجب اليمين على المودع أنها ضاعت من غير تضييع، فقال : كيف أضيع وقد شغلتني حراستها عـن الصلاة حتى خرج وقتهـا ؟ فحكم عليه بالغرم ، فقيل له في ذلك : فقال : تأولت قول عمر رضي الله عنه : « ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » .

وحكي عن الشيخ الفقيه رحلة الوقت أبي عبد الله الآبلي حكاية في قوة الادراك قال : كنت يوماً مع القاسم بن محمد الصنهاجي ، فوردت عليـه طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيرات ما تحويه مبذولـة ومطلبي تصحيف مقلوبهـا

فقال لي : ما مطلبه ؟ فقلت : نارنج .

ودخل عليه وأنا عنده بتلمسان ، الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقي المتطبب ، فأخبرنا أن أديبا استجـدى وزيراً بهذا الشطر (ثـم حبيب قلما ينصف) فأخذته فكتبته ، ثم قلبتـه وصحفته فاذا هو (قصبتا ملف شحمى) .

وقال : قال شيخنا الآبلي : لما نزلت تازة بت مع أبي الحسن ابـن بري وأبي عبد الله الترجالي ، فاحتجت إلى النوم ، وكرهت قطعهما عن الكلام ، فاستكشفت منهما عن معنى هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنـــــا ونحن بوادي عبد شمس وهى شم

فجعلا يفكران فيه ، فنمت حتى أصبحنا ولم يجداه ، فسألاني عنـه فقلت معناه : أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس شِمْ لنا برقاً ، قلت : وفي جواز مثل هذا نظر ، وإن استقصينا مثل هذا خرجنا عن الغـرض .

مـولـده

نقلت من خطه : كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان ابن يغمر اسن بن زيان ، وقد وقفت على تاريخ ذلك ، ورأيت الصفح عنه ، لأن أبا الحسن بن موسى سأل أبا الطاهر السلفي عن سنه فقال : أقبل على شأنك فاني سألت أبا الفتح بن زيان بن مسعدة عن سنه فقال أقبل على شأنك، فاني سألت محمد بن علي بن محمد اللبان عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، فاني سألت حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، فانـي سألت أبا بكر محمد بن علي النفزي عن سنه فقال أقبل على شأنك ، فانـي سألت آبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال أقبل على شأنك ، فاني سألـت الشافعي عن سنه فقال أقبل على شأنك ، فاني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، ليس من المروءة للرجل آن يخبر بسنه ! أنتهى .

وفـاتـه

توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمئة، وأراه توفي فـي ذي الحجة من العـام قبله ، ونُقل إلى تربة سلفـه بمدينة تلمسان حرسها الله (1) انتهى .

---

1) كان قبره بدكانة بباب داره التى صارت دار القائد حمادى الصقال بدرب السلسلة من تلمسان وبقى معروفاً الى أن طمس فى السنين الأخيرة .

ووقفت من تآليفه على (عمــل من طب لمن حب) ، وهــي الكليات الفقهية ، وهو في نحو كراريس ستة من القالب الرباعي ، وعلى كتاب (الحقائق والرقائق) في نحو كراس واحد ، وقد شرح الشيخ زروق هذا الكتاب ، ومن تآليفه رحلته (نظم اللآلي ، في سلوك الأمالي) ، نقل عنها حفيده أحمد المقْري في (أزهار الرياض) .

وممن ذكره وأثنى عليه الامام الشاطبي أبو إسحاق في كتابه (الافادات والانشادات) ، وحدث عنه بسند التلقيم (1) وغيره ، وترجم له حفيده المقْري في (نفح الطيب) عــن الونشريسي ، و (نيل الابتهاج) ، وأنه ألف فيــه ابن مرزوق الحفيد (النور البدري ، في التعريف بالفقيه المقْري) ، وأحــد علماء مدينة فاس : (الزهر الباسم) ، ألفه باسمه وأطال في مدحه ، وأن من تلاميذه محمد ابن الخطيب،وابن زمرك،والقيجاطي،والشيخ الفقيه القاضي الرحال الحاج محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي الزموري الدار المعروف بنقشابو ، وابن خلدون ، والشاطبي ، وأبو محمد ابن جزي ، وابن علاق ، وابن عباد ، وممن ترجمه ابن القاضي في (الجذوة) قائلا في وفاته ما نصه : وتوفي بمدينة فاس في أخريات محرم عام تسعة وأربعين ، وقيل وخمسين وسبعمئة، وبقي سنة بفاس ، ثم نقل من قبره إلى تلمسان ودفن بعرصته داخل تلمسان من أجياد (2) انتهى . والصواب ما تقدم عن ابن الخطيب ، وممن ترجمه صاحب (طبقات المالكية) .

---

1) **افـادة** : لقمنى الشيخ الفقيه القاضى محمد المقرى رحمه الله لقمة بيده المباركة ، وقال لقمنى الشيخ محمد المسفر ، وقال لقمنى أبو زكرياء المحياوى ، وقال لقمنى أبو محمد صالح ، قال لقمنى الشيخ أبو مدين ، قال لقمنى على ابن حرازم ، قال لقمنى ابن العربى ، قال لقمنــى الغزالى ، قال لقمنى أبو المعالى ، قال لقمنى أبو طالب المكى ، قال لقمنى أبو محمد الجريرى ، قال لقمنى الجنيد ، قال لقمنى سرى السقطى ، قال لقمنى معروف الكرخى ، قال لقمنى داوود الطائى ، قال لقمنى حبيب العجمى ، قال لقمنى الحسن البصرى ، قال لقمنى على بن أبى طالب ، قال لقمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت وبهذا السند صافحته رضى الله تعالى عنه ، انتهى . (مؤلف) .

2) يعرف هذا الباب اليوم بباب الجياد .

606) **محمد بن يحيا[ن] العسري** ، خديم أبي سعيد المريني وخاصته ووصيفه أبو معرف الوزير الأشهر الشهم ، كان هذا الرجل شهماً مقداماً ، ذا غلظة وفظاظة وانطلاق يد وقساوة ، فكان أبو الحسن المريني يستعمله في الأمور التي يفتقر فيها إلى هذه الصفات ، ثم استعمله في الولاية والقيادة ، فلما ظهرت عاديته وبان منه الجور والظلم أخره عن خطته ، وعزله عن عمله ، وألزمه الوقوف ببابه للخدمة بين يديه ، ثم أجرى عليه لقب الوزارة ، وخططه بها في مكاتباته ومخاطباته ، وذلك حين تخلص عن خدعة العرب ومكيدة أولاد أبي الليل لما هموا بانتزاع الأمير عمر من يده على ما هو معروف ، فتقلد الوزارة ، وولي الخطة ، واستمرت حياته إلى أن توفي في ولاية أبي عنان على حالة فاقة وشدة ، عادت عليه ظلاماته فأورثته الذلة والفقر ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة ، وكان أشد الناس كرماً ، كان يقال فيه النهَّاب الوهَّاب ، فياليته لم يهب ولم ينهب (ما قام خيرك يازمان بشره) .

ذكره ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) ، ووفاة أبي عنان كانت سنة 759 كما تقدم في ترجمته في حرف الهمزة (1) ، وكانت مدة خلافته عشر سنين غير ثلاثة أشهر ، فلهذا أخرنا ذكر المترجم إلى آخر سنة خلافته .

607) **محمد بن العباس ابن تحضريت** ، ابن عم الوزير عسكر، الوزير، تقدم وزيراً ، واستمرت وزارته إلى أن توفي مولاه أبو الحسن المريني رضي الله عنه ، وكان هذا الرجل قد حمدت في الجزيرة سيرته ، وشكرت طريقته ، فقدمه مولاه لوزارته فلم يقم بأعبائها ، ولا نهض بوظائفها ، وكان ذلك بين يدي سفرنا لتونس ، وتخلف هو حتى وردها مع أحد أولاد مولانا ، وهو أبو عامر الأصغر عبد الله ، وكان رجلا ساذجاً جواداً سرياً ، استمرت حياته إلى أن توفي في خلافة المولى أبي سالم فيما أظنه والله أعلم .

ذكره ابن مرزوق في (المسند الصحيح الحسن) ، وخلافة أبي سالم كانت في سنة ستين وسبعمئة ، وتوفي سنة 762 كما تقدم في ترجمته (2) . فلهذا ذكرنا المترجم قبل سنة 761 ، وستأتي ترجمة عسكر .

---

1) انظر 1 : 344 ع 97 من هذا الكتاب .

2) انظر ابراهيم بن أبى الحسن المرينى 1 : 176 ع 20 من هذا الكتاب .

608) محمد بن علي السقرة الفربلياني

محمد بن علي بـن عبد الله الفربلياني الملقـب السقرة ، قال ابـن الخطيب ، كان ساذجاً عارفاً بالطب ، عارفاً بالاعشاب ، تصدر مدة للعلاج ، وكان رديء الخط ، وله تصنيف في النبات ، وسكن مراكش مدة ، ثم رجع إلى غرناطة فمات بها إثر وصوله إليها سنة 761 .

نقله عن ابن الخطيب في (الدرر الكامنة) (1) .

609) محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي ، قال ابن خلدون ما نصه : وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة ، وحصلت في الافادة منهم على البغية ، وكان في جملته – يعني في مجلس أبي عنان المريني العلمي – يومئذ – يعني سنة خمس وخمسين وسبعمئة – الأستاذ محمد ابن الصفار من أهل مراكش، إمام القراءات لوقته، أخذ عن مشيخة المغرب، وكبيرهم شيخ المحدثين الرحالة محمد ابن رشيد الفهري سند أهل المغرب ، وكان يعارض السلطان القرآن برواياته السبع إلى أن توفي . انتهى (2) .

وقال في (النيل) و (التكملة) نقلا عن غير ابن خلدون ما نصه : ألف تأليفاً في القراءات ، أحضره أبو عنان أخيراً عنده فكان يعارضه القرآن ، وهو الذي غسله ودفنه لما مات ، وتوفي بعده سنة إحدى وستين ، وروى عنه الوادي آشي ، وذكره في فهرسته ، وقال ابن قنفذ في شرح قصيدة غرامي صحيح ما نصه : وفي هذه السنة ، يعني المتقدمة ، توفي الشيخ الشهيـر الأستاذ البليغ في القراءات محمد ابن الصفار المراكشي بمدينة فاس انتهى .

وذكر في (لقط الفرائد) أنه توفي سنة اثنين وستين .

---

1) **الدرر الكامنة** 4 : 188 ع 4069 .

2) **التعريف بابن خلدون** ص 59 و 310 .

610) محمد (أبو زيان) بن يعقوب المريني

محمد أبو زيان المتوكل على الله ، ابن أبي عبد الرحمان يعقوب ، ابن أبي الحسن المريني ، ذكر ابن السكاك في كتاب (نصح ملوك الاسلام) الأوسط أن الأمير تاشفين المريني لما بويع بفاس الجديد امتنع من بيعته ابن أخيه بمراكش المترجم مع الشريف السيد عبد الرحمان ابن الامام العالم القاضي بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان ابن سعيد انتهى ، ثم إن الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته في تقديم المعتوه للأمر تاشفين المذكور ، وعلم أن الأمر لا يستقيم له بذلك ، فبادر باستقدام المترجم ، فقدم وخلع الوزير المذكور سلطانه الموسوس تاشفين يوم الاثنين الحادي والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، فكان هذا السلطان المترجم محجوباً للوزير المذكور ، أمه أم ولد اسمها فضة ، صفته آدم اللون شديد الأدمة ، معتدل القامة ، منفرج الأنف دقيق العينين .

قال ابن الخطيب في (الاحاطة) :

حاله

فاضل ، سكون منقاد ، مشتغل بخاصة نفسه ، قليل الكلام ، حسن الشكل ، درب بركض الخيل ، مفوض للوزراء ، عظيم التأتي لأغراضهم ، وكان قبل ولايته عند الطاغية بالأندلس ، فرَّ إليه خوفاً على نفسه ، ولما التبست الأمور على عمر بن عبد الله طلبه إلى الطاغية فسمح به بعد اشتراط واشتطاط ، وفصل من إشبيلية في المحرم فاتح سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، ونزل بسبتة ، وبها سعيد بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله ، أرصده لقدومه فطير إليه بالخبر ، فحينئذ خلع عمر تاشفين الموسوس ، وبعث إلى السلطان أبي زيان بالبيعة والآلة والفساطيط ، ثم جهز عسكراً للقائه فتلقوه بطنجة ، وأغذ السير إلى الحضرة ، فنزل منتصف صفر بكدية العرائس ، واضطرب بعسكره بها ، وتلقاه يومئذ

الوزير عمر بن عبد الله اليابانى ، وبايعه ، وأخرج فسطاطه فاضطرب به بمعسكره، وتلوم السلطان أبو زيان هنالك ثلاثاً ، ثم دخل في اليوم الرابع إلى قصره واقتعد أريكته وتودع ملكه .

وقال ابن الخطيب في (الاحاطة) ، كان دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان ، وبه السعد الأعظم كوكب المشترى من السيارة السبعة انتهى .

ولما تم له الأمر خاطبه ابن الخطيب من سلا مهنئاً له بقوله :

يابن الخلائف ياسميَّ محمــــد ... يامن علاه ليس يحصرُ حاصــر
أبشر فأنت مجدد الملك الــذي ... لولاك أصبح وهو رسم داثــر
من ذا يعاند منك وارثه الــذي ... بسعوده فلك المشيئة دائــر
ألقت إليك يد الخلافة أمرهــا ... إذ كنت أنت لها الولي الناصــر
هذا وبينك للصريخ وبينهــا ... حرب مضرسة وبحر زاخــر
من كان هذا الصنع أول أمــره ... حسنت له العقبى وعز الآخــر
مولاي عندي في علاك محبــة ... والله يعلم ما تكن ضمائــر
قلبي يحدثني بأنك جابــر ... كسرى ، وحظي منك حظ وافــر
بشرى جدودك قد حططت حقيبتــي ... فوسيلتي لعلاك نور باهــر
وبذلت وسعي واجتهادي مثل مــا ... يلقى لملكك سيف أمرك عامــر
فهو الولي لك الذي اقتحم الــردى ... وقضى العزيمة وهو سيف باتــر
وولي جدك في الشدائد عندمــا ... خذلت علاه قبائل وعشائــر
فاستهد منه النصح واعلمْ أنــه ... في كل معضلة طبيب ماهــر
إن كنت قد عجلتُ بعض مدائحي ... فهي الرياض ، وللرياض بواكــر

ثم أتبعها بنثر اضربنا عنه اختصاراً ، والله تعالى الموفق .

وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمان رحمهما الله

قال في (الاحاطة) : وفدت على السلطان أبـي زيان بن أبي عبـد الرحمان بن أبي الحسن من محل الانقطاع بسلا وانشدته قولي :

لمن عَلَم في هضبة الملك خفاق ... أفاقت به من غشية الهرج آفـاق
تقلُّ رياح النصر عنه غمامـة ... تُمَد لها أيدٍ وتخضعُ أعنـاق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدهـا ... وأعمل إجماع عليها وإصفـاق
قضى عمر فيها بحق محمـد ... فسُجل عهد للوفاء وميثـاق
أحُلما ترى عيناي ؟ أم هي فترة ، ... أعندكما في مشكل الأمر مصـداق
وفاض لفضل الله في الأرض تبتغي ... ومجتمعات لا تريب ، وأسـواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكـلا ... وفلح لسقي الغيث قام له سـاق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا ... وللفتنة العمياء في الأرض إطبـاق
وللغيث إمساك ، وفي الأرض رجة، ... وللدين والدنيا وجوم وإطـراق
فكل فريق فيه للبغْي رايـة ... وكل طريق فيه للغيث طُـرّاق
أجل ، إنه من آل يعقـوب وارث ... يحن له البيت العتيق ويشتـاق
له من جناح الروح ظل مسجـف ... ومن رفرف العز الالاهي رستـاق
أطل على الدنيا وقد عاد ضوؤهـا ... دجى ، وعلى الأحداق للذعر إحداق
فأشرقت الأرجاء من نور ربهـا ... وساح بها لله لطف وإشفـاق
فمن ألسن بالشكر لله أعلنـتْ ... وكان لها من قبلُ همسٌ وإطبـاق
وليس لأمر أبرم الله ناقـض ... وليس لمسعى النجح في الله إخفاق
محمد قد أحييت دين محمـد ... وللخلق إدماء تفيض وإرمـاق
ولو لم تثب غطّىعلى شفق الضحى ... دم بسيوف البغي في الأرض مهراق
فأيمن بمشحون من الفلك سابـح ... له باختيار الله حط وإيسـاق
أقلك ، والدأماء تُظهر طاعـة ... إليك ، وصفح الماء أزرق رقـراق
إلى هدف السعد انبرى منه،والدجا ... تضل الحجى،سهم من السعد رشاق
فحُطت لتقويم القوام جـداول ... وصحّتْ من التوفيق واليمنأوفاق
تبارك من أهداك للخلق رحمـة ... ومستبعَد أن يهمل الخلقَ خلاق
هو الله يبلو الناس بالخير فتنـة ... وبالشر ، والأيام سم وتريـاق
سمت منك أعناق الورى لخليفـة ... له في مجال السعد عدو وإعنـاق

وقالوا : بنان ما استقل بكفه ... تفيض على العافين ؟ أم هي أرزاق ؟

وأطنب فيك المادحون ، وأغرقوا ... فلم يجد إطناب ، ولم يغن إغراق

ألست من القوم الذين أكفهم ... غمام ندى، إن أخلف الغيث غيداق

ألست من القوم الذين وجوههم ... بدور لها في ظلمة الروع إشراق

رياض إذا العافي استظل ظلالها ... ففيها جنى ملء الأكف وإيراق

أبوك ولي العهد لو سالم الردى ... وجدك قد فاق الملوك وإن فاقوا

فمن ذا له جد كجدك أو أب ... لآليء ، والمجد المؤثل نساق

وحسب العلا في آل يعقوب أنهم ... هم الأصل في العلياء والناس إلحاق

أسود سروج أو بدور أسرة ، ... فان حاربوا راعوا، وإن سالموا راقوا

يطول لتحصيل الكمال سهادهم ... فهم للمعالي والمكارم عشاق

ومنها :

لقد نسيت إحسانَ جدك فرقة ... تزر على أعناقهم منه أطواق

أجازت خروج ابن ابنه عن تراثه ... ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق

ومن دون ما راموه لله قدرة ... ومن دون ما أموه للفتح اغلاق

خذ العفو وابذل فيهم العرف ولتسع ... جريرة من أبدى لك العذر أخلاق

فربتما تنبو مهندة الظبا ... وتهفو حلوم القوم ، والقوم حذاق

وما الناس إلا مذنب وابن مذنب ... ولله إرفاد عليهم وإرفاق

ولا ترج في كل الأمور سوى الذي ... خزائنه ما ضرها قط إنفاق

إذا هو أعطى لم يضر منع مانع ... وإن حشدت طسم وعاد وعملاق

عرفت الردى، واستاثرت بك للعدا ... تخوم لمختط الصليب ، وأعماق

فيسَّر لليسرى وأحيا بك الورى، ... وللروع إرعاد عليك وإبراق

فجازِ صنيع الله وازدد بشكره ... مواهب جود غيثها الدهر دفاق

وأوفِ لمن أوفى، وكاف الذي كفى، ... فأنت كريم طهرت منك أعراق

وتهنيك يامولى الملوك خلافة ... شجتها تباريح إليك وأشواق

فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها ... وكم فاز بالوصل المهنأ مشتاق

فلا راع منها السرب للدهر رائع ... ولا نال منها جدة السعد إخلاق

أمولايَ راع الدهر سربي وغالني فطرفيَ مذعور ، وقلبيَ خفـــاق

وليس لكَسري غيرك اليوم جابر ولا ليدي إلا بمجدك اعــــــلاق

ولي فيك ود واعتداد غرستـــــه فراقت به من يانع الحمـــد أوراق

وقد عيل صبري في ارتقابي خليفة تحل به للضر عني أوهــــــاق

وأنت حسام الله ، والله ناصــــر ، وأنت أميـــــن الله ، والله رزاق

وأنت الأمان المستجار من الردى إذا راع خطب أو توقع إمــــلاق

وأهون ما يرجى لديك شفاعـــــة إذا لم يكن عزم حثيث وإرهـــاق

ودونكها من ذائع الحمد مخلـص له فيك تقييد يروق وإطــــــلاق

إذا قال : أما كل سمع لقولـــــه فمصغٍ ، وأما كل أنف فنشـــاق

ودمْ خافق الأعلام بالنصر كلمــــا ذهبت لمسعى لم يكن فيه إخفاق

قال : وعدت منه ببر كثير ، واحترام شهير ، يشير بذلك إلى مـا أكرمه به ، وكتب له من الظهير الذي يتضمن كمال الاحترام والتوقير ، ونصه :

هذا ظهير كريم من أمير المسلمين فلان أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويسره ، للشيخ الفقيه الأجل الأسنى الأعز الأحظى الأرفع الأمجد الأسمـا الأوحد الأنور الأرقـى ، العالم العلم الـرئيس الأعرف ، المتفنـن الأبرع ، المصنف المفيد ، الصدر الأحفل ، الأفضل الأكمل ، أبي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل الأسنى الأعز الأرفع الأمجد ، الوجيه الأنور الأحفل الأفضل ، الحسيب الأصيل الأكمل ، المبرور المرحوم أبي محمد ابن الخطيب، قابله أيده الله بوجه القبول والاقبال ، وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ، ورعى به خدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العال ، وأمر في جملة ما سوغه مـن الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحـة المجال ، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها ، المتضمنـة تمشية خمسمئة دينار من الفضة العشرية في كل شهر ، عن مرتب له ولولده الذي لنظره من مَجْبَـى مدينة سلا حرسها الله، ومن حيث جرت العادة أن تمشى له ، ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب له من الأدم والأقوات على اختلافها من حيوان وسواه ، وفيما يستفيده خدامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان

وفاكهة وخضر وغير ذلك . فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف . ولا يتوجه فيه إليه بتكليف ، يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديداً تاماً ، واحتراماً عاماً ، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام واتصال الأيام ، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما عرضت ، والوظائف إذا افترضت ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب المنن والعوارف ، بفضل الله ، وتحرر له الأزواج التي يحرثها بتالماغت من كل وجيبة ، وتحاشى من كل مغرم أوضريبة ، بالتحرير التام بحول الله وعونه ، ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه ، وليمض ما أمضاه ، إن شاء الله .

وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، وكتب في التاريخ انتهى .

وقوله : **وكتب في التاريخ** ، هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان ، يكتب بقلم غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة **صح في التاريخ** .

وفادة عامر بن محمد الهنتاتي على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمان رحمهما الله

كان للوزير عمر بن عبد الله الياباني مودة ومصافاة مع الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية ، وكان الوزير عمر المذكور قد بعث إليه بصهره وظهيره على الملك مسعود بن عبد الرحمان ابن ماساي ، يكون عنده عدة وعتاداً ليوم ما ، فلما بويع السلطان أبو زيان ، إستقدم عمر بن عبد الله صهره المذكور لوزارته ، وكان عامر بن محمد مجمعاً القدوم على السلطان المذكور ، فقدم في صحبته مسعود ، ونزلا من الدولة بخير منزل ، وعقد السلطان أبو زيان لمسعود المذكور على وزارته بإشارة الوزير عمر بن عبد الله ، فاضطلع بها ، ودفعه عمر إليها استمالة إليه وثقة بمكانه واستظهاراً بعصبيته ، وعقد مع عامر بن محمد الحلف على

مقاسمة المغرب شق الابلمة ، وجعل إمارة مراكش لأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم إسعافاً لغرض عامر بن محمد في ذلك ، وخطب إليهم عامر بنت السلطان أبي بكر الحفصي التي توفي عنها السلطان أبو عنان ، فأجابوه وحملوا أولياءها على العقد عليها ، وانكفأ راجعاً إلى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزاً وثروة وتابعاً ، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، فاستقل بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبال المصامدة وما إليها من الأعمال ، واستبد بها ، ونصب أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم صورة ، واستوزر له ، وتمكن سلطانه ، وعلا ذكره ، وصارت كأنها دولة مستقلة ، فصرف إليه النازعون من بني مرين عن الدولة وجوه مغرهم ، ولجأوا إليه فأجارهم على السلطان ، وأجتمع إليه منهم ملأ ، واتسع الخرق على الراقع ، واضطربت الأحوال بالمغرب ، وخرج على السلطان أبي زيان الأمير عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ، وتغلب على سجلماسة وأعمالها، ثم غلب عليه أخوه عبد المومن بن أبي علي ، فخرج عبد الحليم إلى المشرق لقضاء فريضة الحج ، واستمر عبد المومن بسجلماسة وأقام بها دولة كما كان لوالده من قبل ، إلى أن فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمان بن ماساي وأضافها إلى مملكة فاس ، ثم انتقض الوزير مسعود أيضاً ، وبايع الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن بن أبي علي ونصبه للأمر ، وصار يشوش به على الدولة ، وشرق عمر بن عبد الله بدائه في أخبار طويلة ، ولما لم يتم له أمر عبر هو وسلطانه البحر من مرسى غساسة (1) إلى الأندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعمئة ، وأقبلا على الجهاد ، واستراح الوزير عمر وسلطانه أبو زيان من شغبهما ، والله غالب على أمره .

مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمان رحمه الله

لما طال أستبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبي زيان وحجره إياه إذ كان وضع عليه الرقباء والعيون حتى من حرمه وأهل قصره،

---

1) كان هذا المرسى يوجد بالساحل الغربي لشبه جزيرة ورك مقابلا لمرسى مدينة مليلية، ولا تزال أطلاله موجودة الى الآن .

عزم على الفتك بالوزير المذكور ، وتناجى بذلك مع بعض ندمائه ، وأعدّ له طائفة من العبيد كانوا يختصون به ، فنمى ذلك إلى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عيناً له عليه ، فعاجله ، وكان قد بلغ من الاستبداد عليه أن كان الحِجاب مرفوعاً له عن خلوات السلطان وحرمه ، فدخل عليه وهو في وسط حشمه فطردهم عنه ، ثم غطه حتى فاض، وأمر به فألقي في بئر بروض الغزلان، واستدعى الخاصة فأراهم مكانه بها وأنه سقط عن دابته وهو سكران ، وذلك في محرم فاتح سنة ثمان وستين وسبعمئة ، كذا عند ابن خلدون ، وقال في (الجذوة) توفي يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين وسبعمئة ، وله ثمان وعشرون سنة ، ودفن بجامع قصره ، فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوماً واحداً ، والله أعلم انتهى .

611) محمد بن محمد ابن الحاج البلفيقي (أبو البركات)

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سواد بن أحمد ابن حزب الله بن عامر بن سعد بن عياش المكنى بأبي عيشون بن حمود الداخل إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير بن عنبسة بن حارثة بن العباس بن مرداس ، يكنى أبا البركات ، بلفيقي الأصل ، مري (1) النشأة والولادة والسلف ، ويعرف بابن الحاج ، وشهر بالبلفيقي .

قاله في (الاحاطة) .

اوليتـه :

قد تقدم اتصال نسبه بحارثة بن العباس بن مرداس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد خطبائه وشعرائه ، رئيس في الاسلام ورئيس في الجاهلية ، وكان لسفله وخصوصاً لابراهيم من الشهرة بولاية الله وإيجاب الحق من خلقه ما هو مشهور حسبما تنطق به الفهارس ، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة ، كأبي بكر صهيب ، وابن عمه أبي إسحاق وغيرهم الكثير

---

1) نسبة الى المرية .

ممن صنف في رجال الأندلس كأبي عبد المجيد المالقي ، وابن الأبار ، وابن طلحة ، وابن فرتون ، وابن صاحب الصلاة ، وابن الزبير ، وابن عبد الملك ، فلينظر هناك .

حاله

نشأ ببلده ألمرية محمود العفة، فضفاض جلباب الصيانة، غضيض طرف الحياء، حليف الانقباض والازورار، آوياً إلى خالص النشب وبحت الطعمة، لا يرى إلا في منزل من سأله، وفي حلق الأسانيد، أو في سفره، أو في مسجد من المساجد خارج المدينة المعدة للتعبد ، لا يجيء سوقاً ولا مجمعاً ولا وليمة ولا مجلساً لحاكم أو والٍ ، ولا يلابس أمراً من الأمور التي جرتْ عادته أن لا يلابسها بوجه من الوجوه .

ترامى إلى الرحلة فجاس خلال القطر الغربي إلى بجاية ، نافضاً إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده وإخمال قيام ذكر ، وإغفال شهرة، ثم صرف عنانه إلى الأندلس فتصرف في الاقراء والقضاء والخطابة ، وهو الآن نسيج وحده في أصالة عريقة على السلامة مفطورة ، فما شئت من صدر سليم ، وعقد وثيق ، وغور قريب ، ونصح مبذول ، وتصنع مرفوض ، ونفس ساذجة ، وباطن مساو للظاهر ، ودمعة سريعة ، وهزل يثمر تجلة ، وانبساط يفيد حسن نية ، إلى حسن العهد وفضل المشاركة ورقة الحاشية وصلابة العود وصدق العزيمة وقوة الحامية وبلاغة الموعظة ، رحلة الوقت ، وفائدة العصر ، تفنناً وإمتاعاً ، فارس المنابر غير هيوب ولا جزوع ، طيب النغمة بالقرآن ، مجهشاً في مجال الرقة ، كثير الشفقة لصالح العامة ، متأسفاً لضياع الأوقات، مدمعاً على الفيئة ، مُعمّاً مخولا في رياسة الدين والدنيا ، هذا ما يسامح فيه الايجاز ، ويتجافى عنه الاختصار ، ويكفي فيه الالماع والاشارة ، أبقي الله شيخنا أبا البركات .

ولايته

تقدم قاضياً بقنالش في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبعمئة ، ثم تولى مربلة وإستبونة ، ثم كانت رحلته إلى بجاية ، ثم عاد فقعد بمجلس الاقراء من مالقة للكلام على صحيح مسلم، متفقاً على اضطلاعه بذلك، ثم رحل إلى فاس،

ثم آب إلى الأندلس واستقر ببلده المرية فقعد بالمسجد الجامع للاقراء . ثـم قدم قاضياً ببرجة ودلاية والبنيول وفنيانة ، ثم نقل عنها إلى بيرة ثم غربـي المرية ، ثم قدم قاضياً بمالقة ، ثم قدم بغربها مضافاً إلى الخطابة ، ثم أعيد إلى قضاء المرية بعد وفاة القاضي أبي محمد ابن الصائغ .

ومن كتاب (طرفة العصر) من تأليفنا ما نصه في خبر ولايته :

فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبعة وأربعين وسبعمئة يوم وصوله مستدعى من نبهاء الطلبة ، ووجوه الحضرة ، مهنئين بمثواه من دار الضيافة ومحل التجلة إحدى دور الملوك بالحمراء ، فطفقوا يغشونـه نهاراً زرافات ووحداناً في إتاحة الخيـر وإلهام السداد وتسويغ الموهبة ، وكـان وصوله والأفق قد اغبر ، والأرض قد اقشعرت لانصرام حظ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته لم يسح فيه الغمام بقطرة ، ولا لمعت السماء بقزعـة ، حتى أحضرت الأنفس الشـح ، وحسر العسر عن ساقه ، وتوقفت البـذور فساعده الجد بنزول الرحمة عند نزوله من مرقاة المنبر مجابة دعوة استسقائه، ظاهرة بركة خشوعه ، ولذلك ما أنشدته في تلك الحال :

ظمئت إلى السقيا الأباطح والربى — حتى دعونا العام عاماً مجدبـا
والغيث مسدول الحجاب ، وإنمـا — علمَ الغمامُ قدومَكم فتأدبـا (1)

وتولى النظر في الأحكـام ، فأجال قداحها مضطلِعاً بأصالة النظـر وإرجاء المشبهات ، وسلك في الخطابة طريقة مثلى يفرغ في قوالب البلاغة أغراضها ، ويصرف على أحكام الكوائن والبساطات أساليبها من المحاكمات باختلاف القبض والبسط والوعد والوعيد ، وحظوظها على مقبض العدل وسبب الصواب ، يقوم عـلى كثير مما يصدع به من ذلـك شاهدُ البديهة ودليـل الاستيعـاب .

قال شيخنا أبو البركات : ثم صرفت عنها للسبب المتقدم ، وبقيت بها مقيماً لما اشتهر من وقوع الوباء بالمرية ، ثم أعدت إلى القضاء والخطابة بالمرية ، وكتب لي بذلك في أوائل رجب عام تسعـة وأربعين ، وبقيت على

---

1) نفح الطيب 5 : 472 طبع بيروت .

ذلك إلى أن صرفت بسبب ما ذكر ، ثم أعدت إليها أواخر رجب سنة ست وخمسين عسى أن يكون الانقطاع لله سبحانه ، وأنا الآن أتمثل بما قال أبو المطرف ابن عميرة رحمه الله :

قد نُسبنا إلى الكتابة يوماً   وأتت خطةُ القضاء تليها

وبكل لم نلقَ للمجد إلا   منزلا نائياً وعيشاً كريها

نسبة بُدلت فلم تتغيرْ   مثل ما يزعم المهندسُ فيها

بدلت من لفظ الكتابة إلى الخطابة، وأغرب ما رأيت ما أحكي لك وأنت أعلم بذلك : إن أفضل ما صدر عني في تلك الخطة العمل الذي أخلصت لله فيه ورجوت المثوبة عليه ، وفيه مع ذلك مفتخر لمن أراد أن يفتخر ، غير ملتفت للدنيا فعليه سبحانه عولت .

انتهى كلامه .

تصانيفه

كتب إلي بخطه ما نصه وهو فصل من فصول : وأما تآليفي فأكثرها أوكلها غير متمم في مبيضات ، منها كتاب (قد يكبو الجواد) في أربعين غلطة عن أربعين من النقاد، وهو نوع من (تصحيف الحفاظ) للدارقطني، ومنها (سلوة الخاطر،فيما أشكل من نسبة النسب الرتب إلى الذاكر)، ومنها كتاب (قدر جم) في نظم الجمل، ومنها كتاب (خطر فنظر،ونظر فخطر)، على تنبيهات على (وثائق ابن فتوح) ومنها كتاب (الافصاح، فيمن عرف بالأندلس بالصلاح)، ومنها(حركة الدخولية ، في المسألة المالقية) ، ومنها (خطرة المجلس ، في كلمة وقعت في شعر أستنصر به أهل الأندلس) في جزء صغير ، ومنها (تاريخ المرية) غير تام ، ومنها ديوان شعره المسمى بـ (العذب والأجاج ، في شعر أبي البركات ابن الحاج) ، ومختصره سماه القاضي الشريف (اللؤلؤ والمرجان، اللذان من العذب والأجاج يستخرجان)، ومنها (عرائس بنات الخواطر ، المجلوة على منصات المنابر) ، يحتوي على فصول الخطب التي أنشئت بطول زمن الخطابة ، ومنها (المؤتمن ، على أنباء أبناء الزمن) ، ومنها تأليف في أسماء

الكتب والتعريف بمن ألفها على حروف المعجم ، ومنها (ما اتفق لأبي البركات، فيما يشبه الكرامات) ، ومنها كتاب (ما رأيت وما رئي لي من المقامات)، ومنها كتاب (المرجع بالدرك ، على من أنكر وقوع المشترك)، ومنها (مشبهات اصطلاح العلوم)، ومنها (ما كثر وروده في مجلس القضاء) ، ومنها (الغلسيات) ، وهو ما صدر عني من الكلام على صحيح مسلم أيام التكلم عليه ، ومنها (الفصول والأبواب ، في ذكر مَن أخذ عني من الشيوخ والأتباع والأصحاب) .

ثم قال : وقد ذهب شرخُ الشباب ونشاطه ، وتقطعت أوصاله وانحل رباطه ، وأصبحت النفس تنظر في هذا كله بعين الاهمال والاغفال ، وقلة المبالاة التي لا يصل أحد بها إلى مَنال ، وهذه الأعمال لا ينشط إليها إلا المحركات التي هي مفقودة عندي ، أحدها طلبة مجتمعون متعطشون إلى ما عندي ، متشوفون غاية التشوف وأين هذا بالمرية ، الثاني طلب رياسة على هذا ، ومتى يرأس أحد بهذا اليوم، وعلى تقدير أن يراس به وهو محال في عادة هذا الوقت فالتشوف لهذه الرياسة مفقود عندي ، الثالث ، سلطان يملأ يد مَن يظهر مثل هذا على يده غبطة ، وما تم هذا ، الرابع ، نية خالصة لوجه الله تعالى في الافادة ، وهذه أيضاً مفقودة مني ، ولابد من الانصاف ، الخامس ، قصد بقاء الذكر ، وهذا خيال ضعيف بعيد عني ، السادس ،الاشفاق على شيء ابتدأ وسعي في تحصيل مباديه أن يضيع علي قطع ما سوى هذا الاشفاق ، وهذا السادس هو الذي في نفسي منه شيء ، وبه أنا أقيد أسماء مَن لقيت وما أخذت ، ويكون إن شاء الله إبراز هذه إذا الصحف نشرت ، وأكثر زماني يذهب في الخروج عما أنا فيه ، فاذا ينظر إليّ العاقل في هذا الوقت بعين البصيرة فلا يسعه إلا الشفقة علي ، والرحمة لي ، فانه يرى رجلا مطرقاً أكثر نهاره ، ينظر إلى مآله ولم ينظر إلى صلاحه وهو يافع ، ولم يتلبس بالعبادة وهو في زمانها المقارب للفوت ، ولا ينهض إلى إقامة حق كما ينبغي لعدم المعين ، ولا يجنح إلى شيء من راحات الدنيا ، ويشاهد من علو الباطل الذي لا طاقة له على دفعه مما يضيق صدر الحر ، يقضي نصف النهار محتلا في مكان غير حسن ، تارة يفكر ، وتارة يكتب ما هو على يقين مـن أنه كذا لا ينتفع به ، ونصف النهار

يقعد للناس ، تارة يرى ما يكره ، وتارة يسمع ما يكره ، لا صديق يذكره بأمر الآخرة ، ولا صديق يسليه بأمر الدنيا ، يكفيني من هذه القذارة ، اللهم إليك المشتكى ، يامن بيده الخلق والأمر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

شعره

من مطولاته في النزعة الغريبة التي إنفرد بها ، منقولة من ديوانه :
قال : ومما نظمته بسبتة في ذي الحجة من عام خمسة وعشرين وسبعمئة في وصف حالي ، وأخذها عني بسبتة الأستاذ أبو عبد الله ابن هانيء ، والأديب البارع أبو القاسم الحسيني ، وأبو القاسم ابن حزب الله وسواهم ، ولما انفصلت من سبتة إلى بلاد الريف زدت أبياتاً في أولها،وكثر ذلك بوادي لو (1) من بلاد الريف ، وهي :

تأسف لكن حين عز التأسف ... وكفكف دمعاً حين لا عين تذرف
وزام سكوناً وهو في رجل طائر ... ونادى بأنسٍ والمنازل ترجف
وجاذب قلباً ليس يأوى لمألف ... وعالج نفساً داؤها يتضاعف
أراقب قلبي مرة بعد مرة ... فألفيه ذياك الذي أنا أعرف
سقيم ، ولكن لا يحس بدائه ... سوى من له في حالة الموت موقف
وأعجب ما فيه استواء صفاته ... إذ الهمُّ يشقيه أو السر ينزف
إذا حلت الضراء لم ينفعل لها ... وإن حلت السراء لا يتكيف
مذاهبه لم تبد غاية أمره ... فؤادٌ لعمري لا يرى منه أطرف
فما أنا من قوم قصارى همومهم ... بنوهم وأهلوهم وثوب وأرغف
ولا لي بالاسراف فكر محدث ... سيبدو حبيبي أو بشيري يطرف
وما أنا ممن لهوه جل شأنه ... بروض أنيق أو غزال مهفهف
ولا أنا ممن أنسه غاية المنى ... بصوت رخيم أو نديم وقرقف
ولا أنا ممن تزدهيه مصانع ... ويسبيه بستان ويلهيه مخرف
ولا أنا ممن همه جمعها ، فان ... تراءت له ، يسعى لها وهو مرجف

---

1) واد شهير معروف فى الجنوب الشرقى من تطوان بقبائل غمارة .

على أن دهري لم تدع لي صروفه ... من المال إلا مسحت أو مجلف

ولا أنا ممن هذه الدار همه ... وقد غره منها جمال وزخرف

ولا أنا ممن للسؤال قد انبرى ... ولا أنا ممن صين عنه التعطف

ولا أنا ممن نجَّح الله سعيهم ... فهمتهم فيها مصلى ومصحف

فلا في هوى أضحى إلى اللهو قائدا ... ولا في تُقى أمسى إلى الله يزلف

أحارب دهري في نقيض طباعه ... وحربك من يقضي عليك تعجرف

وأنظره شزراً بأصلف ناظر ... فيعرض عني وهو أزهى وأصلف

وأضبطه ضبط المحدث صحفه ... فيخرج في التصحيف أني المصحَّف

ويأخذ مني كل ما عز نيله ... ويبدو بجهلي منه في الأخذ محتف

أدور له في كل وجه ، لعلني ... سأثبته ، وهو الذي ظل يحذف

ولما يئسنا منه تِهنا ضرورة ... فلم يبق لي فيها عليه تشوف

تكلفت قطع الأرض أطلب سلوة ... لنفسي فما أجدى بتلك التكلف

وخاطرت بالنفس العزيزة مقدماً ... إذا ما تخطى النصل قصر مرهف

وصرفت نفسي في شؤون كثيرة ... لحظي فلم يظفر بذاك التصرف

وخضت لأنواعِ المعارف أبحراً ... ففي الحين ما استخرجتها وهي تنزف

ولم أحظ من تلك المعاني بطائل ... وإن كان أهلوها أطالوا وأسرفوا

وقد مر من عمري الألذ ، وها أنا ... على ما مضى من عهده أتلهف

وإني على ما قد بقي منه أن بقي ... لحرمة ما قد ضاع لي أتخوف

أعد ليالي العمر، والفرض صومها، ... وحسبك من فرض المحال تعسف

على أنها إن سلمت جدلية ... تعارض آمالا عليها نهفهف

تحدثني الآمال وهي كدينها ... تبدل في تحديثها وتحرف

بأنيَ في الدنيا سأقضي مآربي ... وبعدُ يحق الزهد لي والتقشف

وتلك أمان لا حقيقة عندها ... أفي قرني الضديْن يبقى التكلف

ورب ذوي حلم شكوتُ إليهمُ ... ولكن لفهم الحال إذ ذاك لم يفوا

فبعضهمُ يزري علي ، وبعضهمْ ... يغض ويرثي ، ثم عنيَّ يصدف

وبعضهمُ يومي إليَّ تعجبا ... وبعض بما قد رابه يتوقف

وبعضهم يلقى جوابا . . . ... على مقتضى العقل الذي عنه يوقف

يسيء استماعا ، ثم بعد إجابة ... على غير ما تحذوه، يحذو ويخصف

فلا هو يبدي لي ، عليَّ تعقلا ، ... ولا هو يرثي لي ، ولا هو يعنف

وما أمرنا إلا سواء ، وإنما ... عرفنا ، وكل منهمُ ليس يعرف

فلو قد فرغنا من علاج نفوسنا ... وحطّوا الدنايا من عيوب وأنصفوا

أما لهمُ من علة أزمت بهم ... ولم يعرفوا أغوارها وهي تتلف

وقفنا لهم في الكتب عن كنه أمرهم ... ومثليَ عن تلك الحقائق يكشف

وصنفت في الآفات كل غريبة ... فجاء كما يهوى الغريب المصنف

وليس عجيباً من تركب جهلهم ... بأن يحجبوا عن مثل ذاك ويصرفوا

إذا جاءنا بالسخف من نزو عقله ... إذا نحن مثلناه أزهى وأسخف

فما جاءنا إلا بأمر مناسب ... أينهض من كف الجبان المثقف ؟

ولكن عجيب الأمر علمي وغفلتي ... فديتكمُ أي المحاسن أكشف ؟

ألا إنها الأقدار يظهر سرها ... إذا ما وفي المقدور فالرأي يخلف

أيارب إن اللب طاش بما جرى ... به قلم الأقدار والقلب يرجف

وأنا لندعوهم ونخشى ، وإنما ... على رسمك الشرعيّ من لك يعكف

أقول وفي أثناء ما أنا قائل ... رأيت المنايا وهي لي تتخطف

وإني مع الساعات كيف تقلبت ... لأسهمها أن فوقت متهدف

وما جر ذا التسويفَ إلا شبيبتي ... تخيلُ لي طول المدى فأسوف

إذا جاء يوم قلت هو الذي يلي ... ووقتك في الدنيا جليس مخفف

أقدم رجلا عند تأخير أختها ... إذا لاح شمس ، فالكواكب تكسف

كأني لنجديّ المراقد متهم ، ... ولم أدعهم ، والحصن ريان ينسف

وهبني أعيش هل إذا شاب مفرقي، ... وولّى شبابي هل يباح التسوف ؟

وكيف ويستدعي الطريق رياضة ... وتلك على عصر الشباب توطف

متى يقبل التقويم غير مطيقه ... وبي بعد حسا فالنار تشسف ؟

ولو لم يكن إلا ظهور لسره ... إذا ما دنا التدليس هان التنطف

أمولى الأسارى أنت أولى بعذرهم ... وأنت على المملوك أمرى وأعطف

قذفنا بلج البحر والقيد آخذ ... بأرجلنا والريح بالموج تعصف

وفي الكون من سر الوجود عجائب ... أطل عليها العارفون وأشرفوا

وقفت عليهم وقفة فتأخـــــروا ووددت بأن القوم بالكل أسعفـــوا
فليس لنا ألا نحط رقابنـــــا بأبواب الاستسلام والله يلطـــف
فهذا سبيل ليس للعبد غيـــره وإلا فما ذا يستطيع المكلـــف

وقال : وضمنها محاورة بينه وبين نفسه ، وقيدتها عنه زوال يـوم الثلاثاء التاسع والعشرين لمحرم عام خمسة وخمسين وسبعمئة برابطة العقاب متعبد الشيخ ولي الله إبراهيم الالبيري رحمه الله .

يأبى شجون حديثي الافصـــاح إذ لا تقوم بشرحه الألـــواح
قالت صفية ، إذ مررت بحيهـــا أفلا تنزّل ساعة ترتـــــاح
فأجبتها لولا الرقيب لكان فيــــ ـــما تبتغي بعد الغـــدو رواح
قالت : وهل في الحي حيّ غيرنـا فاسمح فديتك فالسماح ربـــاح
فأجبتها إن الرقيب هو الـــذي وردت مناهلَ فيضــه الأرواح
وهو الشهيد على موارد عبـــده سيان ما الاخفاء والايضـــاح
قالت : وأين يكون جـــود الله إذ يُخشَى ؟ ومنه هذه الأفـــراح
فافرح باذن الله جل جلالـــه واشطح ، فنشوان الهوى شطـاح
وارهج على ذمم الرجال ولا تخـف فالحلم رحب ، والنوال مبـــاح
وانزل على حكم السرور ولا تُبَلْ فالوقت صاف ما عليك جنـــاح
واخلع عذارك في الخلاعة ياأخـي باسم الذي دارت به الأقـــداح
وانظر إلى هذا النهار ، فسنـــه ضحكت ، ونور جبينه وضـــاح
أنواره نفحتْ ، وأترع كأســـه فقد استوى ريحانه والـــراح
وانظر إلى الدنيا بنظرة رحمـــة فجفاؤها بوفائها ينـــــزاح
لا تعذل الدنيا على تلوينهـــا فلليلها بعد المساء صبـــاح
فأجبتها ، لو كنت عالمة الـــذي يبدو لتاركها وما يلتـــــباح
من كلّ معنى غامض من أجلـــه قد ساح قوم في الجبال وناحـــوا
حتى لقد سكروا من الأمر الـــذي هاموا به عند العيان فباحـــوا
لعذرتني ، وعلمتِ أني طالـــب ما الزهد في الدنيا له مفتـــاح
فاترك صفيك قارعاً باب الرضـى والله جل جلاله الفتـــــاح
ياأخت حيي على الفلاح وخلنـي فجماعتي حثوا المطيّ وراحـــوا

وقيدت من خطه في جملة ما كتب به إلي ما نصه : ومما نظمته بغرناطة وبعضه ببرجة ، وهو مما يعجبني ، وأظنه كتب لك وهو غريب المنزع ، وإنه لكما قال :

خذها على رغم الفقيه سلافـــــة ... تجلا بها الأقمارُ في شمس الضحى
أبدي أطباء القلوب لأهلهـــــــا ... منها شراباً للنفوس مبرحـــــــا
وإذا المرائي قال في نشوانهـــا ... قل أنت بالاخلاص فيمن قد صحـا
ياقهوة دارت على أربابهـــــــا ... فاهتزت الأقدام منهم واللِّحـــا
مُزجت ، فغار الشيخ من تركيبها، ... فلذاك جردها وصاح وصرحـــا
وبدت ، فغار الشيخ من إظهارهـا ... فاشتد يبتدر الحجاب ملوحـــا
لا تعترض أبداً على مسترفـــــد ... قد غار من أسرارها أن يفضحـــا
وكذاك لا تعتبْ على مستهتـــــر ... لم يدر ما الايضاح لما أوضحـــا
سكران يعثر في ذيول لسانـــــه ... كفراً ويحسب أنه قد سبحـــــا
فالبعض قد يهوى الحروب،وبعضهم، ... قد ضاق ذرعاً بالغرام فبرحـــا
لا تخشينَّ على العدالة هاتفـــاً ... نظر ارتياح العاشقين فجرحـــا
الحب خمر العاشقين ، وقد قضت ... حتماً على من ذاقها أن يشطحـــا
فاشطح على هذا الوجود وأهلـــه ... عجباً فليس براجح من رجحـــا
كبر عليهم أنهم موتى علــــــى ... غير الشهادة ما أعر وأقبحـــا
واهزأ بهم فمتى يقلْ نصحاؤهـم ... أفلح ، فقل حتى ألاقي مفلحـــا
وإذا أريبهمُ استخفك قل لــــــه ... بالله يايحيى بن يحيى دع جحـــا
أبني سليم قد محا مجنونكــــم ... مجنون ليلى العامرية فانمحـــا
هل يستوى من لم يبح بحبيبــه ؟ ... مع من بذكر حبيبه قد أفصحـا
فافرح، وطب، وابهج،وقل ما شئته ... ما أملح الفقراء ، ياما أملحـــا

ومن مقطوعاته التي هي آيات العجائب ، وطرز حلل البدائع في أسنى الأغراض والمقاصد ، قوله يعرض ببعض الطلبة وقد استدبره ببعض حلق العلم بسبتــة :

إن كنت أبصرتك لا أبصـــــرت   بصيرتي في الحق برهانهـــــا
لا غرو أني لم أشاهدكـــــم   فالعين لا تبصر إنسانهـــا (1)

ومنها قوله : في غرض التورية ، وهو بديع في معناه :

يلومونني بعد العذار على الهـــوى   ومثليَ في وجدي به لا يفنـــد
يقولون لي، أمسك فذا الصبح قد بدا،   وكيف يرى الامساك والخيط أسود

ومنها قوله في المجبنات وهو من الغريب البديع :

ومصفرة الخدين مطوية الحشـــا   على الجبن، والمصفر يؤذن بالخوف
لها هيأة كالشمس عند طلوعهـــا   ولكنها في الحين تغرب في الجوف

ومنها قوله في النصح ، وله حكاية تقتضي ذلك :

لا تبذلنَّ نصيحة إلا لمـــــن   تلقى لبذل النصح منه قبـــولا
فالنصح ، إن وجد القبول فضيلة،   ويكون إن عدم القبول فضـــولا

ومنها في الحكم :

ما رأيت الهموم تدخـــــل إلا   من دروب العيـــــون والآذان
غضَّ طرفاً ، وسدَّ سمعاً ، ومهما   تلقَ هماً ، فلا تثق بضمـــــان

ومنها قوله : وهو من المعاني المبتكرات :

حزنت عليك يامغني الهـــــوى   فالدمع منها بعد بُعدك ما رقـــا
ولذاك قد صبغت بلـــون أزرق   أو ما ترى ثوب المآتم أزرقـــا

ومنها قوله في المعاني الغريبة ، قال مما نظمته في عام أربعة وأربعين في التفكر في المعاني مغلق العينين :

أبحثُ فيما أنا حصلتـــــه   عند انغماض العين في جفنهـــا

---

1) **نفح الطيب** 5 : 481 طبع بيروت .

أحسبني كالشاة مجتـــــرة تمضغ ما يخرج من بطنهـــا

ومنها ، وقال : ومما نظمته بين اندرش وبرجة عام أربعة وأربعين ، وأنا راكب مسافر وهو مما يعجبني إذ ليس كل ما يصدر عني يعجبني ، قلت ويحق أن يعجبه :

تطالبني نفسي بما ليس لي بــه يدان فأعطيها الأماني فتقبــل
عجبت لخصم لج في طلباتــه يصالح عنه بالمحال فيفصــل

ومنها قال : ومما نظمته في السنة المذكورة في ذم النساء :

ما رأيت النساء يصلحــن إلا للذي يصلح الكنيف من أجلــه
فعلى هذه الشريطة صالحـــ ـهن لا تعد بامرىء عن محلــه

ومنها قال : ومما نظمته في السنة المذكورة :

قد هجوت النساء دهراً فلم أبـ ـلغ لأذني صفاتهن الذميمــة
ما عسى أن أقول في هجو من قـد خصه المصطفى بأقبح شيمــة
أوَ يبقى لناقص العقل والـ ـدين إذا عُدَّت المثالب قيمــة

ومنها قال : ومما نظمته في تاريخ لا أذكره الآن، هاذان البيتان ، ولم أر معناهما لمن مضى، ولو رحل رجل" إلى خراسان ولم يأت إلا بهما كان ممن لم يخفق مسعاه ، ولا أجدب مرعاه ، ينفتح بهما للقلب باب من الراحة فسيح ، إذا أجهده ما يكابده من المضاضة ونقض العهود وإخلاف الوعود ، وهذه المحنة من شر ما ابتليَ به بنو آدم ، شنشنة نعرفها من أمرهم ، ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي !

رعى الله إخوان الخيانة إنهــم كفونا مؤونات البقاء على العهــد
فلو وفوا كنا أسارى حقوقهــم نراوح بين النسيئة والنقـــد

وقال يداعبني ، وعلى سبيل الكناية يخاطبني ، ولقد لقيت رجلا ببلاد الهند يعرف بأبي البركات ابن الحاج ، وكان له بركة في بستان ، فقلت أهجوه عام أربعة وأربعين وسبعمئة :

قالوا أبو البركات ملح مـــــاؤه ... فغدا أبو البركات لا البركـــات
قلنا ، لأن يكنى بموجوداتــــه ... أولى من أن يكنى بمعدومــــات

قال : ومما نظمته عام خمسة وأربعين وسبعمئة :

قد كنت مغروراً بعلمي ومـــا ... أبث من وعظيَّ بين البشـــر
من حيث قد أمّلت إصلاحهـــم ... بالوعظ والعلم فخان النظـــر
فلم أجد أوعظ للناس مـــن ... أصوات وعاظ جلود البقـــر

قال : ومما نظمته بمرسى تلمسان بلد هنين عام ثلاثة وخمسين ، وقد أصابني هوس في البحر ، وخاطبت به بعض الأصحاب :

رأسي به هوس جديد لا الـــذي ... تدريه من هوس قديم فيـــه
قد جل ما أبديه من هذا كمـــا ... قد جل من ذاك الذي أخفيـــه

قال : ومن الملح قولي وقد بت بحمام الخندق من داخل ألمرية ليلة الجمعة الثاني من محرم عام اثنين وثلاثين وسبعمئة منفرداً ، فطفىء المصباح، وبقيت مفكراً ، فخطر ببالي مـا يقول الناس مـن تخيل الجنّ في الأرحـاء والحمامات ، وعدم إقدام الناس إلا ما شذ على دخولها منفردين بالليل ، لا سيما في الظلام ، واستشعرت قوة من نفسي عند ذلك ، وعرضت لي أوهام ، فقلت مرتجلا رافعاً بذلك صوتي :

زعم الذين عقولهم مقدارهــــا ... إنْ عُرضت للبيع غير ثميـــن
أن الرحا معمورة بالجن والـــ ... ـحمّام عندهم ، كذا بيقيـــن
إن كان ما قالوه حقاً فاحضـــروا ... للحرب هذا اليوم من صفيـــن
فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقـــة ... أني مصارع قيس المجنـــون

قال : ودخلت يوماً رياضاً فوجدت كساء منشوراً للشمس لم أعرفه من حوائجي ولا من حوائج حارسة البستان ، فسألتها فقالت لجارتي : فقلت :

من منصفي من جارة جارت عـلى ... مالي ، كأني كنت من أعدائهـا

عمدتْ إلى الشمس التي انتشرت على — أرضي ، وفيها قد رمت بكسائها
لولا غيوم" يوم نشَرتِ الكسا — يسري لحجب السحب جل ضيائها
لقضيت من ذاك الخسار ، لأنني — أصبحت مزواراً على بخلائها

قال : وسرت إلى مغني بحمة بجانة ، وسار معي كلب كان يحرس رياضي اسمه قطمير ، وهو فيما يذكر اسم كلب أهل الكهف في بعض الأقوال، فتبعني من الحمة إلى ألمرية ، فقلت :

رحلتُ وقطمير كلبي رفيقي — يؤنس قلبي بطول الطريق
فلما أنخت أناخ حذائي — يلاحظني لحظ خل شفيق
ويرعى أذمة رفقي كما — يراعي الصديق الصدوق الصديق
على حين قومي بني آدم — بلؤمهم لم يوفوا حقوقي
ولا فرق بين الأباعد منهم — وبين أخ مستحب شقيق
أو ابن متى تلقه ، تلقه — هوي اشتياق بقلب خفوق
فما منهمُ من وليٍّ حميم — ولا ذي إخاء صحيح حقيق
وناهيك ممن يفضل كلباً — عليهم ، فياويلهم من رفيق
ألا من يرق لشيخ غريب — أبي البركات الفتى البلفيقي

وقال : ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذان البيتان :

وإني لخير" من زماني وأهله — على أنني للشر أول سابق
لحا الله دهرا قد تقدمت أهله — فتلك لعمر الله إحدى البوائق

ومن النزعات الشاذة الأغراض :

لا بارك الله في الزهاد إنهم — لم يتركوا عرض الدنيا لفضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم — يصابروها ، فملوا ثقل حملهم
وعظم الناس منهم تركها فغدوا — من غبطة الناس في حرص لأجلهم
نعم ، أسلم إن القوم قد زهدوا — ذلا ، وأعلى أناس فضل تركهم
من حيث قد أحرزوا الترجيح دونهم — لا شيء أحسن من ترجيح فضلهم

فالمال والجود والراحات غاية مـا ... يحكي لنا الزهد في ذا عن أجلهـم
والزاهدون براحات القلوب مع الـ ... ـأبدان قروا وعزوا بعد ذلهـــم
فكل ما فرقوا قد عوضوا غرضـاً ... منه ، وزادوا ثناء الناس كلهـــم

قال : ومما نظمته عام أربعين في ذم الخمر من جهة الدنيا لا من جهة الدين ، إذ ليس بغريب :

لقد ذم بعض الخمر قوم لأنهـــا ... تكر على دين الفتى بفســـــاد
وقد سلموا قول الذي قال إنهـــا ... تحل من الدنيا بأعظم نـــــاد
وتذهب بالمال العظيم ، فلن نرى ... لمدمنها من طارف وتـــــلاد
فيمسي كريماً سيداً ثم يغتـــدى ... سفيهاً حليف الغي بعد رشـــاد
وقالوا : تسلي وهو عارية لهـــا ... وإلا فلم يأتوا لذاك بشـــــاد
وخل يداوي من مرارتها التـــي ... أواخرها مضروبة بقتـــــاد
ولو أشرب الأنسان مهلا بمهـــده ... لأصبح مسروراً بأطيـــب زاد
ومن حسن حال الشاربين أنهـــم ... يرومونها بالرغم برق وســـاد
ومن حسن ذا المحروم أن مدامـــه ... إذا غلبت ، تكسوه ثوب رقـــاد
فيختلف الندمان طراً لروحـــه ... ويحدو بهم نحو المروءة حـــادي
ومن حظه بين الورى ضرب ظهره ... فيمسي بلا حرب رهين جـــلاد
مجانين في الأوهام قد ضل سعيهم ... يخففون بيعا لحبس وعـــــاد

ومن نظمه في المناحة على نفسه ، واستبعاد وجود المطلب في جنسه ، قال : مما نظمته يوم عرفة عام خمسين وسبعمئة ، وأنا منزو فـي غار ببعض جبال المرية :

زعموا أن في الجبال رجـــالا ... صالحين قالوا من الأبـــدال
وادعوا أن كل من ساح فيهـــا ... فسيلقاهم على كل حـــال
فاخترقنا تلك الجبال مـــراراً ... بنعال طوراً ودون نعـــال
ما رأينا بها خلاف الأفاعـــي ... وشبا عقرب كمثل النبـــال
وسباعاً يجرون بالليل عـــدواً ... لا تسلني عنهم بتلك الليالـــي

ولو أنّا كنا لدى العدوة الأخـــ ـــرى رأينا نواجذ الريبـــال
وإذ أظلم الدجا جاء أبليـــ ـــس إلينا يزور طيف خيـال
هو كان الأنيس فيها ولـــولا ه أصيبت عقولنا بالخبـال
خل عنك المحال يامَن تعنـي ليس تلقى الرجال غير الرجـال

قال : ومن المنازع الغريبة ذم الأصحاب ومدح الأعداء ، فمن ذلك قولي :

جزي الله بالخير أعداءنـــا فموردهم رائد المصـــدر
هم حملونا على العرف كرهـــاً وهم صرفونا عن المنكـــر
وهم أقعدونا بمجلس حكـــم وهم بوؤونا ذرى المنبـــر
وهم صيرونا أئمة علـــم ودين ، وحسبك من مفخـــر
عدوي يؤوِّل خيري بشـــر وان جئتُ بالاثم لم يعـــذر
وأنت ترى فرق من يعـــدل بين المسيء وبين البـــري
ولا زوَّد الله أصحابنـــا بزاد تقيٍّ ولا خيـــر
هم جرؤونا على كل إثـــم وما كنت لولا هم مجتـــري
عفوا عن أكابر آثامنـــا فكانوا أضر من الباتـــر
أعارنيَ القومُ ثوبَ التقـــى وإنيَ مما أعاروا عـــري
إذا خدعونيَ ولم ينصحـــوا وإنيَ بالنصح منهم حـــري
فمن كان يكذب حال الرضـــا ويصدق في غضب يفتـــري
بلى سوف تلقى لدى الحالتيـــن بحكم هوى النفس حكم الفـــري
فيارب أبق علينا عقـــبـــولا نبيع بها وبها نشتـــري

قال : وما رأيت هذا المعنى قط لأحد ، ثم رأيت بعد ذلك لبعضهم ما معناه :

عِداتي لهم فضل عليَّ ومنـــة فلا أذهب الرحمان عني الأعاديـا
فهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتهـــا وهم نافسوني فاكتسبت المعاليـا

فوقع حافري على ساق هذا .

قال : ومما نظمته متخيلا أني سابق لمعناه :

خلسنا ليلة من كف دهـــــر — ضنين بالليالي الطيّبـــات
سلكنا للهوى والعقل فيهـــا — مسالك قد بعدن عن الشتـــات
قضينا بعض حق النفس فيهـــا — وحق الله مرعي الثبـــات
فلم نر قبله في الدهر وقتـــاً — بدت حسناته في السيئـــات

ثم اطلعت بعد ذلك على هذا :

لا وليال على المصلـــى — تسرق في نسكها الذنـــوب

فوقعت ساقي على حافر هذا المحروم ، إلا أني جردت ذلك في المعنى وأوضحته وجلوته على كرسي التقيد والتنجيد ، فلولا التاريخ لعـاد سارق البــرق .

نـثــره :

وأما نثره فنمط مرتفع عن معتاد عصره، استنفاراً وبلاغة ، واسترسالا وحلاوة ، قلما يعرج على السجع أو يمر على التكلف ، وهو كثيـر بحيث لا تغيض عيونه ، لكن نلمع منه بنبذة ونجلب منه يسيراً .

كتب إليّ عند إيابي من الرسالة إلى ملك المغرب متمثلا ببيتين لمن قبله صدر بهما :

أيتها النفسُ إليه اذهبـــي — فحبه المشهور من مذهبـــي
أياسني التوبة من حبـــه — طلوعه شمساً من المغـــرب

بل نجلك عن التمثيل بالشمس ، فلو كان طلوعك على هذه الأقطار كطلوعها لأصبح جلها لك عباد، ولوَ كان نزولك مطراً لتكيفت الصخور تراباً دمثاً، ولولا معرفتنا معشـر إخوان الصفا بأسـرار أنفسنا لحكمنـا بأن قلوبنا تحابـي لأصدقائنا ولكن سبقت عيون السعادة بالجلال ، فلم تصادف بالرضى محلا ، لأن تحصيل الحاصل محال، لا زلت محروساً بعين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

وكتب إليّ عندما تقلدت من رياسة الانشاء ما تقلدت :

تخصكم يامحل الابن الأرضى ولادة، والأخ الصادق إخلاصاً ووداً، خصكم الله من السعادة بأعلاها مرقى، وأفضلها عقبى ، وأحمدها غنى ، وأكرمها مسعى

تحية اللهفان إلى أيام لقائك ، من المسلّى عنها بتأميل العود إليها، المزجي أوقاته بترديد الفكر فيها ، محمد ابن الحاج أبقاه الله عن شوق ، والذي لا إلاه إلا هو، لم أجد قط مثله إلي ولي حميم ، والله على ما نقول وكيل ، معرفاً أنني بعلاقمه ويصليني عن كسره مجامعه ، لما اعتني به من توقلكم بالرتبة التي ما زال أحباؤكم منطوين على أنك لم تزد بذلك رتبة على ما كنت ، باعتبار الأهلية والمكانة العلية إلا عند الأطفال والأغفال ، والمخلفين من النساء والرجال ، لكن أفرغنا هذه المخاطبة المحظية في قالب الجمهور ، فلم تسر فيها على الأصح لكن على الجمهور ،ولو كانت مصارف الوجود بيدي لوافتك من الوجود منازل سمائه منازل ، وأوطأتك أفلاكه مراكب ، وأوردتك كوثره مشرباً ، وأحللتك أرفعه معقلا ، وأقبستك بدره مصباحاً ، وأهديتك أسراره تحفاً ، وقد تبلغ المقاصد مبالغ لا تنتهي أقاصيها الأعمال ، فنحن وما نضمره لتلك الجملة الجليلة الفاضلة مما الله عليه رقيب ومحيط بدقائقه ، ولو كانت لهذا الغافل المأسور في قيد نفسه ، المحزون بانتهاب الأيام رأس عمره في غير شيء ، دعوة فيما عدا هذا الوجه لجد حتى يغلب على ظنه أن العليم بذات الصدور ولاّها من قبوله بارقة يخصك بها ، والله شهيد على ما تكنه الأفئدة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والفضل جم ، والمحاسن عديدة ، فلنقتصر اضطراراً ونكف امتثالا للرسم وانقياداً ، أمتع الله به .

انتهى كلام (الاحاطة) (1) .

وترجمه في (الكتيبة الكامنة) أيضاً بنحو ثلاثة أوراق ، (2) وقد ترجمه في (نفح الطيب) عند ذكر أشياخ لسان الدين ابن الخطيب ، وعند ذكر ترجمة ابن خاتمة ، وقال ابن خاتمة أيضاً : وليس في (النفح) يستشفع إلى شيخه أبي البركات في امرأة أمر بسجنها بسبب دخولها الحمام غير مؤتزرة ، وكان أمره خرج بالاشتداد بذلك :

1) الاحاطة 2 : 143 طبع القاهرة 1974 وهو مشحون بالتصحيف والتحريف .

2) الكتيبة الكامنة ص 127 .

ياقاضياً أصبح ذا سيـــــــرة بكل عدل في الورى سارية
سمحك في جارية ثقفـــــت ليس على حكم الهوى جارية
واعجب لما جاء به وقتنـــا مؤتزر يشفع في عارية

وقال وقد بعث إليه أبو البركات بطبق فيه نواوير منظمة تنظيماً عجيباً:

بدت فجلا الاظلال نيّرُ نورهـــا فلولا الشذا قلنا هي الأنجم الزهر
فكنا بها حتى الصباح تنعمـــاً ينافحها مني لك الحمد والشكــر
أقول لندماني وقد ظل معجبـــاً بحسن الذي أبدى لها النظم والنثر
وهل هو إلا الروض حيى بزهــره وساق الثريا في ملاءته الفجـــر

كتب إليّ شيخنا الفقيه القاضي الجليل العادل النزيه الصدر الأوحد الخطيب البليغ الأستاذ العلم الأكمل ، خلف أولياء الله تعالى ، ووارث درجتهم أبو البركات محمد بن محمد ابن الحاج البلفيقي أبقى الله بركته وحفظ في أعلا مراتب أهل العلم درجته ، سائلا ومغازلا :

يامَن إذا تنافرت المعانــــي فهو لها حَكَم عـــــادل
أيهما أثقل على الـــــــ ـــمحب الرقيب أم العــاذل

وقد ظهر لي من الأثقل ، لكن أردت أن يتأيد بما من ذلك يعقل ، مما عن مثلك من الأخيار ينقل ، لازلت للمعاني خبئاً ، ولطلابها ردءاً ، فأجبته جارياً من طريقة الأدب على المهيع الذي سلك ، والمذهب الذي ذهب ، وهو (الفصل العادل ، بين الرقيب والعاذل) ، تأليف مستقل ، انظره .

وترجمه في (الديباج) ، وفي (الجذوة) بملخص ما في (الاحاطة)، وترجمه في (كفاية المحتاج) ، وذكره في ترجمة الامام محمد المقْري .

وقال الشيخ أبو الحسن النباهي في كتابه (المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا) في حق صاحب الترجمة ما نصه :

ومن مشاهير القضاة الشيخ أبو البركات ، وهو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السلمي من ذرية العباس

ابن مرداس المعروف في بلده بابن الحاج ، وفي غيره بالبلفيقي ، وبلفيق حصن من عمل مدينة المرية ، وبيته بيت دين وفضل ، ذكر ابن الآبار جده الأعلا أبا إسحاق ، وأطنب بالثناء عليه بالخير والصلاح ، وكان هذا الشيخ المترجم عنه ممن نشأ على طهارة وعفاف ، اجتهد في طلب العلم صغيراً وكبيراً، وعبر البحر إلى بجاية فأدرك بها المدرس المعمر أبا علي منصور بن عبد الحق المشدالي ، وحضر مجالسه العلمية ، وأخذ عنه وعن غيره من أهلها ، ثم أتى إلى مراكش وتجول فيما بينهما من البلاد، وآثر السكنى بسبتة على طريقة جده إبراهيم الأقرب إليه، إذ كان أيضاً قد استوطنها، ثم عَاد إلى الأندلس فأقام منها بمالقة ، واختص بخطيبها الولي أبي عبد الله الطنجالي ، روى عنه وعن غيره ، وقيد الكثير بخطه ،ورام في ابتداء طلبه التشبيه بالقاضي أبي بكر ابن العربي في لقاء العلماء ومصاحبة الأدباء والأخذ في المعارف كلها ، والتكلم في أنواعها، والاكثار من ملح الحكايات ، وطرف الأخبار ، وغريب الآثار ، حتى صار حديثه مثلا في الأقطار ، وهو مع ذلك على شدة انطباعه وكثرة رويته ، سريع العبرة عند ذكر الآخرة ، قريب الدمعة ، وكان كثير الضبط لحاله ، مهتماً بالنظر في تثمير ماله ، آخذاً في نفقته بقول سحنون بن سعيد : ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا على قدر ذات يده ، ولا يتكلف أكثر مما في وسعه ، إلى أن قال : ومن كلامه رحمه الله : من اقتصر على التعيش منمرافق الملوك ضاع هو ومن له ، وشمله القل ، وخامره الذل ، اللهم إلا من كان من القوة بالله قد بلغ من الزهد في الدنيا إلى الحد الذي يكسبه الراحة بالخروج من متاعها ، وترك شهواتها قليلها وكثيرها ، مالها وجاهها فأمر آخر ، ومَن لنا بالعون على تحصيل هذا المقام ، ولا سيما في هذا الزمان ، ولم نسمع ممن قاربه من الولاة المتقدمين في الأندلس إلا ما حكي عن إبراهيم ابن أسلم وقد أراد الحكم المستنصر بالله رياضته ، فقطع عنه جرايته ، فكتب إليه عند ذلك :

تزيد على الاقلال نفسي نزاهـــة	وتأنس بالبلوى وتقوى مع الفقـــر
فمن كان يخشى صرف دهر فانني	أمنت بفضل الله من نوب الدهـــر

فلما قرأ الحكم بيتيه أمر بــرد الجراية وحملها إليه ، فأعرض عنهــا وتمنع من قبولها ، وقال : إني والحمد لله تحت جراية من إذا عصيته لم يقطع

عني جرايته ، فليفعل الأمير ما أحب ، فكان الحكم بعد ذلك يقول : لقد أكسبنا ابن أسلم بمقالته مخزاة عظم منا موقعها ، ولم تسهل علينا المقارضة بها .

وتولى الشيخ أبو البركات القضاء في بلاد عديدة منها مالقة ، تقدم بها بعد شيخنا أبي عمرو ابن منظور ، وذلك صدر عام 735 ، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بحضرة غرناطة والخطابة بها ، وكان مستوفياً لشروط الخطبة وجوباً وكمالا ، من صورة وهياة وطيب نغمة وكثرة خشوع وتوسط إنشاء ، وشهر بالصرامة في أحكامه ، والنزاهة أيام نظره ، ثم أخر عن قضاء الحضرة وأقام بها مدة إلى أن صير إلى مدينة المرية ، ثم أعيد إلى قضاء الجماعة ، واستعمل في السفارة بين الملوك ، فصحب السداد ورافقه الاسعاد ، وكان في أطواره سريعَ التكوين ، طامعاً في الوصول إلى مقام التمكين ، كثير الانتقال من قطر إلى قطر ، ومن عمل إلى عمل ، من غير استقرار منزل أو محل واحد ، ولذلك قال في أبياته التي أولها :

ما ذا تقول : فدتك النفس،في حالي يفنى زمانيٌ في حلٌ وترحـــال

وكان التكلم بالشعر من أسهل شيء عليه في كثير من مراجعاته وفنون مخاطباته ، وله منه ديوان كبير يحتوي من ضروب الآداب على جد وهزل وسمين وجزل ، سماه بـ (العذب والاجاج) ، وكتاب سماه بـ (المؤتمن، في أنباء من لقيه من أبناء الزمن) ، واستقر بمدينة المرية قاضياً وخطيباً إلى أن توفي بها في شهر رمضان عام 772 عن غير عقب ذكر ، وكان أيام حياته ممن اكتسب المال الجم ، وتمتع من النساء بما لم يتأت في قطره لأمثاله من الفقهاء (1) .

وقال في (الحقائق والرقائق) ما نصه :

رقيقة :

أنشدني محمد بن إبراهيم ابن الحاج البلفيقي ، وقال : أنشدني محمد ابن رشيد الفهري وقال : أنشدني أبو حفص الخيمي المصري لنفسه :

---

1) المرقبة العليا ص 164 .

لو رأى وجه حبيبي عاذلـــــــي لتفارقنا على وجه جميــــــل

وأنشد هذا أيضا أبو إسحاق الشاطبي ، عن المقْري بالسند المتقدم في كتابه (الافادات والانشادات) ، وقال أيضاً : وأنشدني إنشادة عن القاضي أبي بكر ابن القرشي عن شيخه أبي البركات ابن الحاج لنفسه :

ألا ليت شعري هل لما أنا أرتجي من الله في يوم الجزاء بــــــلاغ ؟

وهي اثنا عشر بيتاً .

وقال في (تاريخ الدولتين) ما نصه : وفي حدود إحدى وسبعين ، تولى الشيخ الفقيه القاضي أبــو البركات محمد بن أبي بكر المعروف بابــن الحاج ، ولي القضاء والخطبة ببلد المرية ، ثم ولي قضاء الجماعة وخطبة الحضرة بغرناطة ، ولما قدم على السلطان أبي عنان سأله عن عمره فقال له : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه ، كذا قال مالك ، فتغافل عنه وأخذ يسأله عن انتقالاته في البلاد ، وعن زمن رحلته لبجاية ، فأخبره بالتاريخ فسمعت لــه الكلام وقال : أترى عمرك حينئذ كم ؟ فبادره بأن قال : أتسرقني أنت ؟ وتفطن لما أراد منه انتهى .

وقال في (نيل الابتهاج) : قــال الحضرمي في مشيختــه : شيخنا الفقيه الجليل الأستاذ القاضي العدل النزيه الخطيب البليغ المتفنن العالــم الصالح الفاضل عماد الدين قاضي القضاة ، علم الرواة وفخر الولاة ، الامام الخاشع الشهير الأصيل المعظم . انتهى

قال ابن خلدون : ويعرف شيخنا شيخ المحدثيــن والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس ، وسيد أهل العلم باطلاق ، والمتفنن في أساليب المعارف وآداب صحبة الملوك فمن دونهم انتهى .

وقــال يحيى الســراج في فهرستــه : شيخنا الفقيه القــاضي الخطيب البليغ الأستاذ المقريء العالم المحدث المسند الراوية المكثر المحقق المتخلق ، سليل العلماء ونتيجة البررة الأولياء ، ابن الشيخ الفقيه الجليــل

السُّني السَّني الصالح الزاهد الخاشع الحسيب أبي بكر ابن الشيخ الأستاذ المحدث الرحال الناقد الراوية المتبرك به أبي إسحاق ، كان شيخنا محدثاً حافظاً متفنناً ، متمسكاً بطريق القوم مؤثراً لها ، حسن التلاوة ، طيب النغمة بالقراءة مع خشوع وبكاء ، حسن المجالسة ، مليح المداعبة ، صدراً في عدول القضاة وأيمة الرواية من ذوي الأحساب الطاهرة الأصيلة ، والبيوت الرفيعة الجليلة ، رحل في طلب العلم قديماً وحديثاً ، وحصل من المعقول والمنقول بغية أربه ، طلع بالأندلس شمساً منيرة، ونزع باجتهاده في المعارف والروايات إلى مناحيه الشهيرة ، أخذ عن عمه الفقيه المحدث أبي القاسم محمد ، والخطيب أبي الحسن ابن أبي العيش ، وأبي جعفر اللورقي ، وابن الزبير ، والقاضي ابن فركون ، وابن رشيد ، وأبي الحسن القيجاطي ، والقاضي ابن بكر ، وابن العاصي ، وأبي محمد ابن سلمون ، وابن الكماد ، وابن الفخار الأركشي ، وأبي الحسن عبيد الله ابن منظور ، وأبي عبد الله الهاشمي ، والقاضي ابن البنا الهمداني المالقي ، وأبي إسحاق الغافقي ، وابن حريث ، والفقيه المحدث الرحلة المحقق أبي القاسم التجيبي ، والعلامة أبي القاسم ابن الشاط ، وابن هانيء ، والفقيه الصالح أبي بكر محمد بن أحمد بن خليل السكوني ، والحافظ ابن سليمان القرطبي ، والنظار المتفنن أحمد بن محمد بن عثمان ابن البنا العددي ، والخطيب أبو غربون ، والناصر المشدالي في خلق كثيرين ، وله سماع كثير ، ولم ألق في هذه الطريقة أكبر منه ولا أعلم منه بهذا الشأن انتهى.

قال الحضرمي : كان على جلالته وتبحره في فنون المعارف شاعراً مفلقاً ، وأديباً بارعاً ، وخطيباً مفوهاً مصنفاً ، له ديوان كبير سماه (العذب والاجاج ، من شعر أبي البركات ابن الحاج) ، أتى فيه بالعجب العجاب ، أنشدني لنفسه كثيراً ، ومما أنشدني في التحذير من بذل الوجه للناس لغيره:

إذا أظمأتك أكف اللئـــام	كفتك القناعة شبعاً وريـــا
فكن رجلا رجله في الثـــرا	وهامة همته في الثريـــا
أبياً لنائل ذي ثـــروة	تراه بما في يديه أبيـــا
فان إراقة ماء الحيـــا	ة دون إراقة ماء المحيـــا

وسمعته ينشد ، وقد سئل عن سنه ، وكان مذهبه أن لا يخبر به ولا بتاريخ مولده :

إحفظ لسانك لا تبح بثلاثـــــة سن ، ومال إن سئلت ، ومذهــب
فعلى الثلاثة تُبتلى بثلاثـــــة فبحاسد ومكفر ومكـــــذب

ومن المأثور عن مالك : ليس من المروءة إخبار الرجل بسنه ، فقيل له لم ؟ قال : لأنه إن كان صغيراً استحقر ، أو كبيراً استهرم .

وتوفي شيخنا أبو البركات وقت الزوال يوم الجمعة أواخـر رمضان عام أحد وسبعين وسبعمئة عن نحو تسعين سنـة تخميناً ، وكانت جنازتـه حافلة ، وتبعه ثناء حسن .

انتهى ملخصاً .

وقال في (النفح) في فصل حكايات الأندلسيين في المجـون ومـا يجري مجراه ما نصه : وقال القاضي أبو البركات ابن الحاج البلفيقي رحمـه الله تعالى :

وعشية حكمت على من تاب مـــن أهل الخلاعة أن يعود لما مضـــى
جمعت لنا شمل السرور بفتيـــة جمعوا من اللذات شملا مرتضـــى
ما عاقني عن أن أسير بسيرهـــم إلا الرياء مع الخطابة والقضـــا

وقد وقفت على رسالة أبي جعفر ابن خاتمة تلميذ المترجم المشار لها سابقاً التي أجابه فيها عن سؤاله في الرقيب والعاذل أيهما أثقل ، بعد أن ظهر لـه الأثقل منهما ، ومحصلهـا : أن الرقيب مسلط العين ، والعـاذل مسلط اللسان ، والواشي مصرف العين واللسان ، وأثقل الثلاثة الرقيب ، وهو عدو مكافح ، والعذول مظهر أنه صدوق ناصح ، وقد قيل في المثل الصادق :

أثقل من واش على عاشـــــق والواشي دائر بين اللقبيــــــن

وممن ترجمه الحافظ في (الدرر الكامنة) ، نقلا عن ابن الخطيب ، ثم قال : وكان ابن خلدون عظيم الاجلال له ، لا يقدم عليه أحداً انتهى .

وذكر في (طبقات المالكية) أن من أشياخ المترجم أحمد ابن فركون قاضي القضاة بغرناطة ، أخذ عنه عند قدومه المرية قاضياً ، وقد تقدم ذكره .

612) محمد (السعيد) بن عبد العزيز المريني

محمد السعيد أبو زيان بن عبد العزيز بن أبي الحسن المريني ، هذا السلطان ممن ولي الأمر وهو صبي ، وفيه ألف ابن الخطيب كتابه المسمى بـ (إعلام الأعلام ، بمَن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام) ، كنيته أبو زيان ، أمه عائشة بنت القائد فارح العلج ، صفته آدم اللون شديد الأدمة .

ولما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله بظاهر تلمسان، خرج الوزير أبو بكر ابن غازي ابن الكاس على الناس ، وقد احتمل أبا زيان ابن السلطان عبد العزيز فعزاهم عن سلطانهم ، ثم طرح ابنه بين أيديهم فازدحموا عليه باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة ، ثم أخرجوه للمعسكر وأنزلوه بفساطيط أبيه ، وتم أمره ، وكفله الوزير المذكور ، فكان إليه الابرام والنقض، والصبي كالعدم ، إذ لم يكن في سن التصرف ، ثم إن الوزير ارتحل بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس ، وأجلس الصبي لبيعة العامة فبايعوا ، ثم توافت لديه وفود الأمصار على العادة ، واستبد الوزير أبو بكر ، واستعمل على الجهات ، وجلس بمجلس الفصل ، واشتغل بأمر المغرب إبراماً ونقضاً ، ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد إليها سلطانها أبو حمو بن يوسف الزياني ، والتفَّت عليه بنو عبد الوادِ من كل جانب ، ومحا دعوة بني مرين من ضواحي المغرب الأوسط وأمصاره ، واتصل الخبر بالوزير أبي بكر ابن غازي فهم بالنهوض إليه ، ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن بن أبي علي بن أبي سعيد بناحية بطوية ، فان السلطان ابن الأحمر كان قد سرحه من الأندلس صحبة وزيره مسعود بن عبد الرحمان ابن ماساي لطلب ملك المغرب ، تشغيباً على الوزير أبي بكر ابن غازي ، ثم اتبعه بالأمير أحمد ابن السلطان أبي سالم الذي كان محتاطاً عليه بطنجة ، فزحف الأمير أحمد المذكور إلى فاس وظاهره ابن عمه الأمير عبد الرحمان ابن أبي يفلوسن، فحاصروا الوزير أبا بكر ابن غازي وسلطانه أبا زيان بن عبد العزيز ، وضربوا

على فاس الجديد سياجاً بالبناء للحصار ، وأنزلوا به أنواع القتال بعد أن بعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمان باتصال اليد بابن عمه الأمير أحمد ومظاهرته على ملك سلفه بفاس ، واجتماعهما لمنازلتها ، وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة ، وأن يختص عبد الرحمان بملك سلفه من سجلماسة وأعمالها ، فتراضيا وزحفا إلى فاس كما قلنا ، وأمدهم ابن الأحمر بجمع من جنده ، فاستمرّ الحال على حصار فاس إلى أن أذعن الوزير أبو بكر لخلع سلطانه أبي زيان ومبايعة الأمير أحمد ، فخلعه يوم الأحد السادس من محرم فاتح سنة ست وسبعين وسبعمئة ، وغرب إلى الأندلس ، فكانت دولته سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ، والله غالب على أمره (1) .

613) محمد بن عبد الله ابن الخطيب السلماني

محمد ابن الفقيه الكاتب عبد الله ابن الفقيه الكاتب القائد سعيد ابن الرئيس عبد الله ابن الفقيه الصالح الخطيب البليغ الواعظ الامام ولي الله سعيد بن علي بن أحمد السلماني القرطبي الأصل ، ثم لوشيه ، ثم غرناطيه ، المالكي المذهب المعروف بابن الخطيب ، يلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين ، يعرف بيتهم قديماً ببني الوزير ، وحديثاً بلوشة ببني الخطيب ، وسعيد الأعلا أول من تلقب بالخطيب ، والسلماني نسبة إلى سلْمان باسكان اللام على الصحيح ، والمحدثون يفتحونها ، حي من مراد من عرب اليمن القحطانيين ، دخل الأندلس منهم جماعة من الشام ، وسلفُ صاحب الترجمة ينتسبون إليهم ، وكان له بلوشة على مرحلة من غرناطة سلف معروفون في وزارتها ، وانتقل والده عبد الله إلى غرناطة ، واستُخدم لملوك بني الأحمر ، ووِلد ولده هذا بها ، وكانت ولادته كما ذكره في (الاحاطة) في الخامس والعشرين من رجب عام ثلاثة عشر وسبعمئة ، ونشأ بها على حالة حسنة ، سالكاً سبيل أسلافه ، وقرأ القرآن على الشيخ الصالح أبي عبد الله ابن عبد المولى العواد تكتباً وحفظاً ، ثم تجويداً على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي ، وقرأ عليه

---

1) **روضة النسرين** ص 33 طبع المطبعة الملكية بالرباط ، **وكتاب العبر** (تاريخ ابن خلدون) 7 : 697 طبع بيروت .

أيضاً العربية ، وهو أول من انتفع به ، ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الامام أبي عبد الله ابن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده ، وقرأ أيضاً على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر ، وعلى الخطيب أبي القاسم ابن جزي ، وتأدب بالرئيس أبي الحسن ابن الجياب ، وروى عن كثير من الأعيان ذكرهم المقْري في (نفح الطيب) ، منهم : أبو القاسم الشريف الغرناطي ، ومحمد ابن جابر الوادي آشي ، وأخوه أبو جعفر ، وأبو البركات ابن الحاج ، وابن مرزوق الخطيب ، وأبو القاسم ابن البنا ، وأبو محمد ابن سلمون ، وأخوه أبو القاسم ابن سلمون ، وأبو عمرو ابن أبي جعفر ابن الزبير ، وأبو الحسن التلمساني ، والقاضي محمد المقْري ، وأبو عثمان ابن ليون وغيرهم ممن يكثر ، وأخذ الطب والتعاليمَ وصناعة التعديل عن الحكيم المشهور يحيى ابن هذيل ، ولازمه ، وكان رحمه الله إماماً أوحد ، علامة حافظاً فذاً مشاركاً ، أديباً بليغاً ، شيخ أهل البلاغة في العلوم العقلية والنقلية ، يضرب به المثل كتابة وشعراً وأدباً ومعرفة بسائر العلوم ، سيما علم التاريخ فانه دخل بيده من كتبه وطالع منها ما لا يمكن أن يدخل إلا بيد ملك شامخ الملك ، وقد قال القصار في بعض مقيداته : وناهيك بابن الخطيب وابن خلدون في علم التاريخ، وقال بعضهم : ابن الخطيب حذام فيما يقول .

وكان رحمه الله مبتلى بداء الأرق ، لا ينام من الليل إلا النزر اليسير جداً ، وقد قال في كتابه (الوصول ، لحفظ الصحة في الفصول) : العجب مني مع تأليفي لهذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله في الطب ، وعملي لذلك لا أقدر على مداواة داء الأرق الذي بي ، أو كما قال ، ولذا يقال له ذو العمرين ، لأن الناس ينامون في الليل وهو ساهر فيه ، ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها إلا بالليل ، فانثنى له بذلك العمر ، وقد كان بعض الرؤساء بالمغرب يقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الميتتين وذو القبرين ، وبيان كونه ذا الوزارتين أنه كان وزير السلطان يوسف بن إسماعيل الأنصاري الخزرجي بالأندلس ، ووزير ابنه محمد من بعده ، ثم لما تغير ما بينهما فرَّ منه إلى سلطان المغرب عبد العزيز بن أبي الحسن المريني فقبِله واستوزره ، وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب،

وبيان كونه ذا الميتتين وذا القبرين : أنه خنق أولا فمات وأقبر ، ثم إنه أخرج من قبره ، وفعل به سبب الموت مرة ثانية وهو الاحراق بالنار ، ثم أقبر مرة ثانية فكان كأنما مات مرتين ، ودفن في قبرين .

ألف رحمه الله تآليف كثيرة نحو الستين في كل فن ، وأكثرها في الأدب والتاريخ والطب ، منها : (التاج المحلى ، في مساجلة القدح المعلى) في سفرين ، و (الكتيبة الكامنة ، في أدباء المئة الثامنة) ، و (الاكليل الزاهر ، فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر) ، و (بستان الدول)، كمل منه نحواً من ثلاثين سفراً ، و (عائد الصلة) في سفرين » وكتاب (الاحاطة ، بما تيسر من تاريخ غرناطة) في ثمانية أو تسعة أسفار ، و (طرفة العصر ، في دولة بني نصر) في ثلاثة أسفار ، وكتاب (الوصول ، لحفظ الصحة في الفصول) في سفر ، وديوان شعر في سفرين ، (ونفاضة الجراب ، في علالة الاغتراب) في أربعة أسفار ، حاوٍ لرواية واسعة ، وتراجم كثير من كبار من أجاز له ، فهو كالفهرس له ، بعضه مأخوذ بالتصوير الفتوغرافي عن أصل أندلسي يوجد الآن في مكتبة الاسكوريال ببلاد إسبانيا ، وقد نقل عنه ابن غازي كثيراً من تراجم المكناسيين في كتابه (الروض الهتون) ، و (ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب) في ثمانية أسفار ، وله في التصوف (روضة التعريف ، بالحب الشريف) ، وهو كتاب غريب المنزع ، ضمنه من التصوف وعبارات أهله العجب العجاب ، وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة ، وبذلك سجل عليه أعداؤه في نكبته الأخيرة التي ذهبت فيها نفسه ، ونسبوه إلى الزندقة والانحلال من ربقة الاسلام بتنقص النبي عليه السلام ، والقول بالحلول والاتحاد ، والانخراط في سلك أهل الالحاد ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، وله أيضاً (حمل الجمهور ، على السنن المشهور) ، و (سد الذريعة، في تفضيل الشريعة) ، و (استنزال اللطف الموجود ، في سر الوجود) ، و (إعلام الأعلام ، بمَن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام) في ثلاثة أسفار من آخر ما ألف ، و (رقم الحلل ، في نظم الدول) في غاية الحلاوة والعذوبة والجزالة وشرحه ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، وقد طبعا معاً ، وأحد أجزاء (الاعلام) .

وللمقّري مؤلف (نفح الطيب) :

تصانيف الوزير ابن الخطيـــــب أَلَذّ من الصبا الغض الرطيــــب
فأية راحة ونعيم عيــــــــــش توازي كتبه أم أي طيـــــــــب

ولــغــيــره :

وما زمن الشباب وأنت تجـــــري مع الأحباب في لهو وطيـــــب
ووصل من حبيب بعد هجـــــر بأحلا من كلام ابن الخطيـــــب

قال ابن خلدون ، بعد ذكر المترجم ، وامتلأ حوض السلطان مـن نظمه ونثره ،مع انتقاء الجيد منه ، وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما ، وامتـدح السلطان أبا الحجاج مـن ملوك بني الأحمر ، ومـلأ الدولة بمدائحه ، وانتشرت في الآفاق قدماه فرقاه السلطان إلى خدمته ، وأثبته في ديوان الكتاب ببابه ، مرؤوساً بأبي الحسن ابن الجياب شيخ العدوتين فـي النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عند ما قتل وزيره محمد ابن الحكيم المستبد عليه كما مر في أخبارهم ، فاستبد ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمئة ، فولى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد ابن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه ، وثناه بالوزارة ، ولقبه بها ، فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب مـن الترسيل في مكـاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ، ثم داخلـه السلطان في تولية العمال عـلى يديه بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا ، وبلغ به المخالصة إلى حيث لم يبلغ بأحد من قبله ، وسفر عنه إلى السلطان أبي عنان ملك بني مرين بالعدوة ، مغريـاً بأبيه السلطان أبي الحسن ، فجلى في أغراض سفارته ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه بعض الزعانف يوم الفطر بالمسجد في سجوده للصلاة وطعنه فأشواه لوقته ، وتعاورت سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فمزقوه أشلاء ، وبويع ابنه محمد بالأمر لوقته ، وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الأصاغر من ملوكهم ، واستبد

بالدولة وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه ، واتخذ لكتابته غيره ، وجعل ابن الخطيب رديفاً له في أمره ، وتشاركا في الاستبداد معاً ، فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيراً إلى السلطان أبي عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذي معه من وزراء الأندلس وفقهائها ، فاستأذنه في إنشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه ، فأذن له : وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر	علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته	ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجا	لنا ، وفي المَحْل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس	لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت حبلهم	ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم نفوسهم	فوجهوني إليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له بالجلوس ، وقال له قبل أن يجلس : ما ترجع إليهم إلا بجميع مطالبهم ، ثم أثقل كاهلَهم بالاحسان ، وردهم بجميع ما طلبوه .

وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف ـ وكان معه في ذلك الوفد ـ : لم يُسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا ، ومكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين ، ثم نازلهم محمد الرئيس ابن عم السلطان يشاركه في جده الرئيس أبي سعيد ، وتحين خروج السلطان إلى منتزهه خارج الحمراء ، وتسوَّر دار الملك المعروفة بالحمراء فأخرجه ، وبايع له ، وقال بأمره مستبداً عليه ، واحتس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان ، فركب بادياً إلى وادي آش وضبطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب ، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب ، وضيق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس ، كما مر ، وكان غالباً على هوى السلطان

أبي سالم ، فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش ، يعده زبوناً على أهل الأندلس ، ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمحوا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه ، وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب ، وحل معتقله فأطلق ، وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب السلطان ، وقدموا على السلطان أبي سالم ، فاهتز لقدوم ابن الأحمر (1) ، وركب في الموكب لتلقيه ، وأجلسه إزاء كرسيه ، وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر يستصرخ السلطان بنصره ، فوعده ، وقد كان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مثواه ، وأرغد نزله ، ووفر أرزاق القادمين في ركابه ، واختص به ، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ، واستأذن السلطان في التحول إلى جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها ، فأذن له ، وكتب إلى العمال باتحافة ، فتباروا في ذلك ، وحصل منه على حظ ، وعندما مر بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبي الحسن ، وأنشد قصيدته على روي الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة ، مطلعها :

إن بان منزله وشطت داره ... قامت مقام عيانه أخباره
قسم زمانك عِبرة أو عَبرة ... هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة فشفعوه ، واستقر هو بسلا منتبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ، ثم عاد السلطان محمد المخلوع إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبعث عن مخلفه بفاس من الأهل والولد ـ والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن علي ـ فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره ، فسر السلطان بمقدمه ، ورده إلى منزلته كما كان مع رضوان كافله ، وكان عثمان بن يحيى عمر شيخ

1) تقدمت في 307 من ج 7 من تاريخ ابن خلدون ، وستأتي (مؤلف) .

الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية في ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى العدوة ، وأقام عثمان بدار الحرب ، فصحب السلطان في مثوى اغترابه هنالك ، وتقلب في مذاهب خدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد ما يئسوا من الفتح على يديه ، فتحولوا عنه إلى ثغور بلاده ، وخاطبوا عمر بن عبد الله في أن يمكنهم من بعض الثغور الغربية التي أطاعتهم بالأندلس يرتقبون منها الفتح ، وخاطب ابن خلدون السلطان المخلوع في ذلك ، وكانت بينه وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية متأكدة ، فوفي للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله ، وحمله على أن يرد عليه مدينة رندة إذ هي من تراث سلفه ، فقبل إشارته في ذلك ، وتسورها السلطان المخلوع ونزل بها عثمان بن يحيى في جملته وهو مقدم في بطانته ، ثم غزوا منها مالقة ، فكانت ركاباً للفتح ، وملكها السلطان ، واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة ، وعثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة عريق في المخالصة ، وله على السلطان دالة واستبداد على هواه ، فلما فصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعاده السلطان إلى مكانه من الدولة من علو يده وقبول إشارته ، أدركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الأعياص على ملكه ، فحذره السلطان ، وأخذ في التدبير عليه حتى نكبه وأباه وإخوته في رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم المطبق ، ثم غربهم بعد ذلك ، وخلا لابن الخطيب الجو ، وغلب على هوى السلطان ، وأخذ ودفع إليه تدبير المملكة ، وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعلقت عليه الآمال ، وغشي بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتفننوا في السعايات فيه وقد صم السلطان عن قبولها ، ونما الخبر بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمر عن ساعده في التقويض عنهم ، واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ملك العدوة يومئذ في التقبض على ابن عمه عبد الرحمان بن أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي، كانوا قد نصبوه شيخاً على الغزاة في الأندلس لما أجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها لطلب الملك ، وأضرم بها نار الفتنة في كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بني

مرين ، فاضطر إلى الاجازة إلى الأندلس فأجاز هو ووزيره مسعود ابن ماسي، ونزلوا على السلطان المخلوع أعوام سبعة وستين ، فأكرم نزلهم ، وتوفي علي ابن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمان مكانه ، وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد قتلـه الوزير عمر بن عبد الله ، فغض بمـا فعله السلطان المخلوع من ذلك ، وتوقع انتقاض أمره منهم ، ووقف على مخاطبات من عبد الرحمان يسر بها في بني مرين، فجزع لذلك، وداخله ابن الخطيب في اعتقال ابن أبي يفلوسن وابن ماساي واراحة نفسه من شغبهم على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه، فأجابه إلى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره إلى الأندلس وكاتبه أبي يحيى ابن أبي مدين، وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبي يفلوسن وابن ماساي ، فتقبض عيلهما واعتقلهما ، وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية، وربمـا تخيل له أن السلطان مال إلى قبولها وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب، وأستأذن السلطان في تفقد الثغور الغربية ، وسار إليها في لمة من فرسانه ، ومعه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب لطيته ، فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز إلى العدوة مال إليه وسرح أذنه بين يديه ، فخرج قائد الخيل لتلقيه ، وقد كان السلطان عبد العزيز قد أوعز إليه بذلك ، وجهز إليه الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سبتة ، وتلقاه ولاتـها بأنواع التكرمة وامتثال الأوامر ، ثم سلك لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين بمُقامه من تلمسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأحلـّـه بمجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى ابن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في طلب أهله وولده، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة، ثم لغط المنافسون له في شأنه، وأغروا سلطانه بتتبع عثراته ، وأبدوا ما كان كامناً في نفسه من سقطات دالته، وإحصـاء معايبه ، وشاع على السنة أعدائـه كلمات منسوبة إلى الزندقـة أحصوها عليه، ونسبوها إليه ، ورفعت إلى قاضي الحضرة أبي الحسن ابن الحسن فاستردها وسجل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث

القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصمم عن ذلك وأنف لذمته أن تخفر ، ولجواره أن يُرد، وقال لهم: هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ؟ وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جواري ، ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الأندلس في جملته ، فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا تلمسان ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر ابن غازي القائم بالدولة ، فنزل بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها السلطان المتوفى ، واتصلت حاله على ذلك (1) .

وقال ابن خلدون أيضاً : لما استولى السلطان أحمد على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين واستقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه، وسليمان بن داوود من أعراب بني عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب وإسلامه إليه لما نما إليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أحمد من طنجة ولقي الوزير أبا بكر ابن غازي بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار آوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد خوفاً على نفسه ، فلما استولى السلطان على البلد أقام أياماً ، ثم أغراه سليمان بن داوود بالقبض عليه فقبضوا عليه وأودعوه السجن ، وطيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ، وكان سليمان بن داوود شديد العداوة لابن الخطيب ، بما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز إليه سليمان سفيراً عن عمر بن عبد الله ، ومقتضياً عهده من السلطان فصده ابن الخطيب عن ذلك بأن تلك الرياسة إنما هي لاعياص الملك من آل عبد الحق ، لأنهم يعسوب زناتة ، فرجع آيساً ، وحقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاور الأندلس بمحل إمارته من جبل الفتح ، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات

---

1) **كتاب العبر** (تاريخ ابن خلدون) 7 :689 طبع بيروت .

يتنفّس كل منهما لصاحبه بما يحفظه لما كمن في صدورهما ، وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان ، بعث كاته ووزيره بعد ابن الخطيب — وهو محمد ابن زمرك — فقدم على السلطان أحمد ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابته ، فعظم عليه النكير فيها ، فوبخ ونكل ، وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ من الناس، ثم تل إلى محبسه، واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأفتى بعض الفقهاء فيه ، ودس سليمان بن داوود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خنقاً في محبسه ، وأخرجوا شلوه من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق ، ثم أصبح من الغد على شفة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه ناراً فاحترق شعره واسود بشره وأعيد إلى حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هناته ، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفعال لما يريد .

وكان — عفا الله عنه — أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت ، فتجيش هواتفه بالشعر ، ويبكي نفسه ، ومما قال في ذلك :

بُعدنا وإن جاورتنا البيـــوت	وجئنا بوعظ ونحن صمـــوت
وأنفاسنا سكنتْ دفعـــة	كجهر الصلاة تلاه القُنـــوت
وكنا عظاماً فصرنا عظامـــاً	وكنا نقوت فها نحن قـــوت
وكنا شموس سماءِ العـــلا	غربن ، فناحت عليها السمـــوت
فكم جدلت ذا الحسام الظبـــا	وذو البخت كم جدلتْه البخـــوت
وكم سيق للقبر في خرقـــة	فتى مُلئت من كساه التخـــوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيـــب	وفات ، ومن ذا الذي لا يفـــوت ؟
فمن كان يفرح منكم لـــه	فقل يفرح اليوم من لا يمـــوت (1)

1) كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) 7 : 707 طبع بيروت .

وقال في (إنباء الغمر) لدى سنة 776 حين ترجمه فيها ما نصه : واشتهر أنه نظم حين قدم للقتل الأبيات المشهورة التي يقول فيها :

فقل للعدى ذهب ابن الخطيب ... وفات ، فسبحان مَن لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به ... فقل يشمت اليوم مَن لا يموت

والصحيح في ذلك ما ذكره صديقنا وشيخنا ولي الدين ابن خلدون أنه نظم الأبيات المذكورة وهو في السجن لما كان يستشعر من الفتك به ، انتهى .

وقال في (تاريخ الدولتين) ، بعد ذكر المترجم ، ما نصه : سمعت بعض الشيوخ يحكي أن من نظمه في اليوم الذي قتل فيه :

قف كي ترى مغربَ شمس الضحى ... بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلا بها ... كان وحيد العصر في المغرب

وقال في (خلاصة الاثر) ، لدى ترجمة أحمد المقْري ما نصه بعد ذكر المترجم : ومن أعجب ما وقع له أنه كان نظم هذا المقطوع (قف لترى مغرب) البيتين ، فاتفق أنه قتل بين هاتين الصلاتين ، فالمراد من (شمس الضحى) نفسه ، وقوله (واسترحم الله قتيلا بها) معناه : اسأل الله رحمة للقتيل بشمس الضحى ، فضمير بها عائد إلى شمس الضحى على سبيل الاستخدام ، وكلا المعنيين مجازي انتهى .

وقال ابن خلدون قبل ذلك ـ لما ذَكَر خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة وتوجيه أبي سالم المريني سلطان المغرب الشريف أبا القاسم من أهل مجلسه للأندلس للاتيان بالمخلوع مع وزيره المترجم الذي كان اعتقل ، فأجازوا إلى المغرب وقدموا على السلطان بفاس وأجلَّ قدوم المخلوع ـ ما نصه : ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ، ويستحثه لمظاهرته على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ، ونص القصيدة :

سلا هل لديها من مخبرة ذكـــر ؟ … وهل أعشب الوادي ونمَّ به الزهر؟

وهل باكر الوسميُّ داراً على اللوى … عفت آيها إلا التوهم والذكـــر

بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى … بأكنافها ، والعيش فينان مخضـر

وجوى الذي ربَّى جناحيَّ وكـره … فها أنا ذا ما لي جناح ولا وكـر

نبت بيَّ لا عن جفوة وملالـــة … ولا نسخ الوصلَ الهنيَّ لها هجر

ولكنها الدنيا قليل متاعهـــا … ولذاتها دأباً تزور وتـــزور

فمن لي بنيل القرب منها ، ودوننا … مدى طال حتى يومه عندنا شهـر

ولله عينا من رآنا ، وللأســـى … ضرام له في كل جانحة جمـــر

وقد بددت در الدموع يد النـوى … وللبين أشجان يضيق لها الصـدر

بكينا على النهر الشروب عشيـة … فعاد أجاجاً بعدنا ذلك النهـــر

أقول لاظعاني وقد غالها الســرى … وآنسها الحادي وأوحشها الزجـر

رويدك بعد العسر يسر فأبشـري … بانجاز وعد الله قد ذهب العســر

وإن تجبن الأيام لم تجبن النهـى … وإن يخذل الأقوام لم يخذل الصبر

وإن عركت مني الخطوب مجربـاً … نقاباً تساوى عنده الحلو والمـــر

فقد عجمت عوداً صليباً على النوى … وعزماً كما تمضي المهندة البتـــر

إذا أنت بالبيضاء قررت منزلـي … فلا اللحم حل ما جنيت ولا الظهر

زجرنا بابراهيم مليء همومنـــا … فلما رأينا وجهه صدق الزجـــر

بمنتخب من آل يعقوب كلمـــا … دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر

تناقلت الركبان طيب حديثـــه … فلما رأته صدق الخَبَرَ الخُبـــر

ندى لو حواه البحر لذَّ مذاقـــه … ولم يتعقب مده أبداً جـــزر

وبأس غداً يرتاع من خوفه الردى … وترفل في أذياله الفتية البكـــر

أطاعته حتى العصم في قنن الربا … وهشَّت إلى تأميله الأنجم الزهر

* * * *

قصدناك يامولى الملوك على النوى … لتنصفنا لما جنى عبدك الدهـــر

كففنا بك الأيام عن غلوائهـــا … وقد رابنا منها التعسف والكبـــر

وعذنا بذاك المجد ، فانصرف الردى، … ولذنا بذاك العز، فانهزم الشـر

ولما أتينا البحر نرهب موجـــه … ذكرنا نداك الغمر ، فاحتقر البحر

خلافتك العظمى ، ومن لم يدن بها … فايمانه لغو ، وعرفانه نكر

ووصفك يهدي المدح قصد صوابه … إذا ضل في أوصاف مَن دونك الشعر

دعتك قلوب المسلمين وأخلصت … وقد طاب منها السر لله والجهر

ومدت إلى الله الأكف ضراعة … فقال لهنَّ الله قد قُضِيَ الأمر

وألبسها النعمى ببيعتك التي … لها الطائر الميمون والمحتد الحر

فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكاً … وقد كان مما نابه ليس يفتر

وأمَّنت بالسلم البلاد وأهلها … فلا ضيمة تعدو ولا روعة تعرو

وقد كان مولانا أبوك مصرحاً … بأنك في أولاده الولد البر

وقد كنت حقا بالخلافة بعده … عن الفور ، لكن كل شيء له قدر

فأوحشت من دار الخلافة هالة … أقامت زماناً لا يلوح بها البدر

وردَّ عليك الله حقك ، إذ قضى … بأن تشمل النعمى وينسدل الستر

وقاد إليك الملك رفقاً بخلقه … وقد عدموا رُكن الامامة واضطروا

وزادك بالتمحيص عزا ورفعة … وأجراً، ولولا السبك ما عرف التبر

وأنت الذي تُدعى إذا دهم الردى، … وأنت الذي تُرجى،إذا أخلف القطر

وأنت إذا جار الزمان بحكمه … لك النقض والابرام والنهي والأمر

وهذا ابن نصر قد أتى ، وجناحه … كسير ، ومن علياك يُلتمس النصر

غريب يرجي منك ما أنت أهله … فان كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخر

فعد ياأمير المسلمين لبيعة … موثقة قد حل عقدتها الغدر

ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا … بآل مرين جاءه العز والنصر

وخذ ياإمام الحق للحق ثأره … ففي ضمن ما تأتي به العز والأجر

وأنت لها ياناصر الحق ، فلتقم … بحق ، فما زيد يُرجى ولا عمرو

فان قيل مال ، مالك الدثر وافر ، … وإن قيل جيش ، عندك العسكر المجر

يكف بك العادي ويحيى بك الهدى … ويبني بك الاسلام ما هدم الكفر

أعده إلى أوطانه عنك ثانيا … وقلده نعماك التي ما لها حصر

وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها … فقد صدهم منك التغلب والقهر

وهم يرقبون الفعل منك ، وصفقة … تحاولها يمناكِ ، ما بعدها خسر

مرامك سهل لا يؤودك كفله … سوى أنه عرض له في العلا حظر

وما العمر إلا زينة مستعـــــارة ... ترد ، ولكن الثناء هو العمـــــر
ومن باع ما يفنى بباق مخلـــد ... فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبقيه يامالكَ العـــلا ... جياد المذاكى والمحجلة الغـــر
وراد وشقر واضحات شياتهـــا ... فأجسامها تبر وأرجلهـــا در
وشهب إذا ما ضمرت يومَ غـارةٍ ... مصممة غارت بها الأنجم الزهـــر
وأسد رجال من مرين أعـــــزة ... عمائمها بيض وآسالها سمـــــر
عليهم من الماذيٍّ كل مفاضـــة ... تدافع في أعطافهااللجج الخضـــر
هم القوم إن هبوا لكشف ملمـــة ... فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
إذا سئلوا أعطوا، وإن نوزعوا سطوا، ... وإن وعدوا وفوا، وإن عاهدوا بروا
وإن سمعوا العواء وافوا بأنفـس ... حرام على هماتها في الوغى الفـر
وإن مدحوا اهتزوا ارتياحاً كأنهـم ... نشاوى تمشت في معاطفهمخمـــر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهـــم ... وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر

* * * *

أمولاي غاضت فكرتي وتبلـــدت ... طباعي ، فلا طبع يعين ولا فكـــر
ولولا حنان منك داركتَني بــــه ... وأحييتني لم يبق عين ولا أثـــر
فأوجدت مني فائتاً أي فائـــت ... وأنشرت ميتاً ضم أشلاءه قبـــر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمــــه ... بأهل،فحل اللطف وانشرح الصدر
وطوقتني النعمى المضاعفة التـي ... يقل عليها منيٌّ الحمد والشكـــر
وأنت بتتميم الصنائع كافـــل ... إلى أن يعود العز والجاه والوفـــر
جزاك الذي أسنى مقامك رحمـة ... تفك بها العاني وينفس مضطـــر
إذا نحن أثنينا عليك بمدحـــة ... فهيهات يُحصيالرملأو يُحصر القطر
ولكننا نأتي بما نستطيعــــه ... ومن بَذل المجهود حُق له العذر (1)

وقال في ترجمته من (الجذوة) من نظمه في التورية :

كتبت بدمع عيني صفح خـــدي ... وقد منع النبي هجر الخليـــل
وراب الحاضرين فقلت هـــذا ... كتاب العين ينسب للخليـــل

---

1) **كتاب العبر** (تاريخ ابن خلدون) 7 : 638 طبع بيروت .

وله أيضاً :

ولما رأت عزمي حثيثاً على النوى — وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بصحاح الجوهري دموعهـــا — فعارضت من عيني بمختصر العين

وله أيضاً :

مضجعي فيك عن قتادة يـــــروي — وروى عن أبي الزناد فــــؤادي
وكذا النوم شاعراً فيك أمســـي — من دموعي يهيم في كـــل وادي

وله أيضاً :

حين ساروا عني وقد خنقتنـــي — عبرات قد عبَّرتْ عن ولوعـــي
صحت من ينصر الغريب ؟ فلمـا — لم أجد ناصراً بلعت دموعـــي

وله وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام :

جلس المولى لتسليم الـــــورى — ولفصل البرد في الجو احتكـــام
فاذا ما سألوا عن يومنـــــا — قلت هذا اليوم برد وســـــلام

وله أيضاً :

بأبي ظبياً غزانـــــــــــي — مستبيحاً سرح صـــــدري
فأنا اليوم شهيد الحـــــ — ـب من غزوة بـــــــدر

وله فيمن ركب البحر وماد :

ركب السفينة واستقل بأفقهـــا — فكأنما ركب الهلال الفرقـــد
وشكوا إليَّ بميده فأجبتهـــــم — لا غروَ أن ماد القضيب الأملد

وله أيضاً :

وعجلتُ وخط الشيب في مفرق الصبا — لخوضي غمار الهم في طلب المجد
فمهما رأيتم شيبة في مفارقـــي — فلا تنكروها إنها شيبة الحمـــد

وله أيضاً :

يامن تقلد للعلاء سلوكـــــــاً   والفضل أضحى نهجه مسلوكـــا
كاتبتني متفضلا فملكتنـــــي   لا زلت منك مكاتباً مملوكـــا

وله أيضاً في غرناطة :

بلد تحف به الرياض كأنـــــه   وجه جميل والرياض عــــذاره
وكأنما واديه معصم غـــــادة   ومن الجسور المحكمات ســـواره

وله أيضاً في جبل شلير :

شلير لعمري أساء الجـــــوار   وسد عليَّ رحيب الفضـــــا
هو الشيخ أبرد شيء يـــــرى   إذا لبس البرنس الأبيضـــا

وله أيضاً :

ياليل طلت ولم تجد بتنســـــم   وأريتني خلق العبوس النـــادم
هلا رحمت تغربي وتفرقـــــي   لله ما أقساك ياابن الخـــادم

وله أيضاً في دواة وقلم :

ما رأت عيني عجيبـــــاً   كـــيـــراع فـــي دواة
غائصاً يستخرج الـــــدر   بـــبـــحـــر الظلمـــات (1)

قال أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر في (نثير الجمان) له : وأنشدني في الحنين إلى الأوطان الحاجب القائد الخطيب الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلا محمد ابن الخطيب السلماني بفاس يتشوق معاهده بالأندلس لما كان بالعدوة حين خلع عن ملكه مخدومه ابن عمنا السلطان الغني بالله محمد :

أحبكَ يامغنى الحقوق بواجـــب   وأقطع في أوصافك الغر أوقاتـــي
تقسم منك الترب أهلي وجيرتـــي   ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي

1) **جذوة الاقتباس** ص 308 ع 316 طبع الرباط .

وقال ابن قنفذ في (شرف الطالب) ما نصه بعد أن أرخ سنة 776 :
وفي هذه السنة توفي بمدينة فاس شيخنا الفقيه الكاتب الشهير محمد ابن الخطيب السلماني الغرناطي صاحب كتاب (الاحاطة ، في تاريخ غرناطة) ، وكتاب (رقم الحلل ، في نظم الدول) ، وسمعت جملة من تواليفه بقراءته هو في مجالس مختلفة (1) .

وقال ابن الخطيب المترجم لما قدمت على مدينة فاس في غرض السفارة من الأندلس إلى السلطان أبي عنان خاطبني الخطيب الرئيس محمد ابن مرزوق التلمساني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه :

ياقادما وافى بكل نجاح ... أبشر بما تلقاه من أفراح
هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها ... تنل المنى وتفزْ بكل سماح
مغنى الامام أبي عنان يممنْ ... تظفر ببحر بالندا طفاح
من قاس جود أبي عنان في الندا ... بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله ... قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعدى (2) في الندا ... ذكر محاه عن نداه ماح
ما إن سمعت ولا رأيت بمثله ... من أريحيٍّ للندا مرتاح
بسط الأمان على الأنام فأصبحوا ... قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيبُ نواله ... حتى حكى سحَّ الغمام الساحي
فنواله وجلاله وفعاله ... فاقت وأعيتْ ألسُنَ المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت ... كل المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤية وجهه ... متلافة الأحزان والأتراح
فانهض أبا عبد الالاه تفزْ بما ... تبغيه من أمل ونيل نجاح
لا زلتَ ترتشف الأماني راحة ... من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله ياسيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى ، حمداً يؤم به جميعنا المقصد الأسنى فيبلغ الأمد الأقصى ، فطالما كان معظم سيدي للأسى

1) وفيات ابن قنفذ ص 370 طبع بيروت .
2) أوس بن حارثة الطائي .

في خبال ، وللأسف بين اشتغال بال واشتعال بلبال ، ولقدومكم على هذا المقام المولوي في ارتقاب ، ولمواعيدكم بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب ، فها أنت تجتلي من هذا المقام العلي بتشيعك وجوه المسرات صباحاً ، وتتلقى أحاديثَ مكارمه ومواهبه مسندة صحاحاً ، بحول الله تعالى ، ولسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل إليه بسرجه ولجامه ، فهو من بعض ما لدى المعظم من إحسان مولاه وإنعامه ، ولعمري لقد كان وافداً على سيدي في مستقره مع غيره ، فالحمد لله الذي يسر في إيصاله على أفضل أحواله .

قال ابن الخطيب فراجعته بما نصه :

راحتْ تذكرني كؤوسَ الراح ... والقرب يخفضُ للجنوح جناحي
وسرتْ تدل على القبول كأنما ... دلَّ النسيم على انبلاج صباح
حسناء قد غنيَت بحسن صفاتها ... عن دملج وقلادة ووشاح
أمستْ تحض على اللياذ بمن جرت ... بسعوده الأقلام في الألواح
بخليفة الله المؤيد فارس ... شمس المعالي الأزهر الوضاح
ما شئتَ من شيم ومن همم غدت ... كالزهر أو كالزهر في الأدواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه ... أنى يقاسُ الغمر بالضحضاح ؟
أنسى بني عباسهم بلوائه الـ ... ـمنصور أو بحسامه السفاح
وغدتْ مغاني الملك لما حلها ... تزري ببدر هدى وبحر سماح
وحياة مَن أهداك تحفة قادم ... في العرف منها راحة الأرواح
ما زلتُ أجعل ذكره وثناءه ... روحي وريحاني الأريج وراحي
ولقد تمازج حبه بجوارحي ... كتمازج الأجسام بالأرواح
ولو أنني أبصرت يوماً في يدي ... أمري لطرتُ إليه دون جناح
فالآن ساعدني الزمان وأيقنت ... من قربه نفسي بفوز قداحي
أيهٍ أبا عبد الاله وإنه ... لنداءُ ودٍ في علاك صراح
أما إذا استنجدتني من بعد ما ... ركدت لما جنت الخطوب رياحي
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ" ... قررت عجزي واطرحتُ سلاحي

سيدي أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولاء بعين الوفاء تلحظه ، وصلتني رقعتك التي أبدعت ، وبالحق من مولى الخليقة صدعت ، وألفتْني وقد سطت بي الأوحال ، حتى كادت تُتلف الرحال ، والحاجة إلى الغذاء قد شمرت عن كشح البطين ، وثانية العجماوين قد توقع فواتَ وقتها وان كانت صلاتُها صلاةَ الطين ، والفكر قد غاض معينه ، وضعف وعلى الله جزاء المولى الذي يعينه ، فغزتني بكتيبة بيان أسدها هصور ، وعلمها منصور ، وألفاظها ليس فيها قصور ، ومعانيها عليها الحسن مقصور ، واعتراف مثلي بالعجز في المضائق حول ومنة ، وقول « لا أدري » للعالم فكيف لغيره جُنة ، لكنها بشرتني بما يقل لمؤديه بذل النفس وإن جلت ، وأطلعتني من البسراء على وجه تحسده الشمس إذا تجلت ، بما أعلمتني به من جميل اعتقاد مولانا أمير المومنين أيده الله في عبده ، وصدق المخيلة في كرم مجده ، وهذا هو الجود المحض ، والفضل الذي شكره هو الفرض ، وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال ، من قبل الضراعة والسؤال ، غير اعتبار للأسباب ولا مجازاة للأعمال ، نسأل الله تعالى أن يبقي منها على الاسلام أوفى الظلال ، ويبلغها من فضله أقصى الآمال .

ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهدية ، والتحفة الودية ، وقبلتها امتثالا ، واستجليت منها عتقا وجمالا ، وسيدي في الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس ، وأقدر على الاستكثار من إناث البهم والأنس ، وأنا ضعيف القدرة ، غير مستطيع لذلك إلا في الندرة ، فلو رأى سيدي ورأيه سداد ، وقصده فضل ووداد ، أن ينقل القضية إلى باب العارية من باب الهبة ، مع وجود الحقوق المترتبة ، لبسط خاطري وجمعه ، وعمل في رفع المؤونة على شاكلة حالي معه ، وقد استصحبتُ مركوباً يشقُ علي هجره ، ويناسب مقامي شكله ونجره ، وسيدي ، في الاسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض ، وفرض فرض ، وعلى نظره المعول ، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول .

والسلام على سيدي من معظم قدره ، وملتزم بره : ابن الخطيب .

في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمئة ، والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان ، وظُن أنه الطوفان ، واللحاق في غدها بالباب المولوي مؤمل بحول الله انتهى (1) .

وكان ابن الخطيب المترجم رحمه الله لما انتقل لبلاد العدوة عنّ له رأي في التزهد والانقطاع إلى الله تعالى واغتنام بقية العمر فيما يعود عليه نفعه في العاجل والآجل ، ورفض السلطان وأسبابه ، وترك ما يلجئه للوقوف ببابه ، فتلطف في استيذان السلطان أبي سالم رحمه الله ، وطلب منه الاذن في الذهاب إلى جهات مراكش ، والوقوف على آثار الأقدمين بها ، والتطارح على أوليائها والمثول باعتابها ، والتعلق بأذيالها ، والتمسك بأسبابها ، جاعلا ذلك مفتاح العزلة ، والتخلي عن الدولة ، فأذن له وكتب إلى العمال باتحافه والاعتناء به ، فتباروا في ذلك كما يفصح عنه بعض شعره الآتي ، وجعل طريقه على مدينة سلا ، فتأمل أحوالها ورآها أوفق لمراده في العزلة ، فأضمر الاستيطان بها عند عوده من وجهته ، ولما دخل مدينة آنفا وهي الدار البيضاء ، مرّ بها على دار عظيمة تنسب إلى والي جبايتها عبو من بني الترجمان ، قارون قومه ، وغني صنفه ، وكان قد هلك قبل ذلك ، فقال ابن الخطيب :

قد مررنا بدار عبّو الوالي ... وهي ثكلى تشكو صروفَ الليالي
أقصدت ربَّها الحوادثُ لما ... رشقته بصائبات النبال
كان بالأمس والياً مستطيلا ... وهو اليوم ما له من والي

وأظنه في هذه الوجهة خاطب شيخ العرب مبارك بن إبراهيم بن عطية بن مهلهل الخلطي ونصُّ ما خاطبه به :

ساحات دارك للضياف مبارك ... وبضوء نار قراك يُهدى السالك
ونوالك المبذول قد شمل الورى ... طراً وفضلك ليس فيه مشارك
قل للذي قال الوجود قد انطوى ... والبأس ليس له حسام فاتك

1) **نفح الطيب** 6 : 64 طبع بيروت .

والجود ليس له غمام هاطـــــل / والمجد ليس له همام باتـــــك
جمع الشجاعة والرجاحة والنـدى / والبأس والرأي الأصيل مبـــارك
للدين والدنيا وللشيم العـــــلا / والجود إن شح الغمام السافـــك
عند الهياج ربيعة بن مكــــــدم / في الفضل والتقوى الْفُضَيْلُ ومالك(1)
ورث الجلالة عن أبيه وجـــــده / فكأنهم ما غاب منهم هالـــــك
فجياده للآملين مراكـــــــب / وخيامه للقاصدين أرائـــــك
فاذا المعالي أصبحت مملوكـــة / أعناقها بالحق فهو المالـــك
يافارس العرب الذي من بيتـــه / حرم لها حج به ومناســــك
يامَن يبشر باسمه قصـــــاده / فلهم إليه مسارب ومسالـــك
أنت الذي استاثرت فيك بغبطتي / وسواك فيه مآخذ ومتـــارك
لا زلت نوراً يهتدي بضيائـــه / من جنة للروع ليل حالـــك
ويخص مجدك من سلامي عاطـــر / كالمسك صاك به الغوالي صائك

الحمد لله تعالى الذي جعل بيتك شهيراً ، وجعلك للعرب أميـراً ، وجعل اسمك فالا ، ووجهك جمالا ، وقربك جاهاً ومالا ، وآل رسول الله صلى الله عليـه وسلم له لك آلا ، أسلم عليك ياأميـر العرب وابن أمرائها ، وقطـب سادتها وكبرائها ، وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ، ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى ، إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه ، واختلاف أشياعه ، مأمناً للخائف ، على كثرة المذاهب والطوائف، وصرف الألسنة إلى مدحك ، والقلوب إلى حبك ، وما ذلك إلا لسريرة لك عند ربـك ، ولقد كنت أيـام تجمعني وإياك المجالس السلطانيـة على معرفتك متهالكاً ، وطـوع الأمل سالكاً ، لمـا يلوح لي على وجهك مـن سيما المجـد والحياء ، والشيم الدالة على العلياء ، وزكـاء الأصول وكرم الآبـاء ، وكان والدي رحمـه الله قد عين للقاء خـال السلطان قريبكم لما توجـه

1) الفضيل بن عياض ومالك بن دينار أو مالك بن أنس .

2) الغوالى الطيوب جمع غالية وهى نوع من الطيب متميز معروف عندنا بالمغرب ، وصاك خلط ومزج .

في الرسالة إلى الأندلس نائبا في تأنيسه عن مخدومه ، ومنوها حيث حل بقدومه ، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة ، والوسائل المختلفة ، فعظم لأجل هذه الوسائل شوقي إلى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذي حلوله شرف وفخر ، ومعرفته كنز وذخر ، فلما ظهر الآن لمحل الأخ القائد فلان اللحاق بك ، والتعلق بسببك ، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضي والله تعالى ييسر في البعض ، عند تقرير الأمن وهدنة الأرض ، وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد ، وماجداً وابن أمجاد ، ومثلك لا يوصى بحسن جواره ، ولا ينبه على إيثاره ، وقبيلك في الحديث من العرب والقديم ، وهو الذي أوجب لها مزية التقديم ، لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى ، إنما فخرها عدو يغلب ، وثناء يجلب ، وجزور ينحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بحسب الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفني النشب ، وتمزقت الأثواب ، وهلكت الخيل العراب ، وكل الذي فوق التراب تراب ، وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، والأعراض تجلى وتصقل ، ولله در الشاعر (1) إذ يقول :

وإنما المرء حديث بعـــــده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعـــى

هذه مقدمة إن يسر الله بعدها لقاء الأمير ، فيجلي اللسان عما في الضميـر :

ومدحي على الأملاك وقف وإنمـا ... رأيتك منها فامتدحت على وسمي
وما كنت بالمُهدي لغيرك مدحتـي ... ولو أنه قد حل في مفرق النجم (2)

وقال في الشيخ ابن بطان الصنهاجي ، صنهاجة أزمور :

لله درك يابن بطان فمـــا ... لشهير جودك في البسيطة جاحـد
إن كان في الدنيا كريم واحـــد ... يزن الجميع فأنت ذاك الواحـــد

---

1) ابن دريد ، والبيت من مقصورته .

2) **نفح الطيب** 6 : 400 طبع بيروت .

أجريت فضلك جعفراً يحيى بـــه — ما كان من مجد فذكرك خالـد (1)
فالقو م منك تجمعوا في مفـــرد — ولد كما شاء العلاء ووالـــد
وهي الليالي لا تزال صروفهـــا — يشقى بموقعها الكريم الماجـــد
وبمستعين الله يصلح منك مـــا — قد كان أفسده الزمان الفاسد (2)

وقال رحمه الله عند ما توسط بسيط تامسنا (3) :

كأنا بتامسنا نجوس خلالهـــا — وممدودها في سيرنا ليس يقصر
مراكب في البحر المحيط تخبطت — ولا جهة تدرى ولا البر يبصـــر

وقال رحمه الله يخاطب أبا العباس أحمـد بن يوسف حفيد المولـى الصالح سيدي أبي محمد صالح النائم في ظل صيته رضي الله عنه :

ياحفيد الولي ياوارث الفخـــ — ـــر الذي نال في مقام وحـــال
لك ياأحمد بن يوسف جبنـــا — كل قطر يعيي أكف الرحـــال

وقال رحمه الله تعالى عقب الاياب من الرحلة المراكشية :

أفادت وجهتي بنداك مـــالا — قضى ديني وأصلح بعض حالـــي
ومتعت الخواطر بانشـــراح — وأطرفت النواظر باكتحـــال
وأبت خفيف ظهر ، والمطايـــا — بجاهك تشتكي ثقل الرحـــال
وشأني للمعالم غير شـــأن — وحالي بالمكارم جد حـــال
فحب علاك إيماني وعقـــدي — وشكر نداك ديني وانتحالـــي
كما قد صح لله انقطاعـــبي — بتأميلي جنابك وارتحالـــي
وما يبقى سوى فعل جميـــل — وحال الدهر لا تبقى بحـــال
وكل بداية فالى انتهـــاء — وكل إقامة فالى ارتحـــال
ومن سام الزمان دوام أمـــر — فقد وقف الرجاء على المحـــال

---

1) يورى بجعفر ويحيى والفضل وخالد البرمكيين .

2) ازهار الرياض 1 : 288 .

3) تامسنا البسيط الممتد بين نهر أبي رقراق ونهر أم الربيع ، وعلى الأخص سهـول الشاوية الحالية ، وقد اندثر هذا الاسم اليوم وبقيت النسبة اليه : المسناوى وامسناو .

وقال في (نفاضة الجراب) : لما خرجت من آسفي سرت إلى منزل ينسب إلى أبي حدو ، وفيه رجل من بني المنسوب إليه اسمه يعقوب فألطف وأجزل وآنس في الليل وطلبني بتذكرة تثبت عندي معرفته ، فكتبت له :

نزلنا على يعقوب نجل أبي حـــدو ... فعرفنا الفضل الذي ما له حـــد
وقابلنا بالبشر واحتفل القـــرا ... فلم يبق لحم لم ننله ولا زبـــد
يحق علينا أن نقوم بحقـــه ... ويلقاه منا البر والشكر والحمـد

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

زحفت إليّ ركائب البرغـــوث ... نم الظلام بركبها المحثـــوث
بالحبة السوداء قابل مقدمـــي ... لله أي قرى أعد خبيـــث
كسحت بهن ذباب سرح تجلـدي ... ليلا فحبلُ الصبر جدُّ رثيـــث
إن صابرتْ نفسي أذاه تعذبـــتْ ... أو صحتُ منه أنفتُ من تحنيـث
جيشان من ليل وبرغوث ، فهـل ... جيش الصباح لصرختي بمغيث(1)

ولما استقر بسلا واطمأن جنبه بها ، قال :

أياأهل هذا القطر ساعده القطـــر ... بليت فدلوني لمن يرفع الأمـــر
تشاغلت بالدنيا ونمت مفرطـــا ... وفي شغلي أو نومتي سرق العمـر

ثم حرص على لقاء الشيخ ابن عاشر رضي الله عنـه حتى ظفر بـه ، فعظم سروره بذلك ، وتبجح به إذ قال في (نفاضة الجراب) : ولقيت من أولياء الله تعالى بسلا الولي الزاهد الكبير المنقطع القرين فراراً عن زهرة الدنيا ، وعزوفاً عنها ، وإغراقاً في الورع ، وشهرة بالكشف وإجابـة الدعوة وظهور الكرامات ، أبا العباس ابن عاشر يسر الله تعالى لقاءه على تعذره لصعوبـة تأتيه ، وكثافة هيبته ، قاعداً بين القبور في الخلاء ، رث الهيأة مطرق اللحظ كثير الصمت ، مفرط الانقباض والعزلة ، قد ضرسه أهل الدنيا وتطارحهم ، فهو شديد الاشمئزاز من قاصده ، مزمجر للوثبة من طارقه ، نفع الله به .

انتهى كلامه في (النفاضة) .

---

1) نفح الطيب 6 : 484 .

وقال رحمه الله تعالى من قصيدته العينية السلوية التي وجهها إلى سلا أيام خلف بها أهله وولده :

لولي الله فابدأ وابتدر واحدَ الآحاد في باب الورع

ومراده بولي الله ابن عاشر المذكور .

ثم إن ابن الخطيب بعد رجوعه من مراكش جعل ينتاب رباط شالة مدفن الملوك من بني مرين ، ومنهم السلطان أبو الحسن رحمه الله ، للدعاء وقراءة القرآن بها ، وتعاهدها ، وقد كتب بذلك إلى السلطان أبي سالم، وطلب منه أن يشفع له عند أهل الأندلس في رد متاعه الذي أتلفوه عليه أيام النكبة ، ونص الكتاب :

مولاي المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة وإحراز الفخر ، أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الأمثال في البر والرضى ، وعلو الهمة ، ورعي الوسيلة .

مقبل موطيء قدمكم ، المنقطع إلى تربة المولى والدكم ، ابن الخطيب ، من الضريح المقدس بشالة ، وقد حط رحل الرجاء في القبة المقدسة ، وتيمم بالتربة الزكية ، وقعد بازاء لحد المولى أبيكم ساعة إيابه من الوجهة المباركة ، وزيارة الربط المقصودة ، والترب المعظمة ، وقد عزم أن لا يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعي حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته في أمر يسهل عليكم ، ولا يجرُّ إنفاذ مال ولا اقتحام خطر ، إنما هو إعمال لسان، وخط بنان، وصرف عزم وإحراز فخر ، وإطابة ذكر وأجر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدس بلسان المقال ، ما يحضر مما يفتح الله فيه ، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب ، وقال لي صدر دولتكم ، وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ، سيدي الخطيب ، (يعني ابن مرزوق) سنَّى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم : أنت يافلان والحمد لله ممن لا يُنكَر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ما صدر ، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين ، وقد تقدم تعريف

مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الآن يعرض عليكم الجواب ، وهو أني لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملأ الكبير ، والجم الغفير ، أكببتُ على اللحد الكريم داعياً ومخاطباً ، وأصغيت بأذني نحو قبره وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأني به يقول لي : قل لمولاك ياولدي وقرة عيني المخصوص برضاي وبري، الذي ستر حريمي ورد ملكي ، وصان أهلي وأكرم صنائعي ، ووصل عملي ، أسلم عليك ، وأسأل الله تعالى أن يرضي عنك ويقبل عليك ، الدنيا دار غرور ، والآخرة خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وابن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضي العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ، ومثلك مَن ذكر فتذكر ، وعرف فما أنكر ، وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري ، وتهمم بي ، وسبق الناس إلى رثائي ، وأنشدني ومجدني، وبكاني ودعا لي ، وهنأني بمصير أمري إليك ، وعفَّر وجهه في تربتي ، وأملني لما انقطعتْ منيً آمال الناس ، فلو كنت ياولدي حياً لما وسعني أن أعمل معه إلا ما يليق بي ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحتقر العظيم ، لكن لما عجزتُ عن جزائه وكلته إليك ، وأحلته ياحبيب قلبي عليك ، وقد أخبرني أنه سليب المال ، كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن ، وأمل أن ينقطع بجواري ، ويستتر بدخيلي وخدمتي ، ويرد عليه حقه بحرمتي ووجهي ووجوه مَن ضاجعني من سلفي ، ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي ، وقد كنت تشوفت إلى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة ، محمد ابن مرزوق ، فاسأله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمي بعد الممات إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء،وله ياولدي ولد نجيب يخدم ببابك،وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك، وقد استقر بدارك قراره ، وتعين بأمرك مرتبه ودثاره ، فيكون الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خديم الشاب ، هذه رغبتي منك ، وحاجتي إليك ، واعلم أن هذا الحديث لابدً له أن يذكر ، ويتحدث به في الدنيا وبين أيدي الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبقى لك فخره ، ويتخلد ذكره ، وقد أقام مجاوراً ضريحي،

تالياً كتاب الله تعالى عليَّ منتظراً ما يصله منك ويقرؤه علي من السعي في خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره ، وإجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله ياإبراهيم ، اعمل ما يسمع عني وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال ، انتهى (1) . والعبد يامولاي مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ، ولتعلموا وتتحققوا أنني لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الأموال ، وسفكت الدماء ، وأخذت حسائف الملوك الأعزة ممن وراء النهر من التتار ، وخلف البحر من الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله تعالى مني من غير عهد بعد أن بلغهم تذممي بهذا الدخيل، ومقامي بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحداً منهم من حيث الحياء والحشمة من الأحياء والأموات ، وإيجاب الحقوق التي لا يغفلها الكبار للكبار ، إلا الجود الذي لا يتعقبه البخل، والعفو الذي لا تفسده المواخذة ، فضلا عن سلطان الأندلس أسعده الله تعالى بموالاتكم ، فهو فاضل وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم ، لا سيما مولاي والدكم الذي أتوسل به إليكم وإليهم ، فقد كان يتبنى مولاي أبا الحجاج ، ويشمله بكنفه ، ومازجه بنفسه ، وأمده بأمواله ، ثم صير الله تعالى ملكه إليكم ، وأنتم مَن أنتم ذاتاً وقبيلا ، فقد قرت يامولاي عينُ العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي من وفور حشودكم وكثرة جنودكم ، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله تعالى من فضله ، ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة تأميلكم وأعرضتم عن ذلك الوطن الأندلسي استولت عليه يدُ عدوه ، وقد علم تطارحي بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان ، وتعلقي بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شالة معروفة ، حاش لله أن يضيعها أهل الأندلس ، وما توسل إليهم قط بها إلا الآن ، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ، وأملي منكم أن يتعين من بين يدكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي ويخبر بمثواي مترامياً على قبر والدكم ويقرر ما ألزمتكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة

---

1) أى ما تلقاه ابن الخطيب من ايحاءات السلطان أبى الحسن .

عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منهم عادة المكارمة بحل هذه العقدة، ومن المعلوم أني لو طلبتُ بهذه الوسائل مَن سَلْبِ مالهم ، ما وسعهم بالنظر العقلي إلا حفظ الوجه مع هذا القبيل ، وهذا الوطن ، فالحياءُ والحشمة بأبيان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة ، وإذا تمّ هذا الغرض ولا شك في إتمامه ، تقع صدقتكم على القبر الكريم بي ، وتعينوني لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره وبين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن حج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعياً مثنياً مستدعياً للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتي بالأندلس ذمة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتي ، وقد ساومت في شيء من ذلك منتظراً ثمنه مما يباع بالأندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم في مثل هذا أو تتوقع فيه وحشة أو جفاء والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل، وانقطاعي أيضاً لوالدكم مما لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه ، وها أنا أرتقب جوابكم بما لي عندكم من القبول ، ويسعني مجدكم في الطلب خروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض ، والله سبحانه يطلع من مولاي على ما يليق به ، والسلام .

وكتب في الحادي عشر من رجب عام أحد وستين وسبعمئة .

وفي مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

مولاي ها أنا في جوار أبيكـــا	فابذل من البر المقدر فيكـــا
أسمعه ما يُرضيه من تحت الثرى	والله يُسمعك الذي يُرضيكـــا
واجعل رضاه إذا نهدت كتيبـــة	تهدي إليك النصر أو تهديكـــا
واجبرْ بجبري قلبه تنل المنـــى	وتطالع الفتح المبين وشيكـــا
فهو الذي سنّ البرور بأمـــه	وأبيه فاشرع شرعه لبنيكـــا
وابعث رسولك منذراً ومحـــذراً	وبما تؤمل نيله يأتيكـــا
قد هزّ عزمك كل قطر نــــازح	وأخاف مملوكاً به ومليكـــا
فاذا سموت إلى مرام شاســـع	فغصونه ثمر المنى تجنيكـــا
ضمنت رجالُ الله منك مطالبـــي	لما جعلتك في الثواب شريكـــا

فلئن كفيت وجوهها في مقصدي ... ورعيتها بركاتها تكفيكا
وإذا قضيت حوائجي وأريتني ... أملا فربك ما أردت يريكا
واشدد على قولي يداً فهو الذي ... برهانه لا يقبل التشكيكا

* * * *

مولاي ما استأثرت عنك بمهجتي ... أنَّى ، ومهجتيَ التي تفديكا
لكن رأيت جناب شالَّةَ مغنماً ... يضفي عليَّ العز في ناديكا
وفروض حقك لا تفوت ، فوقتها ... باق إذا استجزيته يجزيكا
ووعدتني وتكرر الوعد الذي ... أبت المكارم أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله سِتْر عناية ... من كل محذور الصروف يقيكا
ببقائك الدنيا تحاط وأهلها ... فالله جل جلاله يبقيكا

وقال أيضاً في الغرض المذكور :

عن باب والدك الرضى لا أبرح ... يأسو الزمان لأجل ذا أو يجرَحُ
ضربت خيامي في حماه فصبيتي ... تجني الجميم به ، وبهمي تسرح
حتى يراعي وجهه في وجهتي ... بعناية تشفي الصدور وتشرح
أيسوغ من مثواه سيري خائباً ... ومنابر الدنيا بذكرك تصدح
أنا في حماه وأنت أبصر بالذي ... يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
في مثلها سيف الحمية يُنتضى ... في مثلها زند الحفيظة يقدح
وعسى الذي بدأ الجميل يعيده ... وعسى الذي سد المذاهب يفتح

فأجابه السلطان أبو سالم رحمه الله بما صورته :

من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ، وأعز نصره .

إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأحظى ، الأوجه الأنوه ، الصدر الأحفل ، المصنف البليغ ، الأعرف الأكمل ، أبي عبد الله ابن الشيخ الأجل الأعز الأسنى ، الوزير الأرفع ، الأنجد الأصيل الأكمل ، المرحوم المبرور أبي محمد ابن الخطيب ، وصل الله عزته ، ووالى رفعته .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد لله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى ، والرضى عن آله وصحبه أعلام الاسلام ، وأيمة الرشد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلي العزيز المنصور المستعيني بالنصر الأعز والفتح الأسنى ، فانا كتبناه إليكم ، كتب الله تعالى لكم بلوغ الأمل ، ونجح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد بضفة وادي ملوية يمنه الله ، وصُنع الله جميل ، ومنّه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة برعي الوسائل ، ولكم بما تميزتم به من التمسك بالجناب العلي المولوي العلوي ، جدد الله تعالى عليه ملابس غفرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم إلينا من التقرب لدينا بخدمة ثـراه الطاهر ، والاشتمال بمطارف حرمته السامية المظاهر .

وإلى هذا وصل الله حظوتكم ، ووالى رفعتكم ، فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل بالاسعاف المستعذب ورده ، فوقفنا على ما نصه ، واستوفينا ما شرحه وقصه ، فآثرنا حسن تلطفكم في التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا ، وفي الحين عينا لكمال مطلبكم ، وتمام مأربكم ، والتوجه بخطابنا في حقكم ، والاعتما ل بوفقكم ، خديمينا أبا البقاء ابن تاسكورت ، وأبا زكرياء ابن فرقاجة، أنجدهما الله وتولاهما ، وأمس تاريخه انفصلا مودعَيْن إلى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذي يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطو له جملة آمالكم ، وإنا لنحتسب ثواب الله في جبر أحوالكم ، وبرء اعتلالكم ، والله سبحانه يصل مبرتكم ، ويتولى تكرمتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب في الرابع والعشرين من رجب سنة إحدى وستين وسبعمئة .

فراجعه ابن الخطيب بما نصه :

مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة والحرمة، ببرهان وحكمة ، أبقاكم الله تعالى عاليَ الدرجة في المنعمين ، وافري الحظ عند جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم في البنين ، وصنع لكم في عدوكم الصنع الذي لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الأليم مَن أراد في مثابتكم بالحاد، عبدكم الذي ملكتم رقه ، وآويتم غربته وسترتم أهله وولده وأسنيتم رزقه ، وجبرتم قلبه، يقبل موطيء الأخمص الكريم من رجلكم الطاهرة المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر ، الفارعة هضب العز ، المعملة الخطو في مجال السعد ومسير الحظ ، ابن الخطيب ، من شالة التي تأكد بملككم الرضى احترامها ، وتجدد برعيكم عهدها ، وأستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بحسناتكم نورها ، وقد ورد على العبد الجواب المولوي البر الرحيم المنعم المحسن بما يليق بالملك الأصيل والقدر الرفيع والهمة السامية والعزة القعساء ، من رعي الدخيل ، والنصرة للذمام ، والاهتزاز لبر الأب الكريم ، فثاب الرجاء وانبعث الأمل ، وقوي العضد وزار اللطف ، فالحمد لله الذي أجرى الخير على يدكم الكريمة ، وأعانكم على رعي ذمام الصالحين المتوسل إليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجداثهم ، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذي تسبب في وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه ، وعلمكم آداب الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهيأتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء ، وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه ناقة في جوار رئيس منهم ، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الأنفس وهلكت الأموال ، وقصارى مَن امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا ، فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولا إلى حماكم بالأهل والولد عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم الجرية على بذلها ، ثم فيمَن حطّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم،

دامع العين خافق القلب دامي القرحة ، يتغطى بردائه ، ويستجير بعليائه ، كأنني تراميت عليهم في الحياة أمام الذعر الذي يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر دراه ومضجع رقاده ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة بلفظ ياليعقوب يالمرين ، نسأل الله تعالى أن لا يقطع عني معروفكم ولا يسلبني عنايتكم ، ويستعملني ما بقيت في خدمتكم ، ويتقبل دعائي فيكم .

ولحين وصول الجواب الكريم ، نهضت إلى القبر المقدس ، ووضعته بازائه ، وقلت يامولاي ، ياكبير الملوك ، وخليفة الله ، وبركة بني مرين ، صاحب الشهرة والذكر في المشرق والمغرب ، عبدك المنقطع إليك ، المترامي بين يدي قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعي وجهك ، والتقرب إلى الله تعالى برعيك ، والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم من أنتم من إذا صنع صنيعة كملها ، وإذا بدأ منة تممها ، وإذا أسدى يداً أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولامنتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك ، وظل دخليك ، حتى يتم أملي ، ويخلص قصدي ، وتحف نعمتك بي ، ويطمئن إلى مأمنك قلبي ، ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بيني وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ، ومناسبة النحلة وإخوة التألف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم ، فأمنوا على دعائي باخلاص من قلوبكم ، واندفعت في الدعاء والتوسل الذي أرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكر النعمة ، مشيداً بصنيعته ، مسروراً بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطارح شأنه ، حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان انتهى (1) .

ولما وصل كتاب السلطان أبي سالم إلى أهل الأندلس أعظموا وسيلته ، وقبلوا شفاعته ، وردوا على ابن الخطيب ما تأتي رده مما كان ضاع له وأتلف عليه ، واستمر مقيماً بسلا سنتين وزيادة ، ثم استدعاه سلطانه الغني بالله إلى الأندلس بعد رجوعه إليها ، واحتوائه على ملكها ، فأجاب حياء

---

1) نفاضة الجراب ص 81 .

لا رغبة ، ومكرهاً لا بطلا ، وتقدم ذكر وفادة المترجم على السلطان أبي زيان محمد المتوكل على الله بن أبي عبد الرحمان وإنشاده قصيدتَه التي مطلعها :

لمن علمٌ في هضبة الملك خفـاق　　　أفاقت به من غشية الهرج آفـاق

وذكر الظهير الذي أكرمه به فراجها هناك .

وكان ابن الخطيب رحمه الله بعد فراره من ملوك بني نصر بالأندلس إلى ملوك المغرب من بني مرين واستقراره بالمغرب يدرس العلم به ، وانتفع أهل فاس وغيرهم ، وكان يسكن بالطالعة (1) .

وحكى غير واحد أنه رئي في المنام بعد موته ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي بسبب بيتين وهما في الوسادة ، ففحص عنهما فاذا بورقة فيها مكتوب :

يامصطفى من قبل نشـــــأة آدم　　　والكونُ لم تفتح له الأغـــــلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد مــــا　　　أثنى على أخلاقك الخـــــلاق

قال في (نفح الطيب) وقد زرت قبره مراراً رحمه الله بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي يقال له باب الشريعة ، وهو يسمى الآن باب المحروق، وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الأرض ، بل ينزل إليه بانحدار كثير ، ويزعم الجلُّ من عوام فاس أن الباب المذكور إنما سمي بباب المحروق لأجل ما وقع من حرق لسان الدين به حين أخرجه بعض أعدائه من حفرته كما مر وليس كذلك ، وإنما سُمي باب المحروق من دولة الموحدين قبل أن يوجـد لسان الدين ولا أبوه بسبب ثائر (2) ثار على الدولة ، فأمسك وأحرق في ذلك المحل ، والله غالب على أمره ، وحصل لي من الخشوع والحزن عند زيارة قبره رحمه الله ما لا مزيدَ عليه ، جعل الله له تلك المحن كفارة وطهارة ، فانه كان آية الله علماً وجلالة وحكمة وشهرة انتهى .

---

1) ما زال الروض الذى كان ابن الخطيب يسكنه بطالعة فاس الكبرى معروفاً وموجوداً بها الى الآن .

2) هو الثائر العبيدى الذى ثار بجبال غمارة .

وضريحه الآن عليه حوش صغير (1) بمقابلة من روضة سيدي عبد النور يفصل بينهما الطريق المرور عليها لظهر الخميس .

ترجمه ابن خلدون في (العبر) وابن الأحمر في تأليفن له ، والمقْري في (أزهار الرياض) ، وأطال في ترجمته ، وصاحب (الجذوة) و (الدرة) و (الكفاية) و (النيل) وغير واحد ، وترجم هو أيضاً نفسه آخر كتابه (الاحاطة) ، وقد طبع منها جزآن (2) ثم وقفت على جزء ثالث بخط اليد ، وهو آخرها لا اتصال بينه وبين الجزأين المطبوعين ، ووقفت من مختصر (الاحاطة) على مجلدين في مكتبة مدريد ، ثانيهما مبدؤه من صحيفة 518 وتم في صحيفة 815 ، وبعده ترجمة المؤلف لنفسه إلى صحيفة 995 وعلق المختصر على ترجمة المؤلف ببيان محنته وموته ، وأول ترجمة في الأول محمد بن أحمد ابن الحداد الوادي آشي ومسطرة هذه النسخة 24 ، ومنها لخص ترجمته الحافظ في (الدرر الكامنة) ، ونقل وفاته عن ابن خلدون وأفرده الشيخ أحمد المقْري بمؤلف حافل سماه أولا بـ (عرف الطيب ، في التعريف بالوزير ابن الخطيب) ، ثم وسمه حين ألحق أخبار أهل الأندلس به بـ (نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب) ، ذكر فيه بعض أحواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ورقائقه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ، وبعض ما له من النظم والنثر والمؤلفات والشيوخ والتلامذة وغير ذلك ، ومنه لخص ترجمته في (شذرات الذهب) ، وقال الشوكاني في (البدر الطالع) في آخرها ما نصه : ولعل صاحب الترجمة هو الذي ألف المقْري في مناقبه الكتاب المسمى (نفح الطيب ، في مناقب لسان الدين ابن الخطيب) ، والمؤلف من الموجودين بعد الألف ، وقد وصف من محاسنه ما يشنف الأسماع ، وقتله على الصفة المذكورة هو من تلك المجازفات التي صار يرتكبها قضاة المالكية ويريقون بها دماء المسلمين بلا قرآن ولا برهان ، وأما وجوده على شفير القبر محرقاً فلا ريب أن ذلك من صنع أعدائه وليس بجرح ولا فيه دليل على صحة ما امتحن به ، فان الأرض قد قبِلت فرعون وهامان ، وسائر أساطين الكفران . انتهى .

1) بنيت عليه قبة صغيرة فى السنين الأخيرة قبل وفاة جلالة الملك المرحوم محمد الخامس بقليل وبأمره .

2) عثر بعد طبع الجزاين المذكورين على نسخ كثيرة من **الاحاطة** بعضها فى مكتبات مغربية وبعضها فى مكتبات اوربية أو شرقية ، ويعيد الاستاذ محمد عبد الله عنان طبعه الآن كاملا .

اســتــدراك

كان المؤلف ترجم تحت نمرة 511 لمحمد بن علي بن مروان ، ثم أعاد ترجمته تحت اسم محمد بن علي بن مروان ابن جبل الهمداني ، وتحت نمرة 562 لمحمد بن هاشم الأوسي ، ثم أعاد ترجمته تحت اسم محمد بن علي بن هشام الأوسي ، ولم نتفطن لهذا التكرار إلا بعد طبع الترجمتين ، ونظراً لما في الترجمتين المكررتين من الفوائد آثرنا استدراكهما في آخر هذا الجزء .

* * * *

محمد بن علي بن مروان ابن جبل الهمداني من أهل وهران ، ونشأ بتلمسان ، وأصله من الأندلس ، يكنى أبا عبد الله ، وليَ قضاء تلمسان، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش بعد أبي جعفر ابن مضا في آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وثمانين وخمسمئة ، وصرف عن ذلك إلى إشبيلية سنة اثنتين وتسعين ، ثم أعيد ثانية بعد صرف أبي القاسم ابن بقي ، وكان حميد السيرة ، شديد الهيبة ، عارفاً بالاحكام ، سريع الفصل بين الخصوم ، موصوفاً بالعدل والتؤدة ، لم يجلد أحداً طول ولايته بسوط ، وتوفي سنة إحدى وستمئة عن أبي سالم ، وقال أبو بكر اليعمري : ليلة الأحد التاسع لجمادى الأولى من سنة إحدى المذكورة ، ودفن عصر يوم الاثنين وصلى عليه الامام أبو عبد الله (محمد) الناصر بن (يعقوب) المنصور .

ترجمه ابن الأبار (1) .

---

1) **التكملة** ص 681 ع 1719 .

محمد بن علي ابن هشام الأوسي

محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحيم بن هشام الأنصاري الأوسي ، مراكشي ، نشأ بسلا ، قرطبي أصل السلف ، أبو عبد الله ابن هشام .

روى بسلا عن أبيه ومؤدبه أبي علي عمر بن موسى بن الحسن بـن علي بن مكابر بن بلول الصنهاجي الفشتالي من بني بلول ، ثم من بني عطاف ، وبه انتفع في العربية والطريقة الأدبية ، والزاهد الفاضل أبي اسحاق بن أحمد القلبق ، وأبي جعفر ابن فرقد ، وأبي عبد الله ابن حماد ، وروى . . . . عـن جماعة منهم أبو عبد الله ابن عبو ، وشرّق مرتين حج فيهما ، فصل في أولاهما من سلا سنة ثمان عشرة وستمئة ، وجال في بلاد المشرق والشام والعراق ، ودخل بغداد وتكريت والموصل ومصر والاسكندرية ، وروى عن طائفة كثيرة من بقايا الشيوخ سماعاً وقراءة ، وأجاز له منهم جمع لا يحصون كثرة ، فمن شيوخه ببغداد أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبي عبد . . . . . القطيعي الخياط ، وأبو بكر محمد بن أبي بكر بن عبد الله . . . . وأبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن . . . . . وأبو سعيـد ثابت بن مشرف بن أبي سعد بن ابراهيم الأزحي البـ . . . . وموفق الدين أبو عبد الله بن عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي . . . . . محمد بن أحمد بن صالح بن شافع الجيلي ، وبتكريت أبو المعالي محمد بـن . . . . نصر بن المبارك ابن البرذعولي ابن الطاهري ، وبحماة أبو القاسم عبد الله . . . . بن عبد الله ابن رواحة الحموي ، وبدمشق خطيبها جمال الدين أبو عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي ، وشمس الدين أبو نصر محمد ابن هبة الله ابن غيل الشيرازي ، والقاضي أبو بياض . . . . الشهرزوري وغيرهم ، بافادة صاحبه أبي عبد الله بن يوسف البرزالي الاشبيلي مستوطـن دمشق ، وقفل مـن وجهته هذه سنـة ثنتين وعشرين وستمئـة ، واستوطن مراكش وقتاً ، ثم رحل الى الاندلس وسكن إشبيلية مدة وشريش أخرى . ومنها فصل لرحلته الثانية سنة ثمان وأربعين ، وكان محركه إليها وباعثه عليها ما حدثني به ونقلته من خطه قال : وذلك رؤيا رأيتها في المنام

لم تكن من أضغاث الأحلام ، رأيت في العشر الآخر من رمضان سيد البشر الشفيع المشفع في المحشر جالساً على سرير تبرق من وجهه الأسارير ، فبادرت إليه مسرعاً ، ووقفت بين يديه متخضعاً ، وقلت له بعد أن سلمت عليه ، وقمت مقام المستكين بين يديه : يارسول الله ، ما أعظم عند الله تعالى من سلم عليك ، وقبل ثرى نعليك ، فقال لي عليه الصلاة والسلام مجيباً بعد أن رحب ترحيباً : إني أحبك، إني أحبك ،ثلاثا يعددها ، ويكرر الكلمات ويرددها، ثم قال لي في الآخرة : ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فاستيقظت من منامي ، وقمت على أقدامي والعزائم مني مشحوذة ، وعلق تعلقي بحبال هذه الفانية بمدى اليأس مقطوعة مجذوذة ، وخرجت لا ألوي على معتذر ، خروج المجد إلى لقاء المحبوب المشمر ، فسرت على عون الله متوركاً ، وبرؤيتي هذه المنامية متبركاً ، وبعرى وديّ الصحيح، وحبيّ الصريح ، متمسكاً ، ولم يعن في هذه الرحلة بالأخذ عن أحد . . . . عن الخطيب بباغوثا من أرض عجلون من بلاد الشام . . . . بن عمر الأنصاري ابن الأندلسي ، وببونة عن أبي القاسم محمد . . . . محمد ابن محرز التميمي التونسي من ذرية الفاضل الشهير الكرامات . . . . بمراكش ، وصحبته كثيراً وأخذت عنه معظم ما كان عنده .

وكان . . . . من أهل الصدق والعدالة ، سنياً فاضلا منحياً على أهل البدع . . . . بارع الخط ، سريع البديهة فى النظم ، مكثراً منه محسناً فى بعضه ، حافظاً للقرآن العظيم ، مثابراً على تلاوته ، طيب النفس كريم الأخلاق جميل الدعابة ممتع المجالسة .

ولد بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمئة .

وتوفي بها نصف ليلة الخميس الحادية والعشرين من ذي القعدة أحد وسبعين وستمئة ، ودفن اثر صلاة العصر من يوم الخميس المذكور بجبانة أسرغسن بمقربة من جامع علي بن يوسف عمره الله بدوام الذكر فيه ، وشهد جنازته خلق كثير ، وأثنوا عليه صالحاً ، وكان أهلا لذلك .

انتهى من (الذيل والتكملة) .


درة الغواص

فهرس

الجزء الرابع من (الاعلام)

تابع حرف الميم

النمرة		الصحيفة
491)	محمد بن حسون ابن البزاز قاضي مراكش	82
492)	محمد ابن القَبْطُرنُه	82
493)	محمد بن إبراهيم ابن أسود الغساني	82
494)	محمد بن الحسين الميورقي الأنصاري	84
495)	محمد ابن أبي الخصال الغافقي	86
496)	محمد بن أحمد ابن السقاط الكونكي	90
497)	محمد بن عبد الرحمان ابن عظيمة الاشبيلي	91
498)	محمد بن هود بن عبد الله الماسي المتسمى بالهادي	94
499)	محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري (أبو بكر)	94
500)	محمد بن عبد الله القنطري	105
501)	محمد **ابن شريح** الرعيني	106
502)	محمد بن عبد الله **ابن ميمون** العبدري	107
503)	محمد بن عمر **الشواشي** الشلبي	108
504)	محمد بن عبد الله **ابن خليل** القيسي	108
505)	محمد بن حسين **ابن حبوس** الفاسي	110
506)	محمد بن عبد الرحمان **ابن طاهر** القيسي	114
507)	محمد بن محمد **الشريف الادريسي** السبتي	115
508)	محمد بن عبد الله **ابن الغاسل** الغرناطي	116
509)	محمد بن عبد الملك **ابن طفيل** القيسي	117
510)	محمد بن إسماعيل **الهواري**	120
511)	محمد بن علي بن مروان **ابن جبل** الهمداني	121 – 476
512)	محمد بن عبد الله **ابن الجد** الفهري	121
513)	محمد بن محمد **ابن باز** اليحصبي	123
514)	محمد بن عبد الملك **ابن سعيد** العنسي	123
515)	محمد بن إبراهيم **ابن الفخار** الأنصاري	125
516)	محمد (أبو الوليد) بن محمد **ابن رشد** القرطبي (الحفيد)	128



تحت الطبع

انبعـاث أمّـة
الجزء الثالث والأربعون

* * *

الوثائق
الجزء العاشر

* * *

أعلامُ المغرب العربي
الجزء السادس

* * *

ضريح مُحمد الخامس
الجزءُ الثاني والجزءُ الثالث

* * *

معجم الشعاريات

* * *

فاس
منبعُ الإشعاع في القارة الأفريقية

* * *

العلاقات السياسية للدولة العلوية

* * *

مع جلالة الحسن الثاني في فاس
وتازة ووجدة وتلمسان
(طبعة ثانية)





رقم الإيداع القانوني : 964 / 1997

ردمك : 8 - 03 - 905 - 9981 (المجموعة)

ردمك : 7 - 12 - 905 - 9981 (الجزء الرابع)

